





العتبة العباسية المقدسة
قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية
مركز تراث البصرة

البصرة - شارع بغداد - حيّ الغدير
هاتف: ٠٧٨٠٠٨١٦٥٩٧ - ٠٧٧٢٢١٣٧٧٣٣
البريد الإلكتروني: basrah @ alkafeel.net

ص.ب/ ٣٢٣

الظالمي، حامد ناصر، 1968-

دراسات في لهجات البصرة وجنوب العراق / جمع ودارسة أ. د. حامد ناصر الظالمي ؛
مراجعة وتدقيق وضبط مركز تراث البصرة قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية.-
الطبعة الأولى.- كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، قسم شؤون المعارف الإسلامية
والإنسانية، مركز تراث البصرة ، 1439 هـ. = 2017.

475 صفحة : جداول، خرائط ؛ 24 سم

يتضمن مصادر.

1. اللغة العربية--لهجات--العراق--البصرة. الف. العنوان.

PJ6830.B37 Z35 2017

مركز الفهرسة ونظم المعلومات

-بطاقة الكتاب-

الكتاب:.....لهجات البصرة وجنوب العراق

تأليف:.....أ.د. حامد ناصر الظالمي

جهة الإصدار:.....العتبة العباسية المقدسة، قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

مراجعة وتدقيق وضبط:.....مركز تراث البصرة

الطبعة:.....الأولى

المطبعة:.....دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع

سنة الطبع:.....ربيع الآخر ١٤٣٩ هـ- كانون الأول ٢٠١٧ م

عدد النسخ:.....(١٠٠٠) نسخة

حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة على الناشر



درائتہا فی الجہان البصرۃ وجنوب العراق

جمع ودراسة
ا. د. حامد ناصر الظالمی

مراجعة وتدقيق وضبط

مركز التراث البصري
فريق شؤون البحار الإسلامية والأستراتيجية

مقدمة المركز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلوات وأكمل التسليم على الصادح بالحق المبين،
والتأذير بدلائل الصديق واليقين، ذي اللهجة الإلهية، والدعوة الربانية، محمد المصطفى
الأمين، وعلى آله كلمات الله التامة، أرومة المجد، وبنيان الله في الأرض، الطيبين
الطاهرين، وبعد:

يُشكّل الصوت مظهراً من أهم مظاهر الكون والوجود؛ إذ ارتبط به من أول النشأة،
وسيستمر إلى أن يُنفخ في الصور بذلك الصوت الملوكوتي المرتبط بقدرة الله - عز وجل -
إحياء وإماتة.

وما اللهجات إلا تركيب من مجموعة من الأصوات تتشكل على وفق طابع
البيئة والتطور الزمني، ثم تكون مظهراً من مظاهر التجمعات البشرية على اختلافها
وامتدادها.

وقد جعل الله (عز وجل) - تكوينياً - للصوت أجهزة خاصة، تكون مسؤولة عن
إبرازه ليتشكل بالوجود اللفظي ألفاظاً، تتحول بدورها بالوجود الكتبي (الخط) إلى
مكتوب، أو مؤلف، أو نحو ذلك.

ويطالعنا بشأن الصوت ذلك النصّ المنأز والمتقدم زمنياً، الذي يصف فيه الإمام
الصادق عليه السلام للمفضل بن عمر (الصوت والكلام وتهيئة آياته في الإنسان وعمل كل
منها)، كما جاء في عنوان الحديث، في محاولة متقدمة مشخصة تشخيصاً دقيقاً هذا الجهاز
ومكوناته وعمله وآثاره، يقول عليه السلام:

«أُطِلَ الْفِكْرُ يَا مُفَضَّلُ فِي الصَّوْتِ وَالْكَلَامِ وَتَهْيِئَةِ آلَاتِهِ فِي الْإِنْسَانِ، فَالْحَنَجْرَةُ كَالْأَنْبُوبَةِ لَخُرُوجِ الصَّوْتِ، وَاللِّسَانُ وَالشَّفَتَانِ وَالْأَسْنَانُ لَصِيَاغَةِ الْحُرُوفِ وَالنَّغَمِ، أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ سَقَطَتْ أَسْنَانُهُ لَمْ يُقَمِ السَّيْنُ، وَمَنْ سَقَطَتْ شَفَتُهُ لَمْ يُصَحَّحِ الْفَاءُ، وَمَنْ ثَقُلَ لِسَانُهُ لَمْ يُفَصِّحِ الرَّاءُ، وَأَشْبَهُ شَيْءٍ بِذَلِكَ الْمِزْمَارُ الْأَعْظَمُ، فَالْحَنَجْرَةُ تُشَبَّهُ قِصْبَةَ الْمِزْمَارِ، وَالرَّثَّةُ تُشَبَّهُ الزَّقَّ الَّذِي يُنْفَخُ فِيهِ لِتَدْخُلَ الرِّيحُ، وَالْعِضَلَاتُ الَّتِي تَقْبِضُ عَلَى الرَّثَّةِ لِيَخْرُجَ الصَّوْتُ كَالْأَصَابِعِ الَّتِي تَقْبِضُ عَلَى الزَّقِّ حَتَّى تَجْرِيَ الرِّيحُ فِي الْمِزَامِيرِ، وَالشَّفَتَانِ وَالْأَسْنَانِ الَّتِي تَصَوِّغُ الصَّوْتَ حُرُوفًا وَنَغْمًا كَالْأَصَابِعِ، تَخْتَلِفُ فِي فَمِ الْمِزْمَارِ، فَتَصَوِّغُ صَفِيرَهُ الْحَانَأَ، غَيْرَ أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ مَخْرُجُ الصَّوْتِ يُشَبَّهُ الْمِزْمَارَ بِالْآلَةِ وَالتَّعْرِيفِ، فَإِنَّ الْمِزْمَارَ - فِي الْحَقِيقَةِ - هُوَ الْمُشَبَّهَ بِمَخْرَجِ الصَّوْتِ»^(١).

وجلائلُ الوُضُوحِ ودَقَّةُ التَّشْبِيهِ بَادِيَةٌ عَلَى النَّصِّ لَتُعْطِيَ مَجَالًا لِلتَّأَمُّلِ وَالتَّدَبُّرِ. وَتُعَدُّ دِرَاسَةُ اللَّهْجَاتِ - وَخُصُوصًا الْيَوْمَ - مِنْ أَهَمِّ الْمُبَاحِثِ الَّتِي تَعَاطَاهَا الدَّرْسُ اللُّغَوِيُّ الْحَدِيثُ بِالتَّحْلِيلِ وَالْمِفَاتِشَةِ؛ لِبَيَانِ الْعِلَاقَاتِ السِّيَاقِيَّةِ وَالتَّدَاوُلِيَّةِ لَجُمْلَةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْمَفْرَدَاتِ وَالتَّرَاكِبِ الَّتِي أَلْقَتْ بِثِقَلِهَا الْاسْتِعْمَالِيَّ عَلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، فَكُلُّ بَقْعَةٍ جُغْرَافِيَّةٍ مَفْرَدَاتٌ وَتَرَاكِبٌ لِدَلَالٍ مَعْيَنَةٍ تَخْتَلِفُ عَنْ غَيْرِهَا، هَذَا التَّعَدُّدُ كَانَ فِي سَابِقِ الْعَهْدِ عِنْدَمَا كَانَتْ اللُّغَةُ الْفُصْحَى سَائِرَةً مُتَدَاوِلَةً بِوَصْفِهَا ظَاهِرَةً عَامَّةً مُتَوَزَّعَةً عَلَى الْقِبَائِلِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَقَدْ عَمِلَ الذَّوْقُ الْقُرْشِيُّ الْمَكِّيُّ عَلَى تَوْحِيدِ اللِّسَانِ، فَنَشَأَتِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْمُوَحَّدَةُ، الَّتِي نَوَّرَهَا النَّصُّ الْإِلَهِيُّ (الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ)، وَحَفِظَ لَهَا دِيْمُومَتَهَا وَاسْتَمَرَّارَهَا عَبْرَ الزَّمَنِ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ دَعْوَةِ الْكَثِيرِ مِنَ الْبَاحِثِينَ إِلَى ضَرُورَةِ تَوْحِيدِ اللُّغَةِ الْفُصْحَى وَجَعَلَ اللَّهْجَاتِ تَصَبُّ فِي رِوَاقِ لُغَةٍ وَاحِدَةٍ حَفِظًا لِلْهَوِيَّةِ، بِالْقَوْلِ: «وَإِنَّ اللَّهْجَاتِ تَحْفُلُ بِمَادَّةٍ صَالِحَةٍ مِنَ الْمَفْرَدَاتِ وَالْمُرَكَّبَاتِ وَالْفَصِيحِ الشَّارِدِ، عَلَى مَا

(١) التَّوْحِيدُ، الْمُفَضَّلُ بْنُ عَمْرِو الْجَعْفِيِّ (ت ١٦٠هـ)، تَعْلِيْقُ: كَاسِمُ الْمَظْفَرِ، مَوْسَسَةُ الْوَفَاءِ، بِيْرُوت - لُبْنَانُ، ط ٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، وَفِي نَسْبَةِ الْكِتَابِ إِلَى الْإِمَامِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَلَامٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ.

فيها من فسادٍ والتواءٍ واعوجاجٍ، فعلينا أن نعني بإصلاح ذلك وبذل الجُهد في التوفيق بين الفصحى ولهجاتها من هذه الناحية لنخلص إلى لغةٍ موحدةٍ سليمةٍ^(١)، فإن كان هذا إلى حدٍّ ما صحيحاً إلا أنه لا يتعلّق باللهجات العاميّة، ولا يجري عليها؛ ولأنّ اللغة الفصيحة - في نظر البعض - حبيسة المعاجم اللّغويّة وتداولها يكاد يكون محدوداً، إلا إنّ الملاحظ من خلال جملةٍ من الدّراسات أنّ العديد من المفردات واللهجات التي تظهر للوهلة الأولى أنّها من العاميّة، ترجع بالتحليل اللّغويّ إلى جذورٍ في الفصيحة، وهذا جانبٌ مهمٌّ ينبغي مراعاته في الدّراسات اللّهجية، فمع الأسف يستسهل بعض الباحثين نسبة جملةٍ عديدةٍ من المفردات إلى اللّغات الأخرى، كالفارسيّة والتركيّة والرّوميّة، بحكم التّمازج أو التّجاور، أو الاستعمار، وهذا وإن كان صحيحاً، ويبدو أثره واضحاً في الكثير من المفردات المستعملة، إلا أنه لا يُعدّ حكماً عاماً شاملاً، ولا ينبغي استسهال النّسبة إلى اللّغات الأخرى والتّنازل عن جملةٍ من مفرداتٍ لها أصلُها في الاستعمال الفصيح، وإن جرى عليها شيءٌ من الإبدال أو الإعلال بحكم التّداول، فالأمانة العلميّة تقتضي عدم التّفريط بالمخزون اللّغويّ لأمةٍ من الأمم.

ويأتي هذا الكتاب ليبرز جُهداً تقدّم به جملةٌ من الباحثين على اختلاف مراتبهم وقوميّاتهم لدراسة لهجات البصرة وجنوب العراق، ويتكفّل بكثيرٍ ممّا طرحناه من ملامح في هذه الإمامة، بعضه دراساتٌ قديمةٌ، وبعضه الآخر دراساتٌ قريبة العهد، تناول فيها الباحثون جملةً من المظاهر عن لهجات المناطق المختلفة، ومحاولة المقارنة في بعضها، وقد تقدّم المؤلّف بجمع تلك البحوث المبنوثة في زوايا المجلّات القديمة أو الكتب، ليجعلها تحت رواقٍ واحدٍ؛ ليتسنى للباحثين أن يطلّعوا على جهدٍ لهجيٍّ مجموعٍ غير مفرّقٍ، ليتفعّلوا من مناهجه، أو ليستكملوا ما شذّ عنه.

(١) أصول ألفاظ اللهجة العراقية، محمّد رضا الشيباني: ص ٩.

وقد تقدّم المؤلف - مشكوراً - بدراسةٍ لتلك الأبحاث مقارنةً بينها، مبيّناً بعض الملاحظات، بما هو ضروريٌّ في التحفّظ على نسبة بعض الألفاظ إلى قوميّةٍ أخرى.

وقد عكفنا في (مركز تراث البصرة) - ما وسعنا الجهد - على مراجعة الكتاب وتدقيقه، خصوصاً تلك المفردات التي تميّز برسمٍ خاصٍّ يتماشى مع عاميّتها، وقد كان الباحث الكريم الدكتور (حامد الظالميّ)، متابعاً لعمل المركز وجهوده في الكتاب، مزوداً إيانا بجملةٍ من المصادر المعتمدة، أو نسخ الأصل، لتُجرى عليها عملية المقابلة، لتكون المراجعة على نحو الدقّة، وننوّه بأنّ هناك بعض الكلمات قد وضعناها بين معقوفين؛ لأنّ بها استقامة السّياق، وبعد ذلك، فلا ندّعي الكمال، فالكمال لواهب الكمال وحده، فإن شذّ القلم، أو شطّ الذّهن عن خطأ أو سهو، فالمؤمّل من كرام القراء العُذر والإقالة، بما لا يُنقص من الجُهد المبذول، فهو المأمول، وعلى الله قصْد السّبيل، والحمد لله ربّ العالمين.

البصرة الفيحاء / مركز تراث البصرة

ربيع الأوّل / ١٤٣٩ هـ - تشرين الثاني / ٢٠١٧ م

لَهْجَاتُ الْبَصْرَةِ وَجَنُوبِ الْعِرَاقِ

أ.د. حامد ناصر الظالمی

جامعة البصرة - كلية التربية

قبل أن ندرس لهجات البصرة وتفرداتها في مناطقها المختلفة، نحاول أن نحيط بشيء من تقسيمات تلك المدينة وساكنيها عند تمصيرها، وقبل ذلك وبعده؛ ولسعة البصرة وتعدد ساكنيها عبر العصور، من قوميات وأطياف كثيرة، اختلف في أصل التسمية، ولكن، أرى أن أطرف ما قيل في ذلك هو ما أورده الدكتور إبراهيم السامرائي، بتأويله كلمة: (بصرة)، تعليقاً على كلام ياقوت الحموي: «فالبصرة: من مياه بني عقيل بنجد، بالأعراف، أعراف غمرة، فإذا شرب الإنسان من مائها شيئاً لم يرو، حتى يرسل ذنبه، وليست ملحّة جدّاً، ولكنّها غليظة، قال أبو زياد الكلابي: وأخبرني غير واحد منهم: أنّهم يردّونها، فيستقبل أحدهم فرغ الدلو، فلا يروى حتى يرسل ذنبه، ولا يملكه، أي: أنّها تُسهّل البطن». انتهى كلام ياقوت. « أقول-والكلام للسامرائي-: لعلّ العرب سمّوا هذه الحاضرة التي مصّروها، فكانت البصرة باسم تلك الماء، لشبه مائها بماء تلك، ثمّ كان ما كان من السّين والصّاد من الإبدال الصّوتي»^(١).

هذا رأيي أراه طريفاً، ولكنّ البصرة ليست بجديدة، بل هي منطقة معروفة قبل تمصيرها، وهناك تسميات أخر لها، وهي في الحقيقة -كما سنعرضها- مناطق من البصرة، وليست بديلة عنها؛ إذ يقول ماسينيون في أصل البصرة وهيأتها قبل الإسلام: «تعود البصرة إلى المنطقة السّاسانيّة (أستان)، المعروفة بـ (شاذ بهمن)، أي: (طسوج بهمن أردشير)»، وهي مكوّنة من أربع مناطق^(٢):

- ١- ميسان (ميلوا).
 - ٢- دست ميسان (الأبلة = أبولو كوس).
 - ٣- أبنز قُباد (مدهار).
 - ٤- أستان (شاذ بهمن)، أي: طسّوج بهمن أردشير.
- ومركز المنطقة الرابعة، هو منطقة الخُريبة، المسماة: (بهشتا باد أردشير)، وهي منقسمة على سبعة دساكر، أو محلات، هي:
- أ- بنو بكر: دسكرة زابوقة.
 - ب- بنو بكر: الدسكرة الأولى في الخُريبة: المنطقة الوسطى (باطنة).
 - ج- أهل العالية: الدسكرة الثانية من الخُريبة.
 - د- في بني تميم: هناك دسكرتان: (الأساورة، وبنو مجاشع).
 - هـ- وفي الأزد: هناك دسكرتان: (بنو عدي، وحُدّان).
- وهكذا، فالأسماء (الزّابوقة، الخُريبة، الأبلة)، هي ليست بأسماء للبصرة، بل هي تسمية لمحلاتٍ فيها.

ما ذكرناه هو مركز مدينة البصرة القديمة، البعيدة عن البصرة الحالية التي تقع إلى الجهة الجنوبيّة من البصرة، التي لم يبقَ منها سوى عدّة قبور متفرّقة، وبعض الآثار الدّالة عليها، وكانت تحيط بها دساكر آخر، هي: «البطينة، والحُدّان، وهذاد، والسّبخة»، والأخيرة تقع في الشّرق، وكانت هذه الدسكرة تتّصل بالفرضة القريبة من الجسر ودار الرّزق بين محلات القلعة، والدسكرة الخامسة، هي: الزّاوية، وتقع في الجنوب، وكان الطريق التجاريّ الكبير يخترق تلك المناطق من الغرب إلى الشّرق، أي: من المِرْبَد (محلّ إناخة الإبل، وتفريغ البضائع، إلى الفرضة)^(٣).

وعند تمصير البصرة، نزحت إليها القبائل العربيّة، فتوسّعت المدينة، وأصبحت

خمس محلات كبرى، تضم القبائل الوافدة، وسميت بأخماس البصرة، كما سميت محلات الكوفة السبعة بأسباع الكوفة، والأخماس هي:

١ - محلة أهل العالية: وتقع بين المربد والجامع، وهي مركز البصرة، وسكانها من الأسر التي عملت في إمارة البصرة؛ إذ نزلت إليها قبل سنة (٤٠هـ)، وهم من المضريين، وأغلبهم من قريش، متعصبون لبني أمية. على أن هناك هاشميين، وهم ربيعون قد انحدروا من ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، (وبنو مازن، وبنو حنيفة، وبنو باهلة، وقبيلة كنانة - بنو القعقاع بن رباح، قبيلة الجاحظ -، وبنو سعد بن لؤي، وبنو كعب بن لؤي، وبنو أسامة بن لؤي)، فهم يؤلفون الغالبية العظمى من القرشيين في تلك المنطقة، وذلك منذ أن ضموا إليهم بني ناجية، من قدماء نصارى مذار، الذين أسلموا، وتحالف بنو أسامة بن لؤي مع الأفارقة الذين كانوا يشتغلون بالزراعة، وهم الزنوج الذين ثاروا سنة (٨١هـ)، ثم ثاروا في الحقبة بين (٢٥٥-٢٧٠هـ)، -ولعل المبرد كان أحد هؤلاء الزنج-. ومن سكن هذه المنطقة الأمويون، كبني هبار بن أسود، الذين استوطنوا الهند بعد ذلك، وهؤلاء هم أصحاب المناصب، والموظفون القيسيون والقرشيون في الوسط، وكان بنو سعد -من تميم- قد عقدوا حلفاً مع الفرسان (الأساورة) الفارسيين، وإن بني حنظلة -من تميم- قد تحالفوا مع الزط والسبابجة، وهم الطبقات السفلى، في حين كانت قبائل بكر، وبالأخص عبد قيس -الشيعة-.

٢ - محلة الأزدي: موقعها إلى الشمال الغربي من المدينة في منطقة حُذَّان وهَدَّاد. والأزدي جماعة كانت قد سيطرت منذ زمن بعيد في البصرة، ومنهم: (أزدي عُمَان). أمّا الأقسام الرئيسة للأزدي، فهي كما يأتي:

أ- بنو عتيك: وهم طائفة من المهالبة، جماعة المهلب بن أبي صفرة (٧٨-٩٩هـ)، ولاة خراسان والبصرة في: (٩٦-١٠٢هـ)، و(١٣٢-١٣٣هـ)، و(١٣٩-١٤٥هـ)،

و(١٦٥-١٦٧هـ)، و(٢٠٦-٢١٨هـ)، ومنهم رابعة العدويّة.

ب- بنو عديّ: ومنهم تألّف الجند لحراسة عائشة سنة (٣٦هـ).

ج- بنو معن: ومنهم جماعة الفراهيد، الذين منهم الخارجيّ ربيع بن أبي حبيب (ت ١٧٠هـ)، والخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ).

د- بنو حُدّان.

هـ- بنو طاهية.

و- بنو راسب (الخوارج).

ز- بنو زياد بن شمس.

ح- بنو هداد.

ط- بنو سيّحان: (والنّهر الذي يجري في أرضهم يخصّ البرامكة أتباع الأزدي).

ي- بنو زهران.

ك- بنو كيزان.

ل- بنو عرمان.

م- بنو ثُمالة: ومنهم: (الشّيعيّان: أبو حمزة الثُّماليّ، والشّاعر السّلمانيّ، أبو الغمر الدّيكّي).

ن- بنو ضمرة: ومنهم: (مؤسّس طائفة النصيريّة، محمّد بن نصير النّميريّ، البصريّ، وبشار بن برد)، وجاور الأزديّ يمانيّون آخرون، منهم: الأشاعرة... وبنو قضاة، والحميريّون (بنو جريش، والسّمعانيّ، وبنو قصر، وبنو مذحج).

٣- محلّة بني تميم (المضريّين)، الواقعة في الجنوب الشرقيّ من المدينة- من المربّد إلى الجامع- قرب مقبرة بني مازن، وهذه المجموعة مهمّة؛ وذلك أنّها تلي الأزديّ من حيث عدّتهم، وهي من النّاحية الاجتماعيّة منقسمة- آنذاك- انقساماً عميقاً بين (دارم،

وحنظلة)، ودارم القبيلة ذات الشرف القديم، ومنها: الأحنف بن قيس، والفرزدق، أمّا حنظلة، فمنهم بنو مجاشع وأتباعها من الطبقات الدنيا، كالسبابة، والزُّرط، وبني العمّ، وهم من تنوخ-من قدماء النصارى-. وشاعر حنظلة جرير. ويؤلف بنو حنظلة العناصر الثورية في جميع الأحزاب -كما يرى ما سينيون-، ومنهم وبهم نشأ المذهب الخارجي، ومنهم صابغ بن عيسى، وابنه عمير، الذي قتله الخوارج، وحرقوص، وكان ابن حنبل حرقوصياً هاجر إلى مرو.

ومن بني العمّ، محمّد بن جمهور، العمّي، البصريّ، المؤسس لفرقة الغرابية، ولعلّ الصّوليّ قد توفّي بينهم سنة (٣٣٥هـ)، والكتب الشيعة في الرجال والتراجم تُثبت القمي بدلاً من العمّي.

٤- محلة بني بكر بن وائل، الواقعة في القسم الأوسط من الجهة الشماليّة الشرقيّة من المدينة، في (البطينة والزابوقة)، وهم من ربيعة، نشيطة كثيرة الحركة، اشتهرت بسطوتها، وكانو حراساً لطريق الحجّ من البصرة إلى مكة، ويقطن هذه المحلة قبائل قيس بن ثعلبة، وبنو عترة، وبنو عجل، وذهل بن شيان، وبنو يشكر، وذهل بن ثعلبة، وبنو طبيعة، وبنو سدوس، وبنو شيان.

٥- منطقة عبد القيس (والنسبة: عبديّ): وهي واقعة على الطرف من الشمال الشرقيّ (بالقرب من الفرضة)، وأصلهم من البحرين، متحرّرة من بني تميم، وزعماءها من الجارودية، وكانت لهم علاقات مع الفرس، وقد ربطتهم بالمرزبان الساسانيّ المشهور في الأهواز -وهو (الهَرَمزان)-، وأكّد الاصطخريّ أنّه والد زوجة الإمام الحسين عليه السلام. واتصلوا بسلمان الفارسيّ، وذكر أنّ زيداّ الرئيس العبديّ لبني صرحان كان تلميذاً لسلمان الفارسيّ، وأنّ الجارود كان قد أسلم على يد سلمان. والعمور هم حلفاء عبد القيس، وهم من الشيعة. أمّا فروع عبد القيس، فهي:

١- بنو دبل بن نُقْرَة، وكانوا تجّاراً في شواطئ عمان واليمن.

٢- المُعَدَّل بن عيلان^(٤).

البصرة تلك المدينة الغربية الأطوار، المتمردة، أصبحت - فيما بعد، أي: من القرن العاشر إلى الثالث عشر الهجري - قرية صغيرة انحصرَتْ في الزبير، وقد نشأت بصرة جديدة أخرى على الجانب الأيمن لشط العرب، والبصرة القديمة تلك تبلورت فيها أفكارٌ عديدةٌ فلسفيةٌ شاملة^(٥).

وهي مصدر رئيس للفنون والصناعات، ومركز لبناء السفن في الخليج العربي، ومركز إعداد ملاحى السفن، وحَوْضٌ لذلك، فسفنُها مصمّمة لمقاومة أمواج المحيط الهندي، وهذه الأمور كانت تجري بقيادة اليهود الرّهْدانيّين، ممّن سكنوا البصرة في محلّات خاصّة من القرائن والتلموديين^(٦).

وقد أثّرت البصرة تأثيراً عظيماً فيمن جاورها، حتّى وصل أثرها إلى خراسان، ولاسيّما الأقاليم الأربعة: (بلخ، ومرو، ونيسابور، وهراة).

أمّا بلخ، فهي (بختر) القديمة، بوابة آسيا الوسطى، وهي على اتّصال بطريق الحرير والصين...، ولعلّ بلخاً أكثر عواصم خراسان أثّراً بصريّة... فمن النّاحية السّياسيّة، لما كان الأزديّون هم المؤسّسون لبلخ، فوّض البكريّون قبل سنة (١٣٢هـ) بإدارتها.

ومن النّاحية الفكرية، اتّبع البلخيّون النمط البصريّ، ففي الحديث كانوا متشدّدين، ولكنهم منهجيّون، ومنهم مقاتل بن سليمان...، وفي ميدان الاعتزال كانت لهم مدرسة خاصّة، وفي الزّهد هم أصحاب النظريّات وأتباع الحلاج، ومنهم أبو زيد، البلخيّ، والبرامكة هم أصلاء من بلخ، قدّموا إليها من البصرة قبل أن يستقرّوا في بغداد.

أمّا مرو، فقد جاء إليها البصريّون من هراة، وقد تركوا بكراً وعبد القيس في مرو الروذ وطالقان، وقد استقرّ في مرو كلّ من: بني تميم، وبني خزاعة، والأزديّين، وعمّروها، وإذا تأملنا في أنّ الجيش الخراسانيّ الذي كان نواة الجالية العبّاسيّة، التي كانت مستقرّة

في مَرَوِ الرُّودِ، أَمَكُنَّا بِقُوَّةٍ أَنْ نَتَحَرَّى الْإِشْعَاعَ الْبَصْرِيَّ فِي الْمَحِيطِ الْبَغْدَادِيِّ، مَنَعَكُشَا وَآتِيَا عَنْ طَرِيقِ مَرَوِ.

أَمَّا عَنْ أَثَرِ الْبَصْرَةِ فِي نَيْسَابُورِ (أَبْرَاشَهْر، نَوْشَهْر)، فَكَانَ وَاضِحًا؛ إِذْ كَانَتْ نَيْسَابُورُ مَأْهُولَةً بِالْمَعْمَرِينَ الْبَصْرِيِّينَ مِنَ الْقَبَائِلِ: اللَّيْثِ، وَسُلَيْمِ، وَبَنُو عَامِرٍ، وَبَاهِلَةَ. وَكَانَ فِيهَا مِنَ الْعَرَبِ مِنْ أَصْحَابِ الْقَطَاعِ مِنَ الْبُيُوتَاتِ وَالْأَسْرِ الَّتِي تَنْتَمِي إِلَى بَنِي حَنِيفَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَالشَّيْشَانِيَّةَ وَالْقَرَشِيِّينَ وَالتَّمِيمِيِّينَ وَالضَّبِّيِّينَ وَالذَّبْيَانِيِّينَ، الَّذِينَ قَدَمُوا جَمِيعًا مِنَ الْبَصْرَةِ. وَنَجَدُ مِنْ بَيْنِ وَلَاةِ نَيْسَابُورِ الرَّبِيعِ الْحَارِثِيَّ (ت ١٣٥هـ)، (الَّذِي كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيَّ كَاتِبًا لَهُ)، وَاللَّيْثِيَّ، وَالْحَنْفِيَّ، وَالْأُمَوِيَّ، وَالتَّمِيمِيَّ، وَالْأَزْدِيَّ (الْمُهَلَّبَ)، وَابَاهِلِيَّ، وَالْحَرِثِيَّ (الْقَيْسِيَّ)، وَالسَّلْمِيَّ (مُؤَرِّخُ الصُّوفِيَّةِ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، السَّلْمِيَّ)، وَالْهَلَالِيَّ، وَالْكَنَانِيَّ، وَفِي نَيْسَابُورِ تَجْتَمِعُ أَفْوَاجُ الْحَجِيجِ مِنَ الْبَصْرِيِّينَ مُتَوَجِّهَةً أَنْظَارَهَا نَحْوَ مَكَّةَ.

لَيْسَ هَذَا فَحَسَبَ، فَأَثَرُ الْبَصْرَةِ نَجَدَهُ وَاضِحًا قَدِيمًا وَحَدِيثًا فِي الْمُنَاطِقَةِ الْمَجَاوِرَةِ لَهَا، وَهِيَ الْأَحْوَاظُ، الَّتِي تُسَمَّى -كَذَلِكَ- (الْأَهْوَاظُ)؛ لِأَنَّ الْحَاءَ لَا تُنْطَقُ فِي الْفَارْسِيَّةِ، بَلْ تُنْطَقُ (هَاءً)، أَوْ تُسَمَّى خَوْزِسْتَانُ، أَوْ عَرَبِسْتَانُ؛ إِذْ «يُجْمَعُ جُغْرَافِيًّا الْقَرْنَيْنِ الثَّلَاثُ وَالرَّابِعُ لِلْهَجْرَةِ، التَّاسِعُ وَالْعَاشِرُ لِلْمِيلَادِ، عَلَى تَسْمِيَةِ هَذَا الْإِقْلِيمِ بِاسْمَيْنِ، هُمَا: (الْأَحْوَاظُ)، وَ (خَوْزِسْتَانُ)»^(٧)، وَمَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْمَقْدِسِيَّ يُضَيِّفُ إِلَى هَذَيْنِ الْأَسْمَاءِ اسْمًا ثَلَاثًا، هُوَ: (سَبْعُ الْكُورِ)؛ إِذْ يَقُولُ: «وَقَدْ كَانَ يُسَمَّى هَذَا الْإِقْلِيمُ سَبْعَ الْكُورِ، وَتَعَارَفَ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ، فَاتَّبَعْنَاهُ؛ إِذْ لَمْ نَجِدْ لَهُ مَخَالَفًا»^(٨). وَهَذَا الْأَسْمُ الْأَخِيرُ -كَمَا هُوَ وَاضِحٌ- يُشِيرُ مِنْ دُونِ شَكٍّ إِلَى عِدَدِ الْكُورِ الَّتِي كَانَ يَتَأَلَّفُ مِنْهَا هَذَا الْإِقْلِيمُ، الَّتِي يُعَدُّهَا الْمَقْدِسِيَّ، وَهِيَ^(٩): السُّوسُ، وَجَنْدِيسَابُورُ، وَتَسْتَرُ، وَعَسْكَرُ مَكْرَمَ، وَالْأَهْوَاظُ، وَرَامَهْرَمُزُ، وَالْدَّوْرُقُ^(١٠).

وَالدَّوْرُقُ، أَوْ الدَّوْرُكُ، أَوْ الْفَلَاحِيَّةُ، هِيَ اسْمٌ وَاحِدٌ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا يَعْقُوبُ بْنُ

إسحاق، المعروف بـ(ابن السَّكِّيت)، وهو من خوزي الدَّورق، ومن أعلم النَّاسِ باللُّغة، له (إصلاح المنطق)، قتله المتوَكِّل العَبَّاسِي سنة (٢٤٤هـ-٨٥٨م)^(١١).

أَمَّا التَّقْسِيماتُ الحديثةُ لِإقليمِ الأحواز، فهي سبعةُ ألوية:

- ١- لواء الأحواز، ويُسمَّى -سابقاً-: النَّصَّارِيَّة.
- ٢- لواء المحمَّرة، ويُسمَّى -حالياً-: خرَّمشهر.
- ٣- لواء الفلاحية، أو الدَّورق، أو (الدَّورك)، ويُسمَّى -حالياً-: شاديگان.
- ٤- لواء الخويزة، ويُسمَّى -حالياً-: دشت میشان.
- ٥- لواء عبادان، والعرب يُسمُّونه: (لواء الشَّطِيط)، -والياً-: أبادان، وأوَّل من رابط به عبادة بن الحُصَيْن.

٦- لواء آغا جاري، واسمه العربيّ (سيّد جري).

٧- لواء مسجد سليمان.

ومن الأنهار المهمَّة كذلك، (نهر بهمشير)، ومعناه: الماء العذب، ونهر الجراحيّ وتفرَّعاته، ونهر شاوور، ويقع شرق نهر الكرخة، ويتكوَّن من منبعين يقعان على بعد (٤ كم) من مدينة السَّوس (أي: شوش، أو سوز، وكانت تُسمَّى قديماً سوزيانا)، وينبع من ربوةٍ عالية.

وقد استُبدلت مجموعة من أسماء المناطق بأسماء فارسيَّة:

- الخزعليَّة (خزعلي آباد).

- الخفاجيَّة (سوسنگرد)، وتسكنها قبيلة خفاجة.

- التميميَّة (هنديان).

- كوت صالح (أندمشك).

- العميديَّة (مرسلي أميديَّة).

- الحميدية (فرج آباد).
 - شطّ العرب (أروند رود).
 - رامز (رامهرمز).
 - دسبولي (دزفول).
 - تستر (شوشتر).
 - السّوس (الشّوش)، أو (سوز في البابلية)، أو (سوزيانا بالفارسيّة القديمة).
 - الخليفة (رامشهر).
 - جزيرة الحاج صلبوخ (جزيرة سينو).
 - جزيرة شيخ شعيب (جزيرة لاوان).
 - بند معشور (بنك رماشهر).
 - قرية النفط الأبيض (نفت صغير).
 - سبع ثلاث (هفت تبه).
 - خور موسى (بندر شبور، ثمّ بندر خميني).
 - القصبة (رودكنار).
- أمّا العشائر التي سكنت تلك المناطق، «ففي القسم الجنوبيّ من إيران، وعلى مقربة من مدينة دسفل، وفي الرّقعة الكائنة بين نهري كرخة و (دز)، وإلى الغرب من نهر كارون، وإلى الشرق من سكّة حديد (طهران-الأهواز)، رقعة واسعة تُعرف باسم (ميان آب)، وقد اشتقّ هذا الاسم، ويعني: (بين الماء)، أي: بين كرخة و دز، وفيه تسكن ستّة مجموعات من العشائر العربيّة، التي نزحت قبل ظهور الدّين الإسلاميّ، وبعده، وهي^(١٢):

١- عشيرة عبد الخان، وهي من عشائر بني لام، وتنقسم على:

أ- النصيري.

ب- بني عقبة.

ج- شويه.

د- بهلول.

هـ- فخذ من العُبيد.

و- تميم.

ز- شمّر.

ح- بيت قباشي.

ط- العطاشنة.

ي- الياحينة.

٢- المزرعة، وأصلها من الحجاز، وتتألف من سبعة أفخاذ.

٣- البورواية، وتتألف من أربع عشائر.

٤- الخُزرج، أو الخسرج.

٥- بنو كعب، وتشمل:

أ- كعب منان.

ب- كعب الحائي.

ج- كعب فرج الله.

د- كعب كرم الله.

٦- السّادات، وتنقسم على:

أ- الموسويين.

ب- الفواضل.

ت- الجعادلة، ولها تفرّعات كذلك:

ومن العشائر الأخرى في هذه المنطقة:

- ١- الباوية من ربيعة.
- ٢- بنو رسالة.
- ٣- بنو طرف من طيء.
- ٤- نيس.
- ٥- الشرفة.
- ٦- عرب آل خميس.
- ٧- السّواري.
- ٨- عرب البادية، وهم: (الحرب، الزّركان، سلامات، بيت سرداح، صيّا، آل حميد).
- ٩- بنو تميم.
- ١٠- عشائر البو سيّد نعمة.
- ١١- عشائر الحردان.
- ١٢- عشائر العجرش والكاطع.
- ١٣- قبيلة حنظلة.
- ١٤- بنو العمّ، وهؤلاء قال فيهم جرير^(١٣):
سِروا بني العمّ فالأهواز منزلُكم ومَهْرٌ تَري فلَمْ تَعْرِفُكم العَرَبُ
وقد سكنوا المنطقة قبل الفتح الإسلاميّ، وهجاهم عبد الصّمد بن المعدّل^(١٤)،
بقوله:

بني العمّ المقيم بنهرٍ تَري لقد نهَضت طيورُكم نُحُوساً
حرامٌ أن يبيتَ بِكم نزيلٌ فلا يُسمي لأمّكم عَرُوساً

١٥ - بنو غنيم.

١٦ - السّواعد.

١٧ - السّواري.

١٨ - الهلّالات.

١٩ - بنو سالم.

٢٠ - كفانة.

٢١ - بنو مالك.

٢٢ - بنو خالد.

٢٣ - عنافجة.

٢٤ - الصّاكة.

٢٥ - النّصار.

أمّا منطقة الزّبير، فهي معروفة لا تحتاج إلى بيان كثير، ولكنّا يُفترض أن نُعرّف بمنطقة شمال البصرة، لاسيّما (الهوير)، فهي: لفظةٌ مصغّرةٌ لهوّر، وأهل هذا الإقليم ينتمون إلى قبيلة عبادة العربيّة، و«عبادة بن عقيل بطنٌ من عقيل بن كعب، من قيس عيلان، من العدنانيّة، كانت منازلهم بالجزيرة الفراتيّة ممّا يلي العراق، وكان لهم عددٌ وكثرةٌ»^(١٥)، وينقل عمر رضا كحّالة^(١٦) عن ابن خلدون في تأريخه^(١٧): «وهم لهذا العهد بالعراق مع ابن المتفق، وفي البطائح التي بين البصرة والكوفة وواسط»^(١٨).

وبعد هذا العرض الجغرافيّ التّاريخيّ لمنطقة الدّراسة، نذكر الدّراسات اللّهجيّة التي بحثت لهجات البصرة وجنوب العراق، وشمال الخليج العربيّ.

١ - (من غريب اللّغة في بعض لهجات الجنوب).

د. جليل الحسّون - مجلّة التراث الشّعبيّ (بغداد)، عدد (٧) سنة (١٩٧٧م):

٢- (أشتات بصرية).

د. إبراهيم السامرائي، ملحق بترجمته لكتاب خطط البصرة وبغداد، للعلامة لويس ماسينيون، سنة (١٩٨٠م)، والطبعة الثانية، سنة (٢٠١٣م)، (بغداد): ص ٦٧-٩٩.

٣- (من الفصح المهجور، تتبّع لغويٌّ تاريخيٌّ لألفاظ من لهجة ميسان).

د. صبيح حمود شاتي، مجلّة الخليج العربيّ، (البصرة)، مجلّد (١٣)، عدد (٢)، سنة (١٩٨١م): ص ١٣٥-١٤٨.

٤- (العوامل الإقليمية والاجتماعية في التوزيع الجغرافي للهجات جنوب العراق وعربستان).

د. بروس انگام، تعريب: الدكتور عبد الجبار محمّد عليّ، مجلّة الخليج العربيّ، (البصرة)، سنة (١٥)، مجلّد (١٩)، عدد (٢)، سنة (١٩٨٧م): ص ١٦٥-١٩٤.
وهذا البحث نُشر في مجلّة كليّة الدّراسات الإفريقيّة الشرقيّة، سنة (١٩٧٦م)؛ إذ عمل فيه الباحث من سنة (١٩٧٣م)، وترجمه: الدكتور عبد الجبار محمّد عليّ بعد عشر سنوات، وعلى الرّغم من كونه البحث الأقدم تاريخيّاً عن لهجة البصرة وجنوب العراق وعربستان، إلّا أنّنا لم نجد الباحثين اللاحقين الذين درسوا لهجة البصرة قد أفادوا منه، وهو منشور في مجلّة (بصرية).

٥- (الإبدال في لهجة جنوب البصرة).

د. علي ناصر غالب، مجلّة كليّة الآداب، جامعة البصرة، عدد (٢)، سنة (١٩٨٩م).
٦- (الوحدات الصّوتيّة (الفونيمات) المفخّمة في لهجة البصرة، دراسة في علم الأصوات).

د. قاسم راضي البريسم، مجلّة الخليج العربيّ، مجلّد (٢١)، عدد (٣-٤)، سنة (١٩٨٩م): ص ١٢١-١٣٩.

- ٧- (ملاح من لهجات الخليج العربي- لهجة الجنوب).
د.خولة تقي الدين، الهلالي، مجلة الخليج، مجلد (٢٣)، عدد (١)، سنة (١٩٩١م):
ص ١٥٥-١٨٣.
- ٨- كتاب: (الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي لمدينة البصرة).
د.عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان سنة (١٩٩٧م).
- ٩- (الّلحن في الأصوات العربيّة على ألسنة العجم القدامى، دراسة تحليليّة في ضوء
إثارات على اختلاط السّكّان بالبصرة).
د. عبد الحميد الأقطش، مجلّة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللّغويّات، مجلّد
(١٦)، عدد (١)، سنة (١٩٩٨م): ص ٤٩-٨٨.
- ١٠- (الألفاظ الفارسيّة في اللّهجة البصريّة).
د. فاضل عبد عليّ عبّاس، مجلّة دراسات البصرة، عدد (١)، (٢٠٠٦م):
ص ٥٨-٧٤.
- ١١- (الألفاظ الفارسيّة في اللّهجة العراقيّة).
د.علي لازم مزبان، مجلّة دراسات إيرانيّة (جامعة البصرة)، العدد (٦-٧)، سنة
(٢٠٠٨م): ص ٩٧-١١١.
- ١٢- (اللّهجات العربيّة القديمة في اللّسان البصريّ دراسة صوتيّة).
د. حسن مزهر حمادي، مجلّة مركز دراسات البصرة، عدد (٩)، سنة (٢٠١٠م):
ص ١-٢٤.
- ١٣- (لهجة أبي الخصيب).
حسام أحمد هاشم، مجلّة دراسات البصرة، عدد (١٠)، سنة (٢٠١٠م):
ص ٢٤-٣٩.

١٤ - كتاب: (البنية اللغوية في اللهجة الباهليّة، دراسة في المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية).

د. عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، سنة (٢٠١١م).

١٥ - كتاب: (من كلام العامّة في الزّبير).

ناصر الحزيمي، منشورات دار الجمل، بيروت، بغداد، سنة (٢٠١٤م).

هذه مجموعة من الكتب والبحوث أعتقد أنها ليست كافية لدراسة التنوع اللّهجيّ في مدينة مثل البصرة ذات التاريخ القديم والتنوع الإثني والعربيّ والدينيّ؛ إذ تحتاج إلى دراسات أكثر من ذلك، ولكن -مع الأسف الكبير- يُحجم بعض الدّارسين عن البحث في اللّهجات اعتقاداً منهم أنّها عاميّة، ولا يُفضّل دراستها، ولكن ما أكّده باحثون آخرون، هو: «إنّ كثيراً من الخوف من اللّهجات العاميّة ينبع من عدم مراعاة تمييز أساسي، وهو الفرق الجوهريّ بين الدّعوة إلى دراسة اللّهجات العاميّة، وبين الدّعوة إلى استعمالها، ولا سيّما الكتابة...، فتسجيل المعلومات اللّغوية الوافرة من هذه اللّهجات في العقود الحديثة نتيجة جهد اللّغويّين الأوربيين لم يسبّب نهضة، أو توسّعاً، في استعمالها»^(١٩). وعلى الرّغم من دراسة العلماء العرب القدامى للّهجات العربيّة وكتابتهم عن اللّحن، إلّا أنّ علم اللّغة الحديث أكّد دراسة اللّغات المعاصرة؛ لأنّ «دراسة اللّهجات دراسة علميّة تشكّل شطراً من مباحثه، ومن خلالها تتكشف لنا أسرار أصلاتها ونموّها، وأثر البيئة الجغرافيّة والحياة الاجتماعيّة فيها، ومن ثمّ، فهي تسجّل لمرحلة من مراحل حياتنا الاجتماعيّة»^(٢٠).

الظواهر الصوتية في لهجات البصرة

تُعَدُّ ظاهرة الإبدال أهم ظاهرة درسها الباحثون السابقون، وأكدوها؛ إذ درسوا الحالات الآتية:

- ١- إبدال السين صادًا: وهذا الإبدال هو لتفخيم السين عند قلبها صادًا. مثاله:
(سراط - صراط / سلخ - صلخ / فانوس - فانوص / سخي - صخي /
سطح - صطح / سبخة - صبخة / سخن - صَخَن / سخل - صخل /
سطع - صطع / بساط - بصاط / سَخَر - صَخَّر / سخام - صخام / سطر - صطر).
أشار إلى ذلك كلُّ من: (صبيح حمود، علي ناصر غالب، عبد القادر عبد الجليل في
الدلالة الصوتية، حسين مزهر)، ولم يُشر الدكتور حسين مزهر إلى الباحثين السابقين.
- ٢- الدال والصاد: والإبدال هنا للتفخيم، ولاسيما في اللهجات البدوية، كما يذكر
عبد القادر عبد الجليل؛ إذ يميّز إقليم شمال البصرة (ص ٣٩) بهذا الإبدال، فالدال
صوتٌ مجهورٌ، والصاد صوتٌ إطباقِيٌّ. مثاله:
(ذراع - ضراع / ذكر - ضكر / مذكور - مضكور / ذخر - ضخر).
وأشار (علي ناصر غالب) إلى ذلك.
- ٣- الجيم والياء: وهذا الإبدال منسوب إلى تميم، كما أشار إليه: (صبيح حمود، وعلي
ناصر، وخولة الهلالي، وحسين مزهر، وحسام هاشم). مثاله:
(ثلج - ثلي / نجد - نيد / جار - يار / جامع - يامع / جوعان - يوعان /
شجرة - شيرة / دجاجة - دياية / رجل - ريل).
- ٤- إبدال القاف إلى: (G) (كا): ونُسبت هذه الظاهرة إلى تميم، وأشار إلى ذلك:
(صبيح حمود، علي ناصر، خولة الهلالي، حسين مزهر، حسام هاشم، عبد القادر عبد
الجليل في الدلالة الصوتية). مثاله:

(قفص - كفص / قال - گال / قحط - گحط / صقر - صگر / فوق - فوگ /
قبل - گبل / رقي - رگي / رقعة - رگعة / قعد - گعد / مسقوف - مسگوف /
مرق - مرگ / دق - دگ).

٥- إبدالُ القاف جيمًا: أشار إلى ذلك: (علي ناصر، خولة الهلالي، عبد القادر عبد الجليل في الدلالة الصوتية). مثاله:

(قعد - جاعد / قدام - جدام / ساقية - ساجية / ثقیل - ثجیل / سواقي - سواجي /
قذر - جذر / قرية - جربة / عاقل - عاجل / قريب - جريب / طريق - طریج /
باقلاء - باجلا (باجلة)).

٦- إبدالُ الكاف إلى: (CH) (چ): أشار إلى ذلك: (صبيح حمود، علي ناصر، خولة الهلالي، حسام هاشم، عبد القادر عبد الجليل). مثاله:

(كان - چان / كنت - چنت / كلب - چلب / كبد - چبد / كتف - چتف /
كبير - چير / كنه - چنه / سكين - سچين / كذب - چذب / كعب - چعب).
٧- إبدالُ القاف عَيْنًا وبالعكس: أشار إلى ذلك: (علي ناصر، خولة الهلالي، حسام هشام). مثاله:

(قصر - غصر / قرأ - غرا / دقيقة - دغیغة / قرآن - غرآن / قريب - غريب /
قنينة - غنينة / قلم - غلم / قالب - غالب / قانون - غانون / غرفة - قُرفة /
غاص - قاص / غداء - قدا / شلغم - شلقم / غزال - قزال / مشغول - مشقول /
غازي - قازي).

٨- إبدالُ الجيم شينًا: أشار إلى ذلك: (حسين مزهر). مثاله:

(اجتمع - اشتمع / اجتماع - اشتماع).

٩- أشارت خولة الهلالي إلى أنه لا وجود للضاد في لهجة الزبير، وهذا الأمر ينطبق

على لهجات البصرة كلها، وليس الزبير وحده.

١٠ - الكَشْكَشَةُ: هي إبدال الكاف بصوت الشين، ويُراد به كاف المؤنثة المخاطبة، وهي ليست كما أشار عبد القادر عبد الجليل في الدلالة الصوتية، إلى أنها إبدال الكاف شيناً في أي موضع، بل الصحيح ما ذكرناه، ونُسبت إلى تميم. مثالها:
(أكرمك - أكرمتش / منك - منش).

والصوت هنا هو الشين، وليس صوت (CH) (چ)، كما قال عبد القادر عبد الجليل:
(كبير - جبير / كريم - چريم / سمك - سمچ).
وغير صحيح ما أشارت إليه خولة الهلالي، وحسين مزهر:
(بيتك - بيتچ / سمك - سمچ / عليك - عليچ / كتابك - كتابچ).

١١ - الجيمُ الْمُعْطَشَةُ: وهذه تلفظ في شمال البصرة، وقد أشار إلى ذلك: (عبد القادر عبد الجليل).

(جئت - جيت - زيت / جاموس - ژاموس / جمار - ژمار / جوعان - ژوعان /
جمر - ژمر / منجل - منزل / جرف - ژرف).
وهو ما أشار إليه (بروس انگام)، عندما فرّق بين لهجة العمارة ولهجة شطّ العرب.

العمارة	شطّ العرب	الفصحى
ژیيه	يبه	اجلیّه
منزل	منیل	منجل
نعزه	نعيه	نعجة

١٢ - إبدالُ الْعَيْنِ خاءً: أشار إلى ذلك: (عبد القادر عبد الجليل). مثالُه:

(غسل - خسل / صغير - زخير).

١٣ - إبدالُ الصّاد زايًا: أشار إلى ذلك: (عبد القادر عبد الجليل). مثالُه:

(لصق - لزك / صغار - زغار / صقر - زقر / لصقة - لزكه).

١٤ - إبدالُ الْعَيْنِ نُونًا: نُسِبَتْ هذه الظاهرة إلى سعد بن بكر، وهذيل، والأزد، وقيس، وأهل اليمن، وهي تحويل العين الساكنة نوناً عند مجاورتها الطاء (عبد القادر عبد الجليل)، وهذه الظاهرة تكون مع الطاء، وتُسمَّى: (الاستنطاء). مثالها:

(أعطى - إنطى / أعطيت - إنطيت).

١٥ - إبدالُ اللَّامِ نُونًا: أشار إلى ذلك: (حسين مزهر). مثاله:

(عزرائيل - عزرائين / إسماعيل - إسماعين).

حالات الهمزة *

للهمزة حالاتٌ عديدةٌ من الإبدال والقلب، عاجلتُ قسمًا منها (خولة الهلالي) في بداية بحثها، والدكتور (علي ناصر غالب) في نهاية بحثه، وهي:

١ - إبدال الهمزة عَيْنًا: منسوبة إلى تميم، فكلاهما صوتٌ حلقيٌّ شديدٌ مجهورٌ، وتُسمَّى بـ(العنّعة)، أشار إلى ذلك: (صبيح حمود، حسين مزهر، عبد القادر عبد الجليل). مثالها: (جراة - جرة / فجأة - فجعة / سؤال - سوعال / جار - جعر / قرآن - قرعان / لا - لع).

٢ - إبدالُ الهمزة ياءً للتخفيف: أشار إلى ذلك: (علي ناصر، خولة الهلالي، حسين مزهر، عبد القادر عبد الجليل)، وأشار قبلهم الدكتور رمضان عبد التّوّاب إلى أنّ هذه الظاهرة في اللهجات المعاصرة ما هي إلا امتدادٌ لما كان عند الحجازيّين القدماء في نطقهم^(٢١)، مثاله:

(ذئب - ذيب / خطيئة - خطيّة / هدأت - هديت / توضّأت - توضّيت /

أخذت - خذيت / ملأت - مليت / بائد - بايد / خائف - خاف / أطفأت - طفيت /

ماء- ماي/ جاء- جاي/ عبائة- عباية).

٣- تحوِيلُ الهمزة إلى (ألف، أو واو): أشار إلى ذلك: (علي ناصر غالب، خولة الهلالي، وعبد القادر عبد الجليل). مثاله:

(قرأ- قرا/ خطأ- خطأ/ رأس- راس/ فأس- فاس/ كأس- كاس/ لؤلؤ- لولو/ رأي- راي).

٤- حَذْفُ الهمزة: أشار إليه: (علي ناصر غالب، خولة الهلالي، صبيح حمود، عبد القادر عبد الجليل)، وأشار إلى ذلك د. رمضان عبد التّواب قبلهم^(٢٢). مثاله:

(سوء- سو/ شيء- شي/ ضوء- ضو/ سماء- سماء/ رجاء- رجه/ وفاء- وفه/ عشاء- عِشاء/ غداء- غده/ ما أروح- ماروح/ أحمر- حمّر/ أخرس- خَرَس/ أعور- عَوْر/ أخوال- خَوَال/ أعوج- عوج/ أطرم- طرم/ أخوات- خَوَات/ أعمى- عَمَى/ أطرش- طَرَش/ إخوان- خَوَان/ أسبوع- سبوع/ أسنان- سنان/ إسماعيل- سماعيل/ إبراهيم- براهيم).

٥- إبدالُ الهمزة الابتدائيةَ واواً: وقد نُسبت هذه الظاهرة إلى قبيلة هذيل، وقد أشار إلى ذلك: (علي ناصر غالب، وعبد القادر في الدلالة الصوتية).

(أين- وين/ أنين- نين/ أكّد- وكدّ/ إرث- وِرث/ أكل- وكل/ أزّ- وزّ/ أن- وَنّ/ أسيّته- واسيّه).

٦- إبدالُ العينِ همزةً: أشار إلى ذلك: (علي ناصر، عبد القادر عبد الجليل). مثاله: (عهد- أهّد).

وهذه ليست ظاهرةً واسعةً، بل هي لسهولة النطق، ولكنّ الصّوتين من منطقة واحدة، وفي كلّ الأحوال هي ظاهرةٌ تتعلّق بغير العرب؛ لأنّهم لا يستطيعون نطق العين، فيبدّلونها همزة، ولا الحاء، فيبدّلونها هاء. مثاله:

(عسل- أسل/ عشاء- أشاء).

ظَاهِرَةُ الْقَلْبِ

والمراذُ بها التبادل المكاني بين الأصوات المتجاورة تقديمًا وتأخيرًا في اللفظ الواحد، مع الحفاظ على معناه، وهي لهجةٌ منسوبةٌ إلى تميم، وقد أشار إلى ذلك: (صبيح حمود، عبد القادر عبد الجليل). مثالها:

(سخام - سخام - صماخ / صدق - صكد / زوج - جوز / جزار - زنجار
صاعقة - صاقعة / غصن - غنص / فانيلة - فاليئة / لعنة - نعلة).

ومنه، قولُ الشاعر عمرة بن أحمد، الباهلي^(٢٣):

وَمَمَّخْتُهَا قَوْلِي عَلَى عُرْضِيَّةٍ عُلْتُ أَدَارِي ضِعْغَهَا بِتَوْدٍ

وعلق ابن فارس، فقال: «... وإنما ذلك مقلوبٌ، والأصلُ عُلْتُ، وهي المرأة التي لا حلي لها، والقياسُ واحدٌ»^(٢٤).

ظَاهِرَةُ التَّفْخِيمِ

تُعَدُّ مِنْ أَمِّ الظَّوَاهِرِ الصَّوْتِيَّةِ بعد ظاهرة الإبدال؛ إذ وجدنا بحثين يركزان على هذه الظاهرة في لهجة أهل البصرة، وهما: (خولة الهلائي، وقاسم الإبريسم)؛ إذ درس الأخير هذا المصطلح عامّة، وعند العرب خاصّة، وفيما بعد عند المحدثين. والتفخيم هو التغليظ في جذر اللسان ما يُسبب حركةً في الحنجرة، ويؤدي إلى تغيّرات في النطق، ومن ظواهره كذلك ارتفاع الحنجرة قليلاً، وتضييق البلعوم، ويرى أنّ لهجة البصرة تحتوي على ستّة وأربعين فونياً مُفَخِّمًا، منها تسعة للصوائت، والباقي للصوامت. وتضمّ الصّوامت عشرة فونيات مُفَخِّمة، وهي: (الباء B - والباء P - الطاء - الصّاد - الظاء - الزّاي - الميم - الرّاء - اللام - والفاء). وفي لهجة البصرة يُمكن إضافة فونيات جديدة، هي: (الهمزة - ع - غ - ح - ه - و - ك)، وبهذا يكون العدد (١٧) فونياً يُمكن

تفخيمها من الصّوائت. ولكنّ الدّكتورة خولة الهلاليّ كانت أكثر دقّة في بحثها الذي نشرته بعد هذا البحث بستين، وكانت أدقّ تحديداً للفونيمات المفخّمة؛ إذ تحدّثت عن المواضع التي تُفخّم فيها الصّوامت، وهي: (الباء، الفاء، اللام، و الرّاء)، أي: خمسة فقط، وحالاتها كالآتي:

أ- صوت الباء (B): ترقّق في ثلاثة مواضع، وتفخّم فيما عداها:

١ - مجيئها قبل حروف الحلق، أو بعدها، عدا الخاء: (عَبَدَ، حَبَّ، حَبَل)

٢ - مجيئها قبل أصوات التّاء والجيم وال (CH) والسّين: (باجي - بيحي - بتر -

بسمه).

٣- إذا كُسِرَتْ، أو سُبِقَتْ بكسر: (إصبر - سبب).

وتُفخّم الباء غالباً مع حركة الضّمّ، كما تُفخّم إذا فُتِحَتْ وتُليّت براء، مع صرف النّظر عمّا قبلها من الأصوات: (عَبَرَ - صَبَرَ - هَبَرَ).

ب- صوتُ الفاء: لا تُفخّم الفاء في العربيّة الفصيحة، فهي كالباء مرقّقة، أمّا في

لهجة الزّبير:

١ - تُرَقّقُ الفاء مطلقاً إذا كُسِرَتْ، أو سُبِقَتْ بالكسر، أو تُليّت بأيّ نوعٍ من أنواع

الكسر.

٢- تُغَلّظُ مطلقاً إذا سُبِقَتْ بأحد أصوات الإطباق، أو اكتنفها الضّمّ، أو الفتح،

ومثال ذلك:

الترقيق	التفخيم
صافي	صُفا
طافي	طُفا
قُفّة	كُفّة

ج- صوتُ اللَّامِ: تُفَخَّم اللَّام بعد حروف الإطباق على أن تُحَرِّكَ هذه الحروف بالفتح، أو تُسَكِّن:

(الصَّلَاة، مُصَلَّى، غَلِيل، الطَّلَاغ، الخَل).

وترقّق اللَّام إذا كُسِرَتْ في جميع الأحوال، وعندما تُسَبِّق بكسر، أو كانت ساكنة، مثل: (طَلِي، طَلِيحَة، جَلِيل).

د- صوت الميم: لا تُفَخَّم الميم في العربيّة الفصيحة، لكنّها في لهجة الزّبير تُفَخَّم في موضع واحدٍ فقط، عند توسّطها وتحركها بالفتح أو الضّم، مثلاً: رُمى، عمّاره. وترقّق الميم فيما عدا ذلك.

ه- صوتُ الرَّاء: تُرَقِّق الرَّاء مطلقاً إذا سُكِّنَتْ، أو كُسِرَتْ، أو سُبِقَتْ أو تُلِيتْ بالكسر، وتُفَخَّم الرَّاء إذا جاءت قبل أصوات الشّفة، (كالباء): (رَبَّاء)، و(تِرَف)، فقد اجتمعتُ الرَّاء والفاء، ورُقِّقتا لكسر التّاء والرّاء.

هذه الحالات عند خولة الهلاليّ هي أقلّ عدداً وأكثر تحديداً من قاسم الإبريسم، الذي وجدنا بعض الملاحظات في بحثه منها:

يرى أن/غ/ هو المُفَخَّم في كلمة (غَفْلَة)؛ لأنّه وقع قبل الفاء، ونعتقد أنّ الصّوت المُفَخَّم هو ليس/غ/، بل الفاء واللّام كذلك.

وفي (ص ١٣٤) يرى أنّ الفونيم /و/ المُفَخَّم، موجود في (وَفَّه)، أي: سدّد ما عليه من دينٍ، والأدقّ أنّ الفونيم المُفَخَّم هو/ف/، وليس/و/.

وفي (ص ١٣٥) يرى أنّ فونيم/ع/ يُفَخَّم قبل الميم، مثل: (عَمّ)، كلمة تُستخدم في اللهجة للدّلالة على ما يتعلّق بأكل الأطفال، والأدقّ أنّ الصّوت المُفَخَّم هنا هو/م/ وليس/ع/.

ويرى أنّ فونيم/ع/ المُفَخَّم، يكون قبل النّون، كما في (عَنْبَه)، أي: شجرة المانجو،

والأدقُّ أنَّ البصريين يقولونَ (عمَّبه)، فالتفخيم للميم، وليس للـ/ع/.
وفي (ص ١٣٦) يتحدَّث عن تفخيم فونيم/ح/، فيقول: إنَّه قبل الرّاء، كما في (حَرَّره)، أي: سخَّنه، والحقيقة هو ليس تفخيماً لفونيم/ح/، بل هو تشديد لصوت/ر/، وكذلك في كلمة (رَبَّحه) من الرِّيح، فالتفخيم -كما يقول- هو للحاء، والأدقُّ هو للباء المشدَّدة، ويرى أنَّ الهمزة في كلمة (آمان) في المقام العراقيّ مفخَّمة، والأدقُّ أنَّ الفونيم المفخَّم هو/م/.

ونعتقدُ أننا إذا أردنا أن نبحثَ عن التفخيم وحالاته، فنجدُه في اللهجة البغدادية أكثر، وليس في البصرية التي تميل إلى التسهيل والتخفيف.

الظواهرُ الصَّرفيّةُ

أ- التثنية: وهي ظاهرةٌ يُكسر فيها حرف المضارعة.
(تسمع- يرجع- نعر- نمشي- تزعل- نكتب- يفهم- يحسب- يكتب- يعلم- نعلم- نعرف- نشهد).

أشار إلى ذلك: (عبد القادر عبد الجليل)، وقال الدكتور رمضان عبد التواب عنها: هي ظاهرةٌ « ساميّةٌ قديمةٌ توجد في العبريّة والسريانيّة والحبشيّة، والفتح في أحرف المضارعة حادثٌ بدليل عدم وجوده في اللّغات السّاميّة الأخرى، وبدليل ما بقي من الكسر في كثير من اللّهجات العربيّة القديمة»^(٢٥)، ويذكر الدكتور رمضان دليلاً ثالثاً، بقوله: «وهناك دليلٌ ثالثٌ على أصالة الكسر في الحروف المضارعة في اللّغات السّاميّة، وهو استمراره لحدّ الآن في اللّهجات العربيّة الحديثة كلّها؛ إذ نقول -مثلاً-: (مين يقرأ، ومين يسمع)، بكسر حرف المضارعة في لغة التخاطب اليوميّة، ولم يبق فتح حرف المضارعة في اللّهجات الحديثة فيما أعلم إلّا في لهجة نجد، إذا كانت فاء المضارعة ساكنة، مثل: يرمي - يلعب - يركض»^(٢٦)

وتأتي هذه الظاهرة في الأفعال المضارعة -إن لم تكن من الأجوف الواوي- كما أشارت (خولة الهلالي)، وقد أخطأ الدكتور عبد القادر عبد الجليل عندما تحدّث من كسر حرف المضارعة (التلثة)، وقال: « انفرد ابنُ السَّكِّيت في روايةٍ عن الفراء، قال: رِفْقَة ورُفْقَة، لغة قيس وتميم، وأورد بيت ابن أحرر الباهلي^(٢٧)»:

أَنْشَأْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ حَالِ رُفْقَتِهِ فَقَالَ حَيٍّ فَإِنَّ الرُّكْبَ قَدْ ذَهَبَا

والبيت -بعد ذلك- ممّا استشهد به البغداديّ في خزانته^(٢٨)، وصاحب البيت باهليّ، وأرجّح أن تكون لفظة (رِفْقَتَه) مكسورة الراء؛ لأنّ لهجة باهلة تميل بوجه عامّ إلى الكسر، وأحسبها الحركة القويّة عندهم، يؤثرونها دون سواها، وما اصطلاح عليه بـ (التلثة) يكاد يكون ظاهرة عامّة عند قبائل العرب، سوى الحجاز^(٢٩).

فكلمة (رُفْقَة، أو رِفْقَة)، ليست ممّا تنطبق عليه ظاهرة التلثة، فهي ليست بفعل ولا مضارع.

ب- التّصغيرُ: من الظواهر الصّرفيّة في لهجات البصرة؛ إذ يقولون:

نور- نويرة/ سجي- سجيوة/ سمير- سُمير/ خبزة- خبيرة/ تمر- تميرة/ سمجة- سميحة/ باب- بويّب/ محلّة- محيلة/ بلبل- بلليل/ عجوز- عجيز/ مشحوف- مشيحيف/ بنت- بنية/ شايب- شويّب/ دينار- أدنينير/ درهم- دريهم/ كيغان- كويغات، طيور- طويرات/ هدم- هدييات).

أشار إلى ذلك: (حسام هاشم، عبد القادر جليل).

وهناك تصغير للصفات والعيوب:

(أسود- إسيود/ أصفر- إصيفر/ أحر- إحيمر/ أزرق- إزيرج/ أحول- إحيول/ أطرش- إطيرش/ أخرس- إخيرس).

وأشار عبد القادر عبد الجليل في الدّلالة الصّوتيّة إلى أنّ الفعل لا يُصغّر في هذه اللّهجات، شأنها في ذلك شأن الفصحى.

ج- ومن الظواهر الصّرفيّة الآخر إيثاُر الكسرِ على الضّمّ؛ لأنّ القبائل البدويّة تميل إلى الضّمّ، والحَضَر يميلونَ إلى الكسر:

(أُذن - إِذن/ دُكَّان - دِكَّان/ أُخت - إِخت/ مُشط - مِشط/ طُرشي - طُرشي/ قُدَّام - جدام/ حُلُو - حِلُو).

أشار إلى ذلك عبد القادر عبد الجليل، وهناك كذلك إيثاُر للكسر على الفتح:

(عَضُد - عِضُد/ كَتَف - كِتَف/ فِخْذ - فِخْذ/ شَعِير - شَعِير/ بَعِير - بَعِير/ رَغِيف - رَغِيف).

ونُسِبَ هذه الأمر إلى تميم.

د- ومن الظواهر الصّرفيّة الصّوتيّة، ظاهرةُ الاتّباع الحركيّ، أو الانسجام بين الحركة والصّوت الذي يأتي بعدها. أشار إلى ذلك: (صبيح حمود، حسين مزهر). مثالها:

(حِيرة - حِيرة/ غِيرة - غِيرة/ غَلِيط - غَلِيط/ فَرِيضة - فَرِيضة/ دَلِيل - دَلِيل/ كَثِير - چَثير).

ه- المخالفة: أشار إلى ذلك: (صبيح حمود). مثالها:

(فَكَت - فَكِيت/ بددت - بديت).

و- تشديد الواو والياء: أشار إلى ذلك: (حسين مزهر).

(هو - هوّ/ هي - هيّ).

ز- النّحت، أو القَبْضُ، وهو اختصار حرف: أشار إلى ذلك: (حسين مزهر، حسام هاشم). مثالهُ:

(هذه السّاعة - هالسّاعة/ هاكم - هاك/ هذا الحين - هالحين/ كلّ ساعة - كسّاعة/ كلّ سنة - كسّنة/ على الأرض - علارض/ الذي يقرأ - اليقرأ/ الذي يكتب - اليكتب/ الذي يشرب - اليشرب/ مساك الله بالخير - ساك الله بالخير/ جزاك الله - زاك الله بالخير).

ح- الزِّيَادَةُ: أي: زيادة حرف، أشار إلى ذلك: (حسام هاشم). مثالها:
(أكلت - أكلت / شربت - شربت / عطشت - عطشت).
ي- الإِدْغَامُ: أشارت إلى ذلك: (خولة الهلالي)، مثاله:
(أي شيء هو - ويش هي).
وهو هناك ليس إدغاماً فقط، بل إبدال الهمزة واواً.

أنواعُ الجَمْعِ

أمّا عن هذا الأمر، فلا وجودَ لجمعِ المذكرِ السالم، كما أشار (عبد القادر عبد الجليل -
الدلالة الصوتية ص ٨٦)، وإن كان قليلاً، ومن أمثلة جمع المؤنث السالم:
(دجاجة - دجاجات / قنفة - قنفات / سيّارة - سيّارات / مُدرّسة - مُدرّسات /
معلّمة - معلّّات / مُدرّس - مدرّسين / مُعلّم - مُعلّمين).
ولكنّ الشائع هو جمع التكسير بأنواعه:
(منجل - مناجل / صحن - صحونه - أو صحون / هور - أهوار / نهر - نهران /
باب - ببيان / سجّادة - سجاجيد / صريفة - صرايف / مضيف - مضاييف / يد - إيدين /
حيوان - حيوانات أو حواوين / مشحوف - مشاحيف / زلمة - زلم / مردي - مرادي /
سمجة - سمج / بلم - أبلاد / عجوز - عجائز / رأس - رواس / ماعون - مواعين /
قوري - قواري / بساط - بسط / رضيع - رضعان / حصير حصران).
في البحوث والدّراسات السابقة، وجدنا ما هو مشترك، بل وبعضها متطابق إلى
حدّ بعيد، حتّى في الأمثلة، ولكن، وجدنا تفرّداً في بعض البحوث، ومنها ما انفرد به
الباحث (بروس إنكام) - وهو المتقدّم تاريخياً - في مقارناته الصوتية بين مناطق دراسته؛
إذ حدّد سبع حالات، هي:

١ - التّمايزات التي تتضمّن الوحدة الصّوتيّة /ي/، /ز/ في منطقة العمارة، ومناطق الأهوار المحيطة، والوحدات الصّوتيّة /ي/، /ج/ في بقيّة المناطق.

العمارة	شطّ العرب	الفُصحى
رُيبه	يبه	اجْلِبُهُ
منزل	منيل	منجل
نعره	نعيه	نَعْبَجَة

٢ - الياء الطويلة: /ي: / i / في منطقة العمارة وشطّ العرب /ee/

العمارة	شطّ العرب	الفُصحى
ويين	و ee ن	أين؟
هيسج	ه ee چ	هكذا
بيت	ب ee ت	بَيت

٣ - تحتوي بعض المورفيمات التي تشير إلى جمع المذكر السالم المخاطب صوتاً صائتاً متّسعاً في كلام منطقة العمارة وشمال عربستان، بينما تحتوي المورفيمات على صوت صامت في كلام بقيّة المنطقة.

الأحواز	شطّ العرب	الفُصحى
إنتو	إنّتم	أنّتم

٤ - في منطقتي العمارة والحويزة، يقوم الاسم (ع ee ب) (عيب) بوظيفة حرف النّفي، ولا يوجد مثل هذه الوظيفة في خارج المنطقة.

العِمَارَةُ وَالْأَحْوَاظُ	شَطُّ الْعَرَبِ	الْفُصْحَى
عِيبَ (ee ب أروحن)	مَا أَرُوْحَنُ	لَا أَذْهَبُ
عِيبَ (ee ب إِثْرَت)	مَا إِيْت	لَمْ تُجِيءْ

٥- تَكُونُ ضَمَائِرُ الْغَائِبِ فِي مَنطَقَتِي شَطِّ الْعَرَبِ وَجَنُوبِ عَرَبِسْتَانِ عَلَى وَزْنِ (إِفْعَه)، وَالْمَنَاطِقُ الْأُخْرَى عَلَى بِنَاءِ (فَعْعَه).

العِمَارَةُ	شَطُّ الْعَرَبِ وَالْأَحْوَاظُ	الْفُصْحَى
مَوَوْتَه	مَوَوْتَه	أَمَاتَه
عَمَمَتِي	عَمَمَتِي	عَمَمَتِي

٦- مِنَ الْمُمْكِنِ سَمَاعُ حُرُوفٍ تَعَجَّبُ، وَأَدَوَاتُ نَحْوِيَّةٍ مَعْيَنَةٍ فِي مَنطَقَةِ شَطِّ الْعَرَبِ وَالْأَجْزَاءِ الْجَنُوبِيَّةِ لِعَرَبِسْتَانِ، وَلَا تَسْمَعُ فِي بَقِيَّةِ الْمَنَاطِقِ.

شَطُّ الْعَرَبِ وَجَنُوبِ عَرَبِسْتَانِ	الْمَنَاطِقُ الْأُخْرَى	الْفُصْحَى
هَسَّتِ	أَكُو	هَنَّاكُ
يَمَّتَه	شَوَكِتْ	مَتَى؟

وَانْفَرَدَ بَحْثُ (خَوْلَةُ الْهَلَالِي) بِأُمُورٍ لَمْ يَعَالِجْهَا غَيْرُهَا مِنَ الْبَاحِثِينَ، مِنْهَا:

أ- أَحْكَامُ صَوْتِيَّةٍ تَطَّرَدُ فِي لَهْجَةِ الرَّبِيرِ، خِلَافًا لِلْفُصْحَى:

١- صِيغَةُ فَعُولٍ: وَهِيَ جَمْعُ تَكْسِيرٍ، يُسَكَّنُ الْمُتَحَرِّكُ الْأَوَّلُ مِنْهَا. مِثَالُهَا: (جُفُوف - هُدُوم - بَيُوت - صُفُوف).

٢- فِعَالٍ: تَرْدُ بِالْكَسْرِ جَمْعًا مِنْ جُمُوعِ التَّكْسِيرِ، وَهِيَ سَاكِنَةٌ هُنَا. مِثَالُهَا: (جُعَاب - زُقَار - كُبَار - طَوَال - كُصَار).

- ٣- فَعْلَان: وهي صيغةٌ من صيغ المصدر، ترد ساكنة: (دُورَان - فُورَان - شُهْكَان).
 ٤- فَعِيل: إذا كان ثانيه حرف حلق: (صُخِيف - شُعِير - سَعِيد - نُصِير).
 ٥- فُعُولَة: وغالباً ما تحيى مصدراً، وترد ساكنة: (حُمُوظَة - حُرُورَة - بُرُودَة - مُرُورَة).

- ٦- فَعَلَة: وغالباً ما ترد مصدراً، وترد ساكنة، كقوله: «شَغَلَه - عَيْلَه».
 ٧- في جميع صيغ اسم الفاعل والمفعول المبدوء بميم مضمومة؛ إذ تُسَكِّن الميم منعاً لتوالي الحركات، ويتضح ميل لهجة الزبير إلى التخفيف من توالي الحركات، خلافاً للهِجَة المِصْرِيَّة، التي تميل إلى تتابع الحركات.
 ب- ومن الأحكام الصوتية الأخر:

- ١- كسر الميم الزيدة المضمومة في الفصيحة: (مِسرَح - مِستوي - مِشغل...).
 ٢- فتح ما قبل الياء المتطرفة، سواء أكانت ياء المتكلم، أم الاسم المنقوص: (بَيْتِي - بفتح التاء - عرفتِي - إنتِي).
 ٣- فتح ما قبل الواو المتطرفة إذا تطرفت واو جماعة الذكور المتصلة بالفعل فُتِحَ ما قبلها فتحة واضحة لاسيما مع تاء المخاطب فيقولون (سَمَعَتُوا - عرفتُوا - نَامُوا)
 ج- ملاحظات أخرى:

- ١- نون الوقاية: تُدغم نون الوقاية مع نون الأفعال الخمسة، وتُفتح ياءُ المتكلم، فيقولون: (تَعرفُونِي - تَعرفِينِي)، وتُدغم كذلك بنون الجمع المذكر السالم، فيقولون: (ظالمِينِي - كارهِينِي).

- ٢- نون التثنية وجمع المذكر السالم: لا تُحذف نون التثنية والجمع في هذه اللهجة مطلقاً، حتّى في الإضافة، فيُقال: (رِلِينِي، أَي: رجلي، إِيديني، أَي: يدي).
 ٣- ظاهرة التّنوين: يلزم التّنوين أواخر النّكرات، إلّا أنّه تنوين الكسر فقط، ومن

الطَّرِيفُ أَنَّ هَذَا التَّنْوِينَ - أحياناً - يلحق بنون الجمع المذكّر السّالم: (طابخين لك)، فقد تُنَوِّنَتْ، ثُمَّ أُدْغِمَتْ نون التَّنْوِينِ فِي لَامٍ لَكَ، وَضُعِفَتِ اللَّامُ جَرِيّاً عَلَى نِظَامِ الْإِدْغَامِ الْوَاجِبِ (ذَابِحِينَ لَكَ).

٤ - إِعْلَالُ الْوَائِ وَقَلْبُهَا أَلْفاً: إِذَا سُبِقَتْ بِفَتْحَةٍ، وَكَانَتْ فَاءً لِلْكَلِمَةِ: (يَاصِل، أَصْلُهَا: يَصِل)، قُلِبَتْ الْوَائِ أَلْفاً، وَ(يَاتِرْنَ، أَصْلُهَا: يَتَرْنَ)، وَالْأَصْلُ: وَصَلَ، وَزَنَ.

٥ - حَذْفُ حَرْفِ الْعِلَّةِ مِنَ الْفِعْلِ الْأَجُوفِ، الدَّالُّ عَلَى الطَّلَبِ، كَمَا هُوَ الشَّانُ فِي الْعَرَبِيَّةِ الْفُصْحَى، غَيْرَ أَنَّ حَرَكَةَ الْفَاءِ تَكُونُ فَتْحَةً أَوْ كَسْرَةً، وَلَا تَكُونُ ضَمَّةً مُطْلَقاً، وَهَذِهِ الظَّاهِرَةُ تَكَادُ تَعْدُمُ فِي كَثِيرٍ مِنَ اللَّهْجَاتِ. مِثَالُهُ: (كَل - كَمْ).

٦ - حَذْفُ حَرْفِ الْعِلَّةِ مِنَ الْفِعْلِ النَّاقِصِ فِي حَالَةِ الْأَمْرِ، كَمَا يُسَكِّنُ حُرْفَانِ مِنَ الْفِعْلِ، فَيَلْتَقِي سَاكِنَانِ، وَالتَّقَاءُ السَّاكِنِينَ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ فِي هَذِهِ اللَّهْجَةِ: (إِمَشْ)، وَقَدْ يَكُونُ السَّاكِنُ فَقْطُ الْحَرْفِ الْآخِرِ: (إِعْطَ).

٧ - الْقَصْرُ: لَيْسَ فِي هَذِهِ اللَّهْجَةِ مَدٌّ، فَكُلُّ مَمْدُودٍ مَقْصُورٌ، وَهِيَ ظَاهِرَةٌ مَعْرُوفَةٌ.

٨ - مَجِيءُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَفْعَالِ النَّاقِصَةِ مِنْ بَابِ (فَتَحْ يَفْتَحُ): (يُعْطَى - نِعْصَاك - يَهْدَاك).

٩ - إِسْكَانُ الْيَاءِ وَالْوَائِ مِنَ الضَّمِيرَيْنِ: (هِيَ - هُوَ)، وَهَذِهِ الظَّاهِرَةُ لِبَنِي أَسَدٍ وَقَيْسٍ، وَقَدْ أَشَارَ حَسِينُ مَزْهَرٍ - سَابِقاً - إِلَى تَشْدِيدِ (هِيَ - هُوَ).

١٠ - كَسْرُ لَامِ الْمِلْكِيَّةِ، يَقُولُونَ: (لَه - لَكَ).

١١ - تَسْكِينُ ضَمِيرِ الْغَائِبِ الْمُتَّصِلِ بِالْأَسْمِ، وَهِيَ ظَاهِرَةٌ مَنْسُوبَةٌ لِأَزْدِ السَّرَاةِ، يَقُولُونَ: (بَيْتَهُ).

١٢ - وَجُودُ صَيَغٍ غَرِيبَةٍ، كَصَيَغَةِ: (بِتْتَفَاعِلْ)، يُرِيدُونَ بِهَا يُتَفَاعَلُ الْمَبْنِيَّةُ لِلْمَجْهُولِ، مِثَالُهَا: (فُلَانٌ مَا يَتْتِغَارِبُ، أَي: لَا يُقَارَبُ)، وَالصَّيْغَةُ الْآخَرَى: (فَعِلْ)، وَهُوَ صُورَةٌ

مَمَالَةٌ مِنْ (فُوعِل) فِي الْفَصِيحَةِ، وَهِيَ مِنْ صَيَغِ الْأَفْعَالِ الْمَبْنِيَّةِ لِلْمَجْهُولِ، فَيَقُولُونَ: (مَا كَيْعِدْ)، أَي: مَا قُوعِدْ، وَمِثْلَهَا: (رَيْفِجْ)، أَي: (رُوفِقْ)، وَيُلَاحَظُ مَيْلَ اللَّهْجَاتِ إِلَى الْكَسْرِ، وَفِرَارَهَا مِنَ الضَّمِّ، وَهِيَ سَمَةٌ مُخَالِفَةٌ لِمَا عَلَيْهِ لَهْجَاتُ الْبَادِيَةِ.

١٣ - تَمِيلُ لَهْجَةُ الزَّيْبَرِ إِلَى التَّخْلَصِ مِنَ الْهَمْزِ بِالْإِبْدَالِ، أَوْ الْحَذْفِ.

١٤ - احْتِفَاطُهَا بِظَوَاهِرِ فَصِيحَةٍ قَلَّمَا نَجَدَهَا فِي اللَّهْجَاتِ الْعَامِّيَّةِ الْمَعَاصِرَةِ.

١٥ - الْمَيْلُ إِلَى فَتْحِ حُرُوفِ الْحَلْقِ.

وَقَدْ انْفَرَدَ الدُّكْتُورُ عَبْدُ الْحَمِيدِ الْأَقْطَشُ بِمَوْضُوعِ إِبْدَالِ الْأَصْوَاتِ عِنْدَ الْأَعَاجِمِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ لَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهِ الْبَاخِثُونَ الْآخَرُونَ، وَهُوَ عَلَى نَوْعَيْنِ:

أ- فِتَّةُ الْأَصْوَاتِ: (ح - ع - ق - ض - ط - ظ)، الَّتِي لَيْسَ لَهَا مُقَابِلٌ عِنْدَ الْأَعَاجِمِ.

١ - (الْحَاءُ - هَاءُ): (مَرْحَبًا - مَرْهَبًا / حَسَنَ - هَسَنَ / حَمَارَ - هَمَارَ).

٢ - (الْعَيْنُ - أ): (عَسَلَ - أَسَلَ / تَعَشَّيْتُ - تَأَشَّيْتُ).

٣ - (ق - ك): (قَلْتُ - كَلْتُ / قَمَرَ - كَمَرَ).

٤ - (ض - د): (يَفْضَلُ - فَضَلَ / أَبْيَضَ - أَبْيَدَ).

٥ - (ط - ت): (سُلْطَانُ - سُلْتَانُ).

٦ - (ظ - ز): (أَظَنَ - أَزَنَ).

ب- فِتَّةُ الْأَصْوَاتِ: (ج - ذ)، وَهَذِهِ لَهَا نَظِيرٌ عَلَى الْمُسْتَوَى النَّغْمِيِّ، وَلَا نَظِيرَ لَهَا فِي أَبْجَدِيَّتِهِمْ.

١ - (ج - ز): (جَرَادَةٌ - زَرَادَةٌ).

٢ - (ذ - د): (جَرْدَانُ - جَرْدَانُ).

وَذَكَرَ (حَسَامُ هَاشِم) فِي بَحْثِهِ عَنْ لَهْجَةِ أَبِي الْخَضِيبِ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي شَاعَتْ هُنَاكَ،

هِيَ:

- ١ - شاخّة (نهر).
- ٢ - شيب (نهر صغير).
- ٣ - دِش (أدخل).
- ٤ - إِتَزَهَب (تحضّر).
- ٥ - مَزْوِيَة (عباءة).
- ٦ - مشاتيش (لا شيء).
- ٧ - نفنوف (بدلة).
- ٨ - يتحنحن (يُصدر صوتاً للتنبيه).
- ٩ - چينكوّة (قارب).
- ١٠ - چلابتين (آلة قطع).
- ١١ - زردوم (حلقوم).
- ١٢ - درام (برميل).
- ١٣ - طرمبة (حنفيّة).
- ١٤ - وارش (سياج).
- ١٥ - خارور (مجرى المياه).
- ١٦ - دحروية (بيضة).
- ١٧ - درب (طريق).
- ١٨ - روشنة (فتحة في الحائط).
- ١٩ - حوطة (وسط القرية).
- ٢٠ - خمرة (طين).
- ٢١ - سِلة (قطعة من طين).

- ٢٢- مَكُونَش (مريض).
 - ٢٣- بَلَّة (حصير).
 - ٢٤- طُبِق (إِنَاء من خوص).
 - ٢٥- يَلَّه (جِلَّة).
 - ٢٦- چمري (ثمر النَّخِيل قبل الرِّطْب).
 - ٢٧- شرموخ (عُثْق التَّمَر).
 - ٢٨- حبابوك (ثمر النَّخِيل في بدايته).
- ولكنَّ الدَّكتور جليل الحسَّون في بحثه عن (غريب اللُّغة في بعض لهجات الجنوب)، أَرَجَعَ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ لَفْظَةً غَرِيبَةً الِاسْتِعْمَالِ فِي لَهْجَةِ مِيسَانَ إِلَى أَصُولِهَا الْعَرَبِيَّةِ، وَوَجَدَهَا فَصِيحَةً فِي مَعَاجِمِ اللُّغَةِ، وَمُسْتَعْمَلَةً، وَلَيْسَتْ دَخِيلَةً، وَهِيَ:

- ١- النَّوْل.
- ٢- الْكُرُوهُ (الأَجْرَة).
- ٣- الْمَسَّ (أَدَاةٌ لِلطَّبْخِ).
- ٤- مُسْرَهْد (مَمَزَّق).
- ٥- يَسْرِبَت (لَعْو).
- ٦- هَگَه (سَازَج).
- ٧- هَدَّه (أَسْقَطَه).
- ٨- مَتَحْنِبَط (مَتَفَخ).
- ٩- مَدَحْدَح (غَلِیْظُ الْبَطْن).
- ١٠- مَحْبِتَر (قَصِير).
- ١١- نَگَز (وَثَب).

- ١٢- معتام (اشتھاء).
- ١٣- حگب (خيط).
- ١٤- هبع (الرَّجل الطويل الذي يمشي منحنيًا).
- ١٥- مشنَّف (متعال).
- ١٦- هوسه (صوت عال).
- ١٧- التتشة (قليل ويقولون نتيشه).
- ١٨- ممتوه (معتوه).
- ١٩- أگشر (غير جيّد).
- ٢٠- زعطة (مندفع).
- ٢١- لات الحبل (لفه).
- ٢٢- أهد (عهد)، (وقد مرّت بنا).
- ٢٣- أجلح (أصلع المقدّمة).
- ٢٤- كودن (البغل).
- ٢٥- أغم (السّيء).
- ٢٦- الحشل (الأساور).
- ٢٧- مدحلب (منكّس رأسه).
- ٢٨- إنسدح (استلقى على الأرض).
- ٢٩- خُرص (فرع من الغصن).
- ٣٠- هيعه (صوت).
- ٣١- تدوَهَن (مشغول الذّهن).
- ٣٢- تَلَوَهَنِي (حَيَّرَنِي).

٣٣-الْوَلَه (الحيرة).

وأضاف على ذلك (صبيح حمود) مجموعةً من الألفاظ المتداولة في العامية، فأرجعها إلى الفُصحى:

١- بحثر.

٢- برك.

٣- بلم.

٤- به به.

٥- بهر.

٦- بدر.

٧- تفل.

٨- شرد.

٩- ثوا.

١٠- جل.

١١- حبط.

١٢- خبط.

١٣- حدث.

١٤- حندس.

١٥- حمن.

١٦- خبن.

١٧- خسل.

١٨- خطل.

- ١٩- درد.
- ٢٠- ذفر.
- ٢١- ربط.
- ٢٢- ربع.
- ٢٣- ردف.
- ٢٤- رسن.
- ٢٥- رمم.
- ٢٦- رهدن.
- ٢٧- روح (إذهب).
- ٢٨- زر.
- ٢٩- سبب.
- ٣٠- سبرت.
- ٣١- سبند.
- ٣٢- سرط.
- ٣٣- سَمَل.
- ٣٤- سَوَم.
- ٣٥- شَرَم.
- ٣٦- شَعَف.
- ٣٧- سَنَف.
- ٣٨- شَوَّر.
- ٣٩- ضَبَّر.

٤٠- ضَبْع.

٤١- ضَنْك.

٤٢- طَلِي.

٤٣- ظَعْن.

٤٤- عَجَز.

٤٥- عَصَّب.

٤٦- عَفَّط.

٤٧- عَكَم.

٤٨- عَيَّر.

٤٩- غَمَّس.

٥٠- فَرَك.

٥١- فَشَخ.

٥٢- فَشَش.

٥٣- فَهَأ.

٥٤- فَيَح.

٥٥- قَحْف.

٥٦- قَزَل.

٥٧- قَفَخ.

٥٨- قَفَف.

٥٩- كِسِر.

٦٠- لَبِج.

٦١- لَگَح.

٦٢- لَزَز.

٦٣- لَشَش.

٦٤- لَگَد.

٦٥- لَهْد.

٦٦- مَجَن.

٦٧- مَرَح.

٦٨- مُلَط.

٦٩- نِدَس.

٧٠- نَوْش.

٧١- هُيَع.

٧٢- هَرَف.

٧٣- هَيْف.

٧٤- وَسَم.

٧٥- يَفَخ.

وفي موضوع المَعْرَب والدَّخِيل، وخاصةً من الفارسيَّة إلى العربيَّة، فقد عمل باحثان على هذا الموضوع، وهما: (د. فاضل عبد علي عبَّاس)، و(د. علي لازم مزبان)، ومحاولتهما ليست بجديدة، فقد أشار الجاحظ في كتابه (البخلاء) إلى مجموعة من الألفاظ الفارسيَّة في لهجة أهل البصرة، منها:

أُسبور: نوعٌ من السَّمَك.

البَّيَّاح السَّبْخِي: ضربٌ من السَّمَك الصَّغار.

البرني: ضربٌ من الرُّطْب.

البواري: ذكرها في البخلاء، والبورية والبورياء والبارياء والبارية، فارسيٌّ مُعَرَّبٌ، وهو الحَصِيرُ المنسوج.

وفي الصَّحاح: التي مِنَ القصب، وقال الأصمعيّ، البورياء بالفارسيّة، وهي بالعربيّة: باري وبوري، وأنشد العجاج يصفُ كناس الثَّور: (كَالْخُصِّ إِذْ جَلَّلَهُ الْبَارِيُّ) الجريب: مساحةٌ يُقَدَّرُ بها النّخيل، فالجريب: عشرةٌ أَقْفِزَة، والقَفِيز: عشرة أعشار، ويكاد ينحصرُ استعمالُه في البصرة»^(٣٠).

وهذا جدولٌ بالألفاظِ الفارسيّة التي ذكرها الباحثان المشار إليهما، على الرُّغم من ملاحظتنا على ذلك؛ إِذْ إِنَّمَا لم يُفِيدَا من كتابٍ مهمٍّ في هذا الباب، وهو: (الألفاظُ الفارسيّةُ العربيّةُ لأدي شير)، الذي نُشر قبل مائة سنة تقريباً؛ إِذْ بحثَ في أصولِ مئات الألفاظِ التي لم يُشِرْ إليها الباحثان، فما ذكرناه قليلٌ جداً قياساً بهذا الكتاب وغيره، ولم يُفِيدَا من بحثِ إبراهيم السَّامرائيّ: (أشتاتٌ بصريّة)؛ إِذْ أوردَ مجموعةً من الألفاظِ الفارسيّة، وخاصّةً عند حديثه عن الألفاظِ التي تنتهي بالألف واللام، مثل: مهيجران، يوسفان حمدان.

وعلى الرُّغم من ذلك، فإنَّه قد اختلفَ معه في تأويله للفظِ (حمرانان)، التي يقول عنها: هي منطقةٌ جاءتْ من حمران بن أبان، مولى عثمان بن عفَّان، وأعتقدُ أَنَّهُ أخطأ، فنحنُ في البصرة لا نقول: حمرانان، بل نقول: حمرينان. وقال: قتيبان، وهي منطقةٌ جاءتْ على اسمِ قتيبة بن مسلم، وأعتقدُ أَنَّهُ أخطأ؛ لأنَّنا في البصرة، نقول: كتيبان، وليس قتيبان، وقال: نهر ابن عمر، والأصحُّ أَنَّنَا في البصرة، نقول: نهران عمر.

ت	اللفظة	فاضل	علي
١	آلين	—	
٢	آبدان	—	
٣	آبرو	—	
٤	أبريز	—	
٥	آدمكش	—	
٦	آشكار	—	
٧	آخرين	—	
٨	آبشغور	—	
٩	آقا	—	
١٠	آگور	—	
١١	آلو	—	
١٢	آخور	—	
١٣	آلوبالو	—	
١٤	آيا	—	
١٥	آخروش	—	
١٦	أرييان	—	
١٧	أرغون	—	
١٨	أريش	—	

١٩	أُستَا	—	
٢٠	أُنْدَام	—	
٢١	أُوْطُو	—	
٢٢	إِيْوَان	—	
٢٣	أُبْرِيق	—	
٢٤	إِبْرِيسْم	—	
٢٥	أُسْتَاد	—	
٢٦	أُسْطُوَانِه	—	
٢٧	أُنْغَر	—	
٢٨	أُنْكَشْتِبَان	—	
٢٩	بَاج	—	
٣٠	بَادِيَة	—	
٣١	بَارُوْت	—	
٣٢	بَاقْلَاء	—	
٣٣	بَالْكَانِه	—	
٣٤	بُرْش	—	
٣٥	بِرْيَان	—	
٣٦	بُسْ	—	
٣٧	بَسْ	—	

٣٨	بلغور	—	
٣٩	بلم	—	
٤٠	بنجره	—	
٤١	بند	—	—
٤٢	بنگان	—	
٤٣	بوریا أو باریه	—	—
٤٤	بوریا (أنبوب)	—	
٤٥	بوس	—	
٤٦	بوگان	—	
٤٧	به به	—	
٤٨	بیهوش	—	
٤٩	بابوج		—
٥٠	باذنجان		—
٥١	برنامج		—
٥٢	برید		—
٥٣	بستان		—
٥٤	بستوگه		—
٥٥	بنج		—
٥٦	بوز		—

٥٧	بهارات	—	—
٥٨	بوسه	—	—
٥٩	بيرغ (بيرق)	—	—
٦٠	بيدق	—	—
٦١	باجامه	—	—
٦٢	بالوسه	—	—
٦٣	بايه	—	—
٦٤	برمان	—	—
٦٥	براوانه	—	—
٦٦	بس	—	—
٦٧	بكشت	—	—
٦٨	بنجرة	—	—
٦٩	بوتين	—	—
٧٠	بوز (بوزه)	—	—
٧١	بهلوان	—	—
٧٢	تازه	—	—
٧٣	تاوه	—	—
٧٤	تباشير	—	—
٧٥	تخت	—	—

٧٦	تخم	—	
٧٧	تَرس	—	
٧٨	ترياق	—	
٧٩	تشت	—	
٨٠	تفال (تفل)	—	
٨١	تفنك	—	
٨٢	تمغا	—	
٨٣	تنبل	—	
٨٤	تَنگ	—	
٨٥	تَنَّاك	—	
٨٦	توب	—	
٨٧	تيشة	—	
٨٨	تبغ	—	
٨٩	تيله	—	
٩٠	تختروان	—	—
٩١	تغار	—	—
٩٢	جام خانه	—	—
٩٣	جانباز	—	
٩٤	چرقه	—	

٩٥	جلنار	—	
٩٦	چوچه	—	
٩٧	جريب		—
٩٨	جزر (گزر)		—
٩٩	جناغ		—
١٠٠	جوارب		—
١٠١	چادر	—	
١٠٢	چاي	—	
١٠٣	جكة	—	
١٠٤	چمچه	—	
١٠٥	چنكال	—	
١٠٦	چهار بايه	—	—
١٠٧	چماق		—
١٠٨	چتري		—
١٠٩	چرخ		—
١١٠	چندل		—
١١١	خاتوله	—	
١١٢	خارخار	—	
١١٣	خاك (خاكي)	—	

١١٤	خام	-	
١١٥	خان	-	-
١١٦	خانگاه	-	
١١٧	خرده	-	
١١٨	خروش	-	
١١٩	خشكه	-	
١٢٠	خورنق (كرنك)	-	
١٢١	خوش	-	
١٢٢	خَمْن	-	-
١٢٣	حملة دار	-	-
١٢٤	دروازه	-	
١٢٥	وريجه	-	
١٢٦	دوربين (دربيل)	-	-
١٢٧	دوش	-	
١٢٨	دوشگك	-	
١٢٩	دهدار	-	
١٣٠	دهليز	-	-
١٣١	ديبا	-	
١٣٢	داس	-	-

١٣٣	دسته	—	—
١٣٤	دفتر	—	—
١٣٥	دكان	—	—
١٣٦	دكره	—	—
١٣٧	دَجَنه	—	—
١٣٨	دنبوس	—	—
١٣٩	دولاب	—	—
١٤٠	دير	—	—
١٤١	ديوان	—	—
١٤٢	ديباج	—	—
١٤٣	راسته	—	—
١٤٤	راهي	—	—
١٤٥	رنده	—	—
١٤٦	ريز	—	—
١٤٧	رازونه	—	—
١٤٨	روزنامه	—	—
١٤٩	زاب	—	—
١٥٠	زرگش	—	—
١٥١	زلويا (زلايا)	—	—

١٥٢	زنبيل	-	
١٥٣	زنجي	-	
١٥٤	زنجيل	-	
١٥٥	زنبلك	-	
١٥٦	زوليه	-	
١٥٧	زي	-	
١٥٨	زيج	-	
١٥٩	ساده	-	
١٦٠	سنبوسه	-	-
١٦١	سرداب	-	
١٦٢	سنگين	-	
١٦٣	سييايه	-	
١٦٤	ساذج	-	
١٦٥	سروال (شلوار)	-	-
١٦٦	سطل	-	
١٦٧	سكملي	-	
١٦٨	سوبات	-	
١٦٩	سميط	-	
١٧٠	سندلوس	-	

١٧١	سیداره	—	—
١٧٢	شاخ	—	
١٧٣	شكر	—	
١٧٤	شنان	—	
١٧٥	شنو (سمع)	—	
١٧٦	شيرين	—	
١٧٧	شاه	—	
١٧٨	شاهول	—	
١٧٩	شاه بندر	—	
١٨٠	شَبْ	—	
١٨١	شِبِه	—	
١٨٢	شبو	—	
١٨٣	شريس	—	
١٨٤	شطرنج	—	
١٨٥	شمعدان	—	
١٨٦	شناشيل	—	
١٨٧	شيره	—	
١٨٨	شيرازه	—	
١٨٩	صك	—	—

١٩٠	صهر	-	-
١٩١	صولجان	-	-
١٩٢	طبر	-	-
١٩٣	طبان	-	-
١٩٤	طشت (تشت)	-	-
١٩٥	طمغا (تمغا)	-	-
١٩٦	طاسه	-	-
١٩٧	طرز	-	-
١٩٨	طرشي	-	-
١٩٩	طنبور	-	-
٢٠٠	عرق غير (عرق چين)	-	-
٢٠١	عزا خانه	-	-
٢٠٢	عيد نوروز	-	-
٢٠٣	عينك	-	-
٢٠٤	عجر	-	-
٢٠٥	غذاره	-	-
٢٠٦	غليان	-	-
٢٠٧	غوري (قوري)	-	-

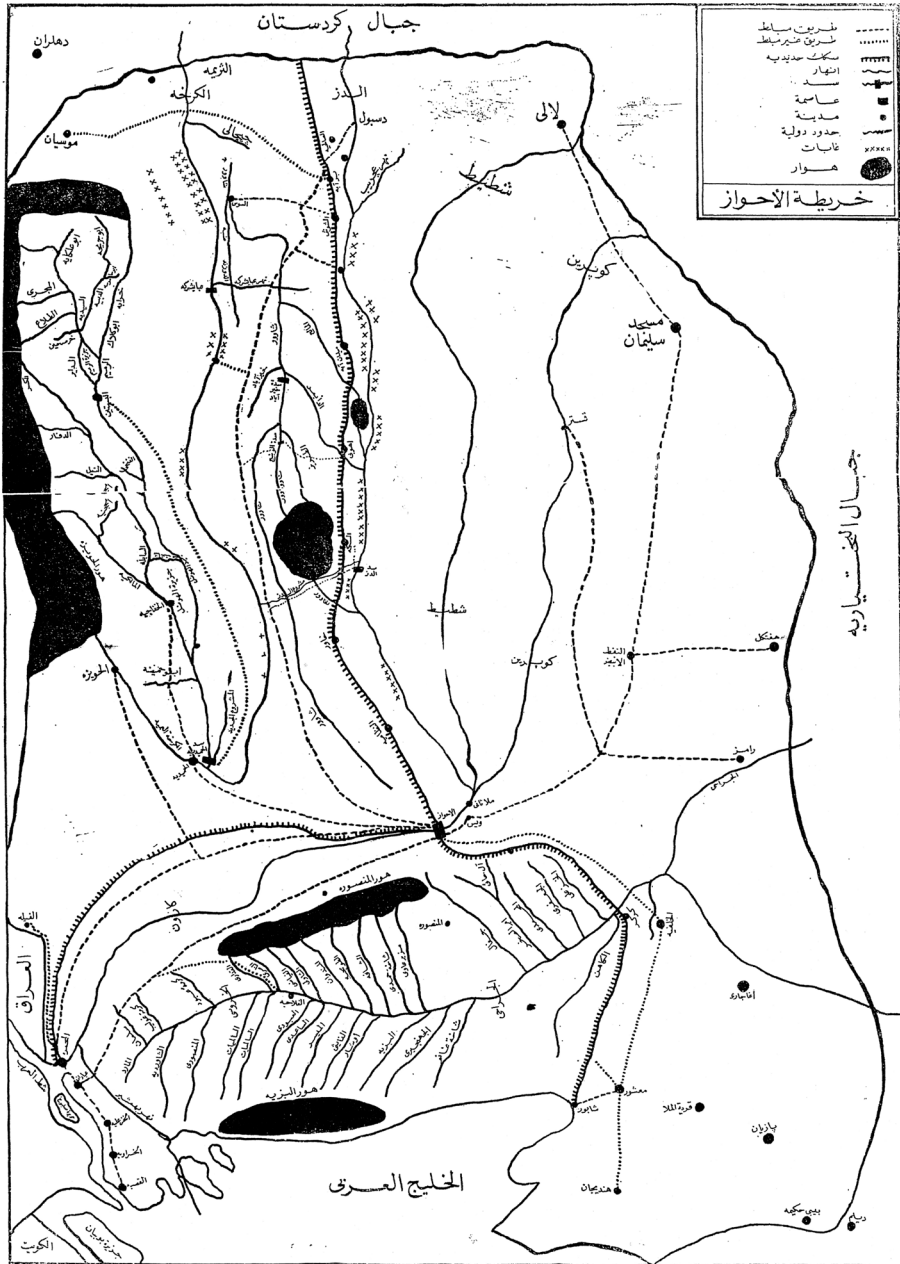
٢٠٨	فرمان	—	
٢٠٩	رفيس	—	
٢١٠	فرجال		—
٢١١	فَرَزَنَه		—
٢١٢	فروند		—
٢١٣	فستان		—
٢١٤	فولاذ (بولاد)		—
٢١٥	قُبَّان	—	
٢١٦	قاجاق	—	
٢١٧	قاشق (قازوق)	—	
٢١٨	قرمز	—	
٢١٩	قيسي	—	
٢٢٠	قُبُجْ		—
٢٢١	كاخ	—	
٢٢٢	كارخانه	—	—
٢٢٣	كالا	—	
٢٢٤	كبچه	—	
٢٢٥	كتري	—	
٢٢٦	كرايه	—	

٢٢٧	كفكير (چفچير)	-	
٢٢٨	كلاه	-	
٢٢٩	كلوچه (كليچه)	-	
٢٣٠	گاري	-	
٢٣١	گشك	-	
٢٣٢	كشكول	-	
٢٣٣	كلك	-	
٢٣٤	كهرباء (كهرب)	-	
٢٣٥	كيله	-	
٢٣٦	كِله	-	
٢٣٧	لاشه	-	
٢٣٨	لك (لكه)	-	
٢٣٩	لنگر	-	
٢٤٠	ليف	-	
٢٤١	لِگن	-	
٢٤٢	كوزينه	-	
٢٤٣	مارستان	-	
٢٤٤	مردانه	-	
٢٤٥	مرزا	-	

٢٤٦	مرزاب	—	
٢٤٧	مَزّه	—	
٢٤٨	مسافر خانه	—	
٢٤٩	ميز	—	
٢٥٠	ميوه	—	
٢٥١	مېروش	—	
٢٥٢	متاريس	—	
٢٥٣	مرز	—	
٢٥٤	مرزيب (ميزاب)	—	
٢٥٥	مهرجان	—	
٢٥٦	ميدان	—	
٢٥٧	نارجيل (نارگيله)	—	—
٢٥٨	نخود	—	
٢٥٩	نیشان	—	
٢٦٠	نازك	—	
٢٦١	نيروز (نوروز)	—	—
٢٦٢	هَمّ	—	
٢٦٣	هم بيشه	—	
٢٦٤	هُوش	—	

٢٦٥	هَيْج	-	
٢٦٦	هَمِيَان		-
٢٦٧	هَيْب (هَيْم)		-
٢٦٨	وَاح	-	
٢٦٩	وَاكُون	-	
٢٧٠	وَارِش		-
٢٧١	وَهْغَك		-
٢٧٢	يَشْمَاق (شَمَاق)	-	-
٢٧٣	يَوَاش	-	
٢٧٤	بِيرَغ		-
٢٧٥	بِرَا		-
٢٧٦	أَغَاتِي		-
٢٧٧	قَمَاش		-
٢٧٨	طَاق		-
٢٧٩	دَسْتُور		-
٢٨٠	مَالِج		-
٢٨١	أَرْج		-
٢٨٢	جُوز		-
٢٨٣	خِيَار		-

٢٨٤	فستق	—
٢٨٥	فلفل	—
٢٨٦	قرع	—
٢٨٧	كعك	—
٢٨٨	جُمان	—
٢٨٩	خلخال	—
٢٩٠	بنفسج	—
٢٩١	نرجس	—
٢٩٢	ياسمين	—
٢٩٣	مهندس (مهندز)	—
٢٩٤	حب (خابيه)	—
٢٩٥	طربوش (سربوش)	—
٢٩٦	بخت	—
٢٩٧	بزون (قطة)	—



الهوامش

- ١- أَشْتَاتٌ بَصْرِيَّةٌ، د. إبراهيم السامرائي، ملحق بكتاب (خطط البصرة وبغداد)، للمستشرق لويس ماسينيون، ترجمة: د. إبراهيم السامرائي: ص ٧١.
 - ٢- يُنْظَرُ: خطط البصرة وبغداد: ص ٢٥.
 - ٣- المصدر نفسه: ص ٨٥.
 - * بكر وعبد قيس من ربيعة، وقد مدحهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في مواطن كثيرة، منها: قوله عليه السلام: «لكل ربيعة خير، وخير ربيعة عبد القيس»، وله شعرٌ يمدحهم، ويثني عليهم في صفين. يُنْظَرُ: خطط البصرة، ماسينيون: ص ٨٥.
 - وقال عنهم كذلك: «ربيعة راياتهم راياتُ الله». يُنْظَرُ في ذلك وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ص ٣١١، ومن شعره فيهم، كما يذكر الطبري: ٤/ ٤٦، وكذلك ابن مزاحم، ص ٨٩:
- ربيعة أعني أنهم أهل نَجْدَةٍ وبأسٍ إذا لاقوا خميساً عَرَمَرَمًا.
بل إن معاوية لما رأى ربيعة مع الإمام علي عليه السلام، قال: كما يذكر ابن مزاحم، ص ٣٠٤:
- إذا قلتُ قد وُلَّتْ ربيعةُ أَقبلْتُ كتائبُ منهم كالجبالِ تُجَالِدُ
- ٤- يُنْظَرُ: ماسينيون، المصدر نفسه: ص ١٦، و ٨٥-٨٦.
 - ٥- يُنْظَرُ: المصدر نفسه: ص ٣٨.
 - ٦- يُنْظَرُ: المصدر نفسه: ص ٣٢.
 - ٧- يُنْظَرُ: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: ص ٤٠٣.
 - ٨- المصدر نفسه: ص ٤١١.
 - ٩- يُنْظَرُ: المصدر نفسه: ص ٤٠٥.
 - ١٠- يُنْظَرُ: الأحواز في كتابات جغرافي القرنين الثالث والرابع للهجرة، د. عبد الأمير عبد، مجلة (المؤرخون العرب)، عدد (١٥)، سنة (١٩٨٨م): ص ٨٥.
 - ١١- يُنْظَرُ: الفلاحية (الدورق)، مدينة وإمارة عربية (٦٣٨-١٩٨١م)، علي نعمة الحلو، مجلة آفاق عربية، كانون الأول سنة (١٩٨١م).
 - ١٢- يُنْظَرُ: السيادة العراقية على شط العرب تاريخياً وجغرافياً، د. مصطفى عبد القادر التجار، مجلة

- آفاق عربيّة، عدد (١١)، سنة (١٩٨٨م): ص ٢١.
- ١٣- ديوان جرير، بشرح: محمّد بن حبيب، تحقيق: الدّكتور نعمان محمّد أمين طه، دار المعارف، مصر، ط ٣، سنة (١٩٥٦م): ١/ ٤٤١.
- ١٤- ديوان عبد الصّمد بن المعدّل، حقّقه وقَدّم له: الدّكتور زهير غازي زاهد، دار صادر، بيروت، ط ١، سنة (١٩٩٨م): ص ١٢٦.
- ١٥- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: ٢/ ٧٢٠، ويُنظر: الاشتقاق لابن دريد: ٢/ ٢٩٩.
- ١٦- معجم قبائل العرب: ٢/ ٧٢٠.
- ١٧- تاريخ ابن خلدون: ٦/ ١٢.
- ١٨- نقلاً عن: الدّلالة الصّوتيّة والصّرفيّة في لهجة الإقليم الشّامي، د. عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط ١، سنة (١٩٩٧م): ص ١١.
- ١٩- اللّهجات العاميّة العربيّة، فُرد دونر: ص ١١.
- ٢٠- من الفصيح المهجور، صبيح صمود شاتي: ص ١٣٥.

* الدّراسات التي نعالجها -الآن- التي اختصّت باللّهجة البصريّة، وما جاورها، لم تكن -أحياناً، وفي بعضٍ منها- بالمستوى العلميّ، فبعض الموضوعات قد تكرّرت في البحوث، وتشابهت طريقة البحث، فلا جديد فيها، كان فقط الاكتفاء بذكر الأمثلة والمفردات التي ورد فيها صوت الهمزة، أو لم يرد، ولم تتناول حالات الحذف -مثلاً- بتعليلٍ علميٍّ، والملاحظات هي:

أولاً: حذف الهمزة

ذكر الباحثون السّابقون أنّ الهمزة تُحذف إذا تلاها صوتٌ حلقيّ، أو جاءت في كلمات على وزن (أفعل)، التي تدلّ على التعريب، مثل: (أعرج - عرج، إخوان - خوآن، أخوال - خوّال، أعمام - عمّام، أخوات - خوّات)، وتمّ تفسير هذه الظاهرة بتوالي أصوات الحلق فحسب، ولكننا نقول: لماذا لم تسقط الهمزة في كلمات، مثل: (أهوال، أحوال، أعمال)، وفيها أصواتُ الحلق قد جاءت بعد الهمزة، ولكنّ التحليل الصّوتيّ يثبت أنّ حركة الهمزة هنا -وهي الفتحة- قد انتقلت إلى الصّوت الحلقيّ بعدها، فأصبح مفتوحاً (أعمام - عمّام)، ولكن في (أحوال) لم تنتقل الحركة من الهمزة إلى الحاء، أو الصّوت الذي يلي الهمزة المحذوفة.

ولم يُشر أحدٌ من الباحثين إلى دور حرف الجرّ في حذف الهمزة الابتدائيّة، مثل: (ابن - لبن)، (أرض - برض)، مثلاً نقول: (وصلتُ لَرَضِ البصرة).

ولم يُشر أحدٌ من الباحثين السّابقين إلى حذف الهمزة في اللّهجات بعد اسم الإشارة: (أولاد - هلولاد)، بحذف الهمزة.

ولم يُشر أحدٌ منهم إلى دور أداتيّ النّفي (ما، لا) في حذف الهمزة في اللّهجة، والذي تمّ ذكره هو فقط

المثال: (أروح - ما روح)، والحقيقة أنَّ الهمزة تُحذف بعد النَّفي دائماً: (أحد - محَّد)، (أكدر - مكدر)، ولم يُشَر إلى حذف الهمزة بعد حرف النِّداء (يا): (أُمِّي - يُمَّهُ / إبراهيم - يبراهيم / أحمد - يحمَّد / أخي - يخي / أبو علي - يبو علي).

ولم يُشَر الباحثون السَّابِقونَ إلى حذف همزة الفعل الذي يقع بعد اللَّام، أو بعد جواب القسم: (أحفر - لحفر / أغسلنَّك بدمع العين - لغسلنَّك بدمع العين / أفنى - ومنه أفني - لَفني، يقولون: والله إذا ما جيت لَفني الدَّار).

ولم يُشَر إلى حذف همزة (أل) التعريف إذا وقع الاسم المهموز المُعرَّف بعد حرف ساكن: (الأكوان - فلان طاف لكوان)، أو إذا وقع الاسم المهموز مضافاً إليه: (أهوال - خوَّاض لهوال). فعند حذف الهمزة هنا يتِم فتح الحرف الأوَّل من الاسم، ولم يُشَر أحدٌ منهم إلى حذف الهمزة من الأسماء المبدوءة بها بعد عطْفها: (جاء زيد وأحمد - جاء زيد وحمد)، (أنتم - ونتم)، وكذلك حذف الهمزة من الفعل الماضي المبدوء بهمزة إذا وقع بعد واو العطف: (أكل - جا زيد شرب وكل، أَخَذَ - جا للبيت وَخَذَ المبلغ).

ثانياً: إبدال الهمزة

أمَّا عن إبدال الهمزة، فلم يُشَر أحدٌ من الدَّارسين السَّابِقينَ إلى أنَّ الهمزة تُبدَل إلى ياء عندما تسبق الهمزة ياءً أخرى: (فِي - شيء - شي / خطيئة - خطيئة / رديئة - رديئة).

ثالثاً: لم يُشَر أحدٌ الدَّارسين السَّابِقينَ إلى القلب المكاني في الهمزة: (فؤاد - أفاد / يئس - آيس)؛ إذ تقدَّمت الهمزة هنا، فأصبحت الحرف الأوَّل.

رابعاً: لم يُشَر أحدٌ من الباحثين إلى اجتلاب الهمزة في الكلمات التي ليست فيها همزة: «مشرَّد - إمشرَّد / مجرَّب - إمجرَّب / مغمَّض - إمغمَّض / قلوب - إكلوب (من قلب)». ولم يُشيروا إلى زيادتها في أفعال الأمر في اللَّهجة: (كُل - إكل / خذ - إخذ / سل - إسال)، أو إلى زيادتها في الجمع: (رجال - إرجال، أو إرجاجيل / سباع - إسباع / زلم - إزلام)، أو زيادتها في الصِّفات على وزن فاعِل: (عزيز - إعزيز / حبيب - إحبيب / عزيزة - إعزيزة / كبير - إچبير / صغيرة - إزغيرة / صغير - إزغير)، أو إضافتها للفعل الماضي مكسور العين في الفُصحى، أو المفتوح: (شبع - إشبع / نزلت - إنزلت)، أو في صيغ الغائب (تمنى - إتمنى / إتمنه - إتوضَّح - إتوضَّح)، أو زيادتها في الأفعال الثلاثية المقطع من الثلاثي المجرد، وهي الأفعال المُعتلَّة المُجَوِّفَة: (يخاف - إيخاف / يقول - إيگول / يروح - إيروح / يموت - إيموت)، أو إلى زيادتها في الفعل الرُّباعي، أو الخنثي المزد بناءً: (توكل - إتوكل / تزوج - إتزوج)، وكذلك تُزاد الهمزة في الصِّماتر المنفصلة: (هي - إهي، هو - إهو، نحن - إنحن).

وللمزيد من هذه التفاصيل، يُنظر بحث الدكتور محمَّد جواد حصاوي (دراسة التغيرات الطارئة على الهمزة في اللَّهجة الخوزستانية المكتوبة)، مجلَّة دراسات في اللُّغة العربيَّة وآدابها، عدد (٧)، سنة

- (٢٠١١م)، جامعة سمنان- إيران، جامعة تشرين - سورية: ص ٢٣-٤٧.
- ٢١- يُنظر: من امتداد اللهجات العربيّة القديمة في بعض اللهجات المعاصرة، د. رمضان عبد التّوّاب، مجلّة المجمع العلميّ العراقيّ، مجلّد (٣٥)، جزء (١)، سنة (١٩٨٤م).
- ٢٢- يُنظر: المصدر نفسه والصّفحة.
- ٢٣- شعر عمر بن أحر، الباهليّ، جمعه وحققه: الدّكتور حسين عطوان، مطبوعات مجمّع اللّغة العربيّة بدمشق، سنة (١٩٦٨م): ص ٥٢.
- ٢٤- معجم مقاييس اللّغة: ١٣٥ / ٤.
- ٢٥- من امتداد اللهجات العربيّة القديمة، د. رمضان عبد التّوّاب: ص ١٧٦.
- ٢٦- يُنظر: المصدر نفسه: ص ١٧٧، ويقول الدّكتور سامي سعيد الأحمد، أستاذ اللّغات القديمة، في بحثه: (بقايا اللّغة الأكديّة في العاميّة العراقيّة): ص ٢٤٣: «يميل العراقيّ إلى كسر فعل المضارع، مثل: يكتب ونلعب، وهذا متّبع في الآرامية».
- ٢٧- شعر عمرو بن أحر الباهليّ: ص ٤٣.
- ٢٨- الخزانة، للبغداديّ، تحقيق: د. عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، سنة (١٩٨٦م): ٢٥١ / ٦.
- ٢٩- البنية اللّغويّة في اللهجة الباهليّة، دراسة في المستويات الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة والدّلاليّة، د. عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، ط ١، سنة (٢٠١١م): ص ٦٦.
- ٣٠- أشتاتٌ بصريّة، د. إبراهيم السّامرائيّ: ص ٨٢.

اللُّهَجَاتُ الْعَامِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ وَأَهْمِيَّةُ دِرَاسَتِهَا^(١)

فرد دونر

Fred Donner

في أثناء رحلةٍ إلى العالم العربيِّ قمتُ بها أخيراً، سنحتُ لي الفرصة أن أزور مجمعاً من مجامع اللُّغة العربيَّة، مع مجموعة من الأكاديميين. وخلال زيارتنا حدَّثنا رئيس هذا المجمع عن أهداف المجمع العلميَّة، كما عَرَض علينا بفخرٍ واضحٍ ومستحقِّ الكتب العديدة التي نُشِرت تحت رعاية المجمع ونتيجة لجهوده، كما وَضَح لنا المشكلة المزمنة في كون التعليم في مجال العلوم - وخصوصاً العلوم البحتة في المدارس والجامعات العربيَّة - ليس دائماً باللُّغة العربيَّة، بل هو في أحيان كثيرة بإحدى اللُّغات الأوروبيَّة؛ وذلك لعدم وجود المفردات العربيَّة المناسبة للتعبير بدقَّة عن المفاهيم العلميَّة الحديثة، وهذه مشكلة تزداد صعوبة، ولاسيَّما في الموضوعات التكنولوجيَّة، التي يسرع تقدُّمها في الوقت الحاضر، كالكمبيوتر، أو أشعة (الليزر)، أضف إلى ذلك أن الموادَّ العلميَّة تُدرَّس أحياناً باللُّغات الأجنبيَّة، على الرَّغم من وجود المفردات العلميَّة العربيَّة؛ وذلك لعدم توافر الكتب المدرسيَّة الجيِّدة باللُّغة العربيَّة، ولذلك قد يستعمل الأستاذ كتاباً إنجليزيّاً، أو فرنسيّاً، أو يفضِّل أن يُدرِّس بلغةٍ أجنبيَّةٍ ما، وعلى أساس كتبٍ مؤلَّفة بتلك اللُّغة؛ لأنَّه هو نفسه قد تعلَّم المادَّة في جامعةٍ أجنبيَّةٍ؛ ولذلك صار يفكِّر ويَتكلَّم ويكتب عن هذه المادَّة بسهولة أكثر باللُّغة الأجنبيَّة.

إنَّ مشكلة تعليم الموادَّ العلميَّة في البلاد العربيَّة إذاً مشكلة صعبة، بل إنَّها تقوم

بتجديد ذاتها في كلِّ جيلٍ جديدٍ من الطلبة؛ إذ في نهاية الأمر يتخرَّج هؤلاء الطلبة من الجامعات، ويدخلون بدورهم صفوف المدرِّسين والأساتذة والباحثين العلميِّين. وقد قام مجمع اللغة العربيَّة الذي زرُّته -كسائر مجامع اللغة في البلاد العربيَّة الأخر- ببرامج منسَّقة لعلاج هذه المشكلة التعليميَّة، ومن هذه البرامج -بطبيعة الحال- عمليَّة خلق مفردات علميَّة جديدة ونشرها. فضلاً عن ذلك، يقوم المجمع بترجمة كتبٍ مدرسيَّة في الموادِّ العلميَّة من لغاتها الأصليَّة إلى العربيَّة، وقد أثمرَ هذا البرنامج سلسلة كتبٍ في العلوم الكيماويَّة والفيزيائيَّة والرياضيَّة والاقتصاديَّة... إلخ. ويتعهَّد المجمع -أيضاً كغيره من المجامع- نشر نصوص عربيَّة، خصوصاً النصوص الأدبيَّة، وطبع مخطوطات عربيَّة لم يسبق لها أن حُقِّقت ونُشرت، ويدعم الدِّراسات التَّاريخيَّة والأدبيَّة والثَّقافيَّة، ويساعد على نشرها أيضاً. غرض المجمع إذن، هو: دعم العربيَّة الفُصحى وتطويرها من كلِّ ناحية.

سمعتُ ملاحظات رئيس المجمع باهتمامٍ بالغ، وأدركتُ معها أهميَّة المجمع وأعماله. وبعد انتهاء حديثه أَلقيْتُ عليه أسئلةً شتَّى عن المجمع وبرامجه، وأخيراً، سألتُهُ بكلِّ سداجَة: هل للمجمع أيُّ اهتمام بدراسة اللِّهجات العربيَّة العاميَّة؟ ولكن، ماكدتُ أَلقي هذا السَّؤال حتَّى تغيَّرت قسما ت وجه الرِّئيس، وردَّ على سؤالي بصوتٍ كان فيه شيءٌ من الغضب، فقال: «إنَّ المجمع لا يدرُس اللِّهجات العاميَّة، ولا يريدُ دراستها؛ إذ ليس في دراسة اللِّهجات العاميَّة فائدة، لا للعرب، ولا لغير العرب»، وبعد جوابه المقتضب هذا، انصرف عني، وشغَلَ نفسه بغيري من زوَّار المجمع.

ثم أخذتُ أفكِّر في العوامل التي أدَّت إلى هذا الرَّد الصَّارم، علماً أنَّ القصد من سؤالي سليم؛ إذ كنتُ قد لاحظتُ عدم وجود كتبٍ عن اللِّهجات وعن العلوم اللِّسانيَّة عامَّة بين عناوين مطبوعات المجمع، وأدهشني ذلك؛ نظراً إلى تركيز المؤسَّسة على اللغة

العربيَّة، وبناءً على تدريبي اللُّغوي في الغرب، افترضْتُ أنَّ الاهتمام العلميَّ بآيَّةِ لُغَةٍ، لا بدَّ من أنْ يشملَ الدِّراسة اللِّسانيَّة للهجاتها ولُغاتها المحليَّة. علماً أنَّ دراسة اللُّهجات العاميَّة العربيَّة قد استحوذتْ على انتباه عددٍ من الباحثين في الغرب.

ونتيجةً لهذه التجربة، تعمَّقتُ -بعد رجوعي من رحلتي إلى الشَّرق- بدراسة اللُّهجات العربيَّة العاميَّة، ولاسيَّما ماكُتِبَ عنها في البلاد العربيَّة، واكتشفتُ أنَّه كانت هناك دعوة إلى دراسة اللُّهجات -لا من جانب المستشرقين الأجانب فحسب، بل في العالم العربيِّ نفسه- وأنَّ هذه الدَّعوة بدأت في العالم العربيِّ قبل أكثر من نصف قرن، فبينَ أوَّل أنصار الدِّراسات اللُّهجيَّة، كان العالم المصريُّ المشهور (أحمد تيمور باشا) (١٨٧١-١٩٣٠م)، الذي ألَّفَ عدَّة كتب في موضوع اللُّهجات العاميَّة، بينها: (لهجات العرب)، و(معجم تيمور الكبير في الألفاظ العاميَّة)^(٢).

وفي السَّنوات الأخيرة جدَّد بعض اللِّسانيين العرب الدَّعوة إلى دراسة اللُّهجات العاميَّة العربيَّة في كتبهم ومقالاتهم العلميَّة. فمن أشدَّ الدَّعاة إلى هذا المجال، الأستاذ المصريُّ (إبراهيم أنيس)، الذي ألَّفَ كتاباً بعنوان: (في اللُّهجات العربيَّة)، وقد تکرَّر طبعه عدَّة مرَّات منذُ ظهوره لأوَّل مرَّة في عام (١٩٤٦م)^(٣). كما ألَّفَ زميلُهُ المصريُّ (عبد الرَّحمن أيُّوب) كتاباً عنوانه: (العربيَّة ولهجاتها)، دعا فيه -كما دعا أنيس من قبله- إلى دراسة اللُّهجات العاميَّة^(٤)، ثمَّ انضمَّ إلى دعوة هذينِ الباحثين عددٌ غير قليل من العلماء واللِّسانيين العرب^(٥). ويتَّين -أيضاً- أنَّ مجمع اللُّغة العربيَّة في القاهرة شجَّع -رسميَّاً على الأقلَّ- دراسة اللُّهجات العربيَّة، بأنَّ خَلَقَ بين لجان المجمع لجنة للُّهجات^(٦). وبالإضافة إلى ذلك، أُسِّس في كليَّة الآداب في جامعة القاهرة (معهد اللُّغات الشَّرقيَّة)، الذي يهتمُّ بدراسة الظواهر اللِّسانيَّة، ومن بينها اللُّهجات «أي اللُّهجات البدويَّة»^(٧).

ولكن، على الرَّغم من وجود هذه المؤسَّسات وهذه الدَّعوة الملحَّة إلى دراسة

اللهجات، يَتَبَيَّنُ أَنَّ الْعَرَبَ أَهْمَلُوا هَذِهِ الدَّرَاسَاتِ إِهْمَالًا كَامِلًا، أَوْ شَبِهَ كَامِلٍ^(٨). وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى الْمَجَلَّاتِ الْعِلْمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ - وَبَيْنَهَا الْمَجَلَّاتُ الْمُنشُورَةُ تَحْتَ رِعَايَةِ مَجَامِعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ -، نَجِدُ أَنَّ الْأَكْثَرِيَّةَ السَّاحِقَةَ مِنَ الْمَقَالَاتِ - وَحَتَّى أَغْلِبَ الْمَقَالَاتِ فِي مَوْضُوعِ اللُّغَةِ - لَيْسَتْ عَنْ اللَّهْجَاتِ الْعَامِّيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ «إِلَّا عَدَدًا مِنَ الدَّرَاسَاتِ فِي اللَّهْجَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ»^(٩). وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَلْمَسَ هَذَا الْإِهْمَالَ فِي مَطْبُوعَاتِ مَجَامِعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ - أَيْضًا -، فَإِذَا نَظَرْنَا فِي مَحْتَوَيَاتِ هَذِهِ الْمَطْبُوعَاتِ الْعَدِيدَةِ، مِثْلًا، نَجِدُ أَنَّ (٩٩٪) مِنْهَا تَقْرِيبًا عَنِ الْمَوْضُوعَاتِ التَّالِيَةِ^(١٠):

- تَحْقِيقُ النُّصُوصِ الْأَدَبِيَّةِ، أَوْ التَّارِيخِيَّةِ، أَوْ الثَّقَافِيَّةِ.
- دَرَا سَةُ الْمَفْرَدَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْحَدِيثَةِ، وَخُصُوصًا الْمَفْرَدَاتِ الْعِلْمِيَّةِ.
- الدَّرَاسَاتُ التَّارِيخِيَّةُ لِلْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ.
- فَهَارِسُ كُتُبٍ وَمَخْطُوطَاتٍ عَرَبِيَّةٍ، وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَعْمَالِ السِّبْلُوغَرَفِيَّةِ.
- الْقَوَامِيسُ.

إِنَّ الْمُسْتَغْرَبَ فِي هَذِهِ الْإِحْصَاءَاتِ هُوَ النِّقْصَانُ الْكَبِيرُ فِي دَرَا سَاتِ اللَّهْجَاتِ الْعَامِّيَّةِ الْحَدِيثَةِ، مَعَ أَنَّ كُنَّا نَتَوَقَّعُ مِنَ الْعَرَبِ أَنْ يَهْتَمُّوا بِلُغَتِهِمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ. وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَلَا حِظَ - أَيْضًا - أَنَّ مَعْظَمَ الْمَقَالَاتِ الَّتِي تَعَالَجُ مَوْضُوعَ اللَّهْجَاتِ الْعَامِّيَّةِ لَيْسَتْ دَرَا سَاتُ مَفْصَّلَةً لِلْهَجَةِ مَعَيَّنَةٍ، بَلْ هِيَ مَنَاقِشَاتُ عَامَّةٌ عَنِ (مَشْكَلَةِ الْعَامِّيَّةِ)، أَوْ قَضِيَّةِ اللَّهْجَاتِ)، وَعِلَاقَتُهَا بِالْعَرَبِيَّةِ الْفُصْحَى فِي الْحَاضِرِ وَالْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ^(١١). وَبِذَلِكَ يَتَبَيَّنُ أَنَّ الْمُؤَلِّفِينَ الْعَرَبَ يَفْضِلُونَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا عَلَى الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْفُصْحَى وَالْعَامِّيَّةِ، عَلَى أَنْ يَصِفُوا لَنَا اللَّهْجَاتِ الْعَامِّيَّةِ نَفْسَهَا فِي كُلِّ تَفَاصِيلِهَا الْمُخْتَلِفَةِ.

وَإِذَا نَظَرْنَا فِي الْكُتُبِ وَالْمَقَالَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَلِيلَةِ عَنْ لَهْجَاتٍ عَرَبِيَّةٍ مَعَيَّنَةٍ، وَجَدْنَا أَنَّهَا تَقْنَعُ بِجَمْعِ الْمَفْرَدَاتِ (الْغَرِيبَةِ)، أَوْ النَّمْطِيَّةِ، مِنَ اللَّهْجَةِ الْمُخْتَارَةِ لِلدَّرَاسَةِ، وَرَبَّمَا يُضِيفُ

المؤلف عدّة ملاحظات عامّة عن اللّهجة في مقدّمة الكتاب، أو المقالة، ولكننا لا نجد فيها أيّ تحليلٍ لسانيٍّ عميقٍ للّهجة من حيث خصائصها الصّوتية والبنائية والتركيبية. فهي -إذن- دراسات لا اشتقاق الكلمات فقط، ومع أنّها في حدّ ذاتها معلومات قيّمة، إلّا أنّها لا تتجاوز في منهجها المنهج الجمعيّ، الذي طبّقه (أحمد تيمور باشا) قبل ثلاثة أرباع القرن^(١٢). وفي كتاب (لهجات شمال المغرب: تطوان وماحوها)، لعبد المنعم سيّد عبد العال^(١٣)، نجد أنموذجاً نادراً جداً لمؤلفٍ عربيٍّ يكتب بالعربيّة، ويدرس لهجة عربيّة على منهج لسانيٍّ حديث، فهذا الكتاب الجيد له كلّ خصائص الدّراسة اللّسانية العلميّة الحديثة، وهي: حصر البحث في لهجة محلّيّة معيّنة، وتدوين نصوص متسلسلة في اللّهجة، وتناول العوامل التّاريخيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والجغرافيّة التي أثّرت في تطوّر اللّهجة، وتحليل الموادّ اللّهجيّة المفصّلة من حيث الصّوتيات والبناء والتركيب. ولكنّ هذا الكتاب يقوم منفرداً في ميدان الدّراسات العربيّة الحديثة، كنخلة في وسط صحراء واسعة، تثبت وتؤكد بوجودها وحشة المناطق المجاورة.

السّؤال الرئيس إذن هو: لماذا أهمل العرب دراسة هذه اللّهجات على الرّغم من الدّعوة إليها سابقاً من جانب عددٍ من مفكّريهم الكبار؟ ويبدو لي أنّ الحواجز التي حالت بين العرب وبين دراسة لهجاتهم العاميّة تنقسم إلى نوعين من العوائق: حواجز عقليّة، وحواجز عمليّة. أمّا الحواجز العقليّة - أي المعارضة الشّديدة للّهجات العاميّة في أذهان بعض المفكّرين العرب -، فإنّها من ثلاثة أنواع: أوّلها لأسباب لغويّة. ويمكننا أن نرى هذا النّوع من المعارضة حتّى في الأهداف التي تتبنّاها وتعلن عنها هذه الجامعات، وهي المحافظة على سلامة العربيّة وتنقيتها من الشّوائب اللّفظيّة، كلمات مفردة كانت، أم تركيبات، أم اصطلاحات. وأساساً فإنّ وجهة النظر هذه لا تعدّ أيّ لهجة عاميّة إلّا حفيداً لقيطاً وضيعاً للفصحى الخالصة الأصيلة، أثّرت فيها، واختلطت بها كلمات

أعجميّة، وتجمّعت في صميمها أغلاط الجهّال اللّغويّة؛ ولذلك يعتبر مؤيّدو هذا الرأي أنّ اللّهجات العاميّة مصادر تلويث وتنجيس للفُصحى، عن قصدٍ أو عن غير قصدٍ. مطلبُ النّقاء في العربيّة الفُصحى -إذن- يتطلّب تجنّب اللّهجات العاميّة، أو على الأقلّ التحوّط منها.

ولكن، ليست مسألة نقاوة العربيّة الفُصحى مسألة طهارة لغويّة فقط، بل تدخل فيها -أيضاً- اعتبارات دينيّة؛ لأنّ للّغويّة الفُصحى علاقة وثيقة بلغة القرآن الكريم؛ ولذلك فعلى كلّ عربيٍّ مسلم أن يُحافظ على سلامة هذه اللّغة، وعلى دقّة استعمالها، وأن يدافع عنها ضدّ كلّ فساد لغويٍّ، وهو الشيء الذي يعتبرونه بمثابة خطيئة^(١٤). وإذا قارنّا بين الرّغبة في المحافظة على نقاوة العربيّة، وبين الرّغبة في المحافظة على غيرها من اللّغات - كالفرنسيّة مثلاً، التي تراقبها (الأكاديمية الفرنسيّة) - فسرى فوراً أهميّة هذا الباعث الدّيني وأثره الفعّال في المحافظة على نقاوة اللّغة العربيّة.

وثمة -أيضاً- نواحٍ سياسيّة وثقافيّة مهمّة لمعارضة اللّهجات، بدأت في أواخر القرن التّاسع عشر، وأوائل هذا القرن، عندما اقترح بعض الموظّفين الإنجليز في مصر المحتلّة إلغاء الفُصحى وإحلال العاميّة - أي لهجة من لهجاتها - محلّها كلغة مكتوبة. ومع أنّ عدداً محدوداً من المفكرين العرب أقرّ هذه المبادرة، مثل: الكاتب المصريّ (سلامة موسى)، فإنّ الاقتراح ولّد سيلاً من المعارضة في معظم العالم العربيّ؛ لأنّ اللّغة العربيّة، ولاسيّما الفُصحى، كانت مبدأ الهوية العربيّة القوميّة. ويؤكّد معظم العرب أنّ اتّخاذ اللّهجات العاميّة كلغاتٍ مكتوبة قد يمزّق وحدة العرب سياسياً وثقافياً؛ إذ قد تصطنع كلّ دولة عربيّة، كمصر، وسورية، والعراق، والمغرب، مثلاً، لغةً مكتوبةً خاصّةً مؤسّسة على اللّهجة العاميّة المتكلّم بها في تلك الدّولة، ويرون أنّ الهدف الأساس لهذا الاقتراح هو تجزئة الأمّة العربيّة وتحويلها إلى قومياتٍ محليّة منفردة. ومهما يكن من أمرٍ، فبعد فترة

عاصفة، ومجادلاتٍ حادّةٍ حولَ هذا الاقتراح، رفضه العربُ رفضاً حاسماً^(١٥)، ولكن لم يقف الأمر عند هذا، بل امتدّ الرّيب إلى كلّ مَنْ اهتمّ باللّهجات العاميّة - وخاصة بين اللّسانيّين الأوروبيّين - فاتّهمَ بأنّه من دعاة إلغاء الفصحى، ولا يزال هذا الاتجاه غالباً على كثير من المفكرين العرب حتّى اليوم، حتّى أنّ واحداً منهم يتحدّث، في سنة (١٩٧٨)، عن «مناورة ألسنيّة للتفريق بين الشّعوب العربيّة»^(١٦).

ولكن، إذا نظرنا في أسباب هذه المعارضة نظراً دقيقاً، فسرى أنّها ليست مبرّرة، إنّنا نستطيع أن نلاحظ أولاً أنّ كثيراً من الخوف من اللّهجات العاميّة ينبع من عدم مراعاة تمييز أساسي، وهو الفرق الجوهريّ بين الدّعوة إلى دراسة اللّهجات العاميّة، وبين الدّعوة إلى استعمالها، ولاسيّما للكتابة بها. وأريد أن أوضح هنا أنّي لا أدعو في مقالي هذه إلى استعمال اللّهجات العاميّة للكتابة، بل أعتقد أنّ العربيّة الفصحى هي اللّغة الوحيدة المناسبة للتوصيل والتواصل بين أبناء الشعب العربي، وإنّما أريد أن أدعو هنا إلى دراسة اللّهجات العاميّة، وهذا شيء يختلف تماماً عن الدّعوة إلى استعمالها للكتابة. وقد أشار بعض اللّغويّين العرب - مثل: إبراهيم أنيس، ومحمد حسن باكلا - إلى أهميّة هذا التمييز^(١٧)، ولكنّ الظاهر أنّ أغليّة المفكرين العرب لم يفتنوا إلى هذا التمييز وأهمّله، كما أهمّلوا دعوة اللّسانيّين إلى دراسة اللّهجات في أوّل الأمر؛ ولذلك تغلّب - وما يزال يتغلّب - على أذهان كثير من هؤلاء المفكرين العرب خوفٌ كبيرٌ وغير مبرّر من دراسة اللّهجات، ولكنّ معظم المعارضة التي لحظناها من قبل هي معارضة لاستخدام اللّهجات للكتابة. ولاشكّ - أيضاً - في أنّ المقاومة لاستعمال اللّهجات لها مبرراتها الثقافيّة والسياسيّة، ولكن لا يتبيّن أنّ هناك علاقة ضروريّة بين دراسة اللّهجات العاميّة وجمع المعلومات عنها، وبين استعمال هذه اللّهجات، أو زيادة انتشارها، فقد درس اللّسانيّون الأوروبيّون اللّغة المنكسيّة (manx) - لغة جزيرة (مان) البريطانيّة - بشكلٍ

مرکز خلال العشريّات والثلاثينيّات، وعلى الرّغم من دراستهم هذه، اختفت تلك اللغة إلى الأبد عندما مات آخر رجلٍ يتكلّمها كلغته الأمّ، ولكنّ اللّسانيّين جمعوا من دراستهم معلومات قيّمة جدّاً، لا عن اللغة المنكسيّة وحدها، بل -أيضاً- عن العلاقات اللّسانية بين كلّ اللّغات الإندوأوروبيّة. وكذلك الأمر في دراسة اللّهجات الآرامية الحديثة، التي تمثّل البقايا القليلة الأخيرة من لغة سامية سادت الشّرق الأوسط لمدة ألف سنة قبل بزوغ العربيّة، فتسجيل المعلومات اللّغوية الوافرة عن هذه اللّهجات في العقود الحديثة نتيجة جهد اللّغويّين الأوروبيّين لم يسبّب (نهضة)، أو توسّعاً في استعمالها. وكذلك شأن اللّهجات الألمانية العاميّة، التي يختلف بعضها اختلافاً غير قليل عن اللغة الألمانية الرّسميّة (Hochdeutsch)، فقدّ جمع اللّغويّون الألمان معلوماتٍ مفصّلة عن هذه اللّهجات خلال القرنين الماضيين من دون الخطّ من مكانة اللغة الألمانية الرّسميّة المتفوّقة، أو إضعافها أمام اللّهجات المتكلّمة.

من تلك الأمثلة: نرى أنّه لا توجد بيّنة تأريخيّة، أو لغويّة، تدلّ على أنّ دراسة اللّهجات العاميّة تؤدّي إلى خطر زيادة استعمال هذه اللّهجات بين أبناء الشعب، وليس هناك من ثمّ أيّ سببٍ لمعارضة الدّراسات اللّهجيّة على هذا الأساس، بل إنّنا نستطيع أن نُفيد من هذه الدّراسات إفادة واضحة في معرفة مفصّلة عن اللّغات وعلاقاتها.

وبالنسبة إلى خطر تجزئة وحدة العرب ثقافةً وشعباً، فمن الواضح أنّ هذا الخطر كان على أشده في أيام الاحتلال الأوروبي للعالم العربيّ؛ لأنّه كان في طاقة المستعمرين وقتئذٍ - نظريّاً على الأقلّ - أن يفرضوا على البلاد العربيّة المتفرّقة استعمال لهجات محلّيّة مختلفة للكتابة - كما فرضوا عليها حدوداً سياسيّةً مصطنعةً، وقوانينَ مدنيّة مختلفة.. إلخ -، وبطبيعة الحال، فإنّ إمكان فرض تجزئة من هذا النوع قد قلّت مع زوال الاحتلالات الأوروبيّة، فهل يبقى في عصر ما بعد الاستعمار خطر انشقاق العالم العربيّ بسبب تباعد

اللّهجات العاميّة؟ في رأيي أنّ ذلك غير مُحتمَل، فنحنُ إذا نظرنا بدقّةٍ إلى العلاقة بين الوحدة اللّغويّة، وبين الوحدة الثّقافيّة والقوميّة، في القرون الأخيرة، نرى أنّ اتخاذ لهجات مختلفة للكتابة ليس هو الذي يُحطّم وحدة الشّعوب الثّقافيّة والقوميّة، بل - على العكس - إنّ انحلال شعبٍ ما، أو انشقاق فرقةٍ عنه، لعلّةٍ سياسيّة، أو اقتصاديّة، أو ثقافيّة ما، هو الذي يسبق ويسبّب اتخاذ لهجاتٍ مختلفة للكتابة، حيثما ساد من قبل نظامٌ كتابيّ موحد، بعبارةٍ أخرى، يتّخذ قومٌ ما لهجةً خاصّةً كلغتهم المكتوبة، ويهجرون لغتهم المكتوبة السّابقة، ليعبروا بصورةٍ نهائيّةٍ عن الانفصال الثّقافيّ، أو القوميّ، الذي صاروا يشعرون به.

ويُقدّم التّاريخ لنا أمثلةً كثيرةً على هذا التّطوّر، فالهولنديّون -اليوم، مثلاً- يتكلّمون بلهجاتٍ قريبةٍ جدّاً -صوتيّاً وبنائيّاً ومفرداتيّاً- من بعض اللّهجات المتكلّمة في شمال ألمانيا، أي إنّ البلاد المنخفضة تُشكّل والسّهول الألمانيّة الشماليّة منطقةً لهجيّةً واحدةً. ولكنّ الجزء الغربيّ من هذه المنطقة صار تحت سيطرة ملوك أسبانيا من آل (هابسبورغ) في القرن السّادس عشر الميلاديّ، ثمّ ثار بعض الرعايا الهولنديّين ضدّ الحكم الأسبانيّ في عام (١٥٦٧)، (وكان نفوذ أتباع المجدّد الدينيّ (كالفين) عاملاً مهمّاً في هذه الثورة)، واتّخذوا لهجة المدن الهولنديّة الكبرى: (أمستردام، وروتردام، ولاهاي.. إلخ)، أساس لغتهم المكتوبة، التي تُسمّيها اليوم (الهولنديّة). هذا في حين ظلّ الجزء الشرقيّ من هذه المنطقة اللّهجيّة ممالك وإمارات صغيرة مستقلّة عن الحكم الأسبانيّ في هذه الفترة، وصارت الدوائر الحاكمة، وأكثرية سكّان المنطقة، تعتنق عقيدة المجدّد الدينيّ (لوثر)، واتّخذت للغة المكتوبة اللّهجة التي استعملها (لوثر) لترجمته الكتاب المقدّس، التي تُسمّيها اليوم اللغة الألمانيّة (Hochdeutsch)، مع أنّها تختلف عن اللّهجة المتكلّمة في هذا الجزء من ألمانيا أكثر من اللغة الهولنديّة. نستطيع أن نرى من ذلك أنّ التطوّرات

السِّيَاسِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ (هنا: الدِّينِيَّةُ خاصَّةً)، سبَّبَتْ تَجَزُّؤَ لُغَوِيَّةً، وليس العكس. وفي العالم العربي نرى -اليوم- هذا التطوُّر نفسه في لبنان؛ إذ يُحاول فريق من النَّصارى الموارنة أن يكتبوا لغتهم المحليَّة الخاصَّة بحروفٍ خاصَّةٍ غير عربيَّة، بوصفها رمزاً عن انسحابهم ثقافيّاً، وسياسيّاً، من الهويَّة الإسلاميَّة والعربيَّة، بدعوى أن أصلهم أصل (فينيقيّ) لا أصل عربيّ، ولكنّه من المعروف أن ميلهم إلى (الفينيقيَّة)، وإرادتهم الانفصال عن العروبة، متعلّقان فوق كلّ شيء بهويّتهم المسيحيَّة، وأنّ هذا الميل للانسحاب سبق اتّخاذ لهجتهم للكتابة بوقتٍ طويلٍ، فكان تطوُّر عقليّتهم الانفصاليَّة، والحوادث المُحزِّنة في لبنان في السَّنوات الأخيرة، مما شجَّعهم -أو دفعهم- إلى اختراع (لغة) مارونيَّة مكتوبة من لهجتهم العربيَّة المحليَّة^(١٨).

يَتَبَيَّن -إذن- أنَّ الوحدة الثقافيَّة، أو الدِّينِيَّة، أو الاجتماعيَّة، أو السِّيَاسِيَّة، تسبق وحدة اللُّغة المكتوبة، وتجد تعبيرها فيها، حتّى مع وجود عددٍ كبيرٍ من لهجاتٍ متكلمٍ بها، يختلف بعضها عن بعض. فحيثما توجد الوحدة الثقافيَّة -وهي موجودة في العالم العربيّ المعاصر- فلا حاجة إلى الخوف من التَّجزُّؤ اللُّغَوِيَّة. فلاشكّ -إذن- في أنّه ليس في دراسة اللّهجات أيُّ إمكانٍ ضررٍ على وحدة اللُّغة العربيَّة، فما دام العرب شعباً متّحداً سيرفضون أيّ اقتراح يؤدّي إلى تمزيق وحدتهم اللُّغَوِيَّة، كما رفضوا في أوائل هذا القرن اقتراح (ويلكوكس)، وأصحابه. فربّما كان ذلك الرِّفض البرهان الأكثر بلاغة على صحّة هذا البيان.

أمّا مسألة سلامة اللُّغة العربيَّة ونقاوتها، فإنَّ خطر (تلوُّث) الفُصحى بالعاميَّة -أي اتّخاذ بعض خصائصها اللُّغَوِيَّة- هو خطر حقيقيّ يجدر حمايتها منه. ولكن مع ذلك، فالرأي: أن اللّهجات العاميَّة ليست إلّا أشكالاً متدهورة منقطة من الفُصحى، هو رأي ساذج وخادع، أو خاطئ، من حيث الأساس. فإذا درسنا تأريخ العربيَّة وتطوُّرها

عبر القرون، نجد أنّ العرب تكلموا في الجاهليّة بلهجاتٍ عربيّة مختلفة، ولكن لم تكن أيّة لهجةٍ منها مطابقة تماماً لهذه اللّغة التي نُسَمّيها بـ(الفُصحى)، وإنّ لهجة قريش هي أقرب اللّهجات إلى اللّغة العربيّة الفُصحى من نواحٍ كثيرة - وخصوصاً في مفرداتها -، لكنّها خَلَتْ من لفظ (الهمز)، الذي اتَّخذته العربيّة الفُصحى من لهجاتٍ أُخر، منها: لهجة بني تميم - وذلك هو الأصل اللّساني؛ لصعوبة كتابة الهمزة في الفُصحى -، وفضلاً عن ذلك، فمن المعروف أنّ المفردات القرآنيّة ليست قرشيّة أو حجازيّة خالصة، بل تشتمل على كلماتٍ كثيرةٍ استعارتها من اللّهجات العربيّة القديمة، مثل: كلمة (الأجداث)، بمعنى: (القبور)، من لهجة هذيل، وكلمة (الأحقاف)، بمعنى: (الرّمْل)، من لغة حضرموت، وكلمة (المهيمن)، بمعنى: (الشّاهد)، من لهجة قيس عيلان، (وربّما هي مشتقّة من اللّغة السّريانيّة؛ لأنّ لكلمة (مهيمن) في السّريانيّة معنى (مؤمّن).. إلخ^(١٩)، وكذلك الأمر بالنسبة للعربيّة الفُصحى التي أُسست على أنموذج العربيّة القرآنيّة^(٢٠). يتبيّن - إذن - أنّ اللّغة العربيّة الفُصحى - على الرُّغم من قدمها المعروف - هي إلى حدٍّ ما لغة مصطنعة - مثل كلّ لغة أدبيّة -، نُسِجت من مقاطع لغويّة مختارة من عدّة لهجات مختلفة، وقد استخدم عرب الجاهليّة نوعاً من هذه اللّغة المصطنعة وسيلة مشتركة للاتصال والأخبار، خصوصاً في مقابلاتهم في الأسواق، وفي شعرهم المشهور. ومن ثمّ نرى أنّ العلاقة بين العربيّة الفُصحى وبين اللّهجات العاميّة - قديمة كانت أم حديثة - ليست علاقة الأب بالابن، بل هي أقرب إلى علاقة التّوأمين؛ لأنّ كليهما قديمة الأصل، بل علينا أن نعترف أنّ اللّهجات العاميّة هي أقدم أصلاً من الفُصحى^(٢١)، وإنّ الفرق الأكبر بينهما - إذن - هو أنّ اللّهجات العاميّة تطوّرت عبر القرون تطوّراً واسعاً وسريعاً، لتطوّر احتياجات القبائل والمجتمعات التي تكلمت بها، ولتأثير بيئتها اللّغويّة والجغرافيّة عليها، بينما اللّغة الفُصحى احتفظت بكثير من هيئتها الأصليّة عبر

القرون، وتطوّرت تطوّراً بطيئاً ومحدود المدى، ربّما لتأثير القرآن الكريم المحافظ عليها، وربّما لكونها جوهرية لغة أدبية مصطنعة ومشتركة، أي غير مُتكلّم بها في الحياة اليومية. ومعنى ذلك في إطار الحوار الحالي، أنّ الفُصحى والعامية تمثّلان ظواهر لغوية متوازية ومتساوية، ومع أنّنا نعطي للفُصحى مكانة متفوّقة على العامية، ولاسيّما في الأدب والكتابة ووسائل الإعلام، فيجب علينا أن نعترف بأنّ دراسة آية واحدة منها قد تلقي ضوءاً لامعاً على كليتهما، وعلى غيرهما من اللّغات (الإفرو-آسيوية)، التي كانت تُسمّى في الماضي بـ(اللّغات الحامية-السّامية).

ليس هناك -إذن- سببٌ ما يبرّر الخوف من دراسة اللّهجات العامية العربية، أو معارضتها، طالما أنّنا نراعي التمييز بين دراسة اللّهجات المنقرضة، وبين الرّغبة في إحياء استعمالها. ولكن، لسوء الحظّ، نجد أنّ آثار موقف المعارضة لاتزال موجودة في بعض دراسات اللّغة العربيّة ولهجاتها، ولايزال كثيرٌ من المؤلّفين العرب في موضوع اللّهجات، يعتنقون مفاهيم قديمة عن اللّغة بصفةٍ عامّة، وعن اللّهجات بصفةٍ خاصّة، ويكرّر هؤلاء المؤلّفون آراء خاطئة فننّدها علمُ اللسانيّات منذ نصف قرن، أو أكثر. فبين هذه المفاهيم المهجورة التي نجدها في بعض المؤلّفات الأخيرة، ما يأتي:

(أ) إنّ اللّهجات العربيّة الحديثة هي سلالات مباشرة من اللّغة الفُصحى (الأمّ) (٢٢).

(ب) إنّ الاختلافات بين الفُصحى والعامية ليست إلّا أخطاء أُدخلت على اللّهجات؛ بسبب جهل النّاطقين، وعدم معرفتهم بالفُصحى (٢٣).

(ج) إنّ اللّهجات العامية ليس لها قواعد، أو قوانين، في تكوّنهما واستعمالها (٢٤).

(د) إنّ اللّغات العربيّة الجنوبيّة القديمة (السّبئية، والقبتانية، والحميرية.. إلخ)، أو اللّغة الآرامية، هي أنواع من اللّغة العربيّة، أو هي (مراحل) تمثل تطوّر العربيّة

التاريخية^(٢٥).

(هـ) إنَّ جوهر اللهجة هو اللَّحن الصَّوتيّ، من دون اعتبار للبناء والتركيب^(٢٦).
 (و) إنَّ هناك علاقة عضويّة ضروريّة بين لغةٍ ما وبين نظام كتابتها، (والصَّواب أنَّ اللغة والكتابة ظاهرتان مستقلّتان، وإنّا نستطيع أن نكتب كلمات أيّة لغة بواسطة أيّ أبجديةٍ نختارها، فالعلاقة بين لغةٍ وبين كتابتها -إذن- هي علاقة تقليديّة، لا عضويّة).
 (ز) إنَّ الدّعوة إلى دراسة اللهجات هي الدّعوة إلى استعمال هذه اللهجات.
 كلّ هذه الآراء خاطئة، وتكرارها في المؤلّفات العربيّة الأخيرة يُفضي إلى استمرار الموقف المعارض لدراسة اللهجات.

ولكن، كما ذكرنا من قبل، هناك -أيضاً- حواجز عمليّة انضمت إلى هذه الحواجز العقلية، وحالت بين العرب وبين دراستهم للهجاتهم العامية على أساسٍ علميٍّ. وأوّل هذه الحواجز العمليّة هو عدم تعرّف بعض الباحثين العرب على المنهج اللّغويّ الحديث ومفاهيمه. ونرى أنَّ كثيراً من المؤلّفين لا يحدّدون مجال دراستهم تحديداً كافياً، ويقنعون مثلاً بأن يختاروا لهجةً مدينةً كبيرة، أو لهجةً منطقةً واسعةً للدراسة، من دون التمييز بين كلام الجماعات المختلفة من سكّان هذه المدينة، أو هذه المنطقة، ولكننا نعرف أنَّ لهجات النّاس تختلف من قريةٍ إلى أخرى، أو من حارةٍ إلى أخرى، أو بين طبقات اجتماعيّة مختلفة في مكانٍ واحدٍ.. إلخ^(٢٨)، فالدرّوز في جبل لبنان - مثلاً - يتكلّمون لهجةً عاميّةً تختلف عن لهجة المسلمين، وعن لهجة النّصارى في المنطقة نفسها، كما توجد أكثر من عشرين لهجةً خاصّةً مُتكلّمةً في مدينة بيروت، فمن ثمّ لا يكفي أن يدرس الباحث لهجة بغداد، أو لهجة بيروت - مثلاً -، فضلاً عن لهجة العراق، بل عليه أن يختار جماعةً كلاميّةً معيّنة، وأن يحدّدها تحديداً واضحاً، وأن يصفَ كلام هذه الجماعة بكلّ دقّة.

ثانياً: لا بدّ من الدقّة الكاملة في وصف اللهجة المختارة للدراسة، ولاسيّما الدقّة

في الوصف الصوتي، إذا أراد الباحث أن يقوم بدراسة علمية صحيحة. ولكن تواجه الباحث العربي عراقيل كبيرة في ميدان الصوتيات؛ لأنّ الأبجدية العربية - مع أنّها مناسبة جداً لكتابة العربية الفصحى - ليست كافية للتعبير عن كلّ الأصوات المنطوقة بأفواه الناس في اللغات المختلفة، أو حتّى عن أصوات اللهجات العربية العامية. وليس هذا العيب قاصراً على الأبجدية العربية، بل يعمّ كلّ الأبجديات التي تستعملها الأمم لكتابة لغاتها؛ لأنّ الأنظمة الكتابية لا تُعطي إلّا صورة مثالية عن أصوات تلك اللغة المتكلمة، فليس هناك بين الحروف اللاتينية - مثلاً - إلّا خمسة حروف للتعبير عن الأصوات اللينة (a,e,i,o,u)، ولكنّ كثيراً من اللغات التي اتخذت الأبجدية اللاتينية للكتابة - كالألمانية والإنجليزية - لها أكثر من خمسة أصوات لينة (في الإنجليزية، مثلاً يوجد ما يقرب من عشرين صوتاً ليناً مختلفاً)، و - أيضاً - إنّ عدد الأصوات المختلفة التي يمكن للناس أن ينطقوا بها في كلّ اللغات في العالم قد يجاوز مائة وخمسين صوتاً. فللتعبير عن كلّ هذه الأصوات بصورة دقيقة، وضع اللسانيون الأوروبيون (أبجدية صوتية دولية)، لها رمز - أي: حرف - خاصّ يمثل كلّاً من الأصوات اللغوية المعروفة بين اللغات الإنسانية^(٢٩)، واشتقوا رموز هذه الأبجدية الصوتية الدولية من الحروف اللاتينية، التي عدّلوها وزادوا عليها، حتّى بلغ مجموع الحروف الجديدة العدد المراد.

وهذه الأبجدية الصوتية الدولية هي أداة جوهرية في دراسة الصوتيات؛ إذ يستطيع الباحث بوساطتها أن يدوّن بدقة كاملة أيّ صوت ينطقه متكلّم أيّ لغة، أو لهجة إنسانية، وتسجيل الأصوات في هذه الطريقة هو الخطوة الأولى نحو التحليل اللساني الحديث.

وقصور الأبجدية العربية عن التعبير عن الألفاظ اللهجية يتّضح حتّى في الكتب العربية القديمة التي تستخدم اللهجات العربية بالدراسة، ففي كتاب عبد المنعم سيّد عبد العال عن (لهجة شمال المغرب)، يقول المؤلّف: «ينطقون جيّاً عربيّة، كما يُنطق الـ g

اللاتينية في مثل age الإنكليزية (عُمر)، أو Genereux (كَريم) الفرنسية...» (ص ٧٤).
والغريب في هذا القول هو أن لفظ ال (g) في كلمة (age) الإنكليزية يختلف عن لفظ ال (g) في كلمة (Generous) الفرنسية، ولا يستطيع القارئ أن يثبت أي هذين اللفظين هو المراد والمستعمل في لهجة شمال المغرب.

وتنحدرُ المسألة إلى فوضى كاملة عندما نأخذ بعين الاعتبار الأصوات اللينة؛ لأنَّ الكتابة العربية لها رموز لثلاثة أصوات لينة فقط (أ، و، ي)، بينما ينطق الناس في لهجاتهم العربية العامية ما يزيد على عشرة أصوات لينة. فالحروف العربية -إذن- لا تستطيع أن تمثل كل هذه الأصوات بدقة. وإلى ذلك نجد في عدّة دراسات عن اللهجات العربية ذكراً لظاهرة (الإمالة)، أي: إمالة صوت الفتحة إلى صوت الكسرة في بعض اللهجات، ولكن، لا بدّ من الاعتراف بأنّ وصف الإمالة هذا يبقى وصفاً، لاملاحظةً علميّةً دقيقةً؛ لأنّه لا يجبرنا إلى أيّ درجةٍ مالت الفتحة نحو الكسرة، فالحديث عن الإمالة -إذن- مع أنّه كافٍ في الحوار العادي اليوميّ بين الناس، لا يستحقّ عدّه وصفاً علمياً، فهو كما لو قلنا مثلاً: (إنَّ الرَّجُلَ فقيرٌ مائلٌ إلى الغنى)، أو (إنَّ الجوَّ باردٌ مائلٌ إلى الحرِّ)، أو (إنَّ زيدا شابٌّ مائلٌ إلى الرّجولة)، فإنَّ أردنا الدّقة، كان علينا أن نقول: إنّه يملك خمسة آلاف درهم، أو إنَّ الحرارة أربع وعشرون درجةً مئويّة، أو إنَّ عُمر زيد عشرون سنة وشهران، فكلّ العلوم تتطلّب الدّقة في الوصف، وفي المراقبة، وفي القياس، ولا يختلف علم الصّوتيات عن سائر العلوم في هذا الاتجاه.

من هنا نستطيع أن نفهم ضرورة استعمال (الأبجدية الصوتية الدّولية) في الدّراسات اللّسانية. ولكنّ هذه الأبجدية - مع أنّها مناسبة للسانيّين الأوروبيّين - تطرح صعوبةً عمليّةً للباحث اللّسانيّ العربي؛ لأنّ رموزها مشتقّة من الحروف اللاتينية، فاستعمال هذه الرّموز يبعث على المضايقة في الكتاب المطبوع باللّغة العربية والحروف العربيّة؛ لذلك

أعتقد أنّ على اللّسانيّين العرب أن يخلّقوا (أبجديّة صوتيّة عربيّة)، حتّى تكون لديهم الأداة اللازمة للقيام بالدراسات الصّوتيّة العلميّة، ومن بينها دراسة اللّهجات العربيّة وسائر اللّغات واللّهجات الإنسانيّة. وهذه الأبجديّة الصّوتيّة العربيّة يجب أن تحتوي ما لا يقلّ عن مائة حرف، مشتّقة في صيغتها من الحروف العربيّة العاديّة، بمطابقة أهمّ ألفاظ (الأبجديّة الصّوتيّة الدّوليّة)، على مثال الحروف (الإضافيّة) المشتّقة من العربيّة في اللّغة الفارسيّة، مثل: (پ)، و(ف)، و(گ).. إلخ.

وهناك فائدة ثانية للأبجديّة الصّوتيّة العربيّة، وذلك أنّ تدوين اللّهجات العاميّة بها لن يؤدّي إلى تأسيس نوع مكتوب من هذه اللّهجات في المعنى العادي؛ لأنّ الأبجديّة - مع أنّها مناسبة لتسجيل الأصوات اللّهجيّة علميّاً - ليست مناسبة للكتابة والقراءة العاديّتين بسبب تعقيدها.

لقد أدّت الأسباب السّابقة الذّكر إلى إهمال العرب لدراسة لهجاتهم العاميّة، وإلى معارضتهم هذه الدّراسة، ولكن - كما لاحظنا من قبل - ليست المعارضة مُبرّرة، ونحن نستطيع أن نرى فوائد مختلفة - للعرب وللعلم بعامة - في الدّراسات اللّهجيّة، فمن أهمّ هذه الفوائد، ما يأتي:

أولاً: كما أكّدنا من قبل، قد تُقدّم لنا الدّراسات اللّهجيّة المُفصّلة معرفةً جديدةً، لا باللّهجات العربيّة فحسب، بل بالعربيّة الفُصحى وب عائلة اللّغات (الإفرو - آسيويّة) وتطوّرها. وفي حقيقة الأمر، فإنّ دراسة اللّهجات المتكلّمة - أي: تسجيل تفاصيلها اللفظيّة والبنائيّة، وتحليل هذه التفاصيل علميّاً - هي جوهر علم اللّسانيّات الحديث.

فعلى الرّغم من أنّ العلماء اللّسانيّين قد درسوا العلاقات اللّسانيّة في كلّ العائلات اللّغويّة دراسةً مكثّفة، فمن حيث المنهج اللّسانيّ الحديث لم يدرسوا اللّغات (الأفرو - آسيويّة) بصورة كافية حتّى الآن؛ ولذلك تُتيح لنا اللّغات (الأفرو - آسيويّة)

-وخصوصاً العربيّة، فهي أهمّها في الوقت الحاضر- فرصة لتطبيق المنهج التحليليّ اللّسانيّ الحديث على مادّةٍ بكرة، وهذا يُسهم في تثبيت هذه المناهج، وقد يؤدّي إلى اكتشافات جديدة تتعلّق بلغات هذه العائلة اللّغويّة، والعلاقات الإنسانيّة فيها. ونحن إذا أردنا أن ننتهز هذه الفرصة النادرة، فإنّنا نحتاج إلى معلوماتٍ مفصّلةٍ ودقيقةٍ عن اللّهجات العربيّة.

ثانياً: من وجهة النظر الثّقافيّة، علينا أن نعترف بأنّ اللّهجات العاميّة العربيّة تكون جزءاً مهمّاً من الثّقافة الشّعبيّة العربيّة (الفولكلور)، وإنّ جمع المعلومات عن هذه الثّقافة الشّعبيّة وتدوينها بوصفها جزءاً من التراث الوطنيّ، هو من مسؤوليّات الشعب الواعي. إنّ الشعوب العربيّة تجمع -مثلاً- معلومات عن أزيائها التقليديّة، من دون أن تعدّ دراسة هذه الأزياء تهديداً للوحدة القوميّة، على الرّغم من الاختلافات الكثيرة في هذه الأزياء بين إقليم عربيّ وآخر، بل إنّ العرب يفتخرون عادة بهذه الاختلافات التي يرونها برهاناً على ثروة الثّقافة العربيّة التقليديّة. وكذلك لا يعدّون الاطلاع على الأزياء التقليديّة دعوة إلى ارتداء ملابس من هذا النّوع في الحياة اليوميّة الحديثة، لماذا -إذن- يهمل العرب جزءاً آخر من تراثهم التقليديّ -أي: اللّهجات العاميّة-، ويتركون للأجانب أمر العناية بجمع مادّتها؟

وهناك اعتبار آخر في هذا السّياق الفكريّ، وهو ثروة اللّهجات العاميّة من أمثالٍ وتراكيب وكلمات خاصّة، ودخل بعضها في اللّغة الفصحى منذ عهد بعيدٍ، أو قريب. فإنّ لم تجمد اللّغة الفصحى جهوداً كاملاً؛ فذلك لأنّ اللّهجات العاميّة جاءتها باصطلاحاتٍ وأمثالٍ وكلماتٍ جديدةٍ، فاعتنقت الفصحى بعض هذه الاصطلاحات، ولو في شكل مصقولٍ، على وفق لقواعد الصّرف والنحو^(٢٩).

لقد كانت اللّهجات العاميّة -ولم تزل- منجم اصطلاحاتٍ جديدةٍ حيويّةٍ للعربيّة

الفُصْحَى، فإن كانت الفُصْحَى دماغ العربية، فاللهجات العامية لحمها ودمها النَّابِض، وتتضاعف من ثمَّ أهمية اللهجات العامية في التراث العربي، وضرورة دراستها العاجلة؛ لذلك يجب أن يكون بديهيّاً تعمّقُ العرب في هذه الدّراسات، حرصاً على استطلاع ماضيهم وتراثهم، قبل أن تنقرض هذه اللهجات أو تتغيّر كليّةً بتأثير أجهزة الإعلام الحديثة.

ثالثاً: إنّ المعارضة لدراسة اللهجات العربية تؤدّي إلى ضعف عامّ في علم اللّسانيّات في العالم العربي^(٣٠)، فإنّ دراسة اللهجات من أهمّ عناصر اللّسانيّات الحديثة، منذ نشوئها في أوربّا في القرن الماضي، فإذا نظرنا -مثلاً- إلى البيبلوغرافية في الدّراسات اللّسانية العربية، نرى أنّ أكثرها (٨٠٪ تقريباً) مكتوب باللّغات الأوربيّة، وأنّ مؤلّفيها ليسوا عرباً، كما نرى أنّ أكثر الدّراسات اللّسانية التي وضعها العرب كانت رسائل للحصول على الدّكتوراه في إحدى الجامعات الأوربيّة، أو الأمريكيّة^(٣١).

وليس مبالغة -إذن- إنّ قلنا: إنّ الباحث العربيّ الذي يُريد أن يطّلع على علم اللّسانيّات الحديث -وحتّى على اللّسانيّات العربيّة- يجب أن يلجأ إلى كتب ومقالات أجنبيّة، إذا أراد أن يتجاوز الابتدائيّات، وهذه حالة غير طبيعيّة في رأيي؛ إذ ننتظر أنّ يهتمّ المفكّرون العرب بلغتهم ولهجاتها، بقدر ما يهتمّ الألمان، أو الأمريكيّون، أو الإنجليز -مثلاً- بلغاتهم ولهجاتهم. ومن جهةٍ أخرى، نرى أنّ الباحثين العرب يساؤون زملاءهم الأجانب إنّ لم يفوقوهم، في دراسة اللّغة العربيّة على أساس المناهج الفيلولوجيّة والأدبيّة، فتخلّفهم في دراستها اللّسانية -إذن- مسألة أعرب. وليس هذا الضّعف في اللّسانيّات انعكاساً لضعف تكنولوجياي عامّ بين العرب؛ لأنّ الدّراسات اللّسانية لا تحتاج إلى أجهزة باهظة التكاليف، ولعلّ أوضح تفسيرٍ لهذا الضّعف هو أنّه نتيجة المعارضة العقليّة، والحواجز العمليّة التي سبق ذكرها.

إنّ الخطر في هذه المعارضة لدراسة اللّهجات العاميّة - التي تغلب فيما يبدو، على بعض الحلقات الفكرية في العالم العربيّ المعاصر، وبينها بعض مجامع اللّغة العربيّة - هو أنّها تناقض الأهداف الآخر لمجامع اللّغة العربيّة، فهدف المجامع الجوهريّ هو تسهيل التقدّم العلميّ والثّقافيّ على الشعب العربيّ، ولكنّ المعارضة لدراسة اللّهجات، وفضلاً عن ذلك، على اللّسانيّات عامّة، عقبة ضخمة في سبيل التقدّم العلميّ العربيّ، فليس مناسباً للعرب أن يخافوا اللّسانيّات، بل عليهم أن يتقنوها، وأن يشتركوا في نموّها وتطوّرها، وأن يستعملوها لأهدافهم العلميّة والعملية، كما يبذلون جهدهم في إتقان غيرها من العلوم.

والغريب في كلّ ذلك، هو أنّ دراسة اللّهجات العاميّة وإتقان علم اللّسانيّات قد يؤدّي أخيراً إلى انتصار الفصحى على اللّهجات العاميّة^(٣٢)، فالطبيب الذي يريد أن يقهر مرضاً - مثلاً -، لا يفرّ منه، ولا يوليّ دبره وهو يلعنه، بل يركّز اهتمامه عليه، ويسعى إلى أن يكتشف أسرارهِ حتّى يستعملها في قهر المرض، وبالمنطق نفسه نستطيع أن نقول: إنّ إقامة اللّغة العربيّة الفصحى في الحياة اليوميّة، وهجر اللّهجات العاميّة، لن يتحقّق إلّا بواسطة دراسة اللّهجات المفصّلة على المناهج العلميّة الحديثة، مثل هذه الدّراسات قد يفتح أسرار اللّهجات: سرّ سهولة استعمالها، وسرّ عمرها الطويل، وسرّ نشاطها الحيويّ، وسرّ نموّ مفرداتها وثباتها، وسرّ تأثيرها العميق في عواطف الشعب العربيّ وفي عقلية. أليس انتقال هذه الخصائص إلى العربيّة الفصحى هدف برامج المجامع (لتفصيح العاميّة)؟

أنتم ملاحظاتي الحالية بعدة اقتراحات فعلية، وهي موجهة خصوصاً إلى مجامع اللّغة العربيّة؛ لأنّي أرى فيها المنظّمات المناسبة لأيّ اهتمام باللّغة العربيّة:

١ - أن تعيّن المجامع لجنة مشتركة خاصّة، أعضاؤها علماء اللّسانيّات العرب، لتكوين

أبجدية صوتية عربية، قادرة على تمثيل كل الأصوات المعروفة في اللغات الإنسانية^(٣٣)، وأن تعمل المجامع على نشر هذه الأبجدية بين الجامعات والمعاهد العلمية العربية، التي تهتم بدراسة اللغة العربية من جميع النواحي.

٢- أن تُشجّع المجامع الدراسات اللسانية الحديثة بين العرب بصورة عامة، وخصوصاً دراسة تلك الموضوعات اللسانية التي تمثل أهمية خطيرة للعالم العربي، كالعلاقة اللسانية بين اللغة الأدبية المشتركة وبين اللغة المتكلمة الشعبية.. إلخ، وهذه المحاولة لتشجيع اللسانيات العربية يجب أن تشمل على عدة برامج، بينها محاولة تطوير مفردات اللسانيات حيثما نقصت، وتشجيع القيام بالدراسات اللسانية بواسطة منح جوائز دورية (فخرية كانت، أم مالية)، لمؤلفي دراسات لسانية مميزة، ونشر الدراسات اللسانية الجيدة في مجلاتها، وسلاسل منشوراتها، والتشجيع المعنوي والإداري للجامعات والمعاهد العربية، التي تريد التركيز على دراسة اللسانيات.

٣- أن تُشجّع المجامع -خصوصاً- دراسة اللهجات العربية العامية، بواسطة الوسائل المذكورة في الفقرة السابقة، وترجمة عددٍ من الدراسات الجيدة للهجات العربية، من اللغات الأجنبية إلى العربية.

٤- أن تُصبح المجامع رائدة في تكوين أطلس لهجيّ عربيّ. وقد اقترح بعض اللسانيين العرب تحضير هذا الأطلس من قبل^(٣٤)، ولكنه لم يتحقق حتى الآن فيما يبدو؛ لعدم توافر المعلومات الدقيقة اللازمة عن اللهجات العامية وعلاقاتها اللسانية.

وختاماً، أريد أن أكرّر تأييدي لاستعمال العربية الفصحى في كل ناحية من نواحي الحياة، ولاسيما في الأدب والصحافة والإذاعة. فمن الواضح أن العربية الفصحى هي العروة الوثقى التي تربط كل أبناء العالم العربي بثقافتهم العربية الموحدة، وتدعم وتعزّز تلك الهوية العربية، ولكن الاعتراف بأهمية الفصحى لا يُنقص من أهمية تسجيل

المعلومات عن اللّهجات العاميّة وتحليلها العلميّ، قبل أن تنقرض هذه اللّهجات نهائياً تحت ضغط وسائل الإعلام الحديثة، فتسجيل هذه المعلومات جزء مهمّ من تدوين التراث الشعبيّ العربيّ، كما أنّه خطوة ضخمة في سبيل التقدّم العلميّ في البلاد العربيّة.

الهَوَامِشُ

* جامعة شيكاغو.

١- يشكر المؤلف زميله في جامعة شيكاغو، السيّد بزركان، والأستاذ فاروق مصطفى؛ لمساعدتهما في تحسين الأسلوب، ولنصائحهما وملاحظتهما.

٢- لهجات العرب، تحقيق: الدكتور إبراهيم مدكور، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٣/١٩٧٣، ومعجم تيمور الكبير في الألفاظ العاميّة، تحقيق: حسين نصّار، القاهرة، الهيئة العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١. ونشر تيمور - أيضاً - كُتُباً عن الأمثال العاميّة، والكنيات العاميّة، وتصحيح لسان العرب، بالإضافة إلى مؤلفاته العديدة في الأدب والتأريخ العربيين.

٣- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربيّة، الطبعة الثالثة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصريّة، ١٩٦٥.

٤- عبد الرحمن أيّوب، العربيّة ولهجاتها، القاهرة، مطابع سجل العرب، ١٩٦٨، وعبد الصّبور شاهين، في علم اللّغة العامّ، القاهرة، دار العلوم للطباعة، ١٩٧٤.

٥- حسني محمود، (اللهجات العاميّة.. لماذا؟ وإلى أين؟)، اللّسان العربيّ، (٢٠)، (١٩٨٣): ص ١٧-٣٠، وخصوصاً ص ٢٧، ومحمّد حسن باكلا، اللّسانيّات العربيّة: مقدّمة وبلوغرافية، لندن: مانسل، ١٤٠٢/١٩٨٢): ص ٧٢١-٧٢٢، وعبد الملك مرتاض، العاميّة الجزائريّة وصلتها بالفصحى، الجزائر: الشّركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، ١٩٨١: ص ٥-٦، (أشكر زميلتي باسمه بزركان لإعلامي بهذا المرجع)، وعبد الصّبور شاهين، في علم اللّغة العامّ: ص ٩٩، ومابعدهما، وإبراهيم مدكور، في مقدّمته إلى أحمد تيمور باشا، لهجات العرب القاهرة، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ١٩٧٣: ص ٨-٩، وإبراهيم مدكور، مع الخالدين: مجمع اللّغة العربيّة في عيده الخمسين، القاهرة، ١٩٨١: م ١، ص ٤٨-٥٠.

٦- أنظر: إبراهيم مدكور، مجمع اللّغة العربيّة في ثلاثين عاماً، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريّة، ١٩٦٤: م ١، ص ٤٦-٥٠. يذكر عبد الحليم منتصر - أيضاً - تكوّن لجنة اللهجات بين لجان المجمع المصريّ في مقالته (الاتحاد العلميّ العربيّ)، اللّسان العربيّ، العدد (١)، (١٩٦٤): ص ٩٣. أنظر - أيضاً - عبد العزيز بن عبدالله، (العاميّة والفصحى في القاهرة والرباط)، اللّسان العربيّ، العدد (٢٢)، (١٩٨٤): ص ٥٨، ومحمّد أديب السّلاويّ، (مشكلة الصّراع بين الفصحى والعاميّة في الوطن العربيّ)، اللّسان العربيّ (٣)، (١٩٦٥): ص ٧٣، ومحمّد داود، (بين الفصحى والعاميّة)، اللّسان

العربي (٢)، (١٩٦٥): ص ١٦-١٩.

٧- محمود فهمي حجازي، (اتجاهات الدِّراسات اللُّغوية في مصر المعاصرة)، أشغال ندوة اللِّسانيات واللُّغة العربيَّة، تونس، ديسمبر، ١٩٧٨: ص ٣٧.

٨- يلاحظ حجازي أنَّ تأسيس المعهد كان نتيجة نشاط بعض علماء اللِّسانيات من جامعة لندن في إنكلترا، ويقول: إنَّ الاهتمام بهذا المعهد قد قلَّ في السَّنوات الأخيرة، -أي: قبل أن يكتب مقالته في عام ١٩٧٨-.

٩- درس باحثون كثيرون اللهجات العربيَّة القديمة، مع أنَّ الموادَّ المتعلِّقة بها محدودة جدًّا. فأهمُّ هذه الدِّراسات وأدقُّها، هي: أحمد علم الدِّين الجندي، اللهجات العربيَّة في الثَّراث، القاهرة، مطابع الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، بدون تاريخ، (١٩٧٤ تقريباً). وانظر -أيضاً-: عبد الصُّبور شاهين، في علم اللُّغة العامِّ: ص ١٥١-١٦٤، وإبراهيم أنيس، في اللهجات العربيَّة، وأحمد نصيف الجنابي، ملامح من تاريخ اللُّغة العربيَّة، بغداد، وزارة الثَّقافة والإعلام، دار الرِّشيد للنشر، ١٩٨١: ص ٣٣-٤٩، وصبحي الصَّالح، دراسات في فقه اللُّغة، الطبعة الثَّالثة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٨: ص ٥٩-١٠٥، وإبراهيم السَّامرائي، العربيَّة بين أمسها وحاضرها، بغداد، دار الحرِّيَّة للطباعة، ١٩٧٨: ص ٥١-٥٨، وأحمد تيمور، لهجات العرب.

١٠- أنظر -مثلاً- القوائم التَّالية: عبد العزيز بن عبد الله، التعريب ومستقبل اللُّغة العربيَّة، الجزائر معهد البحوث والدِّراسات العربيَّة، ١٩٧٥: ص ٦٥-٦٧. بين (٨٥) كتاباً منشوراً تحت رعاية مكتب تنسيق التعريب، من (١٩٦١) إلى (١٩٧٤)، يوجد فقط عن اللهجات، وليس أيٌّ منها وصفاً مفصلاً للهجة عامِّيَّة (الرِّقم ١٥، والرِّقم ٤٢)، (بحوث في اللهجات لمجمع اللُّغة العربيَّة (بالقاهرة)، اللِّسان العربي (١)، (١٩٦٤): ص ١٤٦-١٥٠. بين ثلاثين بحثاً توجد تسعة أبحاث فقط عن لهجات معيَّنة، وأكثرية هذه الأبحاث ليست تحاليل علميَّة، وإبراهيم مذكور، مع الخالدين: مجمع اللُّغة العربيَّة في عيده الخمسين: م ٣، ص ١٥. لا يذكر سوى بحثين في الدِّراسات اللهجيَّة.

١١- أنظر مثلاً: محمود حسني، (اللهجات العامِّيَّة.. لماذا؟ وإلى أين؟): ص ١٧-٣٠، ومحمَّد أديب السِّلاوي، (مشكلة الصِّراع بين الفُصحى والعامِّيَّة في الوطن العربي): ص ٧١-٧٨، ومحمَّد راجي زغلول، (ازدواجيَّة اللُّغة: نظرة في حاضر العربيَّة، وتطلُّع نحو مستقبلها في ضوء الدِّراسات اللُّغوية)، اللِّسان العربي (١٨)، (١٩٨٠): ص ٢١-٣٨، وأحمد حسن الزِّيَّات، (مجمع اللُّغة العربيَّة بين الفُصحى والعامِّيَّة في الوطن العربي): ص ٧١-٧٨، ومحمَّد راجي زغلول، (ازدواجيَّة اللُّغة: نظرة في حاضر العربيَّة، وتطلُّع نحو مستقبلها في ضوء الدِّراسات اللُّغوية)، اللِّسان العربي (١٨)، (١٩٨٠): ص ٢١-٣٨، وأحمد حسن الزِّيَّات، (مجمع اللُّغة العربيَّة بين الفُصحى والعامِّيَّة)، مجلَّة اللُّغة العربيَّة

بدمشق (٣٢)، (١٩٥٧): ص ١٨١-١٨٨، وعارف النكدّي (اللغة العربية) بين العاميّة والفصحى، مجلّة مجمع اللغة العربيّة بدمشق (٣٢)، (١٩٥٧): ص ١٨٩-٣٠٣، وساطع الحصري، (حول الفصحى والعاميّة)، مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق (٣٢)، (١٩٥٧): ص ٢٣١-٢٦٦، وساطع الحصري، (قضيّة الفصحى والعاميّة)، اللسان العربي (١٣)، (١٩٧٦): ص ٣١-٣٣، وعلي حسن عودة، (بين اللغة العربيّة الفصحى والعاميّة)، ومجلّة مجمع اللغة العربيّة بدمشق (٣٢)، (١٩٥٧): ص ٢٠٤-٢٠٧.. إلخ.

١٢- فبينها، مثلاً: عبد الملك مرتاض، العاميّة الجزائرية وصلتها بالفصحى، ومحمد رضا الشّيباني، أصول ألفاظ اللهجة العراقية، بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٦، وعبد الخالق خليل الدّباغ، معجم أمثال الموصل العاميّة، الموصل مطبعة الهدف، ١٩٥٦، وحازم البكري، دراسات في الألفاظ العاميّة الموصلية، بغداد: مطبعة أسعد، ١٩٧٢، ويونس الشّيوخ إبراهيم السّامرائي، الكنايات العاميّة في سامراء، بغداد، مطبعة دار البصري، بدون تأريخ، وعبد العزيز بن عبدالله، (أصول الفصحى في العاميّة المغربيّة)، اللسان العربي (١): ص ١٣٤-١٤١، ومحمد داود، (معجم اللغة العاميّة بتطوان)، اللسان العربي (٣)، (١٩٦٥): ص ٢٦٢-٢٦٥.

١٣- عبد المنعم سيّد عبد العال (لهجات شمال المغرب: تطوان ومحوها)، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٦٨.

١٤- أنظر: رضا بوكراع، (المعنى الأيديولوجي لتطبيق النظرية الألسنيّة على اللغة العربيّة)، في أشغال ندوة اللسانيّات واللغة العربيّة، تونس، ديسمبر ١٩٧٨: ص ٤٠٩: دور اللغة العربيّة في تركيز الهوية العربيّة القوميّة على الهوية الدّينيّة الإسلاميّة.

١٥- تتوافر الكتب والمقالات عن أهداف الاستعمار اللّغويّة وتأثيره في البلاد العربيّة، ومن أهمّها مايلى: نفوسة زكريا سعيد، تأريخ الدّعوة إلى العاميّة وآثارها في مصر، الطبعة الثانية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠، عائشة عبد الرحمن (بنت الشّاطي)، لغتنا والحياة، القاهرة، مطبعة الجبلاوي، ١٩٦٩: ص ١٠٠-١٩٠. عن محاولات تأسيس اللهجة المحليّة في مصر واللغة الفرنسيّة في الجزائر: أحمد نصيف الجنابي، ملامح من تأريخ اللغة العربيّة: ص ٢٦٧-٢٧٨، مجهول (دفاع عن اللغة العربيّة الفصحى)، مجلّة الهلال العدد (٩) سنة (١٩٠٢): ص ٢٧٩-٢٨٢، تکرّر الطبع في حصاد الفكر العربيّ: في اللغة العربيّة (بيروت مؤسّسة ناصر للثقافة، ١٩٨١: ص ٢٤٣-٢٥٠)، (أشكر زميلي فاروق مصطفى لإطلاعي على هذا المرجع القيم)، عزة دروزة، (ردّ على دعوة سلامة موسى إلى هجر الفصحى واصطناع العاميّة)، مجلّة الزّهراء (صفر ١٣٤٥): ص ١١٦-١٢٣، تکرّر الطبع في المصدر نفسه: ص ٢٥١-٢٦٠، محمود أديب السّلاوي، (مشكلة الصّراع بين الفصحى والعاميّة في

الوطن العربيّ)، محمّد راجي زغلول، (ازدواجيّة اللّغة)، وحسني محمود، (اللّهجات العاميّة.. لماذا؟ وإلى أين؟): ص ٢٧، ياسين رفاعية، (اللّغة العربيّة بين مؤيّدتها ومعارضها)، اللّسان العربيّ (٦)، (١٩٦٨): ص ٣٤-٣٧، فاضل الجمالي، (العربيّة بين حُماها وغُزاتها)، اللّسان العربيّ (٦)، (١٩٦٨): ص ٢٣-٣٣.

١٦- رضا بوكواع، (المعنى الأيديولوجيّ للنظرية الألسنيّة على اللّغة العربيّة): ص ٤١٠، وأنظر -أيضاً- الرأي نفسه عند عارف النكدي، (اللّغة العربيّة بين الفُصحى والعاميّة): ص ١٩٤.

١٧- مثلاً: عبد الرّحمن أيّوب، العربيّة ولهجاتها: ص ١، وحسني محمود، (اللّهجات العاميّة.. لماذا؟ وإلى أين؟): ص ٢٨، ومحمّد حسن باكلا، اللّسانيّات العربيّة: مقدّمة وبلوغرافية: ص ٧٢١، وعبد الملك مرتاض، العاميّة الجزائريّة وصلتها بالفُصحى: ص ٦.

١٨- ونجد مثلاً آخر يؤيّد تحليلنا في مقالة ساطع الحصريّ المهمّة، (حول الفُصحى والعاميّة)، ومن الموضوعات التي يبحثها، موضوع انتشار اللّغة الفرنسيّة الرّسميّة في كلّ أنحاء فرنسة الحديثة، على الرّغم من وجود اختلافات خطيرة بينها وبين بعض اللّهجات المتكلّمة، ولاسيّما في جنوب فرنسة، تحت تأثير عوامل سياسيّة ودينيّة، فيما بين القرنين الخامس عشر والتاسع عشر. أنظر -أيضاً- مقالته اللّغة العربيّة واللّغة اللاتينيّة (مقارنة تاريخيّة)، اللّسان العربيّ (١٤)، (١٩٧٦): ص ٥٣-٦٣، وعبد الغفّار حامد هلال، اللّغة بين الفرد والمجتمع، اللّسان العربيّ (٢٣)، (١٩٨٤): ص ١٣-٤٥، ص ٣٤ ومابعدها في تأسيس لهجتي فيرنزة كلغتين رسميتين، هما: (الإيطاليّة)، و(الفرنسيّة).

١٩- أنظر -مثلاً- محمّد سالم محيسن، المقتبس من اللّهجات العربيّة والقرآنيّة، القاهرة، مكتبة القاهرة، ١٣٨٩/١٩٧٨. وأنظر -أيضاً-: صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللّغة: ص ١٠٩، وبنّت الشّاطي، لغتنا والحياة: ص ٣٩-٥٦، وعبد الرّحمن أيّوب، العربيّة ولهجاتها: ص ٣٩-٤١، وعبد الصّبور شاهين، في علم اللّغة العامّة: ص ١٥١-١٥٧، وأحمد نصيف الجنابي، ملامح من تاريخ اللّغة العربيّة: ص ٢٣، ومحمّد ناجي زغلول، (ازدواجيّة اللّغة): ص ٢٥-٢٦.

٢٠- أنظر أحمد نصيف الجنابي، ملامح من تاريخ اللّغة العربيّة: ص ٢٣-٢٤.

٢١- أنظر (اللّغة العاميّة توأمة اللّغة الفُصحى)، مجلّة المقتطف، العدد (٤١)، (٦)، (١٩١٢)، ص ٥٧٥-٥٨٢، تکرّر طبعها في حصاد الفكر العربيّ: في اللّغة العربيّة: ص ٢٧٥-٢٨٩، وعبد الرّحمن أيّوب، العربيّة ولهجاتها: ص ٣١-٣٤، يقول الجنديّ، اللّهجات العربيّة في التّراث، ص ٩٩: «ويمكننا.. أن نقول بأنّ العاميّة العربيّة الحديثة أقدم من الفُصحى على الزّمن..»، ويُشارك في هذا الرأي أحمد تيمور باشا، أنظر: محمّد أديب السّلاوي، (مشكلة الصّراع بين الفُصحى والعاميّة في الوطن العربيّ): ص ٧٣. ومسألة أصل العربيّة الفُصحى لاتزال غامضة: أنظر علاج

هذا الموضوع في: أيوب، العربية ولهجاتها: ص ٣٨-٤١. ويقول إبراهيم مذكور، في مقدمته لكتاب (لهجات العرب)، لأحمد تيمور باشا: أن في اللهجات القديمة (أصولاً للفصحى).

٢٢- مثلاً: إبراهيم محمد نجا، اللهجات العربية، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٧٢، ص ٣: «تفرّعها -أي: اللغة الفصحى- إلى لهجات إقليمية...»، قارن -أيضاً- ص ١١، عارف النكدي، «اللغة العربية بين الفصحى والعامية»: ص ١٩١-١٩٣، وعبد الفتاح عبادة، (تأريخ اللغة العامية ومن كتب بها)، الهلال، ٤/٣٥، (١٩١٧)، ص ٢٨٠-٢٨٧، تكرر طبعها في: في اللغة العربية: ص ٢٦١-٢٧٤، ومحمد عبد المولى (الفصحى واللهجات: قراءة جديدة وملاحظات)، اللسان العربي (١٧)، (١٩٧٩): ص ٨٥-٩١.

٢٣- نجا: ص ٥٥-٥٧، والنكدي: ص ١٩٦-١٩٨. وهذا الرأي، كالرأي السابق، قديم الأصل، أنظر -مثلاً-: ابن خلدون، المقدمة، بغداد: مكتبة المثنى، بدون تاريخ: ص ٥٥٤، وما بعدها، (في أن اللغة ملكة صناعية)... إلخ.

٢٤- أنظر -مثلاً-: النكدي: ص ١٩٦.

٢٥- من المؤلفات الأخيرة التي تُردّد هذه الأفكار: عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام: ص ١٤٩-١٥١، وإبراهيم محمد نجا، اللهجات العربية: ص ٥١-٥٤، وإبراهيم مذكور، في مقدمته لكتاب (لهجات العرب)، لأحمد تيمور باشا: ص ٨، وعبد العزيز بن عبد الله، التعريب ومستقبل اللغة العربية: ص ٩٧-١٠٣، والمؤلف نفسه، (اللغة الأم)، اللسان العربي (١١)، (١٩٧٤): ص ٧-١١، وأحمد عبد الرحمن السايح، (اللغة العربية بين اللغات السامية)، اللسان العربي (٧)، (١٩٧٠): ص ٣٢-٤٣. ويوجد عرض سليم لعلاقة العربية باللغات السامية الأخر في: صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة: ص ٤٧-٥٨، والواقع أن اللغات العربية الجنوبية، واللغات الآرامية، هي لغات سامية مستقلة عن العربية من حيث الصوتيات والبناء... إلخ.

٢٦- مثلاً: إبراهيم محمد نجا، اللهجات العربية: ص ٧-٩: «... اللهجة ترجع إلى الأصوات؛ ولذلك كان أبرز مميّز بين لهجة وأخرى هو الاختلاف الصوتي في أغلب الأمر...»، (ص ٨).

٢٧- في الصعوبات التي تواجه الباحث الذي يريد أن يحدّد (جماعة لغوية)، أنظر عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام: ص ١٠٣-١١٢. وفي أصول الاختلافات اللهجية، أنظر: أيوب، العربية ولهجاتها: ص ٢٣-٣١.

٢٨- خطأ خليل محمود عساكر خطوة أولى في هذا الاتجاه في مقالته: (طريقة كتابة نصوص اللهجات العربية بحروف عربية)، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (٨)، (١٩٥٥): ص ١٨١-١٩٢، ولكن لا يتبيّن أن اللسانيين العرب اقتنعوا باقتراحاته. وبالفعل لا يمكن تحديد الأصوات اللغوية بدقة كاملة،

ولكن استعمال الأبجدية الصوتية الدولية يُمكن الباحث من أن يصف الأصوات في مجالٍ دقيق جداً، ومن ثم أن يحددها على نحوٍ أفضل بكثير مما يمكن لأية أبجدية عادية. ولنلاحظ هنا أن اللسانيين الأمريكيين يستعملون أبجدية صوتية تختلف عن الأبجدية الصوتية الدولية في كثير من حروفها، ولكنها مؤسسة على المبدأ نفسه، أي: استخدام الحروف كافة للتعبير بدقة عن المجال الصوتي الكامل، وللتمييز بين الأصوات المتشابهة جداً.

٢٩- في تأثير العامية المتجدد على اللغة الفصحى، أنظر ملاحظات أحمد حسن الزيات، (مجمع العربية بين الفصحى والعامية): ص ١٨١-١٨٨.

٣٠- كما لاحظ عبد السلام المسدي، (الفكر العربي والألسنية)، أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية (تونس ١٣-١٩ ديسمبر ١٩٧٨): ص ١٥-١٧. ونأمل أن يزيد عدد المقالات من مثل مقالة محمد عبد السلام أحمد شرف الدين، (التركيب العربي ومبدأ تعدد الأنظمة)، اللسان العربي (١٢)، (١٩٧٥): ص ١٣٩-١٥٢، ومقالة مازن الوعر، (اللسانيات والعلم والتكنولوجيا)، اللسان العربي (٢٢)، (١٩٨٤): ص ١١-٣٤.

٣١- أنظر -مثلاً-: جمعة شيخة، (اتجاهات الدراسات اللغوية في بعض مؤسسات الجامعة التونسية)، أشغال ندوة اللسانيات .. : ص ٣٤٧-٣٩٧. الأغلبية الساحقة من هذه الدراسات مكرسة لتحقيق النصوص، والصرف، والنحو التقليدي، بينما عدد الدراسات اللسانية، أو اللهجية الحديثة، محدّد للغاية، وأنظر -أيضاً- المراجع في الهامش (١٠).

٣٢- يقترح هذا: إبراهيم أنيس، اللغة بين القومية والعالمية، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠: ص ٢٣١.

٣٣- وقد يستعملون -كأساس- الأبجدية التي اقترحها الدكتور خليل محمود عساكر. (أنظر: الهامش ٢٨).

٣٤- أنظر -مثلاً-: عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام: ص ٩٩-١٠٢، ومحمد حسن باكلا، اللسانيات العربية: ص ٧٢١-٧٢٢.

مَنْ غَرِيبِ اللُّغَةِ فِي بَعْضِ لَهْجَاتِ الْجَنُوبِ

د. جليل حسّون

توارثت العديد من بيئاتنا -وبالأخص تلك التي يُقَلُّ تماسكها بالخواضر- طائفةً من غريب اللّغة، ما يبدو للوهلة الأولى أنّه من الدّخيل المُجْتَلَب من لغاتٍ أُخرى، أو أنّه من آثار تحريفٍ مُحلٍّ لاستعمالٍ قديمٍ، إلّا أنّ الرّجوع إلى معاجم اللّغة يكشف عن أصالة هذا الغريب في عروبتّه، وسلامة بنيته، مع احتفاظه بمعناه الدّقيق الذي وُضِعَ له، وجريانه على ما تحدّد له من الاستعمال.

ومن الجدير بالالتفات، أنّ هذا الغريب الذي نحن بصددّه يتميّز بكونه يقتصر على استعمالٍ محدودٍ ومحدّدٍ، لا يَرُدُّ إلّا معها، ونجده بهذه الصّفة في كتب اللّغة التي تعرّضتْ له، ومن أجل هذا ظلّ محدود الاستعمال، محتفظاً بصفة الغرابة، حتّى لا يكاد يدنو من نطاق الاستعمال الشّائع في كتب اللّغة والأدب قديماً وحديثاً.

ومما يستوقف النّظر أنّ هذا الغريب المتردّد في لهجتنا لا يتردّد فيها جميعاً، فلكلّ بيئة غريبها الذي توارثته، والذي يكون في حدّاته غريباً مجهولاً لدى البيئات الأخرى، وقد تَکَشَّفَ لنا أنّ كلّ قبيلةٍ، أو كلّ جهةٍ من جهات بلدنا تحتفظ بقدرٍ وافرٍ من هذا الغريب، يُبرزه لنا الاستعمال، ولا تنهياً إصابته إلّا بعد المخالطة الطويلة، وليس من شكٍّ في أنّه ظلّ يتردّد لدى هذه البيئات والقبائل مع امتداد بداوتها، ممّا يمكن التماسه برهاناً عن أصالة عروبتّها؛ إذ تشهد لها بذلك أقدم كتب اللّغة، وأوثق النّصوص.

وإننا نجد أن مثل هذا الغريب يقف عند حدود هذه البيئات، فإذا تعدّاها نُسي، وتناساه أهله لتظهر محله البدائل المرادفة التي تتساقط من البيئات الأخرى، ومن هنا، فإنه ربّما صحّ القول: إنّ المدن الكبيرة هي الحدود التي يقف عندها هذا الغريب، لقلّة نظائره في لهجاتنا؛ إذ إنّ شيوع اللهجات السائدة فيها، وتعدّد الموارد والمصادر للهجاتها، يؤدّي إلى أن يذوب لدرجة كبيرة ما ينصبّ إليها من غريب الاستعمالات الوافدة إليها، ليستخلص منه بمرور الزمن ما يُيسّر التفاهم بينهم، ويُتخلّص منه ما يؤلّف لغة واحدة يفهمها الجميع؛ ذلك لأنّ الاحتكاك الدائم بين أبناء المدينة الواحدة الناشيء عن تشابك المصالح بينهم يؤدّي إلى هذا التوحد والتقارب في الغالب، فنجد أنّ الهابطين من الأرياف يتخفّفون عمّا لديهم ممّا يرونه غير معروف عند مواطنهم من أبناء هذه المدن، ولا يمكن إغفال أثر وسائل الإعلام في هذا الشأن، كالراديو، والتلفاز، والصّحافة، فضلاً عن تأثير المدرسة، ما يترتب عن هذا كلّ أن تنساب بين الناس لغة أقرب إلى لغة الصّحافة، فيها المانوس المؤلف، والشائع الذائع بينهم.

ومما يؤثّر في هذا الشأن -أيضاً- أنّ الكثير من المواطنين الذين يتهيّأ لهم اتّصال بالبيئات المتحضّرة ونصيب من التعلّم، يتجنّبون استعمال كثير ممّا لديهم، ظناً منهم أنّه ليس من صالح القول، أو أنّه يُوقع في شبهة البداوة وعدم التحضّر، وهم من أجل هذا ينحرفون عنه إلى غيره ممّا يجدونه شائعاً عند خلطائهم، فهم -مثلاً- يُسمّون الأجرة على ركوب آية واسطة من وسائل النّقل بـ(النّول)، ويُسّمونها -أيضاً- (كروة)، لكننا نجدهم -وبالأخصّ الشّباب منهم- إذا خالطوا أهل المدن، تركوا ما عندهم، وردّدوا ما يقوله مواطنوهم من أهل المدن، وليس لدى هؤلاء إلّا لفظة الأجرة.

أمّا الأولى، وهي (النّول)، فإنّها من صميم اللّغة، ومن نادرها، فقد وردت بمعناه عندهم في حديث النبي ﷺ، وفي قصّة النبي موسى عليه السلام مع الخضر، فقد جاء في صحيح

البخاري: «فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرّت سفينة، فكلّموهم أن يحملوهم، فعفروا الخضر، فحملوهما بغير نَوَلٍ، فلما ركبا السفينة، لم يفجأ إلا والخضر قد قَلَعَ لَوْحاً من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قومّ حملونا بغير نَوَلٍ، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها، لقد جئت شيئاً إمرأاً»، وهي مصدر للفعل (نال- ينال- نَوَلًا).

وأما الثانية، وهي (الكروة)، فقد وردت بمعناها عندهم في كتب اللغة والمعاجم، وقد أوردّها ابنُ السكّيت في إصلاح المنطق، على أنّه يضبطها بكسر أوّلها، وهي عندهم مفتوحة الأوّل. ومثل هذا يهون؛ لأنّه انحرافٌ عمّا هو عربيٌّ إلى ما هو عربيٌّ مثله، لكنّ المؤسف أنّنا نجد نفراً منهم يدعونّ مالدّيه من العربيّ الفصيح الجاري على قياس اللغة، ليتداولوا الأعجميّ الغريب؛ لتوهمهم أنّ ذلك يكشف عن تبدّيهم، وأنّ هذا يُدينهم من التَحْضُر والحَضَر، فهم يُسمّون الآلة التي يُستخرج بها الطّعام من القدر بـ(المسّ)، وربّما كان أصله (الماسّ) على وزن (فاعل) من الفعل: مَسَّ، أو أصله: ألمس، على قياس اسم الآلة في مثله، ولعلّهم حذفوا إحدى الميمين اكتفاءً بواحدةٍ منها، ومثل ذلك وارد في اللغة كثيراً، ومنه حذف التاء إذا تكرّرت في الفعل، كما جاء في الآية: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، وأصله: ولا تتفرّقوا، ومهما يكن من أمرها فهي لفظةٌ عربيّةٌ لاشكّ في عروبتهما، ولكننا نجدهم إذا خالطوا أهل المدن تخلّوا عنها، واستعملوا مكانها (الجفجير)، وجليّ أنّ بنيتهُ تُفصح عن كونه أعجميّاً دخيلاً. ومثله، استعمالهم (إنجانه) مكان (معجنة)، للوعاء الذي يُعجن فيه، ولم نجد الأولى في أيّ من معاجم اللغة التي تصفّحناها، ما يُشير إلى أنّها كسابقتها.

وإنّا لنجد كثيراً من الألفاظ في عاميّتنا، قد لا نلقى له نظيراً في اللغة الفصيحة، ما يدفع إلى الظنّ بأنّه من الأجنيّ الدّخيل، الأمر الذي يستثير قدراً كبيراً من السّخط على العاميّة، وهو سَخَطٌ له ما يُبرّره حينما يكون انعكاساً لدعواتٍ مشبوهة تستهدف

من إحلال العامِّي محلَّ الفصيح تفتيت الشُّعور القوميِّ؛ تعزيزاً للكيانات القائمة الآن، المُتَحَصِّنة ضمن حدودها الموهوبة الرَّاهنة.

ويجدر بنا أن نُقَرَّ أولاً بأنَّ العامِّيَّة لا تستثير الشُّعور الإقليميَّ عند المواطن العربيِّ، بل إنَّ ذلك موكل للنوايا - كما أشرنا-، فإنَّ مقدار البعد بين لهجة المواطن من جنوب العراق، ولهجة مواطنٍ آخر من الموصل، هو كبير لدرجة تجعل التفاهم بينهما يكاد يكون متعذراً [صعباً]، إلَّا إنَّ ذلك [لا] يولّد لدى أيٍّ منهما الشُّعور بالبعد عن الآخر، أو الرّغبة بالابتعاد عنه، هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى، فإنَّ هذه العامِّيَّات المتعدّدة بين محيط وطننا العربيِّ وخليجه، إنّما هي مظهر يعكس اتّساع اللّغة [و] ثراءها، وغنى مادّتها، فليست هذه العامِّيَّات مُنبَتّة عن اللّغة الفصيحة، وإنّما هي متولّدة عنها، ومتشعّبة منها. ولئن كُنّا نجد في لهجات المدن طائفة من الألفاظ الأعجميّة استقرّت لدى العامّة من عهودٍ بعيدةٍ، أو قريبةٍ، فإنَّ هذا الأجنبيَّ في حدّ ذاته قليل بالقياس إلى الكثير ممّا يبدو في ظاهره غريباً عن اللّغة، إلّا أنّه في حقيقته من غريبها، وإذا أوغلنا في أعماق الأرياف، فإنّنا نجد مقدار ما هو أجنبيّ دخيل قليلاً جداً، إذا ما قارّناه بما هو موجود لدى القاطنين في المدن، بل يكاد يندر، أو ينعدم؛ لقلة الدّواعي التي تدفعهم إلى مخالطة الأجانب المحتلّين، وانعدام المغريات التي تدفع المحتلّين إليهم لمخالطتهم والإقامة بينهم. وإنّه لمن صالح السّعي أن نحدّد موقع مثل هذا الغريب من اللّغة الأمّ، ونوثّق صِلته بها وانتماءه إليها، لتبرئته من شبهة قد تترأى للنّاظر غير الثّبت أنّه أجنبيّ دخيلٌ. وفي لهجة مواطنينا في جنوب العراق، ولاسيّما بين أهل الرّيف منهم، الكثير ممّا يُغري بهذا الوهم، ويدفع في بنيته وصورته إلى هذا الظنّ، نجدُ من ذلك قولهم: (ثوب مسرهد)، يريدون: مُمزّق، وهو بهذا المعنى في كتب اللّغة، ففي اللّسان: «سنامٌ مسرهد: مُقَطَّعٌ قطعاً»، وإذا تحدّث أحدهم بكلامٍ لا يُرضيهم، ولا يتفقون معه فيه،

فإنهم يقولون: يُسْرِيَتْ»، ولَعَلَّه من السُّبُروت، أو السُّبْرِيت، فالأوَّل: الشَّيْءُ التَّافَهُ، والثاني: يعني الطَّوِيل من كلِّ شَيْءٍ، ولَعَلَّه يجمع الإطالة واللُّغُو. وإذا وصفوا رجلاً بأنَّه (هَكَّة)، فإنَّهم يعنون: أنَّه ساذجٌ يسهلُّ استغفاله، ولَعَلَّه من: هَجَّ، فإنَّنا نجدُ في كتب اللُّغة: «رجُلٌ هَجَّاجَةٌ: أحمق».

قال الشاعر:

هَجَّاجَةٌ مُنْتَخَبُ الْفُؤَادِ كَأَنَّهُ نَعَامَةٌ فِي وَادِي

وعن أبي زيد: «رَجُلٌ هَجَّاجَةٌ، وهو الذي لا عقلَ لَهُ وَلَا رَأْيَ». ويقولون: (هَدَّگه)، إذا ألقاه على الأرض بقوة، وفي اللسان: «هَدَقَ الشَّيْءُ، فانهَدَقَ: كَسَرَهُ، فانكَسَرَ».

ويقولون: (رمگه)، و(الرَّمگه): هي الأنثى من البراذين، ودلالة القوة تُلَمَّحُ منها، و(الرَّمگه) من ألوان الأبل -أيضاً-، وقد قيل لامرأة: أَيِّ النِّسَاءِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قالت: «بيضاءٌ وسيمَةٌ، أو رمگاءٌ جسيمَةٌ». وإذا ازدحم جمعُ من النَّاسِ، وعلا لغتهم، قالوا: «صارت صتيتة»، وفي النوادر لأبي مَسْحَلٍ الأعرابي: «ويقال: كبكة من النَّاسِ، وصتٌ وصتيتٌ، ولُمَّةٌ وثُلَّةٌ»، وإذا غاظهم من رجلٍ قعوده عن أمرٍ يستلزم منه النشاط والعمل، قالوا عنه: «گاعدٌ مَتَحْنَبُطٌ»، وهو من (أَحْبَنُطَا)، «وأَحْبَنُطَا الرَّجُلُ: انتفخ جَوْفُهُ، وقيل: هو عَظِيمُ البطنِ، وإذا امتلأ غيظاً وغضباً، فهو مُحْبَنُطِيٌّ، ويُقال: أَحْبَنُطَا الرَّجُلُ إذا امتنع، وكان أبو عبيدة يُجيز فيه تركَ الهمز، وأنشد:

إِنِّي إِذَا اسْتُنْشِدْتُ لَا أَحْبَنُطِي وَلَا أَحَبُّ كَثْرَةَ التَّمْطِي

وإذا أرادوا المبالغة في وصف أحد النَّاسِ بقصر القامة، فإنَّهم يقولون: «مُدَحَّاحٌ»، وفي اللسان: «ودَحَّاحٌ، ودُحَيْدَحَه: قَصِيرٌ غليظُ البطنِ، وقيل: المُسْتَدِيرُ المُلَمَّكَم، قال الشاعر:

أَعَرَكَ أَنَّنِي رَجُلٌ جَلِيدٌ دُحَيْدَحَةٌ وَأَنْتَ عُلْطَمِيسُ

ومن معاني القصر عندهم قولهم: (هو مُحَبَّرٌ)، وفي الإبدال لأبي الطيّب اللّغوي: «رَجُلٌ حَبَّرٌ وَهَبَّرٌ، إِذَا كَانَ قَصِيرًا»، لكننا نجد في الشّاهد النّحويّ المعروف يردُّ من (بَحَّرَ)، وهو قول كثير:

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَّيْتُ كُلَّ قَصِيرَةٍ إِلَيَّ وَمَا تَذْرِي بِذَاكَ الْقَصَائِرُ
عَنِتُّ قَصِيرَاتِ الْحِجَالِ وَلَمْ أُرِدْ قِصَارَ الْخُطَا شُرَّ النِّسَاءِ الْبَحَائِرُ
وكان قياسه أن يقول: البحائرُ، ولعلّه ممّا اعتراه القلبُ في لغة الشاعر.

ولا يقولون: قَفَزَ، أو قَمَزَ، وهما ممّا يَشِيعُ عند غيرهم لهذا المعنى، وإنّا يقولون: (نَكَزَ)، وفي اللّسان: «نَقَزَ بِمَعْنَى وَثَبَ، وَقَدْ غَلَبَ عَلَى الطَّائِرِ الْمُعْتَادِ الْوُثْبَ، وَالنَّقَزُ التَّوَثُّبُ، وَالنَّقَازُ الْعَصْفُورُ، سُمِّيَ بِهِ لِنَقْزَانِهِ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه): كَانَ يَصِلِي الظَّهْرَ وَالْجَنَادِبَ تَنْقِزَ مِنَ الرَّمْضَاءِ، أَي: تَقْفِزُ وَتَثِبُ مِنْ شِدَّةِ حَرَارَةِ الْأَرْضِ».

ويقول مَنْ اشْتَهَى نَوْعًا مِنَ الطَّعَامِ لَطَوَلَ الْعَهْدَ بِهِ: «أَنَا مُعْتَمِّمٌ عَلَى كَذَا...»، وَالْعِمِّمُ فِي كِتَابِ اللَّغَةِ، هُوَ اشْتِهَاءُ اللَّبَنِ، وَيُقَابِلُ الْقَرَمَ [وهو اشتهاؤُ] اللَّحْمِ، وَهُوَ رَجُلٌ عَيْمَانٌ، وَامْرَأَةٌ عَيْمَى، وَلَمَّا أَنْشَدَ جَرِيرُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مِرْوَانَ، قَوْلَهُ:

تَعَلَّلْ وَهِيَ سَاعِبَةٌ بَيْنَهَا بَأْنَفَاسٍ مِنَ الشَّبَمِ الْقَرَّاحِ
قال عبد الملك: لَا أَرَوِي اللَّهَ عَيْمَتَهَا.

وَهُمْ يَشْدُونَ أَوْ سَاطَهُمْ بِخِيطٍ يُسَمُّونَهُ: (الْحُكْبَ)، وَهُوَ مِنْ غَرِيبِ اللَّغَةِ، وَقَدْ وَرَدَ بِهَذَا الْمَعْنَى فِي الشَّاهِدِ النّحَوِيِّ الْمَعْرُوفِ:

أَيُّ قُلُوصٍ رَاكِبٍ تَرَاهَا طَارُوا عَلَيْهِنَّ فَشَلَّ عَلاهَا
وَاشْدُدْ بِمَشْنَى حَقَبٍ حَقْوَاهَا نَاجِيَةً وَنَاجِيًا أَبَاهَا

وَإِذَا رَأَوْا رَجُلًا طَوِيلًا يَسِيرُ مَسْرَعًا، وَقَدْ انْحَنَتْ قَامَتُهُ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: (جَاءَ يِهْبَعُ)، وَ(هَبَعَ) فِي كِتَابِ اللَّغَةِ: اسْتَعَانَ بِعُنْقِهِ عِنْدَ الْمَشْيِ، وَقَالَ الْعَجِيرُ السَّلُولِيُّ:

وَقَدْ أَقْطَعَ الْخَرْقَ الْمَخُوفَ وَأَبْتَغِي عِلَالَ الْقُلُوصِ وَهِيَ وَقَوَاءُ تَهْبَعُ
ويقولون: (مُشَنَّف)، بتشديد النون وكسر ها، في وصف مَنْ يستقبلهم بتعالٍ وغيظ،
وفي نوادر أبي زيد: «قال أبو العباس، محمد بن يزيد، يقال: شَنَفْتُ الرَّجُلَ أَشْنَفُهُ شَنْفًا،
إذا أَبْغَضْتُهُ»، وقال الشاعر:

وَجَدْتُ الْفَتَى الْحُلُولَ الْكَرِيمَ نَجَارُهُ يُزْهِدُ مَوْلَاهُ بِأَيَّامِهِ الْفَقْرُ
إذا لَمْ يَكُنْ مَالٌ يُرَى شَنَفْتُ لَهُ صُدُورُ رِجَالٍ قَدْ بَقِيَ لَهُمْ وَفْرُ
والهوسه عندهم معروفة، وقد أذاعتها وسائل الإعلام بين عامة مواطنينا، تقوم على
ضربٍ من الشعر عندهم، وقد أورد أبو زيد في نوادره هذا البيت:

تَحَسَّبَ هَوَاسٌ وَأَيْقَنَ أَنِّي بِهِامُفْتَدٍ مِنْ صَاحِبٍ لَا أَنْظِرُهُ
ثم يُعَلِّقُ عليه، بقوله: «وقوله: هَوَاسٌ، يعني: الأسد، وإنَّهَا سُمِّيَ هَوَاسًا؛ لَأَنَّهُ يَهْوَسُ
الْفَرِيسَةَ، أَي: يَدُقُّهَا»، وربما سُمِّيَ هذا الضَّرْبُ مِنَ الشَّعْرِ عِنْدَ الْعَامَّةِ بِهَذَا الْاسْمِ؛ لَأَنَّهُ
يُرَافِقُ عَنْدهم بضرَب الأرض على الصَّوْرَةِ الْمَعْرُوفَةِ.

وَمِنْ أَلْفَاظِهِم: (النَّتْشَةُ)، وهم يعنونَ بها: القليل من كُلِّ شَيْءٍ، أَخَذَ مِنْهُ نَتْشَةً،
أَوْ أَعْطَاهُ نَتْشَةً، وَفِي كِتَابِ اللُّغَةِ، النَّتْشُ: التَّفْ لِّلْحَمِ، وَنَحْوُهُ، وَالْمَنْتَاشُ، وَالْمَنْقَاشُ،
وَالنَّتْشُ: إِخْرَاجُ الشَّوْكِ بِالْمَنْتَاشِ. وَالنَّتْشُ: جَذْبُ اللَّحْمِ، وَنَحْوُهُ، وَمَعْنَى الْقَلَّةِ ظَاهِرٌ
مِنْ كُلِّ هَذِهِ الْمَعَانِي، فَالنَّتْشَةُ مَا يُؤْخَذُ بِرُؤُوسِ الْأَصَابِعِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.
وَإِذَا وَصَفُوا شَابًّا بِالزَّرَقِ وَالطَّيْشِ وَسُوءِ الْعَقْلِ، قَالُوا: (مَمْتَوْه)، وَفِي النُّوَادِرِ: «وَيُقَالُ:
مَهْرُوعُ الْعَقْلِ، وَمَمْتَوْه.. كُلُّ هَذَا بِمَعْنَى: مَسْلُوبُ الْعَقْلِ».

وَمِمَّا نَجَدُهُ عِنْدَ الْجَنُوبِيِّينَ، وَغَيْرِهِمْ، وَصْفُهُم الْيَوْمَ وَالزَّمَانَ إِذَا بَدَأَ لَهُمْ نَحْسُهُ بِأَنَّهُ:
(أَكْشَر)، فَيَقُولُونَ: «يَوْمٌ أَكْشَرُ - وَسَاعَةٌ غَشْرَةٌ»، وَفِي النُّوَادِرِ: «وَيُقَالُ: عَامٌ أَرْمَلُ
وَأَقْشَفُ، وَأَقْشَرُ، إِذَا كَانَ مُجْدِبًا، وَكَذَلِكَ سَنَةٌ رَمْلَاءُ وَقَشْرَاءُ».

ويقولون: «ذعته ذعت، وهم يريدون: أنه ضغط شيئاً في وعاء، أو كيس، حتى ملاءه عن آخره، وفي كتب اللغة والمعاجم: «ذَعَتَهُ بمعنى خَنَقَهُ»، ويرد في الإبدال على هذه الصُّور: «ذَعَطَهُ يَذْعَطُهُ ذَعْطاً»، و«زَعَطَهُ يَزْعَطُهُ زَعْطاً»، و«ذَعَجَهُ يَذْعِجُهُ ذَعْجاً»، كلُّها بمعنى الدَّفْعِ والْحَنْقِ.

وإذا وصفوا امرأةً بالطَّوِيلِ وامتداد القامة، قالوا: عيطه، وفي اللسان: «العطوط: الطَّوِيلُ، والأعط: الطَّوِيلُ -أيضاً-، وقال المتنخل الهذلي، وقيل: هو لعمر بن معد يكرب:

وَذَلِكَ يَقْتُلُ الْفَتِيانَ شَفْعاً وَيَسْلُبُ حُلَّةَ اللَّيْلِ الْعَطَاطِ

قيل: هو الجسيم الطَّوِيلُ الشَّجَاعُ».

وإذا ازدهأهم من رجلٍ نُبِّلُهُ ومروءته، وصفوه بأنَّه: (نفل)، والنفل: الغنيمة والهبة، وكلَّ عَطِيَّةٍ يَتَبَرَّعُ بها مُعْطِيها من صدقةٍ أو عملٍ خيرٍ هي نافلة، ورجلٌ كثيرُ النَّوافِلِ، كثيرُ العطايا، ونفَّله على غيره -بتشديد الفاء-، أي: فَضَّلَهُ على غيره، وكلَّ هذا يُظْهِرُ أصلَ اللَّفْظِ العامِّيِّ، ويؤدِّي إلى دلالته، فنفل، صفةٌ مشبَّهةٌ باسمِ الفاعل، أريد بها النَّافلُ بمعنى: الفاضل الجواد.

ويقولون: (لات الحب)، حول الشَّيءِ بمعنى: لَفَّه، ويستعملونه مجازاً، فيقولون: (يلوتُ لوت)، إذا بدا منه تحايلٌ في كلامه، وفي النُّوادر: «لواني فلان عن حاجتي، وثناني، ولاتني، ولاتاني، وربما جاء (اللَّوتي) عند عامَّةِ بلدنا منه، واللَّوتي عندهم الرَّجُلُ الذي يَتَبَدَّى منه دهاءٌ وتحايلٌ»، وهذا أرجح عندي ممَّا قاله أحدُ علمائنا بأنَّها من (اللَّوطي)، ثمَّ أُبدِلَتْ الطَّاءُ تاءً بتأثير النُّطق التُّركيِّ لها في عهد العثمانيِّين.

وإذا ضَيَّعَ أحدهم شيئاً زمناً ولم يره، فإنَّه يقول: (مالي بيه أهد)، وفي النُّوادر: «وقال التميمي: مالي به أحدٌ، أي: عَهْدٌ، وهي لغتهم»، وجليُّ أنَّ الخلاف فيه من أثر الإبدال.

وهم لا يقولون: أصلع للرجل بهذه الصفة، وإنما يقولون: أجلع، والأجلع: هو الذي وقف الصلع فيه عند مقدّم جبهته، قال ابن علقمة التميمي:

قَدْ أَنْكَرْتُ عَصْمَاءَ شَيْبَ لَمْتِي وَأُمَّ جَهْمٍ جَلَحًا فِي جَبْهَتِي

ولا يقولون: شَعْرٌ مُجَعَّدٌ، بل يقولون: شَعْرٌ أَعْكَشُ، وهو هذا المعنى في كتب اللغة، ففي اللسان: «وَشَعْرٌ عَكَشٌ، وَمُنْعَكَشٌ، إِذَا تَلَبَّدَ، وَشَعْرٌ عَكَشُ الْأَطْرَافِ، إِذَا كَانَ جَعْدًا».

وإذا شاءوا أَنْ يَذْمُوا أَحَدًا، وَيَصِفُوهُ بِعَدَمِ الْفَهْمِ، نَعْتُوهُ بِأَنَّهُ: كَوْدَنٌ، وَالكَوْدَنُ: الْبَرْدُونُ الْهَجِينُ، وَقِيلَ: هُوَ الْبَغْلُ، قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

فَعَادَرْتُهَا مِنْ بَعْدِ بُدْنٍ رَذِيَّةٍ تُغَالِي عَلَى عُوجِهَا كِدَنَاتِ

وقال جندل بن الراعي:

جُنَادِبٌ لَاحِقٌ بِالرَّأْسِ مَنَكِيهِ كَأَنَّهُ كَوْدَنٌ يَمْشِي بِكَالَابِ

ومن ألفاظهم التي تتردد كثيراً بينهم في مواضع الذم والزراية، قولهم: (أَغَمَ)، نَعْتًا لَمَنْ يَصْدُرُ مِنْهُ السُّوءُ فِي فِعْلِهِ وَقَوْلِهِ، وَالْغَمُّ فِي اللُّغَةِ: أَنْ يَسِيلَ الشَّعْرُ حَتَّى تَضِيقَ الْجَبْهَةُ أَوْ الْقَفَا، وَهُمْ يَعْيُونَ ذَلِكَ، قَالَ هُدْبَةُ بْنُ الْحَشْرَمِ:

فَلَا تَنْكِحِي، إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا أَعَمَّ الْقَفَا وَالْوَجْهَ، لَيْسَ بَأَنْزَعَا

وَيُسَمُّونَ الْحِلِيَّ الَّتِي تَتَحَلَّى الْمَرْأَةُ بِهَا مِنَ الذَّهَبِ: (الْحَشَلُ)، وَهُوَ هَذَا الْمَعْنَى فِي كِتَابِ اللُّغَةِ: «وَمِمَّا حَكَاهُ ابْنُ بَرِيٍّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ هَمَزَةَ، قَالَ: وَالْحَشَلُ: الْأَسُورَةُ وَالْخَلَائِلُ، بِالْإِسْكَانِ»، وَرَبَّمَا جَاءَ بِالْفَتْحِ، قَالَ الشَّيْخُ:

تَرَى قِطْعًا مِنَ الْأَخْنَاشِ فِيهِ جَمَاجِمُهُنَّ كَالْحَشَلِ النَّزِيعِ

ويقولون: جَاءَ مُدْخَلَبٌ، إِذَا جَاءَ مُنْكَسًّا رَأْسَهُ، وَدَخَلَبَ فِي مَشْيِهِ: انْحَنَى، وَفِي كِتَابِ اللُّغَةِ: دَبِحَ الْحِمَارُ وَدَلَبَحَ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ أَنْ يَنْكَسَ رَأْسُهُ، وَوَضَحٌ أَنْ صَوْرَةَ النَّطْقِ

العامِّي لها ناشئة عن القلب.

وعندهم: (انسَدَحَ)، بمعنى: استلقى على الأرض، أو على الفراش، وفي النوادر: «ويقال: سَدَحَ عندي فلانٌ، معناه: أقام، ويُقال: مررتُ بغرائرٍ مسدوحة: مطروحة»، والغرائر: الجواثق، وفي اللسان: سَدَحَ الناقة سَدْحًا: أناخها، كَسَطَحَهَا، وانسَدَحَ الرَّجُلُ: استلقى، وفَرَّجَ رجله.

وهم يُسمُّونَ الفرع من الغصن: (خِرْصَ)، وفي النوادر: «وكلُّ قضيبٍ اقْتَضَبَ من شجر، فَهُوَ خِرْصٌ، ومن ثَمَّ قيل للرُّمَح: خِرْصٌ»، وقد جاء في شعر قيس بن الخطيم:

تَرَى قِصْدَ الْمُرَانِ تُلْقَى كَأَنَّهَا تَذَرُّعُ خِرْصَانٍ بِأَيْدِي الشَّوَاطِبِ

وإذا رأوا جمهرة من الناس مندفعين صوب جهة، وقد علا صياحهم وضجيجهم، عَبَّروا عن ذلك، بقولهم: «هي هِيعَةٌ»، وفي كتب اللغة: «هَاعَ القومُ، يهيعون، هِيعًا، إذا جاعُوا، وجزعُوا، وشكُوا، والهائعةُ: الصَّوتُ الشَّدِيدُ، وقد وردَ في حديث النَّبِيِّ ﷺ: «خير الناس رجلٌ مُسِكٌّ بعنان فرسه في سبيل الله، كُلَّمَا سَمِعَ هِيعَةً طَارَ إِلَيْهَا»، ولا تحسبها من الهيئة بقلب الهمزة عَيْنًا، كما هو جارٍ في كلامهم؛ لأنَّ استعمالات هذه اللَّفْظَةِ لا تلتقي عندهم مع معنى الهيئة المعروف.

ويقولون: (تَدُوْهَنَ فلان)، إذا شَغَلَ ذهنُهُ فلم يَسْتَبِنْ شيئًا، وفي اللسان: «دَاهَ دَوْهًا: تَحَيَّرَ». ومثله، قولهم: (تَلَوْهَنِي فلان)، وهم يريدون: حَيَّرَنِي، وصرفني عما يَعْنِينِي، وفي اللسان: «التَّلَه: الحَيْرَةُ، تَلَهَ الرَّجُلُ يَتَلَه تَلَهًا: حَارَ، ورأيتُهُ يَتَلَه، أي: يتردَّد مُتَحَيِّرًا، وأنشد أبو سعيد بيتَ لبيد:

بَاتَتْ تَتَلَه فِي نِهَاءِ صُعَائِدِ

ورواه غيره: تَبَلَّد، وقيل أصله: التَّلَه، بمعنى: الحَيْرَةُ، الوَلَه، قُلِبَتْ الواو تاءً، وقيل: كان الأصل: إِتَّلَه يَأْتِلُهُ، فَادْغَمَتْ الواو فِي التَّاء، فقليل: اِتَّلَه يَتَّلَهُ، وقيل: كان أصله ذَلَه.

وبعد، فهذا قليلٌ من كثيرٍ تَجَمَّعَ لدينا مما هو شائع عندهم، انتقينا منه ما بدا في صورته وبنيته، ما يُؤهِمُ بآنه من الأجنبيِّ الدَّخِيلِ، ومن المؤسف أن مثل هذا الغريب يُوشِكُ أن يتلاشى ويُنسى بسبب الميل إلى استعمال ما هو شائعٌ وذائعٌ بين الناسِ عامّةً، لما يساورهم من أنه يقرب اللهجات ويوحّدها، والضّرر أنه ينفي عن مجال الاستعمال كثيراً من الألفاظ الأصلية في انتمائها إلى اللغة الأمّ. ولعلّنا سنصل -إن شاء الله- هذا الكلام بلاحقٍ له، نُكرِّسه لما انحرفَ عن صورته الأصلية في اللغة الصحيحة، إلى صورٍ نأت به عنها بتأثير المخالفة في نُطقه على صورة الإبدال والقلب مما أخفى فيه صورة الأصل.

المصادر

- ١- الإبدال، لأبي الطيّب اللّغويّ.
- ٢- الإبدال والمعاقبة، للزّجاجيّ.
- ٣- إصلاح المنطق، لابن السّكّيت.
- ٤- دُرّة الغوّاص في أوهام الخواصّ، للحريريّ.
- ٥- فصيح ثعلب - وذيلُهُ (ذيل فصيح ثعلب، لأبي محمّد عبد اللّطيف، البغداديّ).
- ٦- لسان العرب، لابن منظور.
- ٧- نوادر أبي زيد الأنصاريّ.
- ٨- النّوادر، لأبي مسحل الأعرابيّ.
- ٩- صحيح البخاريّ، ج ٣، ص ٢٧٨ (ليدن).

مِنَ الْفَصِيحِ الْمَهْجُورِ - تَتَبُعْ لُغَوِيَّ تَارِيخِي لِأَلْفَاظٍ مِنْ لَهْجَةِ مَيْسَانَ

صبيح حمود الشاتي التميمي

مقدمة

تناول هذا البحث دراسة جانبٍ من جوانب أحد لهجاتنا العربيّة المعاصرة؛ إذ إنّ دراسة اللهجات دراسةً علميّةً تُشكّل شرطاً من مباحث علم اللّغة الحديث، ومن خلالها تتكشف لنا أسرار أصالتها ونموّها وتطوّرها، وأثر البيئة الجغرافيّة والحياة الاجتماعيّة فيها، ومن ثمّ فهي تسجيلٌ لمرحلةٍ من مراحل حياتنا الاجتماعيّة. ومن الواضح أنّ لهجتنا المعاصرة تشتمل على ظواهر لغويّة جديرة بالدراسة، بصفة صلاتها الوطيدة باللّغة الفصحى الأصيلة، الأمر الذي دعا عدداً من الباحثين الغربيّين^(١) إلى التصدّي لدراسة اللهجات المعاصرة في مختلف أرجاء الوطن العربيّ. ونظرةً سريعةً إلى ما احتوته لهجة محافظة ميسان المعاصرة - بوصفها إحدى لهجات جنوب العراق - من ظواهر لغويّة، يتّضح لنا مدى أصالتها وصلتها بالظواهر اللّغويّة القديمة. ويمكننا هنا أن نطّلع على جانبٍ منها:

أولاً: ظاهرة الإبدال

١ - معناها هو: إقامة حركةٍ مكانَ أخرى، أو حرفٍ مكانَ آخر، مع المحافظة على سائر أحرف الكلمة وحركاتها.

٢- مَنَشَوَهَا: هي ظاهرة لغوية قديمة، اختلف اللغويون في منشئها، فابن فارس (٣٩٥هـ)، يرى أنها من سنن العرب^(٢)، أي: يمكن لقبيلة أن تعتمد النطق بكلمة واحدة، أو بنطقين متغايرين، وهو أمر لم يقل به أحد. أمّا أبو الطيّب، اللغوي (٣٥١هـ)، فيرى أنّ هذه الظاهرة ما هي إلا لغات مختلفة لمعانٍ متّقة^(٣). وهو رأيٌ مقبولٌ، استدلل عليه بأنّ القبيلة لا تتكلّم بكلمةٍ طوراً مهموزةً، وطوراً غير مهموزة، ولا بالصّادِ مرّةً، وبالسّينِ أخرى^(٤).

واختلف الرأي -أيضاً- في الحروف التي يقع فيها الإبدال. والرأي الرَّاجحُ هو أنّه لا يقع إلا إذا كان بين الحرفين علاقة صوتية، كقرب المخرج، أو الاشتراك في الصّفة، وهو رأيٌ نقله السّيرافي^(٥) (٣٦٨هـ) عن الفراء (٢٠٧هـ)^(٥)، وهناك مَنْ يرى غير ذلك. وسنعرض بإيجاز جوانب من إبدال هذه اللهجة:

١- إبدال حركة من أخرى

كقولهم: عَصِد، وَكِتَف، وَفِخَذ (بكسر الأوّل والثاني)، سواء أكان ثاني حروف اللفظ من أحرف الحلق، أم من غيرها، علماً أنّ أصل نطق هذه الألفاظ هو (بالفتح والكسر). وقد أشار سيبويه إلى نطق هذه اللهجة، أي: (بكسر الأوّل والثاني)، إذا كان ثانيه من الحروف السّتّة (حروف الحلق)، ونَسَبَ هذا النّطق إلى تميم^(٦)، ونَقَلَ لنا نطقاً آخرَ منسوباً إلى بكر بن وائل، وأناسٍ كثيرين من بني تميم -أيضاً-، هو تسكين الحرف الثّاني، حلقيّاً كان أم غيره^(٨).

وقولهم: شِعِير، وَرَغِيف، وَبِعِير (بكسر الأوّل والثاني)، وقد أثر هذا النّطق بعينه عن تميم^(٩).

وقولهم: تَدْرِي، نَكْتَب، يَعْلَم (بكسر حروف المضارعة)، وهي ظاهرة أصيلة، وصفها سيبويه^(١٠)، وابن سيده^(١١) بأنّها لغة جميع العرب، إلا أهل الحجاز، ونعت اللّغويون

كَسَرَ تاءِ المضارعة بـ (تَكَلَّتْ بهراء) ^(١٢)، وقد نَصَّ سيبويه على أنَّ تميماً لا يكسرون الياء ^(١٣)، وما ذكره من أمثلةٍ من كسر ياء المضارعة عدّها من باب الشذوذ ^(١٤)، وقد أحصى بعض الباحثين المُحدثين ألفاظاً كُسِرَتْ فيها الياء عند قبائل عربيّة ^(١٥).

٢. إبدال الحروفِ

أ- إبدال الهمزة عَيْناً

هو إبدال قديمٌ معروفٌ، عَزِيَ إلى تميم على الأشهر، يتوافر فيه قرب مخرَجِي الصّوتين، وهو غاية في تحقيق الهمزة، نعتة اللّغويّون بـ (العنعنة) ^(١٦). ولا تختصّ هذه الظاهرة في إبدال الهمزة عَيْناً من (أن)، كما هو مشهور في الكتب اللّغويّة القديمة ^(١٧)، بل شَمَلَ كلماتٍ أُخِرَ جاءت بها الهمزة عَيْناً، أو لاماً، نظير:

زُؤاف وزُعاف

السَّاف والسَّعَف

كَنَأ وكَنَع ^(١٨)

ومن هذا، قولهم في لهجة ميسان:

سُعَال في سُوَال

هَيْعَة في هَيْأَة

جَعَر في جَأَر

ب- إبدال الجيم ياءً

وهو إبدالٌ معروفٌ، له ما يسوّغه من العلاقة الصّوتيّة بين الجيم والياء، فكلاهما مجهورٌ، ومن الحروف الشّجريّة ^(١٩)، كما أنّه لهجةٌ منقولةٌ نُسِبَتْ إلى تميم، تناقلتها كُتُبُ

اللغة في أمثلة مشهورة، منها:

يَار فِي جَار

صَهْرِي فِي صَهْرِيح

وَشِيرَة فِي شَجَرَة^(٢٠)

وَمِنْ هَذَا الْإِبْدَالِ، قَوْلُهُمْ:

دِيَايَة فِي دَجَا جَة

بِزِيرَة فِي جَزِيرَة

يَمُرُّ فِي جَمْر

ج- إِبْدَالُ السَّيْنِ صَادًا

قال ابن جني: «إذا كان بعد السَّيْنِ غَيْنٌ، أو خَاءٌ، أو قافٌ، أو طاءٌ، جاز قلبُها صادًا»^(٢١). والمرادُ هو وجود صوتين متماثلين متجاورين، وعِلَّةُ هذا الإبدال تكْمُنُ في السَّيْنِ، فهو حرف مُسْتَعْلٍ (من حروف الاستعلاء)، وبقية الحروف المذكورة مُسْتَعْلِيَة -أيضاً-؛ فَمِنْ أَجْلِ تَقْرِيبِ الصَّوْتِ مِنَ الصَّوْتِ -كما يرى ابن جني-^(٢٢)، قلبوا السَّيْنَ إلى اختها الصَّاد المُسْتَعْلِيَة، كذلك أَنَّ السَّيْنَ وَالصَّادَ مَهْمُوسَتَانِ، وَمِنْ حُرُوفِ الصَّفِيرِ وَالرَّخَاوَةِ، وَمَخْرَجُهَا وَاحِدٌ، وَلَا يَخْتَلِفَانِ إِلَّا فِي الْإِطْبَاقِ^(٢٣).

وَمِنْ هَذَا، قَوْلُهُمْ:

الصَّخَامُ فِي السَّخَامِ

الصَّخْلُ فِي السَّخْلِ

صَلَخَ فِي سَلَخَ

د- إبدالُ القافِ أصواتاً أُخَر

١ - نطقُ القافِ كافاً (بين القاف والكاف)، قال ابن فارس (٣٩٥هـ): «فأما بنو تميم، فإنهم يلحقون القاف باللهاء حتى تغلظ جداً، فيقولون: القيوم بين الكاف والقاف، وهذه لغة فيهم»^(٢٤). وهذا الصوت ليس كافاً خالصة، بل هي يَيْنَ يَيْنَ، قد وصَفَها ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) بأنها «تحدث حين تحدث الكاف، إلا إنها أدخل قليلاً، والحبس أضعف»^(٢٥)، وسَمَّاه بعضهم: بـ «القاف المعقودة»^(٢٦).
ومن هذا النطق، قولهم:

گال في قال

گبل في قبل

٢ - وقد أبدلوا القاف كافاً خالصةً، نظير ما روثه لنا كُتِبُ اللُّغة من الألفاظ التي تتعاقبُ فيها الكاف والقاف^(٢٧)، فقالوا:

وكت في وقت

كتل في قتل

٣ - وأبدلوا القاف عَيْنًا، فقالوا:

غربان في قربان

ولهذا الإبدال نظائر روثه المعاجم العربيّة، نظير:

غمس وقَمَسَ^(٢٨) / وغشم وقَشَمَ^(٢٩)

ويُرجع الدكتور إبراهيم أنيس^(٣٠) شبه نطق القاف المشوب بالغين إلى وصف القدماء للقاف القديمة.

هـ- وأبدلوا الكاف شِيناً.

وهو إبدالٌ معروفٌ، نعتُهُ اللَّغَوِيُّونَ بـ(الكشكشة)، التي نسبها سيبويه إلى أناسٍ من تميم، وأناسٍ من أسد^(٣١)، ونسبها غيره إلى ربيعة^(٣٢).

وللقدماء في صورة الكشكشة رأيان:

الأول: أنَّها إبدالٌ كافٍ المؤنَّثِ شِيناً من أجل الفصل بين المذكر والمؤنَّث، نحو: (أكرمتش)^(٣٣).

الثاني: أنَّها شينٌ تلحق كافِ المؤنَّث، نحو: (أكرمتكش)^(٣٤).

أمَّا الكشكشة في هذه اللهجة، فهي من النوع الأول، الذي يتحقَّق بإبدال كافِ المؤنَّث شِيناً:

فقالوا: (عliš - منش - مالش)، لكنَّهم ينطقون الشَّينَ جِماً فارسيَّةً.

ثانياً: حذفُ الهمزِ وتسهيله

انقسم العرب منذُ القديم في تحقيق هذا الصَّوت الشَّدِيد، الذي يخرجُ من الحلق^(٣٥)، أو حذفه، أو تسهيله، فمالت قبائل -ومنهم بعض تميم- إلى تحقيقه، وبه أخذتِ الفُصحى، ومالت قبائل أُخر -ومنهم قبائل حجازيَّة- إلى حذفه أو تسهيله، وقول أبي زيد يُوَضِّح ذلك، قال: «أهلُ الحجاز وهذيل، وأهل مَكَّة والمدينة، لا يَنْبِرُونَ، وقف عليها عيسى بن عمر، فقال: ما آخذُ من قولِ تميم إلَّا بالنَّبر، وهم أصحاب نبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نَبَرُوا»^(٣٦)، يُريدُ بالنَّبر تحقيق الهمز. ولهجة ميسان كسائر اللهجات العربيَّة في العصر الحديث، مالت إلى الحذف، أو التَّسهيل بالإبدال، فقالوا:

في الحذف:

ساس في أساس

مره في امرأة

وسما في سماء

وفي التسهيل:

سبائب في سبائب

ويأمر في يأمر

ويونس في يؤنس

وبري في بريء

وسوء في سوء

ثالثاً: القلب

والمراد به تقديم أو تأخير أحد حروف اللفظ الواحد مع حفظ معناه^(٣٧)، ومن دون التقيّد بصور محدّدة في القلب.

نظير: (عميق، ومُعِيق / ومُكْفِهَر، ومُكْرَهَف^(٣٨) / وعَاث، وعَثَا)^(٣٩).

وقد اختلف اللّغويون في منشئه، فيرى ابن فارس^(٤٠): «أنّه من سُنَن العرب»، ونقل ابنُ دُرَيْد^(٤١): «عن قوم من النّحويّين أنّ هذه الألفاظ المقلوبة، ما هي إلّا لهجات لقبائل عربيّة»، نظير: جَذَبَ الشّيءُ، أمّا جَبَدَ، فهي لهجةٌ تيميّة^(٤٢).

وهناك مَنْ أنكر القلب، كابن دُرستويه^(٤٣).

ومن هذا القلب، قولهم:

أيس في يئس

جوز في زوج

صدق أو صدق في صدق^(٤٤)

وسربوت ومسربت في سبروت

رابعاً: المخالفةُ

والمُرَادُ بها وجود صوتين متماثلين متجاورين في كلمةٍ واحدةٍ، فيميلُ الاستعمال إلى قلب أحدهما إلى صوتٍ آخر لتتمَّ المخالفة بينهما. والأصوات التي يُصار إليها في القلب هي أصوات اللّين: (الواو، والياء)، وعلى الأكثر قد يُستعان بالأصوات الشبيهة بها، وهي: (اللام، والميم، والنون، والراء).

وهذه الظاهرة قديمة، عرض لها سيبويه^(٤٥)، ومثَّل لها بالألفاظ: (تَسَرَّبْتُ، وَتَظَنَّيْتُ وَتَقَصَّيْتُ)، وَنَعَتَهَا بالشَّدُوذِ، وَعَلَّلَهَا بكراهية التضعيف، الذي فَسَّرَه المحدثون بقولهم: «إِنَّ الصَّوْتَيْنِ المتماثلينِ يَحْتَاجَانِ إلى مَجْهُودٍ عَضَلِيٍّ لِلنَّطْقِ بهما في كلمةٍ واحدةٍ، ولتيسير هذا المجهود يُقَلَّبُ أَحَدُ الصَّوْتَيْنِ إلى تلك الأصوات التي لا تستلزم مَجْهُوداً عَضَلِيّاً، كأصواتِ اللّينِ وأشباهها»^(٤٦)، وَمِنْ هذا قولهم:

بَدَيْتُ فِي بَدَدْتُ

فَكَّيْتُ فِي فَكَكْتُ

تَكْرَمَشُ فِي تَكَمَّشُ

خامساً: ظاهرة الانسجام بين الحركات

الانسجامُ هو تأثر بعض الأصوات بالبعض الآخر حين المجاورة، وهي ظاهرةٌ عامَّةٌ، عاشتها أغلب اللّغات، وسُمِّيَتْ بالمِثَالَةِ^(٤٧)، والمُرَادُ أَنَّ الكلمة قد تشتمل على حركاتٍ متباينةٍ متنافرةٍ، فيميل السَّيَاقُ إلى تسوية هذا التباين والتقريب بين التنافر، من أجل إيجاد الانسجام بين الحركات المتعاقبة، وإلى هذا أشار ابن جني^(٤٨)، بقوله: «واعلم أنَّك كما قد تجد هذه المضارعة وهذا التقارب بين الحروف، فقد تجده -أيضاً- بين الحركات»، أما تعليل هذه الظاهرة، فَيَتَّضِحُ من قول سيبويه: «فأراد أن يكون العملُ

من وجهٍ واحدٍ»، وقوله -أيضاً-: «أراد أن يقربوها منها..... إلتماس الخفة»^(٩). وردَّ المحدثون^(١٠) هذا التعليل، فقالوا: «إنَّ الدافع الأساس في الميل إلى المماثلة، أو المخالفة، هو الاقتصاد في الجهد العضليّ في أثناء النطق». ومن هذا الانسجام، قولهم:

يُوم (بالضمّ الخالص)، في: يوم: فريف محافظة ميسان يحركون الياء بالضمة الخالصة، بخلاف نطق أهل المدينة، وعامة العراقيين، فإنهم ينطقونها بفتحة مشوبة بالضمّ. وكذلك: بيت (بالكسر الخالص)، في: بيت، وليل (بالكسر الخالص)، في: ليل، فتحرّك الياء واللام بالياء نفسها، أي: بكسرة خالصة، ويتّضح هذا أكثر من المثني، فيقال: بيتين، وليلين، بالكسر الخالص، ومن هذا -أيضاً- قولهم:

حيرة (بالكسرة)، في: حيرة، غيرة (بالكسر)، في: غيرة.

فهنا نجد أن الحركة المركّبة قد تطوّرت إلى كسرة خالصة، وعلى العموم، فهذه ظواهر لغوية جديرة بدراسة علميّة متخصصة تكشف عن أصالتها وصلتها بالفصح القديم. أمّا بحثنا هذا، فقد اهتمّ بدراسة جانبٍ واحدٍ من جوانب لهجة ميسان المشار إليها، وهو جانب الألفاظ التي خيّل لكثيرٍ من الناس أنها ألفاظ بعيدة عن الفصحى، وقد تكفّل البحث بالكشف عن عريبتها السليمة في المصادر اللغوية القديمة، وفي أقوال اللغويين، كأبي زيد، والخليل، وابن السكّيت، والمفضل بن سلمة، والأزهري.

ولا بدّ هنا من الإشارة إلى الأمور الآتية:

١- إنَّ عدداً من الألفاظ المذكورة قد تُستعمل في مساحاتٍ لغويّةٍ أخرى، أي إنّها غير مُقيّدة باللهجة المذكورة.

٢- لم يكن الاستقراء تامّاً لكلّ الألفاظ الأصليّة، بل يمكن أن تكون الألفاظ المذكورة نواة لدراسة شاملة متخصصة في هذه اللهجة.

٣- يُمكن أن يُعدَّ هذا البحث مكمّلاً لدراسةٍ مقارنةٍ قام بها الأستاذ الدكتور

إبراهيم السامرائي، نشرها في مجلّة مجمع اللغة العربيّة بدمشق، الجزء الثالث، المجلّد الخامس والأربعون.

(بَابُ الْأَلْفِ)

(بَابُ الْبَاءِ)

(بحثر): يُقال: بَحَثَر، أي: فَرَّقَ وَشَتَّتَ، واشتَقَّوا منه (مُبَحَثَر)، وهو فصيح، قال ابن السكّيت: بحثروا متاعهم، وبعثروا، أي: فَرَّقُوهُ^(٥١).

(برك): وَتُطْلَقُ عَلَى الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ، بِمَعْنَى: قَعَدَ وَأَنَاخَ، وهو فصيح، قال ابن السكّيت: تقول أَنَحْتُ البعير فبرك، وقال: العَطْنُ مَبَارِكُ الْإِبِلِ^(٥٢).

(بَلَمَ): لَا تُبْلَمَ، أو هذا (مُبْلَم)، أي: غير راضٍ، ومعتزٍ على الفعل، وهو فصيح، قال الأصمعي: لَا تُبْلَمَ، معناه لَا تُتَّبَحَّ فَعْلُهُ وتفسده^(٥٣)، والمعنى متقارب.

(به به): يُقال عند التعجب: (بَهْ بَهْ)، وهو فصيح، قال ابن السكّيت: يقال: بَخَ بَخَ، وَبَهْ بَهْ^(٥٤)، إِذَا اتَّعَجَّبَ مِنَ الشَّيْءِ، ومثْلُ ذَلِكَ ذَكَرَ ثعلب^(٥٥).

(بهر): يُقال: انبَهَر فلان، أي: دُهَشَ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ، وهو مطاوع (بهر)، وهو نفسه في الفصح^(٥٦).

(بور): يُقال: بور، للأرض التي تُزْرَع، وباير: للشَّيْءِ الكاسد، وهو فصيح، قال أبو عبيد: البور: الأرض التي لَمْ تُزْرَع، وقيل: بارت البياعات إِذَا كَسَدَتْ^(٥٧).

(بَابُ التَّاءِ)

(تَقَلَّ): التَّقَلَّ: وتعني: البُصَاق، وقيل: التَّقَال (بكسر التَّاء)، وهو فصيح، قال ابن السكّيت: التَّقَلَّ مصدر تَقَلَّتُ، إِذَا بَصَقْتُ^(٥٨)، وورد عن الجوهري: التَّقَلَّ شبيه بالبزق، وهو أَقْلُ منه، أَوَّلُهُ الْبَزَقُ، ثُمَّ التَّقَلَّ، ثُمَّ النَّفَثَ، ثُمَّ النَّفَخَ^(٥٩).

(بَابُ الثَّاءِ)

(ثَرَدَ): الثَّرَدُ هو تَقْطِيعُ الْخُبْزِ وَبَلُّهُ، وَهُوَ فَصِيحٌ، أَمَّا الْهَشْمُ، فَهُوَ لَمَّا يُهَشَّمُ مِنَ الْخُبْزِ وَيُبَلُّ بِمَاءِ الْقَدَرِ وَغَيْرِهِ^(٦٠).

(ثَوَا): يُقَالُ: الثَّائِيَةُ: لِلْعَلَامَةِ الَّتِي تُوَضَّعُ عَلَى الْأَرْضِ، وَهُوَ فَصِيحٌ، وَوَرَدَ عَنْ أَبِي زَيْدٍ: «الثَّائِيَةُ (غَيْرُ مَهْمُوزٍ): حَجَارَةٌ تُرْفَعُ، تَكُونُ عَلَمًا بِاللَّيْلِ لِلرَّاعِي إِذَا رَجَعَ إِلَيْهَا»^(٦١).

(بَابُ الْجِيمِ)

(جَل): يُقَالُ: الْجِلُّ لِبَقَايَا الزَّرْعِ الْمَحْصُودِ، وَتُنْطَقُ بِإِبْدَالِ الْجِيمِ يَاءً، وَهِيَ لَهْجَةٌ قَدِيمَةٌ مَعْرُوفَةٌ^(٦٢)، وَهُوَ فَصِيحٌ، قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: الْجِلُّ: قَصَبُ الزَّرْعِ إِذَا حُصِدَ^(٦٣).

(بَابُ الْحَاءِ)

(حَبَطَ): يُقَالُ لِلشَّخْصِ، أَوْ الْمَمْتَلِيءِ غَضَبًا: مُحْبَنُطٌ، وَهُوَ فَصِيحٌ، قَالَ أَبُو زَيْدٍ: مُحْبَنُطِيٌّ (مَهْمُوزٌ): الْعَظِيمُ الْبَطْنِ، وَإِذَا امْتَلَأَ غِظًا وَغَضَبًا^(٦٤)، وَرَوَاهُ صَاحِبُ اللِّسَانِ بِغَيْرِ الْهَمْزِ أَيْضًا^(٦٥)، أَمَّا ابْنُ السَّكَيْتِ فَذَكَرَهُ بِلَفْظِ (حَبَنُطًا، وَحَبَنُطِيٌّ) بِغَيْرِ هَمْزَةٍ^(٦٦). وَالْأَخِيرُ اسْتَعْمَلَ فِي هَذِهِ اللَّهْجَةِ، فَقِيلَ لِلشَّخْصِ الْقَصِيرِ وَالضَّخْمِ الْبَطْنِ: (حَبَنُطِيٌّ) بِالْثَّاءِ.

(حَدَثَ): يُقَالُ: حَدِثَهُ (بَكْسَرِ الْحَاءِ وَالذَّالِ)، وَيُرَادُ بِهِ: الْبَنْتُ الشَّابَّةُ، وَهُوَ فَصِيحٌ: قَالَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ: تَقُولُ: أَتَيْتُهُ فِي رُبَى شَبَابِهِ، وَحُدْثِي وَحَدِيثِ شَبَابِهِ، وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: هَذَا رَجُلٌ حَدَثٌ، وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْحَدَثُ وَالْحُدْثَى بِمَعْنَى... وَجَاءَ فِي اللِّسَانِ: كُلُّ فِتْيٍ مِنَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَالْإِبِلِ حَدَثٌ، وَالْأُنْثَى حَدَثَةٌ^(٦٧).

فَالْكَلِمَةُ فِي مَعْنَاهَا الْأَسَاسُ، لَكِنَّ الاسْتِعْمَالَ تَصَرَّفَ بِالْحَرَكَاتِ.

(حَنْدَسَ): جَاءَ فِي الْفَصِيحِ: «الْحَنْدَسُ (بِالْكَسْرِ) لِلَّيْلِ الْمَظْلَمِ وَالظُّلْمَةِ»^(٦٨)، وَبَقِيَ

اللفظ مُسْتَعْمَلًا في هذه اللهجة مع إبدال الحاء هاءً، فقليل: هِنْدَس.
(حمن): يُقال: الحِمْنان (بكسر الحاء وتشديد الميم)، ويُراد به الدَّوَابُّ الصَّغِيرَةُ التي تعيش في جسم الإنسان أو الحيوان، وهو فصيحٌ، قال الأصمعيّ: القَرَادُ أَوَّلُ ما يكون وهو صغير لا يكاد يُرى من صغره، يُقال له: قمقمة، ثم يصيرُ حمانةً، ثم قَرَادًا^(٦٩).

(بَابُ الْخَاءِ)

(خَبَنَ): يُقال: خَبَنَ الثَّوبَ، أي: أَنْقَصَ من طوله، وهو فصيحٌ، وقال ابن السَّكِّيت: أَغْبِنُ من ثوبِكَ، ويُقال: غَبَنَ وَخَبَنَ، أي: كَفَّ^(٧٠).
(خسل): قال أبو عبيدة: المخسول: المزدول، ونقل لنا ثعلب عنه أيضاً: مخسول ومحسول، وبقي اللفظ في اللهجة مُسْتَعْمَلًا، وبالمعنى نفسه، إِلَّا إِنَّ الْخَاءَ أُبْدِلَتْ غِينًا، وَحُرِّكَتْ، فَقَالُوا: الْمَغْسُول^(٧١).
(خطل): يُقال للرجل المضطرب في كلامه أو مشيته: أَخْطَلَ (بفتح الخاء والطاء)، والمعنى نفسه في الفصيح سوى النطق، قال أبو عمرو: خَطِلَ في كلامه (بالكسر) خَطَلًا، وقال أبو زيد: الْأَخْطَلُ وَالْحَطَلُ: المضطرب^(٧٢).

(بَابُ الدَّالِ)

(درد): يُقال للذي ذهبَ أَسْنَانُهُ: أَدْرَدَ، وهو فصيحٌ معروفٌ^(٧٣).

(بَابُ الذَّالِ)

(ذَفَرَ): الذَّفَرُ في الفصيح: كُلُّ رِيحٍ ذَكِيَّةٍ من طيبٍ أو نَتْنٍ، ويُقال: رَجُلٌ ذَفِرٌ، أي: له صُنَانٌ وَخُبْتُ رِيحٍ. وجاء عن البندنجي وابن دُرَيْدٍ بِالذَّالِ، وَبَقِيَ الْلفْظُ مُسْتَعْمَلًا، غير أَنَّهُ أُبْدِلَتْ الذَّالُ زَايَاً، فَقَالُوا: زَفَرَ^(٧٤).

(بَابُ الرَّاءِ)

(رَبَطَ): يُقَالُ لِلدَّابَّةِ الْمَرْبُوطَةِ: الرَّبِيطُ وَالرَّبِيطَةُ، وَهُوَ فَصِيحٌ، فَقَدْ جَاءَ: أَنَّ الرَّبِيطَةَ وَالرَّبِيطَ، هُوَ مَا ارْتَبَطَ مِنَ الدَّوَابِّ^(٧٥).

(رَبَعَ): مِنْ مَعَانِي الرَّبْعِ فِي الْفَصِيحِ: الْمَنْزِلُ وَالدَّارُ بَعَيْنِهَا، وَالرَّبْعَةُ: أَخْصَصَ مِنَ الرَّبْعِ^(٧٦)، وَأُبْقِيَ اللَّفْظَ الْأَخِيرَ مُسْتَعْمَلًا لِيُفِيدَ مَعْنَى السَّاحَةِ الَّتِي أَمَامَ الْبَيْتِ الرَّيْفِيِّ. (رَدَفَ): يُقَالُ: رَدَفْتُهُ، أَيْ: رَكَبْتُ خَلْفَهُ، وَأَرَدَفْتُهُ: أَرَكَبْتُهُ خَلْفِي، وَهُوَ فَصِيحٌ، وَلَكِنَّ الاسْتِعْمَالَ الصَّحِيحَ يَقْتَضِي الْقَوْلَ: رَدَفْتُ زَيْدًا، أَيْ: رَكَبْتُ خَلْفَهُ، وَرَادَفْتُهُ أَوْ ارْتَدَفْتُهُ، إِذَا أَرَكَبْتُهُ وَرَائِي، أَيْ: جَعَلْتُهُ رَدْفِي^(٧٧).

(رَسَنَ): الرَّسَنُ (بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ)، وَهُوَ الْحَبْلُ الَّذِي تُرَبِّطُ وَتُقَادُ بِهِ الدَّابَّةُ، وَهُوَ فَصِيحٌ مَعْرُوفٌ، بِفَتْحِ الرَّاءِ^(٧٨).

(رَكَكَ): يُقَالُ لِلشَّخْصِ الضَّعِيفِ: (رَكِيكَ)، وَتُنْطَقُ بِإِدَالِ الْكَافِ جِيًّا فَارْسِيَّةً، وَهُوَ فَصِيحٌ، قَالَ ثَعْلَبُ: الرَّكِيكَ: الضَّعِيفُ، وَقَالَ الْمُفَضَّلُ بْنُ سَلَمَةَ: الرُّكَّةُ: الضَّعْفُ^(٧٩).

(رَمَمَ): يُقَالُ: رَجُلٌ رَمَّةٌ، أَيْ: كَبِيرٌ لَا قُوَّةَ لَهُ، جَاءَ فِي الْفَصِيحِ: الرَّمُّ وَالرَّمَّةُ: السَّحِيقُ الْبَالِي مِنَ الْعَظْمِ^(٨٠)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ﴾^(٨١). (رَهَدَنَ): يُقَالُ: امشِ بِرَهْدَنِهِ، أَوْ تَرَهْدَنَ، أَيْ: امشِ مَشْيًا هَادئًا ضَعِيفًا، وَهُوَ مِنَ الْفَصِيحِ، وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: (الرَّهْدَنَ): الضَّعِيفُ، وَقَدْ سَمَّوُا الطَّائِرَ الصَّغِيرَ الَّذِي يُشَبِّهُ الْقُبْرَةَ، وَالَّذِي يُرْهَدِنُ فِي مَشِيَّتِهِ (رَهْدَنَةً)^(٨٢).

(رَوَّحَ): يُقَالُ لِلْحَيَوَانَاتِ الَّتِي فِي الْمَرَاعِي مَسَاءً: رَوَّحَتْ، وَهُوَ مِنَ الْفَصِيحِ، قِيلَ فِي الْأَمْثَالِ: مَالَهُ سَارِحَةٌ وَلَا رَائِحَةً، فَالسَّارِحَةُ الْمُتَوَجِّهَةُ إِلَى الْمَرْعَى، وَالرَّائِحَةُ الَّتِي تُرَوِّحُ بِالْعَشِيِّ إِلَى مَرَاحِهَا^(٨٣).

(رَيْثُ): الرِّيثُ في الفصيح هو البطو، أو الإبطاء، لكن الاستعمال أبدل الثاء ضاداً في هذه المساحة اللغوية، فقالوا: رَيْضُ، للتأني والانتظار^(٨٤).

(بَابُ الزَّايِ)

(زَرُ): يُقال للشخص الذي يُضَيِّقُ عينيه، أو يفتحها بشدة: (امزَّرَ)، وهو من الفصيح، قال أبو زيد: الزَّرُّ: أَنْ يَزَرَ عَيْنَهُ كَأَنَّهُ يُضَيِّقُهَا مِنْ نَوَاحِيهَا^(٨٥).

(بَابُ السَّيْنِ)

(سَبَبُ): يُقال: سباب للقمّاش، أو الثياب إذا قُطِّعَتْ، وهو من الفصيح، فالسَّابِب جمع سببية، وهي شَقَّةٌ من الثياب، وقريبٌ من هذا ما ذكره ابن السَّكِّيت وصاحب الجمهرة^(٨٦)، فاللفظ نفسه لكن الاستعمال مال إلى تسهيل الهمز، وهي ظاهرة لهجية قديمة.

(سَبَرْتُ): السَّبروت في الفصيح هو المُفْلِس، والمُحتاج المُقَلِّ، والغلام الأُمرد، والثَّيَّء التَّافه القليل، وقال البنديجي والزرّاجي: رجل سَبَروت وسبريت. وبقي اللفظ مُستَعْمَلاً، وقالوا على القلب: مُسَرَّبْتُ وسربوت: ليُفيد معاني قريبة مما أُشرت إليه.

(سَبَنْدُ): يُقال في الفصيح: سبندي وسبتي، للنمر أو للجريء المُقَدِّم، ونَصَّ ابن سيده على أَنَّ (سبندي) (بالدال) هذليّة^(٨٧)، وبقي اللفظ مُستَعْمَلاً للشَّابَّ الجريء، أو المُحتال.

(سَرَطُ): يُقال لتناول الطَّعام بسرعةٍ ومن دون مَضْغٍ: سَرَطُ، وهو فصيحٌ، قال الأصمعي: لِقِمْتُ اللَّقْمَةَ، فَأَنَا أَلْقَمُهَا لِقْماً...، وبلعْتُها وسَرَطْتُها بمعنى واحد^(٨٨)، ومنه المثل: (الْأَخْذُ سَرِيطٌ وَالْقَضَاءُ سَرِيطٌ)^(٨٩).

(سمل): يُقال للثَّوم القديم البالي: سَمَل (بالفتح والكسر)، وهو فصيحٌ مع اختلاف في الضَّبْط، قال أبو زيد: خَلَقَ الثَّوب ...، وَسَمَلَ الثَّوب^(٩٠). وقال ابن السَّكَيْت: السُّمَل: الثَّوب الخَلَق^(٩١).

(سوم): يُقال فلان يَسُومُ السِّلْعَةَ، أي: يُجَدِّد سَعَرَهَا ويعرضها على البيع، وهو فصيحٌ، جاء في نوادر أبي زيد: قول سدوس بن ضباب^(٩٢):
عَبْدًا يُنْفِقُ نَفْسَهُ وَيَسُومُهَا ويقول: إِنِّي أَبْرُ زَرَاغُ
قوله: يسومها، أي: يعرضها على البيع.

(بَابُ الشَّيْنِ)

(شرم): يُقال: أَذُنٌ مشرومةٌ، وَأَنْفٌ مشرومةٌ، أي: مشقوقٌ، وهو فصيحٌ؛ لأنَّ الشَّرْم هو الشَّقُّ، فيُقال: رجلٌ أَشْرَمٌ، وَأُذُنٌ شَرْمَاءٌ ومُشْرَمَةٌ^(٩٣).

(شَعَفَ): يُقال لشعر الرَّأس: (شَعَفَةً) بفتح الحروف الثلاثة، وهو فصيحٌ؛ إذ إنَّ شعفة كلِّ شيءٍ أعلاه...، ومنه قيل لأعلى شعر الرَّأس شعفة^(٩٤).

(شَنَفَ): يُقال للرجل الذي لم يعجبه نظر النَّاس: شَنَفَ، وهو فصيحٌ قال أبو زيد: يُقال: شَنَفَ له إذا نَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرُ الْبَغْضَةِ^(٩٥). وقال ابن السَّكَيْت: الشَّنَف: الْبُغْضَةُ^(٩٦)، فالمعنى نفسه، إلا أنَّ الاستعمال زحزحه قليلاً عن المعنى الأساس.

(شَوَّرَ): يُقال: فلان يشوِّر، ويُريدون به: أنَّ هذا الشَّخْص إذا أُلْحِقَ به ضرر فإنَّ الفاعل يُصاب بمكروهٍ، وهو فصيحٌ، قال ابن السَّكَيْت: شَوَّرَ به، أي: فَعَلَ به فعلاً يستحي منه، كأنَّه أبدى عورته^(٩٧)، وقال الْمُفَضَّل: قولهم: شَوَّرْتُ بفلانٍ، أي: عَيْتُهُ، وأبديتُ عورته^(٩٨)، والمعنيان متقاربان.

(بَابُ الضَّادِ)

(ضَبَّرَ): يُقَالُ لَمَنْ شَدَّ كَسْرًا فِي عِظَامِ يَدِهِ أَوْ رِجْلِهِ: ضَبَّرَهُ، وَهُوَ الْفَصِيحُ؛ إِذْ إِنَّ التَّضْيِيرَ هُوَ الْجَمْعُ، وَشِدَّةُ تَلْزِيهِ الْعِظَامِ^(٩٩).

(ضَبِعَ): يُقَالُ لِلنَّاقَةِ، أَوْ الْكَلْبَةِ الَّتِي تَشْتَهِي الضَّرَابَ، ضَابِعٌ، وَهُوَ فَصِيحٌ، قَالَ أَبُو زَيْدٍ: يُقَالُ: أَضْبَعْتُ النَّاقَةَ، وَضَبَعْتُ، إِذَا اشْتَهَتْ الْفَحْلَ^(١٠٠).

(ضَمَكَ): يُقَالُ، ضَمَكَهُ، أَي: ضَغَطَهُ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِ، وَهُوَ فَصِيحٌ، جَاءَ فِي الْمُعْجَمَاتِ^(١٠١): ضَمَكَهُ يَضْمُكُهُ ضَمَكًا، وَضَمَكْضَكَه: ضَغَطَهُ، وَالضَّمَكُ: الضَّيْقُ.

(بَابُ الطَّاءِ)

(طَلِي): يُقَالُ لِلْخُرُوفِ الصَّغِيرِ: طَلِي (بِالْكَسْرِ)، وَهُوَ فَصِيحٌ، جَاءَ: الطَّلِيُّ: الصَّغِيرُ مِنْ أَوْلَادِ الْغَنَمِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ طَلِيًّا؛ لِأَنَّهُ يُطَلَّى، أَي: تُشَدُّ رِجْلُهُ بِخِيْطٍ إِلَى وَتِدٍ أَيَّامًا^(١٠٢).

(بَابُ الظَّاءِ)

(ظَعَنَ): الظَّعْنُ يُرَادُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الرَّيْفِ الْمَسَافِرُونَ بِحَيَوَانَاتِهِمْ وَأَمْتَعَتِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾^(١٠٣)، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: «هُوَ سِيرُ الْبَادِيَةِ لِنَجْعَةٍ أَوْ حُضُورِ مَاءٍ... أَوْ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ»^(١٠٤)، وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: يُقَالُ لِكُلِّ شَاخِصٍ لِسَفَرٍ... ظَاعِنٌ^(١٠٥)، وَالظَّعْنُ وَالطَّعْنُ: الظَّاعِنُونَ.

(بَابُ الْعَيْنِ)

(عَجَرَ): يُقَالُ لِلَّذِي يُضْرَبُ عَلَى ظَهْرِهِ حَتَّى يُضْطَرَّ إِلَى لِيَّةٍ: انْعَجَرَ، أَي: عَجِرَ، وَتُنْطَقُ بِالْجِيمِ الَّتِي يَنْطَقُهَا أَكْثَرُ أَهْلِ مِصْرَ، وَهُوَ فَصِيحٌ، رَوَى الْأَزْهَرِيُّ عَنِ الْفَرَّاءِ،

الأعَجَر: الأحدب، والجر: لِيَكْ عَنقَ الرَّجُلِ^(١٠٦)، وقال ابن السَّكَيْت: عَجَرَ عَنقَهُ... إذا ثناها^(١٠٧).

(عصب): يُقال للقماش الذي تشدّه المرأة على رأسها: عَصَابَة (بتشديد الصاد)، وهو فصيحٌ، قال ابن السَّكَيْت: عصب الشَّجرة... إذا صَمَّ أغصانها وما تَفَرَّقَ منها بحبلٍ^(١٠٨)، والمرأة هي الأخرى تَصُمُّ ما تَفَرَّقَ من شعرها بالقماش. ونَصَّ ابن دُرَيْد عليها، فقال: العصابة: العِمَامَة، يُقال: عَصَبْتُ الرَّأْسَ أَعَصَبُهُ عَصَباً^(١٠٩).

(عَفَطَ): والعَفْطُ والعَفَاط، صوتٌ يخرج من الفم يُشبه صوت الضَّأن، أو الماعز، وهو فصيحٌ، جاء في الأمثال: ماله عَافِطَةٌ، ولا نَافِطَةٌ، قال الأصمعيّ: العافِطَةُ: الضَّائِنَةُ، والنَّافِطَةُ: الماعِزَةُ، وقال ابن دُرَيْد: العفط من قولهم: عَفَطْتُ العنز، وتعفط عفطاً، وهو ريح تخرج من أنفها، تسمع لها صوتاً وليس بالعطاس^(١١١).

(عكم): يُقال للذي يُحَكِّمُ شِدَّ وَثَاقِ المتاع، أو الحمل: عكمة، وهو فصيحٌ، رُوِيَ عن الخليل بن أحمد: عَكَمْتُ المتاعَ أَعَكَمُهُ عَكْماً، إذا بسطت ثوباً، وجعلت فيه متاعاً، فشددته^(١١٢). ومثل هذا ذكره ابن السَّكَيْت^(١١٣).

(عَيَّرَ): من أَلْفَاظِ النِّبْزِ (عَيَّار)، وهو فصيحٌ، رُوِيَ عن ابن الأعرابي: أَنَّ العربَ تَمْدَحُ بِالْعَيَّارِ وَتَذُمُّ بِهِ، يُقال: غَلامٌ عَيَّارٌ نَشِيطٌ في المعاصي، وَغَلامٌ عَيَّارٌ نَشِيطٌ في طاعة الله تعالى^(١١٤).

(بَابُ الْغَيْنِ)

(غمس): والغمس عن الخليل: إرساب الشَّيءِ في الشَّيءِ النَّدِيّ في ماءٍ أو صَبْغٍ، حَتَّى اللَّقْمَةِ في الخَلِّ^(١١٥)، واللَّفْظُ بمعناه متداولٌ معروفٌ، واشتقوا منه الغموس، لما يُؤْتَدَّمُ بِهِ.

(بَابُ الْفَاءِ)

(فرك): والفَرْكُ يعني: دَلَكَ الثَّوبَ وغيره ودَعَكه، وهو فَصِيحٌ، وقال ابن السَّكَيْتِ: الْفَرْكُ مصدر فركْتُ الحَبَّ والثَّوبَ وغيره، أَفْرَكَ فركاً^(١١٦).

(فَشَخَّ): والفَشَخُ: ضَرَبَ الرَّأْسَ وشَقَّه، وهو فَصِيحٌ، إِلَّا أَنَّهُ أَعَمٌّ، فهو: ضَرْبُ الرَّأْسِ، وَالصَّفْعُ، وَاللَّطْمُ، وَالظَّلْمُ^(١١٧).

(فَشَشَ): يُقَالُ لِكُلِّ شَيْءٍ أُخْرِجَ مَا فِيهِ مِنَ الرِّيحِ، أَوِ الْوَرَمِ: فَشَّ، أَوِ انْفَشَّ (بصيغة المضارع)، فهو فَصِيحٌ، قال ابن السَّكَيْتِ: يُقَالُ لِلِيدِ، أَوِ الرَّجْلِ إِذَا وَرَمَتْ ثُمَّ سَكَنَ وَرَمُهَا: قَدْ انْفَشَّتْ يَدُهُ^(١١٨)، وقال ابن دُرَيْدٍ: يُقَالُ لِلرَّجْلِ الْغَضَبَانِ: لَا فُشْنَكَ فَشَّ الْوُطْبِ^(١١٩)، وقال الْأَزْهَرِيُّ: «يُقَالُ لِلسَّقَاءِ إِذَا فُتِحَ رَأْسُهُ وَأُخْرِجَ مِنْهَا الرِّيحُ: فَشَّ»^(١٢٠). (فَهَا): يُقَالُ: فَاهِي، لِلشَّخْصِ غَيْرِ النَّبِيهِ وَغَيْرِ النَّشِيطِ وَكَثِيرِ النَّسِيَانِ، وَهُوَ فَصِيحٌ، لَكِنَّهُ مَقْلُوبٌ، قال ابن الْأَعْرَبِيِّ: الْأَفْهَاءُ: الْبُلْهَ مِنَ النَّاسِ^(١٢١).

(فِيح): يُقَالُ لِلْقَدْرِ إِذَا غَلَتْ وَانْسَكَبَ مَاؤُهَا: فَاحَتْ، وَهُوَ فَصِيحٌ، قال أَبُو زَيْدٍ: فَاحَتْ الْقَدْرُ تَفِيحٌ فَيَحًا وَفَيَحَانًا، وَفَاحَتْ الْقَدْرُ إِذَا غَلَتْ^(١٢٢).

(بَابُ الْقَافِ)

(قَحِفَ): الْقَحْفُ يُرَادُ بِهِ الشَّيْءُ الْمُقَعَّرُ الْمَتَّبِقِيُّ مِنَ الْجَرَّةِ وَغَيْرِهَا، قال ابن السَّكَيْتِ: الْقَحْفُ: سِرَّةُ الْقَدَحِ^(١٢٣). قال ابن دُرَيْدٍ: لَا يُقَالُ لْجَمِيعِ الْجَمِجِمَةِ قَحْفٌ إِلَّا أَنْ يَنْكَسِرَ مِنْهَا شَيْءٌ، أَوْ يَقْطَعُ، فَيُقَالُ لِلْمَنْكَسِرِ: قَحْفٌ^(١٢٤)، وقال صاحب الْقَامُوسِ: هُوَ الْفَلْقَةُ مِنَ الْقِصْعَةِ إِذَا انْتَلَمَتْ، وَإِنَاءٌ مِنْ خَشَبٍ نَحْوِ قَحْفِ الرَّأْسِ كَأَنَّهُ نَصْفُ قَدَحٍ^(١٢٥).

(قَزَلَ): يُقَالُ لِلشَّخْصِ الَّذِي يَعْرِجُ فِي مَشْيَتِهِ: يَقْزِلُ، وَهُوَ فَصِيحٌ، قال أَبُو زَيْدٍ: الْقَزْلُ أَسْوَأُ الْعَرَجِ^(١٢٦)، وقال ثَعْلَبٌ: يُقَالُ هُوَ أَقْزَلُ، أَي: أَعْرَجُ^(١٢٧).

(قَفَح): يُقَالُ كَفَحَهُ (بالكاف)، أَي: ضَرَبَهُ عَلَى وَجْهِهِ أَوْ رَأْسِهِ، وَهُوَ فَصِيحٌ، قَالَ الْبَنْدِينْجِيُّ فِي التَّقْفِيَةِ: الْقَفْحُ الضَّرْبُ عَلَى الرَّأْسِ^(١٢٨)، قَفَفَ: يُقَالُ لِلرَّجُلِ الْكَبِيرِ الْمُسَنَّ قَفَّةً، وَهُوَ فَصِيحٌ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: «قَوْلُهُمْ: كَبُرَ حَتَّى صَارَ كَأَنَّهُ قَفَّةٌ، هِيَ الشَّجَرَةُ الْبَالِيَةُ الْيَابِسَةُ»^(١٢٩)، وَقَالَ الْمُفَضَّلُ: وَالْمَعْنَى أَنَّهُ بَلِي وَنَخَرَ كَالْبَالِي مِنْ أَصُولِ الشَّجَرِ^(١٣٠).

وَتُنْطَقُ الْقَافُ فِي الْأَلْفَاظِ (قَحْف، قَزَل، قَفَّة) كَالْجِيمِ الَّتِي يَنْطَقُهَا أَكْثَرُ أَهْلِ مِصْرَ، وَهَذَا الْإِبْدَالُ ظَاهِرَةٌ لِهَجِيَّةٍ قَدِيمَةٍ، فَقَدْ رُوِيَ عَنِ الْفَرَّاءِ قَوْلُهُ: «قَرِيشٌ تَقُولُ: كُشِطَتْ، وَقَيْسٌ وَتَمِيمٌ تَقُولُ: قُشِطَتْ بِالْقَافِ»^(١٣١).

وَلَمْ تَنْطَقْ تَمِيمُ الْقَافَ خَالِصَةً، بَلْ كَانُوا يَنْطَقُونَهَا بَيْنَ الْقَافِ وَالْكَافِ، وَقَالَ ابْنُ فَارَسٍ: «فَأَمَّا بَنُو تَمِيمٍ، فَأَتَاهُمْ يُلْحَقُونَ الْقَافَ بِاللَّهَاءِ حَتَّى تَغْلُظَ، فَيَقُولُونَ: الْقِيَوْمَ، فَتَكُونُ بَيْنَ الْكَافِ وَالْقَافِ، وَهَذِهِ لُغَةٌ فِيهِمْ»^(١٣٢)، فَنُطِقَ هَذِهِ اللَّهْجَةُ لَصُوتِ الْقَافِ هُوَ الصَّوْتُ الَّذِي نَسَبَهُ ابْنُ فَارَسٍ لَتَمِيمٍ، وَيُرْجَّحُ هَذَا -أَيْضًا- أَنَّ كَثِيرًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ سَكَنُوا هَذِهِ الْمَنْطِقَةَ.

(بَابُ الْكَافِ)

(كِسِر): يُقَالُ إِلَى جَانِبِ الْكُوخِ وَالْخِيْمَةِ: كِسَرَ (بِالْكَسْرِ)، وَبَعْضُ أَهْلِ الرَّيْفِ يَضُمُّ الْكَافَ، وَيَمَطِّلُ الضَّمَّةَ، فَيَقُولُونَ: كُوسَرَ، وَهُوَ فَصِيحٌ، قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: الْكِسَرُ: جَانِبُ الْبَيْتِ^(١٣٣)، وَحَدَّدَ صَاحِبُ كِتَابِ الرَّحْلِ وَالْمَنْزِلِ الْكِسَرَ بِالشَّقَّةِ الَّتِي تَلِي الْأَرْضَ^(١٣٤).

(بَابُ اللَّامِ)

(لَبَج): يُقَالُ لَبَجَ (بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ وَالْجِيمِ الْفَارْسِيَّةِ)، لِلتَّتَابَعِ، وَهُوَ فَصِيحٌ، فَقَالُوا:

إِنَّهُ ضَرَبَ مُتَتَابِعٌ فِيهِ رَخَاوَةٌ^(١٣٥)، فالمعنى متقاربٌ، لكن الاستعمال عَمَمَ المعنى.
(لحج): يُقال: (هو ابن عمِّه اللَّح)، إذا أرادوا تأكيد القرابة. وهو فصيحٌ، قال
الأصمعيّ: معنى قولهم: هو ابن عمِّه لَحّاً، أي: خالصاً^(١٣٦)، وعن ابن السكّيت والمفضل
والزبيديّ: أنّه مأخوذٌ من قولهم: لَحَحَتْ عَيْنُهُ إِذَا التَّصَقَّتْ جَفْنَاهَا^(١٣٧)، والمعنى متداولٌ
مشهورٌ.

(لرز): وَرَدَ عَنِ اللَّيْثِ: أَنَّ اللَّزَّ: لَزُومُ الشَّيْءِ، وقال ابن دُرَيْدٍ: قولهم: قَدْ لَزَزْتَ بِي
يَافِلَانِ، إِذَا سَدِكَ بِهِ لَا يَفَارِقُهُ^(١٣٨)، والمعنى متداولٌ مشهورٌ.
(لشش): جَاءَ فِي الْفَصِيحِ: رَجُلٌ لَشَلَشَ، أَي: الْخَفِيفُ، وَاللَّشَلَشَةُ: كَثْرَةُ التَّرَدُّدِ
عِنْدَ الْفَرْعِ^(١٣٩)، والمعنى نفسه متداولٌ، ولكنه أعمّ، فيُطْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ التَّرَدُّدِ عِنْدَ الْفَرْعِ
وغيره.

(لكد): اللَّكْدُ هُوَ الضَّرْبُ الشَّدِيدُ بِالْيَدِ أَوْ الرَّجْلِ، لِلْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ. وَهُوَ فَصِيحٌ،
قال ابن دُرَيْدٍ: اللَّكْدُ: الضَّرْبُ بِالْيَدِ جَمْعاً^(١٤٠).
(لهد): اللَّهْدُ مِنْ أَلْفَاظِ النَّبْزِ، كَأَنَّ قَائِلَهُ يَدْعُو عَلَى الْمُخَاطَبِ بِالْدَّاءِ. وَهُوَ فَصِيحٌ، قال
أَبُو زَيْدٍ: اللَّهْدُ دَاءٌ يَأْخُذُ الْإِبِلَ فِي صَدُورِهَا.. وَيَأْخُذُ الْإِنْسَانَ فِي فَخْذِيهِ وَرَجْلِيهِ^(١٤١).

(بَابُ الْمِيمِ)

(مجنّ): (الْمِيجَنَةُ)، وَهِيَ مِدَقَّةٌ مِنَ الْخَشَبِ لَطْحَنَ الْحَبِّ. وَهُوَ فَصِيحٌ، جَاءَ الْمِيجَنَةُ:
الْمِدَقَّةُ، وَجَمْعُهَا مَوَاجِنُ^(١٤٢).

(مرح): (الْمَرَا حٌ) بِالْفَتْحِ، هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي تَأْوِي إِلَيْهِ الْحَيَوَانَاتُ. وَهُوَ فَصِيحٌ، بَضَمٌ
الميم، قال ابن السكّيت: هَذَا مُرَا حُ الْإِبِلِ، وَمُرَا حُ الْغَنَمِ^(١٤٣).
(مألط): (الْأَمْلَطُ)، هُوَ الشَّابُّ الْحَدِثُ، الَّذِي لَمْ يَنْبُتْ شَعْرُ جَسَدِهِ وَوَجْهِهِ، قَالَ

الليث: الأملط: الرَّجُلُ الَّذِي لَا شَعَرَ عَلَى جَسَدِهِ كُلِّهِ، إِلَّا الرَّأْسَ وَاللِّحْيَةَ^(١٤٤)، والمعنى قريبٌ جداً.

(بَابُ النُّونِ)

(نَدَسَ): يُقَالُ: فُلَانٌ (نَدَسَ) عَلَى فُلَانٍ، أَي: أَعْلَمَ بِأَمْرِهِ وَأَخْبَرَ السَّلْطَةَ لِلإِيقَاعِ بِهِ. وَأَصْلُهُ مِنَ الْفَصِيحِ^(١٤٥)، قَالَ اللَّيْثُ: النَّدَسُ: السَّرِيعُ الْإِسْتِمَاعُ لِلصَّوْتِ الْخَفِيِّ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: النَّدَسُ: الطَّعْنُ، وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: رَجُلٌ نَدَسَ: إِذَا كَانَ عَالِماً بِالْأَخْبَارِ، وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: رَجُلٌ نَدَسَ: نَقَابٌ عَنِ الْأُمُورِ، بَحَاثٌ عَنْهَا، وَالْمَعَانِي مُتَقَارِبَةٌ جَدًّا مِنَ الْمَعْنَى الْمُتَدَاوِلِ.

(نَوَشَ): (التَّنَاوَشَ)، وَيَعْنِي: التَّنَاوُلَ. وَهُوَ فَصِيحٌ، قِيلَ: التَّنَاوَشُ (مَهْمُوزٌ)، هُوَ الْأَخْذُ مِنْ بَعْدٍ، وَالتَّنَاوَشُ (غَيْرُ مَهْمُوزٍ) هُوَ الْأَخْذُ عَنْ قُرْبٍ، وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: نَأَشْتُهُ أَنْأَشُهُ نَأْشَاءً، إِذَا تَنَاوَلْتُهُ^(١٤٦).

(بَابُ الْهَاءِ)

(هَبَّشَ): يُقَالُ لِلْمَرْأَةِ الَّتِي تَطْحَنُ الْحَبَّ بِالْدَّقِّ: (تَهَبِّشُ). وَهُوَ فَصِيحٌ، قَالَ الزَّجَّاجِيُّ: هَبَّشَ وَهَبَجَ، وَهُوَ الدَّقُّ^(١٤٧).

(هَبَعَ): يُقَالُ: (يَهْبَعُ) لِلشَّخْصِ الَّذِي يُحَرِّكُ يَدَيْهِ وَرَقَبَتَهُ حَالَ الْمَشْيِ. وَهُوَ فَصِيحٌ، رَوَى عَنْ الْحَجَّاجِ أَنَّ (الْهَبَعَ) إِتَعَابُ الْيَدَيْنِ فِي الْمَشْيِ^(١٤٨)، وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: فَهَبَعَ بَعْنَقَهُ كَأَنَّهُ يَسْتَعِينُ بِهَا فِي مَشْيِهِ^(١٤٩).

(هَرَفَ): يُقَالُ: (هَرَفِي) لِلزَّرْعِ الَّذِي يُثْمَرُ مُبَكَّرًا. وَهُوَ فَصِيحٌ، قَالَ ثَعْلَبُ: الْهَرَفُ: سُرْعَةُ النَّبَاتِ^(١٥٠).

(هَيْفَ): مِنْ أَلْفَاظِ النَّبَزِ، هَفِي، وَأَصْلُهُ مِنَ الْفَصِيحِ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: يُقَالُ: هَيْفَ

وهو ف للريح الحارّة^(١٥١)، فكأنّ المعنى المراد هو الدّعاء على المُخاطَب بالإصابة بحرارة شديدة.

(بَابُ الْوَاوِ وَالْيَاءِ)

(وَسَم): الوَسْمَة هي نوعٌ من الحِنَاء. وهو فصيحٌ، قال ابن السكّيت: وهي الوَسْمَة التي يُحْتَضَبُ بها^(١٥٢).

(يفخ): يُقال لأعلى الرّأس (اليافوخ)، وفصاحتُه معروفة^(١٥٣).

هوامشُ البحثِ

- ١- يُنظر: دروس في علم أصوات العربية، لجان كانتيتو: ص ١١.
- ٢- الصّاحبي في فقه اللّغة: ص ٢٠٣.
- ٣- المزهري: ١/ ٤٦٠.
- ٤- المزهري: ١/ ٤٦٠.
- ٥- القراءات القرآنية، لعبد الصّبور شاهين: ص ٧٣.
- ٦- أمالي القاضي: ٢/ ١٨٦.
- ٧- الكتاب: ٢/ ٢٥٥.
- ٨- المصدر نفسه: ٢/ ٢٥٧.
- ٩- المصدر نفسه: ٢/ ٢٥٥، ولهجة تميم: ص ١٦٢.
- ١٠- الكتاب: ٢/ ٢٥٦.
- ١١- المخصّص: ١٤/ ٢١٦.
- ١٢- سرّ الصّناعة لابن جيّ: ١/ ٢٣٥، ومجالس ثعلب: ١/ ٨١.
- ١٣- الكتاب: ٢/ ٢٥٧.
- ١٤- المصدر نفسه: ٢/ ٢٥٧.
- ١٥- اللّهجات العربيّة في التراث، لأحمد علم الدّين الجندي: ص ٣٠٧، ويُنظر للإفادة ما كتبه السيّد غالب المطلبي في رسالته الموسومة (لهجة تميم): ص ١٣٢، ١٣٦، ١٨٠.
- ١٦- سرّ الصّناعة: ١/ ٢٣٤.
- ١٧- مجالس ثعلب: ١/ ٨١، وسرّ الصّناعة: ١/ ٢٣٤، والصّاحبيّ: ص ١٠٩.
- ١٨- أمالي القاضي: ٢/ ٧٩.
- ١٩- الكتاب: ٢/ ٤٠٥.
- ٢٠- أمالي القاضي: ٢/ ٢١٤، والمخصّص: ١٤/ ١٣٤.
- ٢١- سرّ الصّناعة: ١/ ٢٢٠، والمخصّص: ١٣/ ٢٧٢.
- ٢٢- سرّ الصّناعة: ١/ ٢٠١.
- ٢٣- الكتاب: ٢/ ٤٠٥.

- ٢٤- الصّاحبي: ص ٥٤.
- ٢٥- أسباب حدوث الحروف: ص ١٠.
- ٢٦- من أصول اللّهجات العربيّة في السّودان، لعبد المجيد عابدين: ص ٤٥.
- ٢٧- القلب والإبدال، لابن السّكّيت: ص ٣٧، وأما لي القالي: ١٣٩ / ٢.
- ٢٨- القاموس: قمس.
- ٢٩- التّهذيب: غثم، والقاموس: قثم.
- ٣٠- الأصوات اللّغويّة: ص ٨٥.
- ٣١- الكتاب: ٢٩ / ٢.
- ٣٢- سرّ الصّناعة: ٢٣٥ / ١.
- ٣٣- الكتاب: ٢٩٥ / ٢، وسرّ الصّناعة: ٢١٦ / ١.
- ٣٤- الكتاب: ٢٩٦ / ٢، وسرّ الصّناعة: ٢٣٥ / ١.
- ٣٥- الكتاب: ٤٠٥ / ٢.
- ٣٦- اللّسان، المقدّمة: ٢٢ / ١.
- ٣٧- اللّهجات العربيّة في التّراث: ص ٥١٩.
- ٣٨- المّزهر: ٤٧٦ / ١.
- ٣٩- الجاسوس على القاموس: ص ١٧٥.
- ٤٠- الصّاحبي: ص ٢٤٦.
- ٤١- المّزهر: ٤٧٦ / ١.
- ٤٢- القلب والإبدال، لابن السّكّيت: ص ٤٥، والجاسوس: ص ٤٤.
- ٤٣- المّزهر: ٤٨١ / ١.
- ٤٤- يُنطّق القاف كصوت الجيم التي ينطقها أكثر أهل مصر، أي: بين القاف والكاف. يُنظر لهجة تميم: ص ١٩٤.
- ٤٥- الكتاب: ٤٠١ / ٢.
- ٤٦- الأصوات اللّغويّة، لأنيس: ص ٢١٢.
- ٤٧- المصدر نفسه: ص ٢٠٧.
- ٤٨- سرّ الصّناعة: ٥٨ / ١.
- ٤٩- الكتاب: ٢٥٥ / ٢، ٢٥٩.
- ٥٠- الأصوات اللّغويّة: ص ٢٥٢.

- ٥١- القلب والإبدال: ص ٢٤.
- ٥٢- إصلاح المنطق: ص ٥٧، ٣٠٧.
- ٥٣- إصلاح المنطق: ص ٣٠٧، والفاخر: ص ١٧.
- ٥٤- القلب والإبدال: ص ٣٢.
- ٥٥- مجالس ثعلب: ص ٢٠٥.
- ٥٦- إصلاح المنطق: ص ١٣٠، والتّهذيب: مادّة (ثرد).
- ٥٧- التّهذيب: مادّة (بار).
- ٥٨- إصلاح المنطق: ص ٥٣.
- ٥٩- اللّسان: مادّة (تفل).
- ٦٠- الجمهرة واللّسان: مادّة (ثرد).
- ٦١- النّوادر: (١٩٥).
- ٦٢- القلب والإبدال: (٢٩)، وأملّي القالي: ٤١٢ / ٢.
- ٦٣- إصلاح المنطق: ص ٣٤.
- ٦٤- النّوادر: ص ١٩٨.
- ٦٥- اللّسان: مادّة (حبط).
- ٦٦- إصلاح المنطق: ص ٤٠٩.
- ٦٧- إصلاح المنطق: ص ٣٢٩، اللّسان: مادّة (حدث).
- ٦٨- القاموس والمحيط: مادّة (هندس).
- ٦٩- التّهذيب واللّسان: مادّة (حن).
- ٧٠- القلب والإبدال: ص ٦٥.
- ٧١- القلب والإبدال: ص ٣٠، والمجالس، ثعلب: ٣٥٢ / ٢، والجمهرة: ٤٧٤ / ٣، باب نوادر.
- ٧٢- التّهذيب واللّسان: مادّة (خطل)، والنّوادر: ص ١٨٤.
- ٧٣- التقفية في اللّغة: ص ٣٣٦، واللّسان: مادّة (درد).
- ٧٤- إصلاح المنطق: ص ٣٥٤، التقفية: ص ٣٧٦، والجمهرة: مادّة (دفر).
- ٧٥- إصلاح المنطق: ص ٣٥٤، والجمهرة واللّسان: مادّة (ربط).
- ٧٦- إصلاح المنطق: ص ١٥، والمحيط والتّهذيب واللّسان: مادّة (ربع).
- ٧٧- التّهذيب: مادّة (ردف)، والغواص: ص ٢١١، ولحن العوام: (٢٥٤).
- ٧٨- إصلاح المنطق: ص ٥٦، والجمهرة: مادّة (رسن)، وتّمّام، فصيح الكلام: ص ١٦.

- ٧٩- مجالس ثعلب: ٢٨ / ١، والفاخر: ص ٢٩٧.
- ٨٠- الفاخر: ص ٢٤، وكتاب الرّحل والمنزل: ص ١٣٤.
- ٨١- سورة الذّاريات: ص ٤٢.
- ٨٢- القلب والإبدال: ص ٥، والبارع والتّهذيب: مادة (رهدن).
- ٨٣- إصلاح المنطق: ص ٣٨٤.
- ٨٤- نوادر أبي زيد: ص ٢٩، والتقفية: ص ٢٢٨.
- ٨٥- النّوادر: ص ١٤٦.
- ٨٦- اللّسان: مادة (سبب)، والإصلاح: ص ٣٥٣، والجمهرة: مادة (سبب).
- ٨٧- القلب والإبدال: ص ٥٤، التّهذيب: مادة (سبندي)، والمخصّص: ٨ / ١٦.
- ٨٨- إصلاح المنطق: ص ٢٠٨.
- ٨٩- الأمثال، لمورّج: ص ٦٩، يُضْرَبَ لَمَنْ يَحِبُّ أَنْ يَأْخُذَ، ويكرهه أَنْ يَرُدَّ.
- ٩٠- النّوادر: ص ٢١٧.
- ٩١- إصلاح المنطق: ص ٥٢.
- ٩٢- النّوادر: ص ١٤١.
- ٩٣- اللّسان: مادة (شرم).
- ٩٤- التّهذيب واللّسان: مادة (شغف).
- ٩٥- النّوادر: ص ١٨٠.
- ٩٦- إصلاح المنطق: ص ٦٤.
- ٩٧- المصدر نفسه: ص ٣١٨.
- ٩٨- الفاخر: ص ٣٩.
- ٩٩- اللّسان والقاموس: مادة (ضبر).
- ١٠٠- النّوادر: ص ١٦٩، وإصلاح المنطق: ص ٤٣.
- ١٠١- الجمهرة واللّسان والقاموس: مادة (ضكك).
- ١٠٢- اللّسان والقاموس: مادة (طلي).
- ١٠٣- النّحل: الآية (٨٠).
- ١٠٤- التّهذيب: مادة (ظعن).
- ١٠٥- اللّسان: مادة (ظعن)، وكتاب الرّحل والمنزل: ص ١٢٣.
- ١٠٦- التّهذيب: مادة (عجز).

- ١٠٧- إصلاح المنطق: ص ١٩٤.
- ١٠٨- المصدر نفسه.
- ١٠٩- الجمهرة: مادة (عصب).
- ١١٠- إصلاح المنطق: ص ٣٨٤.
- ١١١- الجمهرة: مادة (عفت).
- ١١٢- التهذيب: مادة (عكم).
- ١١٣- إصلاح المنطق: ص ٢٧.
- ١١٤- اللسان: مادة (عَيَّر).
- ١١٥- التهذيب: مادة (غمس).
- ١١٦- إصلاح المنطق: ص ٨، والتقفية: ص ٦١٢.
- ١١٧- التهذيب واللسان والقاموس: مادة (فشخ).
- ١١٨- الإصلاص: ص ٤٠٧.
- ١١٩- الجمهرة: مادة (فش).
- ١٢٠- التهذيب: مادة (فش).
- ١٢١- التهذيب: مادة (فها).
- ١٢٢- التهذيب واللسان: مادة (فاح).
- ١٢٣- إصلاح المنطق: ص ٣٧٤.
- ١٢٤- الجمهرة والقاموس: مادة (قحف).
- ١٢٥- الجمهرة والقاموس: مادة (قحف).
- ١٢٦- النوادر: ص ١٦٧.
- ١٢٧- مجالس ثعلب: ٢/ ٤٣٢.
- ١٢٨- ص ٢٩٥.
- ١٢٩- إصلاح المنطق: ص ٣١٤.
- ١٣٠- الفاخر: ص ٢٠.
- ١٣١- سر الصناعة: ١/ ٢٧٨.
- ١٣٢- الصّاحبي: ص ٥٤.
- ١٣٣- إصلاح المنطق: ص ٣١، ١٨.
- ١٣٤- إصلاح المنطق: ص ١٢٦.

- ١٣٥ - اللّسان: مادّة (لبيج).
 ١٣٦ - الفاخر: ص ٣٢.
 ١٣٧ - إصلاح المنطق: ص ٣١٢، والفاخر: ص ٣٢، ولحن العوام: ص ٦٤.
 ١٣٨ - الجمهرة واللّسان: مادّة (لرز).
 ١٣٩ - التّهذيب واللّسان: مادّة (لشش).
 ١٤٠ - الجمهرة: مادّة (لكد).
 ١٤١ - ملحق نواذر أبي زيد: (٣١٥).
 ١٤٢ - الرّحل والمنزل: ص ١٣٢، والجمهرة: مادّة (مجن).
 ١٤٣ - إصلاح المنطق: ص ٣٢٧.
 ١٤٤ - التّهذيب: مادّة (ملط).
 ١٤٥ - إصلاح المنطق: ص ٩٩، والتّهذيب والجمهرة: مادّة (ندس).
 ١٤٦ - الجمهرة: مادّة (نوش)، واللّسان: مادّة (ناش).
 ١٤٧ - الإبدال والمعاقبة والنّظائر: ص ٥٨.
 ١٤٨ - الأمثال، لمؤرّج: ص ٨٢.
 ١٤٩ - الجمهرة: مادّة (برع).
 ١٥٠ - مجالس ثعلب: ٨٢ / ١.
 ١٥١ - إصلاح المنطق: ص ٩٢، والتّقفية: ص ٢٨٤.
 ١٥٢ - إصلاح المنطق: ص ١٦٩.
 ١٥٣ - التّقفية: ص ٢٩١.

أهم المصادر

- ١- الإبدال والمعاقبة والنظائر، لأبي القاسم الزجاجي (٣٧٧هـ) / تحقيق: عز الدين التتوخي، دمشق، ١٩٦٢م.
- ٢- أسباب حدوث الحروف، للرئيس ابن سينا (٤٢٨هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، القاهرة ١٣٣٢هـ.
- ٣- إصلاح المنطق، لابن السكيت (٢٤٤هـ)، تحقيق: أحمد شاكر وهارون، القاهرة، ط ٣، ١٩٧٠م.
- ٤- الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس، القاهرة، ط ٤، ١٩٧١م.
- ٥- الأمالي، لأبي علي القالي (٣٥٦هـ)، نشر دار الفكر، بيروت.
- ٦- التقفية في اللغة، لأبي بشر البندنجي (٢٨٤هـ)، تحقيق: خليل العطية، بغداد، ١٩٧١م.
- ٧- تمام فصيح الكلام، لابن فارس (٣٩٥هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، بغداد، ١٩٧١م.
- ٨- تهذيب اللغة، الأزهرى (٣٧٠هـ)، تحقيق: هارون وآخرين، القاهرة (١٩٦٤-١٩٦٧م).
- ٩- الجاسوس على القاموس، لأحمد فارس الشدياق، أوفست عن طبعة الجوائب، ١٢٩٩هـ.
- ١٠- جمهرة اللغة، لابن دُرَيْد (٣٢١هـ)، أوفست عن طبعة حيدر آباد، ١٣٢٢هـ.
- ١١- دُرّة الغواص، للحريزي (٥١٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل، القاهرة، ١٩٧٥م.
- ١٢ الرّحل والمنزل، المنسوب لابن قتيبة (٢٧٦هـ)، منشور ضمن كتاب البلغة في شذور اللغة، نشر أوفست هفنز، بيروت، ١٩١٤م.
- ١٣- سرّ الصناعة، لابن جني (٣٩٢هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، ج ١، القاهرة، ١٩٥٤م.
- ١٤- الصّاحبي في فقه اللغة، لابن فارس (٣٩٥هـ)، تحقيق: مصطفى الشّويمي، بيروت ١٩٦٤م.
- ١٥- الفاخر، للمفصّل بن سلمة (٢١٩هـ)، تحقيق: الطحاوي، القاهرة، ١٩٧٤م.
- ١٦- القاموس المحيط، للفيروزآبادي (٨١٧هـ)، القاهرة، ط ٢، ١٩٥٢م.
- ١٧- القلب والإبدال، لابن السّكيت، منشور ضمن كتاب الكنز اللّغوي، نشر أوغست، بيروت، ١٩٠٣م.
- ١٨- لحن العوام، للزبيدي (٣٧٩هـ)، تحقيق: رمضان عبد التّوّاب، القاهرة، ١٩٦٤م.
- ١٩- لسان العرب، لابن منظور (٧١١هـ)، مصوّرة طبعة دار صادر بيروت.
- ٢٠- اللّهجات العربيّة في التّراث، لأحمد علم الدّين الجنديّ، رسالة دكتوراه، طبع رونيّو، القاهرة.

- ٢١- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، لغالب المطلبي، بغداد، ١٩٧٨ م.
- ٢٢- مجالس ثعلب، لأبي العباس ثعلب (٢١٩هـ)، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة، ط٢، ١٩٦٠ م.
- ٢٣- المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد (٣٨٥هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، بغداد ١٩٧٨ م.
- ٢٤- المخصّص، لابن سيده (٤٥٨هـ)، طبعة المكتب التجاري، بيروت.
- ٢٥- المزهر في علوم اللغة للسيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل وآخرون، طبعه عيسى الحلبي، القاهرة.
- ٢٦- من أصول اللهجات العربية في السودان، لعبد المجيد عابدين، القاهرة، ١٩٦٦ م.
- ٢٧- النّوادر في اللغة، لأبي زيد الأنصاري (٢١٥هـ)، بيروت، ط٢، ١٩٦٧ م.

لَهْجَاتُ شَمَالِ شَرْقِيّ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ

المؤلف: بروس إنغام

الناشر: مؤسسة كيغان بول العالمية، ١٩٨٢، لندن

مراجعة: د. يحيى أحمد

يحملُ هذا الكتاب الرّقم (٣) ضمن سلسلة الكتب التي تصدر حول جوانب من اللغة العربيّة ولهجاتها، ضمن إطار الدّراسات اللّغويّة الحديثة. وتصدر السّلسلة تحت العنوان العامّ: (مكتبة اللّسانيّات العربيّة)، ويشرّف عليها الدّكتور محمّد حسن باكلا من جامعة الرّياض.

ونصّ هذا الكتاب مكتوبٌ بالإنجليزيّة، إلّا أنّه يحتوي على مقدّمة وخلاصة باللّغة العربيّة، تهدف إلى تعريف القارئ العربيّ بموضوع البحث، مع إعطائه الفرصة للتعرف على المعلومات الكثيرة التي يحويها الكتاب بين دفتيه. وليس من شكّ في أنّ الفضل في ذلك يعود إلى المشرف على هذه السّلسلة، فهذه المقدّمة -على الرّغم من قصرها وحاجة بعض المفاهيم اللّغويّة المذكورة فيها إلى الشّرح، أو التوضيح- تؤدّي غرضها بشكلٍ جيّد، وتعكس همّة ونشاط الدّكتور محمّد باكلا. يقع الكتاب في ستّة فصولٍ، إلى جانب مقدّمةٍ يشرح فيها المؤلّف نظام التهجئة الذي اتّبعه لكتابة السّواكن والحركات في اللّهجات المدروسة، ويشرح المؤلّف -أيضاً- طبيعة دراسته هذه، وكيفيّة حصوله على المادّة التي يبنّي عليها تحليله.

الفصل الأوّل يحمل هذا العنوان: (المنطقة: نجد، والعالم الخارجيّ). وفيه يعرض

المؤلف بشكلٍ مُفصَّلٍ المناطق التي ستشملها الدراسة، ويتطرق إلى وصف طبيعة الحياة البدويّة، ثمّ يتعرّض لموضوع الهجرات الموسميّة وغير الموسميّة من نجد، مع ذكر أسبابها بإسهاب، والمؤلف في هذا الفصل يعتمد بشكلٍ أساسيٍّ على كتاباتٍ قديمةٍ لأربعةٍ من الكتّاب، هم أشهر من كتّب عن تلك الجوانب من الحياة العربيّة:

- ١- لوريمر (١٩٠٨): (تاريخ الخليج). مترجم إلى العربيّة.
- ٢- فليبي (١٩٢٢): (قلب الجزيرة العربيّة). جزءان (بالإنجليزيّة).
- ٣- تشارلز دوتي (١٩٢٤): (رحلات في الصّحراء العربيّة). جزءان (بالإنجليزيّة).
- ٤- أ- موسل (١٩٢٧): (منطقة وسط الفرات). (بالإنجليزيّة).
- أ- موسل (١٩٢٨): (العادات والتقاليد لدى بدو رواله). (بالإنجليزيّة).
- أ- موسل (١٩٢٨): (شمال نجد). (بالإنجليزيّة).

إلى جانب كتابات كانتينو ومونان، وغيرهما.

ومن المحدثين العرب، يذكر المؤلف كتّابي:

- العبيد (١٩٧١): (قبيلة العوازم)، بيروت.
 - العزاوي (١٩٥٦): (عشائر العراق)، أربعة أجزاء، بغداد.
- والفصل الثاني، عنوانه: (طبيعة الدّراسة التقابليّة في اللهجات). وفيه يشرحُ المؤلّف الوضع اللّغويّ في المنطقة، والأساليب التي من الممكن استعمالها في الدّراسة اللّهيّة.
- والفصل الثالث، عنوانه الحرفيّ، كالآتي: (التغيّرات النّاشئة بسبب الاختزال في اللهجات العراقيّة والخليجيّة). وفيه يعقد المؤلّف مقارنة بين اللهجات المحافطة؛ وذلك بسبب موقعها الجغرافيّ، وبين اللهجات الحدوديّة التي طرأ عليها شيءٌ من التجديد، أو التغير، عن طريق تقليص أو اختزال بعض الوظائف النّحويّة والصّرفيّة والصّوتيّة فيها. وهذا الفصل مع الفصلين الرّابع والخامس يُشكّل الأجزاء التي تحتوي

على التحليل اللغوي والمقابلات اللهجية في الكتاب.

في الفصل الرابع المعنون: (التغيرات غير الاختزالية في اللهجات النجدية الشمالية)، يُعالج المؤلف بعض الخصائص التي تميّز مجموعة من اللهجات النجدية الشمالية، ويُحاول أن يُفسّر هذه الخصائص على أساس أنها تغيّرات طرأت على هذه المجموعة من اللهجات، فميّزتها عن باقي لهجات المجموعة النجدية، ويُحاول أن يُرجع حدوث مثل هذه التغيرات إلى البيئة الطبيعية لمجموعة الناطقين بهذه اللهجات، وهي بيئة تتسم بالانعزال الجغرافي (ويبدو واضحاً هنا أن المؤلف يكتب بوحى من كتابات اللغوي الأمريكي المعاصر (وليام لا بوف Labov)، الذي اشتهر بدراساته اللغوية الاجتماعية (sociolinguistic)، والذي يحاول تفسير التغير اللغوي على أساس تحركات المجموعات البشرية ذات الصلة بالظاهرة اللغوية المعنية. ولكن، ونظراً إلى التركيز العملي للمؤلف على المادة اللغوية، فإنه لم يَسعَ إلى تطبيق أفكار لا بوف بشكلٍ موسّع).

الفصل الخامس من الكتاب: (التوزيع الرئيسي للخطوط الفاصلة للهجات المنطقة). يتناول شرحاً للنطاقات اللغوية التي تفصل بين لهجات المنطقة، والمقصود بالنطاقات اللغوية تلك المجموعة من الخصائص التي لا تندرج ضمن تلك التي عالجها المؤلف في الفصلين الثالث والرابع. والخطّ الفاصل في الدراسة اللهجية عبارة عن خطوط يتوصّل إلى رسمها الباحث؛ بُغية توضيح الفروق بين لهجات المنطقة، فمثلاً، يمكن رسم خطّ لهجيّ فاصلٍ بين لهجة الكويت ولهجة العراق فيما يختصر بكيفية نطق الاسم الثلاثيّ السّاكن الوسط، ففي لهجة الكويت، يُنطق مثل هذا الاسم بتسكين الوسط، أمّا النطق العراقيّ، فيكون بتحريك الوسط، كما في: (قلب، عرس، كبد)، وغيرها. ولكنّ هذه الفوارق اللهجية التي يذكرها المؤلف لا تتبّع الحدود السياسيّة، كما أنها لا تتوزّع بشكلٍ منتظمٍ بحيث تقسّم المناطق إلى مجموعات لهجية واضحة المعالم، غاية ما تكشفه

تلك الظواهر التي يدرسها المؤلف في هذا الفصل هو أنها تتسم بالتوزيع الطبيعي (Natural Distribution) ضمن مناطق اتصال (Communication Area).

والخطوط الرئيسية التي يُشير إليها المؤلف في هذا الفصل هي ما يأتي:

- ١- الخطّ الفاصل بين القسم الشمالي والقسم الجنوبي من لهجات المنطقة، وهو يمرّ من الكويت، فجنوباً إلى القصيم، وينحرف غرباً إلى حائل، وينتهي في الحجاز.
- ٢- الخطّ الفاصل الذي يقسم المنطقة النهرية، أي: العراق وعربستان، من باقي المنطقة.

- ٣- الخطّ الفاصل الذي يقطع المركز، أي: قلب الجزيرة العربية، عن الأطراف.
- أمّا الفصل السادس والأخير، فهو مخصّص للنصوص التي استقى منها المؤلف معلوماته، وكوّن على أساسها ملاحظاته الأولية، وهي تبلغ ستة عشر نصّاً، تسعة منها تخصّ اللهجات النجدية، والبقية تخصّ اللهجات العراقية. والنصوص تتفاوت ما بين حكايات ارتجالية نثرية يتخللها شيء من الشعر، وحوار عفوي بين شخصين، إلى كونها مجرد تسجيل لأحاديث بعض وجهاء القبائل، وهم يروون حكايات تاريخية.
- والمؤلف يُورد كلّ نصّ كما تمّ تسجيله في الواقع اللغوي، مع محاولة كتابته كتابة صوتية دقيقة؛ لكي يُعطي الفرصة للغوي المهتمّ بتتبع النصّ كما نُطق بالفعل. وهناك ترجمة إنجليزية لجمال كلّ نصّ، مع حواشٍ وتوضيحات مهمة، تنم عن إحاطة المؤلف بلهجات المنطقة.

طبيعة هذه الدراسة

من المعروف في مجال دراسة اللهجات، أنّ الدراسة قد تأخذ أحد طابعين: الطابع النظري؛ إذ تهدف الدراسة إلى طرح فكرة نظرية، أو تعضيد نظرية قائمة، أو بلورة

جوانب في النظرية تُعدّ غامضة، أو مفتقرة إلى أدلة واقعية مقنعة. وقد تأخذ الدراسة الطابع الوصفي، فيكون اهتمام الباحث منصباً على وصف الحقائق اللغوية التي تَبَدَّتْ له في المادّة اللغوية التي جمعها، والتي تخصّ اللهجة، أو اللهجات التي يُريد دراستها. وقد يضطرّ الباحث الوصفي تحقيقاً لدقّة الوصف أن يعقد مقارنة بين اللهجة المعنية ومستوى كلامي آخر ذي صلة وثيقة بهذه اللهجة، كمقارنة اللهجة الكويتية بجوانب من اللهجة العراقية (البغدادية)، والمقارنة هنا تأخذ بعداً أفقيّاً، أو كمقارنة اللهجة الكويتية بالفصحى، ومثل هذه المقارنة هنا تأخذ بعداً عمودياً، أي: يكون المنحى تأريخياً، ولكن، في كلتا الحالتين لا يكون من همّ الباحث التركيز على ظاهرة لغوية بحدّ ذاتها بهدف إثبات مقولة نظرية، كما هو الحال في النوع الأوّل من الدراسات.

ودراسة الدكتور (إنغام) تقع ضمن النوع الثاني، أي: هي دراسة وصفية لمجموعة من لهجات البدو في المناطق الشّمالية والشّمالية الشرقيّة من الجزيرة العربية. هذه اللهجات يُمكن من النّاحية اللغوية تقسيمها على قسمين:

القسم الأوّل: اللهجات النّجدية، وتشمل لهجات مناطق السّاحل الشّرقي للخليج العربي، وهي: الأحساء، والدّمّام، والظّهان، والكويت، ومناطق الحدود الشّمالية للمملكة العربيّة السّعوديّة، وهذه المناطق عبارة عن الأراضي الصّحراوية الرّعوية التي توجد فيها آبار للمياه العذبة، كما في منطقة جبل شمر، أو التي تُصبح غنيّة بالحياة النباتيّة إبّان سقوط الأمطار في فصل الشّتاء، كمطقة حفر الباطن، مثلاً.

القسم الثّاني: لهجات بلاد ما بين النّهرين (اختصار: اللهجات العراقيّة)، وتشمل مجموعة اللهجات المنتشرة في الأجزاء الجنوبيّة من نهر دجلة والفرات، ونهر كارون (في عربستان)، ثمّ شطّ العرب. وقد انحصر اهتمام المؤلّف بالمناطق (المحافظة) في جنوب العراق وعربستان، أي: الأقلّ تعرّضاً للتأثير اللّغويّ الخارجيّ، وهذه تشمل:

أ- شَطَّ العرب بجانيه، خورهمشير، ضَفَّتِي نهر جَرَّاحي حوالي مدينة شادگان، وأجزاء من الفرات جنوب مدينة النَّاصِرِيَّة. واللَّهجات العراقيَّة الخالصة تنتشر في هذه المناطق.

ب- أجزاء من منطقة الأهوار، مثل هور الحَمَّار (بفتح الحاء وتشديد الميم)، وهور الحويزة. وهذه المناطق يقطنها مَنْ يُعَرِّفون (بالمعدان) (جمع معيدي)، والكلمة تُطْلَق أصلاً على مَنْ يقومونَ بتربية ورعي الجواميس. ولهجة المعدان عراقية في أكثر صفاتها ولكنها تميلُ إلى لهجة البادية.

ج- منطقة البادية، وتَقطنها مجموعاتٌ قَبَلِيَّةٌ، بعضها مُتَرَحِّلة، وبعضها ثابتة. والمنطقة تنقسم على جزء شرقيٍّ في عربستان يبدأ من شمال هور الحَمَّار حيث تُقيم قبائل آل بوصالح وآل عيسى، وجزء غربيٍّ ابتداءً من غربي الفرات، وهذا الجزء يُشكِّل نقطة انتقاليَّة، منها يبدأ النَّزوح إلى الصَّحراء، أو العكس، ولهجة البادية تُشبه اللَّهجات النَّجديَّة.

وكما يلاحظ القارئ، فإنَّ المناطق المذكورة في القسمين السابقين تندرج تحت عدَّة أقاليم سياسيَّة، ومن ثَمَّ فإنَّ تسمية مجموعة هذه اللَّهجات باللَّهجات الشَّمالِيَّة الشرقيَّة للجزيرة العربيَّة مبنية على أساسٍ جغرافيٍّ صرف، بحيث يكون تتبُّع الظاهرة اللُّغويَّة على أساس التَّوزيع الجغرافيِّ للمجموعات البشريَّة، مع غُصَّ النظر عن الحدود السياسيَّة التي تقسم كلَّ دولة عن الأخرى، فمثلاً، قبيلة مثل (الظَّفِير)، نرى أنَّ أفرادها ينتمونَ إلى العراق من حيث مواقع الرِّعي التي يرتادونها ومواقع مخيماتهم، ولكنهم منقسمونَ الآن ما بين العراق، والسَّعوديَّة، والكويت، ومركزهم الرِّئيس في الظَّفيريِّ قرب الحفر في السَّعوديَّة، وهذا يجب أن يُفهم في سياق ما يُسمِّيه المؤلِّف بـ(هجرة القبائل)؛ إذ إنَّ هناك الهجرة الموسميَّة، وهي التي تفرضها ظروف الحياة النَّباتيَّة في المنطقة، وهناك

-أيضاً- الهجرة الفردية، أو الجماعية، للعائلات البدوية من المناطق النجدية إلى المراكز الحضارية. ففيما يختصّ بالنوع الأول من الهجرات، من المعروف أنّ لكل قبيلة منطقة رعوية تُسمّى باللّهجات الدّارجة (ديرة)، وهذه المنطقة تتغيّر بالطبع تبعاً لتغيّر مواقع القوى بين القبائل في المناطق، ولكنها بوجه عام تتسم بالثبات، وفي أواخر الربيع وأوائل فصل الصيف تبدأ النباتات بالذبول، فتشجّ المراعي؛ ولذلك تتلاقى القبائل عند المناطق التي فيها آبار دائمة، ومن أشهر هذه المناطق: منطقة هور الحمار وما يحيط بها من روافد نهريّة صغيرة، كنهر الغراف (بفتح الغين وتشديد الراء)، وجبل شمّر، والجهرة وحفر الباطن في جنوب غرب الكويت.

أمّا فيما يختصّ بالنوع الثاني من الهجرات، فالملاحظ أنّ أعداداً كبيرة من المجموعات البدوية قد رحلت نحو المدن الرئيسة على شواطئ الخليج، واستقرّت فيها بصفة دائمة. وكلّما تقادم العهد بالمجموعات المهاجرة، فإنّ الخصوصيات اللّهجية لهذه المجموعات تبدأ في الاختفاء، وتصبح اللّهجة السائدة عندها هي اللّهجة الحضريّة، كما هو الحال في الكويت بالنسبة إلى بني خالد والعتوب والعوازم والرّشادة. ويُشير المؤلّف إلى أنّه خلال القرنين الماضيين نقلت ثلاث من القبائل الكبيرة ذات الأصول النجدية مقرّ مخيماتهم الصّيفيّة إلى العراق، فقبيلة العمارات، وهي فرع من العنزة، تستقرّ حالياً قرب النّجف وما جاورها شمالاً، وقبيلة الشّومان، وهي من فروع الشّمّر تنتشر خيامها من النّجف حتّى السّماوة، وقبيلة الظفير، وهي ذات أصولٍ مختلطة، تستقرّ قرب الناصرية وجنوباً حتّى الزّبير.

ولكنّ المؤلّف لا يوضّح مدى استمرارية مثل هذا النوع من الهجرات في الوقت الحالي، أو مدى تأثرها بالمشاريع القائمة في كلّ من الكويت والسّعودية لإسكان البدو، وهل تركت خطط التحضير التي تبناها هاتان الحكومتان أيّة آثار على التركيب القبليّ

الذي تَحَدَّثَ عنه؟ على أَنَّهُ تجدر الإشارة إلى أَنَّ المؤلِّفَ يَتَكَلَّمُ في الفصل الخامس عن محافظة القبائل البدويَّة على الصَّلَاتِ العائليَّة، ما يُؤدِّي إلى المحافظة على وحدة اللُّهجة، والمحافظة على خصائصها الرئيِّسة، على الرُّغم من انتشار هذه القبائل ضمن المناطق الحضريَّة في عددٍ من مدن المنطقة، وهذا الموضوع بحاجةٍ إلى دراسةٍ مستفيضةٍ.

الدَّرَاسَةُ اللَّهْجِيَّةُ الْمَقَارَنَةُ

لو ألقينا نظرةً على الخريطة التي توضَّح منطقة الدَّرَاسة لا تَضَحَ لنا ضخامة المنطقة وتعدُّد القبائل فيها، فهل بالإمكان إجراء دراسة تقابليَّة بين هذا العدد من اللُّهجات؟ الواقع أَنَّهُ ليس من السَّهل رسم الخطوط الفاصلة بين المناطق اللَّهْجيَّة، وخاصَّة في حالة عدم وجود عوائق جغرافيَّة طبيعيَّة تحول دون الانتشار السَّكَّاني المتواصل؛ إذ في مثل هذه الظروف كثيراً ما تندمج المظاهر اللَّهْجيَّة، وقد تظهر لنا الفوارق إذا ما اخترنا معايير بسيطة لتعيين الفوارق؛ لذلك، فالمؤلِّف يضرب صفحاً عن هذه المحاولة، ولكنْ ألا يكشف لنا واقع الاستعمال اللُّغوي أَنَّ أفراد المنطقة يحسُّون بوجود الفوارق اللَّهْجيَّة بينهم، بحيثُ إِنَّ هذه الفوارق تشكِّل إحدى علامات التمييز الاجتماعيِّ أو الانتماء القبليِّ؟ وطالما أَنَّ هذه المقولة صحيحة، وهي بالفعل كذلك، فعلى الباحث اللُّغوي أنْ يدرج مثل هذه الفوارق ضمن ملاحظاته، وهنا تأخذ الدَّرَاسة طابع البحث عن الفوارق الفرديَّة ضمن مناطق لهْجيَّة، وليس طابع البحث عن حدود جغرافيَّة بين لهجاتٍ مفصولة. وهذا هو الأسلوب الذي اتَّبعه الدُّكتور إنغام في دراسته، فهو في النَّهاية يرى أَنَّهُ من السَّهل التحدُّث عن اللُّهجات المركزيَّة، وهي اللُّهجات الموجودة في مناطق تُعدُّ مركزيَّة (Core Areas) من حيث التواجد السَّكَّانيِّ، أو من حيث كونها مناطق حضاريَّة، بحيثُ إِنَّا كُلِّمًا ابتعدنا عن مثل هذه المناطق المركزيَّة نواجه لهجاتٍ

انتقاليّة (Transitional Dialects) على الحدود؛ ولذلك فهو يتّبع الظاهرة اللّهجية من خلال الانتشار السّكانيّ للمجموعات البدويّة (Population Distribution)، ويستعين -أيضاً- بالاعتبارات التّاريخيّة متمثّلة في تتبّع أصول المجموعات السّكانيّة لعقد بعض المقارنات، أو شرح بعض الظواهر اللّغويّة.

والواقع اللّغويّ للمنطقة يُساعد الباحث على مثل هذا الأسلوب في الدّراسة. فمِن النّاحية النوعيّة، هناك فرق بين لهجة البدو ولهجة الحضر، وإنّ كانت الملامح تتداخل في بعض المجالات. وإلى جانب ذلك، فالدراسة التّاريخيّة تكشف لنا أنّه من الممكن الرّبط ما بين لهجات البدو وبين المناطق الأصليّة لهم، ومرجع ذلك فكرة الترابط القبليّ والاعتزاز بالأصل، الذي تُعدّ اللّهجة من أهمّ ملامحه، وفيما يلي نماذج تؤكّد هذه الفكرة: لو سرنا بمحاذاة الفرات من الشّمال فجنوباً، سنجد أنّ قبائل السّبعة (بسكون السّين وفتح الباء) والعمارات، وهي من الفرع العنزي، تتكلّم لهجة نجدية، وعلى وجه التحديد هي من وسط نجد، مع ملامح شماليّة.

إلى الجنوب من هاتين القبيلتين، وابتداءً من النّجف الأشرف، نجد القبائل الشّمرية، ولها لهجتها المميّزة، لهجة شمال نجد.

إلى الجنوب منها، وابتداءً من السّاوة، نجد القبائل الظفيريّة، ولهجتها تحوي ملامح خليطة من وسط وشمال نجد.

وأيضاً إلى الجنوب من هذه القبائل، وابتداءً من منخفض الباطن بمحاذاة الحدود الكويتيّة نجد المطير، وهي ذات لهجة من وسط نجد، ولكن من دون الملامح الشّماليّة الموجودة في النّمط العنزيّ من اللّهجات.

ويَتَّضح هذا الارتباط ما بين اللّهجة والأصل القبليّ إذا ما تدكّرنا أنّ القبائل العنزيّة أصلها من غرب نجد، من منطقة خيبر، والقبائل الشّمرية أصلها من منطقة شمال

شرق نجد، أمّا القبائل الظفيريّة، فالشائع عنها أنّ أصولها مختلطة، فهي تشتمل على عناصر ذات أصولٍ من وسط نجد، إلى جانب عناصر من الرّقيق، وقد هاجر أعداد من الظفيريّين إلى مناطق جنوب الفرات مع بداية القرن التاسع عشر. وأمّا القبائل المطيريّة، فأصلها من غرب نجد، من منطقة المدينة، وقبيلة حرب أصلها من الحجاز. وهذا الوضع الذي ذكره المؤلّف من ارتباط اللهجة بالأصل القبليّ للأفراد، مع غُصّ النّظر عن الموقع الجغرافيّ الحاليّ لهؤلاء الأفراد، يؤكّد نظريّة مشهورة في مجال الدّراسات اللّهجية ألا وهي نظرية اللّغوي الألمانيّ (شلايشر Schleicher)، والمعروفة بـ(نظريّة شجرة العائلة اللّغويّة) (Family Tree Theory)، التي تذهب إلى أنّ اللّهجيات تنتقل على محوريّ الزّمن والمسافة مع انتقال المجموعات البشريّة النّاطقة بها وتوزّعها.

التغيُّر اللّهجيّ النّاشيُّ بسبب اختزال الوحدات العاملة في اللهجة

يمتاز كتاب الدّكتور إنغام بأنّه ليس مجرد دراسة تقابليّة لمجموعة من اللّهجيات، بل إنّهُ يُحاول طرح فكرة أساسيّة يبني عليها تحليله الرّئيس في الفصلين الثّالث والرّابع. وهذه الفكرة ملخّصها أنّ المقارنة ما بين اللّهجيات الدّاخلية، أي: النّجديّة، وبين اللّهجيات المنتشرة على الأطراف الشرقيّة والشماليّة من الجزيرة العربيّة، أي: اللّهجيات الخليجيّة والعراقيّة، تكشف لنا أنّ اللّهجيات الأطرافية (وبخاصّة العراقيّة) قد حصل فيها اختزال لبعض الوظائف التركيبيّة والصّرفيّة والصّوتيّة. والاختزال (Reduction) بمعناه اللّغويّ لا يعني أنّ قدرة اللهجة على التعبير قد تقلّصت، أو ضعفت، بل كلّ ما يعنيه المصطلح هو أنّ شيئاً من التّسهيل قد طرأ على البناء الصّوتيّ، أو الصّرفيّ، في اللهجة، والأمثلة التالية تُوضّح هذا الجانب:

١ - يُلاحظ في اللّهجيات الأطرافية (وكذلك بعض المناطق المدنيّة الكبيرة) اختفاء

التفرقة بين صيغتي المذكر والمؤنث في الأفعال المُسندة إلى المخاطب والغائب والجمع:

الصَّيغ في النِّظام المختزل	الصَّيغ في النِّظام الشَّائع	
	مؤنث	مذكر
كُتِبُوا (صيغة المذكر والمؤنث)	كُتِبْنَ	كُتِبُوا
(= = =) كُتِبُوا	كُتِبْنَ	كُتِبُوا
(= = =) يَكْتُبُونَ	يَكْتُبْنَ	يَكْتُبُونَ
(= = =) كُتِبُوا	إِكْتُبْنَ	إِكْتُبُوا
(= = =) هُمْ	هُنَّ	هُمْ

٢- في اللغة العربية الفصحى، وفي اللهجات النجدية، نجد أنّ صيغة المبني للمجهول يتوصّل إليها عن طريق التغيرات في الصيغة، أي: التغير النوعي والكمي للحركات:

الفصحى: كَتَبَ ← كُتِبَ
قاتل ← قُوتِلَ ← إلخ...

أمثلة من اللهجات النجدية (لهجة القصيم):

(صيغة المبني للمجهول)	(صيغة المبني للمعلوم)
أَنَشِدْ (متكلّم مفرد)	أَنَشِدْ (بمبنى أطلب)
يَنَشِدْ (غائب مذكر مفرد)	يَنَشِدْ
يَنَشِدُونَ (غائب مذكر جمع)	يَنَشِدُونَ
يَنَشِدْنَ (غائب مؤنث جمع)	يَنَشِدْنَ

أمّا في اللهجات المختزلة، فصيغة المبني للمجهول تكون بإضافة الوحدة الصّرفيّة (إن)، وهذا التّغيير في الصّيغة يتمشّي مع النّمط العامّ لتصريف الأفعال في تلك اللهجات، إلى جانب أنّه يعني تقليصاً لعدد الملامح الصّوتيّة الفارقة المطلوبة في البنية الصّوتيّة التّحتيّة، وبذلك تكون جميع أنواع الحركات في تلك اللهجات حركات تخصّ البنية السّطحيّة، ففي لهجة منطقة شطّ العرب، نجد النّمطين الآتيين:

(صيغةُ المبني للمعلوم)	(صيغةُ المبني للمجهول)
نَشَدَ	إِنْشَدَ (غائب مذكّر مفرد)
نَشَدَتْ	إِنْشَدَتْ (غائب مؤنّث مفرد)
نَشَدْتُ	إِنْشَدْتُ (متكلّم مفرد)
نَشَدْنَا	إِنْشَدْنَا (متكلّم جمع)

إلخ...

وهنا نجد اللهجات النّجدية أقرب إلى روح الفصحى من حيث كيفة صياغة المبني للمجهول، ولو شاء باحث أن يتبنّى منهجاً تحليلياً آخر يعتمد الفصحى أساساً للمقارنة، لخرج بنتيجة تختلف عن النتيجة التي يُوردها المؤلّف هنا؛ إذ حسب معيار مدى تباعد اللهجة عن أصول الفصحى، نجد اللهجات التي تتبنّى ميكانكيّة مختلفة في التوصل إلى صيغة المبني للمجهول تمثّل تطوّراً معقّداً، فصيغة (انفعل) في العربيّة الفصحى تعني المطاوعة فقط، على حين أنّها في اللهجات غير النّجدية تعني إلى جانب المطاوعة البناء للمجهول، وهذا المؤلّف يذكر أنّ صياغة المبني للمجهول عن طريق التبدلات الصّوتيّة الدّاخلية للصّيغة ظاهرة موجودة في لهجات: الشّمر، والسّدير، والمذنب، وحائل، وهي كذلك موجودة عند قبائل: العمارات، والعواجة (وهي من الفروع العنزيّة)، وكذلك عند الظفيريّين، ولكنّ الأمر يختلف شيئاً ما بالنسبة إلى القبائل الثلاث الأخيرة، فالمبني للمجهول كصيغة لغويّة يُستعمل فقط مع الغائب المفرد، ففي هذه اللهجات نجد مثل

هذه الكلمات:

دُبِخَ، ذُبِحَتْ	(هو قُتِلَ، هي قُتِلَتْ)
ضَرَبَ، ضُرِبَتْ	(ضَرَبَ، ضُرِبَتْ)
سَمِعَ، سُمِعَتْ	(سَمِعَ، سُمِعَتْ)
كَبُرَ، كُسِرَتْ	(كَبُرَ، كُسِرَتْ)

ولكنَّ المؤلّف لا يُورد أمثلة مشابهة لهذه في الزّمن المضارع، فهل يعني أنّ صيغة المبني للمجهول ترد في الزمن الماضي فقط؟ وكذلك لا يُخبرنا المؤلّف شيئاً عن الأساليب البديلة التي يستعملها متكلّمو هذه اللهجات الثلاث حينما يريدون أن يعبروا عن حقائق تَمَّتْ بصلّة إلى المخاطب أو المتكلّم، وبعبارة أخرى، نحن نستطيع في العربيّة الفُصحى وجميع لهجاتها التي نعرفها أن نقول: (هزمتنا)، (هزموا)، (هزمتم) بالبناء للمجهول، فإذا كانت صيغة المبني للمجهول في لهجات العواجة والعمارات والظفير تُستعمل فقط مع الغائب، فكيف يعبر مستعملو تلك اللهجات عن الحقائق المتعلقة بالأشخاص الآخرين، كما هو الوضع في الفُصحى وغيرها؟

وهناك نقطة أخرى يشعر القارئ بشيء من الغموض تجاهها، نظراً إلى أنّ المؤلّف لم يذكر أمثلة كافية عنها، هذه النقطة تخصّ ما أورده المؤلّف في الفصل الثالث عن الفعل اللازم والمبني للمجهول في لهجات الخليج (الكويت، والأحساء)، ولهجات مجموعات بدويّة عراقية، مثل: قبائل الحميد، والرّبيع، والبدور، يذكر أنّ الفعل الثلاثيّ الصّحيح اللازم تتشابه صيغته مع صيغة المبني للمجهول، وهذه ملاحظة مهمّة بإمكان عالم اللّغة النّظريّ الاستفادة منها، ولكنّ الأمثلة التوضيحية هي مجرد أربعة أمثلة من لهجة الكويت (المقصود بذلك لهجة البدو في الكويت)، وخمسة أمثلة من لهجات الحميد والرّبيع:

(لهجة الحميد والرفيع)	(لهجة بدو الكويت)
رِجِبْ، رِجَبَتْ (أي: ركب)	سِمِعْ، سِمِعَتْ
وِرْدْ، وِرَدَتْ	شِرْبْ، شِرَبَتْ
وِصَلْ، وِصَلَتْ	وِصَلْ، وِصَلَتْ
لِبْسْ، لِبَسَتْ	فِهْمْ، فِهَمَتْ
چبر، چبرت (أي: كبر)	

فهذه الصيغة تمثل صيغة اللّازم والمبني للمجهول أيضاً، ولكننا نلاحظ أنّه باستثناء الفعلين (وصل) و(كبر)، فبقية الأفعال هي من تلك المجموعة من الأفعال التي يُسمّيها (جون لا يون Lyons) (الأفعال شبه اللازمة Pseudo Intransitive)، والمقصود بذلك أنّها متعدّية من النّاحية المنطقيّة، (أو على مستوى التحليل العميق)؛ إذ من المفهوم أنّ الإنسان يشربُ شيئاً ويسمعُ شيئاً، ويفهمُ شيئاً، ويقرأُ شيئاً، وهكذا، فهل هذا يعني أنّ سبب تشابه الصّيغتين مرجعه إلى خصوصيّة مجموعة من الأفعال؟، الموضوع بحاجة إلى تفسير.

٣- كمثالٍ آخر على اللّهجات التي طرأ عليها شيءٌ من الاختزال، نلاحظ أنّ الصّوتين (/د/، /ذ/) في لهجة منطقة الأحساء ولهجة البحارنة قد اندجما ليُصبحا صوتاً واحداً هو (/د/)، وكذلك اندمج صوت الثاء وصوت الفاء، ليُصبحا فاءً، وبذلك يكون صوت الدّال وصوت الفاء قد اختفيا من النّظام الصّوتيّ في هاتين اللّهجتين:

(لهجات وسط نجد)	(لهجة البحارنة في البحرين)
(النّظام المحافظ)	(النّظام المُختزل)
ثلاثة	فلافة
ثاني	فاني

هذا (هَادَه) هذا (هَادَه)

أخذ أخذ

وهناك - أيضاً - الاندماج بين الياء والجيم في منطقة الخليج وجنوب العراق.

٤ - في بعض لهجات جنوب العراق وعربستان والبحرين، هناك اتجاه لتقليص أوزان الفعل الماضي بأشكاله الأربعة: الصَّحِيح، المعتل الوسط، المعتل الآخر، المُضْعَف، ففي النِّظام المختزل نجد أنَّ الصَّيغ الأربع تتوَحَّد عن طريق إضافة حركة أماميّة طويلة نصف مغلقة قبل السَّاكن الأخير.

أمثلة:

(النِّظام المحافظ) (النِّظام المُختزَل)

كَتَبْتُ كَتَيْتُ

نِمْتُ نَامَيْتُ

لَقِيتُ لَقَيْتُ

شَدَّه شَدَّاهُ

أثر الانعزال الجغرافي في التغيرات اللغوية

يتناول المؤلّف في الفصل الرَّابِع بعضاً من خصائص اللّهجات النّجدية الشّمالية، ويُمثّلها منطقة جبل شمر والقصيم، وأيضاً مجموعة لهجات بدويّة لقبائل العمور والصلوت والسردية والسرحان في بادية الشام. ويجد القارئ في هذا الفصل سرداً مفصلاً للمنطقة اللّغويّة التي يعنيها المؤلّف بحديثه، وعلاقة القبائل الأخر بها من قريب أو بعيد. ونحن يهّمنا هنا ما أثبتّه المؤلّف على أنّه يشكّل خصائص مميّزة لمجموعة من اللّهجات تتّصف بالانعزال؛ إذ إنّّه من المفترض أن تكون هذه العزلة سبباً في تمسك

هذه اللهجات بتلك الخصائص، ومن أهم هذه الخصائص ما يأتي:

- ١ - ضمير الغائب المفرد المذكّر (في حالتي الإضافة والنصب) هو [ـُ]، أو [ـَه] أي: ضَمّة (وهي حركة خلفيّة قصيرة ضيّقة)، أو ضَمّة متلوّة بهاء، هذا إذا كانت الكلمة منتهية بساكن، أمّا إذا انتهت الكلمة بحركة، فالضمير يكون عبارة عن واو.

أمثلة:

شمال نجد	مناطق أُخر
بَيْتُ	بَيْتَهُ أَوْ بَيْتَهُ
شَافُ	شَافَهُ أَوْ شَافِهِ
شِفْنَاو	شِفْنَاهُ (أي: رأيناه)
وَيَّاو	وَيَّاهُ (أي: معه)
خَدَّاو	خَدَّاهُ (أي: أخذه)
ماو	ما (أي: ماء)
بُهْ	بُهْ، يِيَهْ (أي: فيه)

- ٢ - ضمير الغائب المفرد المؤنث (في حالتي النصب والإضافة) هو [ـَ]، أو [ـَه]، أي: فتحة خالصة (وهي حركة أماميّة منفتحة قصيرة)، أو فتحة متلوّة بهاء. أمّا في اللهجات الأخر، فالضمير هو: (ها أو هـ).

أمثلة:

شمال نجد	مناطق أُخر
شَافَهُ	شَافَهَا (رآها)
بَيْتَهُ	بَيْتَهَا

أَبِيهَا (أُرِيدَهَا)	أَبِيهِ
عَلَيْهَا (عَلَيْهَا)	عَلَيْهِ
شَلِيلَهَا (أَحْمَلِيهَا)	شَلِيلِهِ
إِذْبَحِيهَا	إِذْبَحِيهِ

٣- ضمير المتكلم المفرد (في حالة النصب) هو [ـَ ن] إذا كان مسبوقاً بساكن، أو [ن - ن] إذا كان مسبوقاً بحركة.

أمثلة:

مناطق آخر	شمال نجد
شَافِنِي، شَافِنِي (أَي: رَآنِي)	شَافَنْ
إِتْرَكْنِي	تَرَكَنْ
يَسْبِنِي، يَسْبِنِي	يَسْبَنْ
خَلُونِي (أَي: اتركوني)	خَلُونَنْ
عَطْنِي (أَي: اعطني)	عَطَنْ

ولا ينبغي الخلط بين هذه النون في اللهجات النجدية الشمالية، وبين النون التي تلحق بالمضارع في اللهجات العراقية، فالنون في هذه اللهجات علامة اختيارية للدلالة على الفاعل:

أَرْوَحَنْ (أنا أذهب)

أَشُوقَنْ (أنا أرى)

أُصْبِن (أنا أصب)

أنا مَنْ (أنا أنام) وهكذا ...

٤- من المميّزات الخاصّة باللّهجات النّجدية الشّالية إبدال الضّمة في ضمير المخاطب والغائب الجمع بفتحة.

أمثلة:

شمال نجد	مناطق أُخر
إِنْتُمْ	إِنْتُو
كُتَابُكُمْ	كُتَابُكُم
كُتَابُهُمْ	كُتَابُهُم

هذه التغيّرات سببها العزلة الجغرافيّة لتلك المناطق التي تُعدّ البيئة الطبيعيّة للبدو الرُّحْل، فهذه البيئة تشكّل قلب البادية العربيّة، وهي بعيدة عن الأماكن الزراعيّة ذات الكثافة السّكانيّة. ولو ألقينا نظرةً على خريطة المنطقة لوجدنا أنّ المناطق السّكانيّة الثّابتة المحيطة بقلب البادية العربيّة تشكّل حلقة اتّصال مترابطة، ففي الشّمال يقع الهلال الخصيب، وإذا انحدرنا جنوباً عن طريق الحجاز، ثمّ انتقلنا شرقاً إلى القصيم، فالأحساء، فساحل الخليج العربيّ، سنجد مدناً وقرى أهلة، وهذه البيئات الزراعيّة المستقرّة تقع على طريق التّجارة القديمة، ولاشكّ في أنّ سهولة الاتّصال بين المناطق المستقرّة تؤدّي إلى توثيق الصّلات التّجاريّة والعائليّة، وتؤدّي من ثمّ إلى التّقارب النّسبيّ في بعض الخصائص اللّهيّة.

أهميّة الكتاب

ليس في هذا الكتاب دراسة مستفيضة للّهجة معيّنة بحدّ ذاتها، وإنّ المؤلّف-أيضاً- لا يدّعي أنّه استقرّ بشكلٍ كاملٍ جميع اللّهجات في منطقة الدّراسة، فالقارئ يُصادف بين فترةٍ وأخرى عباراتٍ تنمّ عن الأمانة العلميّة التي يتحلّى بها المؤلّف، وعن تواضعه

العلمي، ففي صفحة (٦٢) يقول: «ومادّي حول هذه النقطة غير حاسمة»، وفي صفحة (٦٥) يقول: «وجملة مادّته -أي: المادة اللغوية التي جمعها كانتينو-ومادّي، غير كافية لتوضيح ذلك»، أي: لهجة بني خالد في بادية الشام، وفي صفحة (٦٦) يقول: «وهذه القبائل -أي: قبائل الصّلوت، والسردية، والسرحان في بادية الشام- لا تدخل ضمن نطاق منطقتنا»، وفي صفحة (٨٨) يتكلّم عن لهجة القصيم، وكيف أنّها يمكن أن تصنّف ضمن اللهجات الجنوبية، أي: النجدية، وذلك حسب ما استشفّه من كلام مُخبره اللّغوي، ولكنه يصرّح قائلاً: «ولكنّ مادّي حول هذه النقطة غير كافية»، ونجد إشاراتٍ من هذا القبيل في صفحة (٩٤) و صفحة (٩٩).

ولكنّ قارئ الكتاب لا يشكّ في أنّ مؤلّفه بذل فيه مجهوداً كبيراً، وخاصّة في مراحل جمع المادة اللّغوية وتصنيفها، يتّضح ذلك من الرّيارات الميدانيّة العديدة التي قام بها المؤلّف للمنطقة، ويتّضح -أيضاً- من الأمثلة الواقعيّة التي يسردها خلال الكتاب. ويكتسب الكتاب أهميّةً أخرى، وهي أنّ مؤلّفه من المتخصّصين في مجال الدّراسات اللّهجية والصّوتيّة، والكتاب يُثير قضايا لغويّة عديدة تخصّ لهجات المنطقة، ولذلك فهو يُعدّ من المراجع الحديثة المهمّة في هذا الموضوع، والبحوث المستقبلية كفيلة بإثبات هذه القضايا أو دحضها. ولعلّ النقص الوحيد الظاهر في الكتاب هو أنّه لم يستطرد في الحديث عن جوانب صرفيّة مهمّة في بعض اللهجات التي درسها، و-أيضاً- لم يورد جداول تصريفية كاملة، سواء للضمائر أم للأفعال. وهو -أيضاً- لم يتحدّث عن تركيب الجملة في هذه اللهجات. ولعلّ عذر المؤلّف في هذه المآخذ واضح، فالدّخول في مثل هذه التفاصيل يعني الدّخول في الوصف التحليليّ لكلّ لهجة بمفردها، وهذا يُعدّ خروجاً عن أهداف البحث.

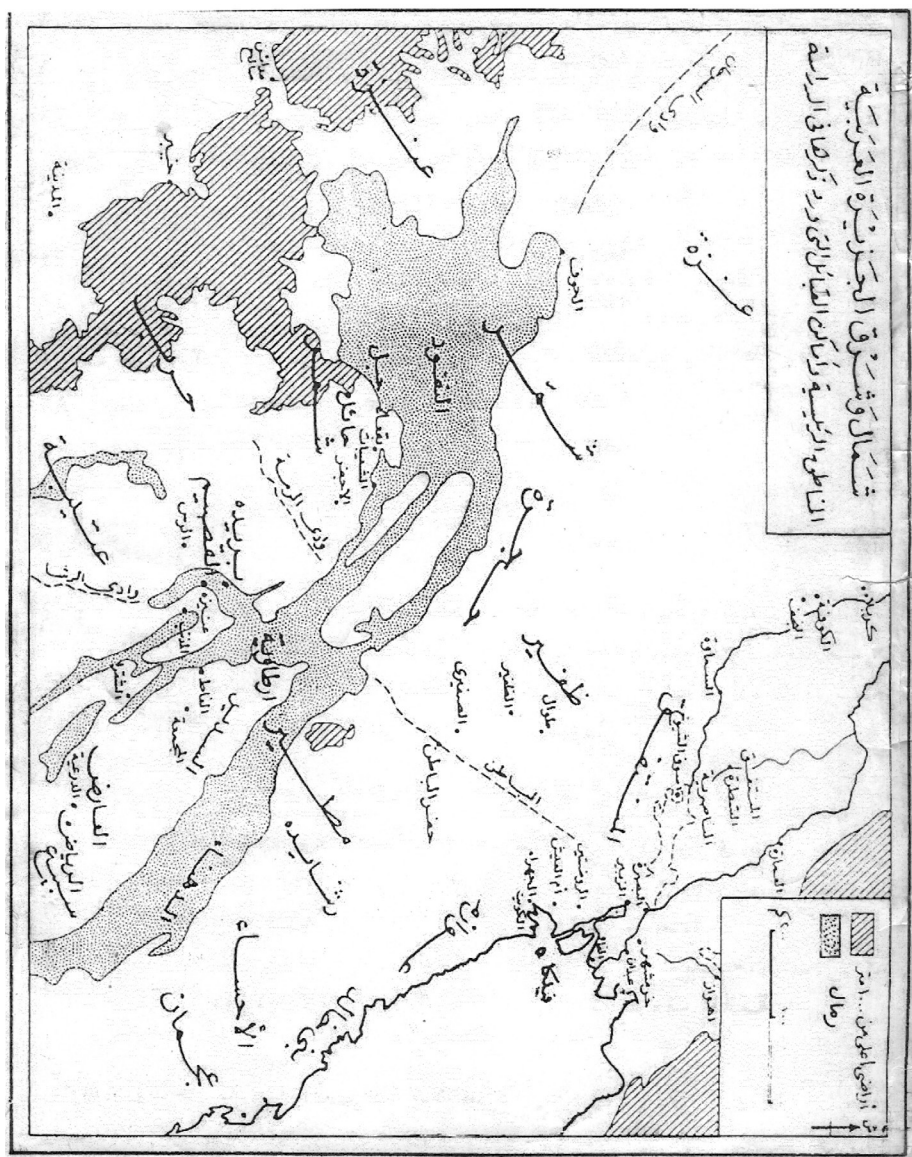
وأخيراً، لا ينبغي أن تفوتني الإشارة إلى المجهود الذي بذله المؤلّف والنّاشر على حدّ

سواء لإخراج عملٍ كبيرٍ متعدّد الجوانب بمثل هذا الشّكل، ولكن هناك بعض الهنات التي من الممكن تداركها في طبعاٍ قادمةٍ أذكر منها ما يأتي:

فيما يختصّ بثبت المفردات الفنيّة وما يقابلها بالعربيّة، فالفكرة جيّدة، والمرادفات المقترحة للمصطلحات الإنجليزيّة المذكورة هناك مقبولة وشائعة في الكتابات العربيّة المعاصرة، بيد أنّ هناك أربع كلمات أقترح لها مرادفات بديلة؛ لأنّ المذكور منها لا يفي بالغرض على نحوٍ يُبعد الغموض:

الكلمة	المرادف المذكور في الكتاب	المرادف المقترح
Affricate	الانفجاريّ الاحتكاكي (الصّوت)	الانفجاري - الاحتكاكي (الصّوت) المركّب
hypercorrection	الحذلة	التفاسح
shwa	الشّوا	حركة مختلصة، حركة مركزيّة
Liquid	حروف الدّلالة	الحروف المائعة

وفيما يخصّ الكلمة الأخيرة، فمصطلح (حروف الدّلالة) ورد لأول مرّة عند ابن جني، وقد حدّد ابن جني حروف الدّلالة، وهي ستّة: (اللام، والرّاء، والنّون، والفاء، والباء، والميم)، على حين أنّ مصطلح (Liquid) يُستعمل في الدّراسات اللّغويّة الحديثة، ويُقصد به ثلاثة أصوات فقط، هي: (اللام، والرّاء، والنّون).



العوامل الإقليمية والاجتماعية في التوزيع الجغرافي للهجات جنوب العراق وعربستان*

بقلم: (بروس إنكام)

ترجمة: الدكتور عبد الجبار محمد علي

مقدمة المترجم

إنّ البحث المترجم هنا هو نتائج سنواتٍ من التحري والاستقصاء، قضاها الباحث في المنطقة. وهذا هو السبب الرئيس الذي جعلني أطلبُ منه القيام بترجمة البحث، ووافق مشكوراً على ذلك. وعند ترجمتي للبحث واجهتُ صعوبتين أساسيتين، الأولى: تتمثل في عدم وجود مصطلحات لغوية عربية تُقابل بعض المصطلحات الإنجليزية التي استعملها الباحث بلغته. ولحلّ هذه المشكلة اعتمدتُ بصورة كبيرة على: (معجم مصطلحات علم اللغة الحديث)، من وضع الدكتور محمد حسن باكلا، ونُخبة من اللغويين العرب. كذلك اعتمدتُ على البحوث اللغوية العربية، وما تستخدمه من مصطلحاتٍ مقابلة في لغتنا. أمّا الصعوبة الثانية، فهي كيفية رسم الأصوات اللغوية بالعربية. وتجلّت هذه المشكلة في رسم الأصوات اللغوية التي لا يوجد ما يقابلها في لغتنا العربية الفصحى؛ ومن أجل ذلك، فقد استخدمتُ الرموز الصوتية، وكما هو مبين في الجدول الآتي:

١- الأصواتُ الصَّامِتَةُ (Consonants):

الوصف	الرمز المستخدم	الرمز الانكليزي
صوت انفجاري شفوي مجهور	ب	b
صوت لثوي انفجاري مهموس	ت	t
صوت لثوي انفجاري مجهور	د	d
صوت طبقي انفجاري مهموس	ك	k
صوت طبقي انفجاري مجهور	گ	g
صوت لثوي انفجاري مهموس	ق	q
صوت حنجري انفجاري	الهمزة	ʔ
صوت شفوي اسناني احتكاكي مهموس	ف	f
صوت أسناني احتكاكي مهموس	ث	⦶
صوت اسناني احتكاكي مجهور	ذ	ð
صوت لثوي احتكاكي مهموس	س	s
صوت لثوي احتكاكي مجهور	ز	z
صوت لثوي - حنكي احتكاكي مهموس	ش	ʃ
صوت لثوي - حنكي احتكاكي مجهور	ژ	ʒ
صوت انفجاري - احتكاكي مهموس	چ	tʃ
صوت حنكي - انفجاري مجهور	ج	j
صوت طبقي احتكاكي مهموس	خ	x
صوت طبقي احتكاكي مجهور	غ	ɣ
صوت حنجري احتكاكي مجهور	هـ	h
صوت حنجري احتكاكي مهموس	ح	ħ
صوت شفوي انفي مجهور	م	m
صوت اسناني انفي مجهور	ن	n
صوت لثوي جانبي مجهور	ل	l
صوت لثوي تكراري	ر	r
صوت بلعومي - انفجاري مجهور	ع	ʕ
صوت لثوي - انفجاري - بلعومي مهموس	ط	ʈ
صوت اسناني - احتكاكي - بلعومي مجهور	ظ / ض	ʢ
صوت لثوي - احتكاكي - بلعومي مهموس	ص	ʣ

٢- الأصوات الصائتة (VOWELS):

الوصف	الرّمز المستخدم	الرّمز الإنكليزيّ
صوت أماميّ ضيقّ قصير	الكسرة	i
صوت أماميّ ضيقّ طويل	يـ	i:
صوت مركزيّ أماميّ قصير (إمالة)	e	e
صوت مركز أماميّ طويل (إمالة مُشَبَّعة)	ee	e:
صوت خلفيّ منخفض قصير	الفتحة	a
صوت خلفيّ منخفض طويل	الألف	a:
صوت خلفيّ مركزيّ قصير	o	o
صوت خلفيّ مركزيّ طويل	oo	o:
صوت خلفيّ ضيقّ قصير	الضّمة	u
صوت خلفيّ ضيقّ طويل	وو	u:

٣- رموزٌ أخرى:

// للإشارة إلى أنّ الكلمة مُثَلَّة صوتياً

- خطّ صغير يمثل سابقة (صور)، أو لاحقة صرفية عندما يكون داخل الرّمز // .

الدّراسة

هذه الدّراسة محاولة لربط توزيع المتغيّرات اللّغويّة للهجات العربيّة المُستعملة في

جنوب العراق وعربستان، بمناطق جغرافية من جهة، ومجموعات معينة يمكن عزلها ديموغرافياً من جهة أخرى. إنّ تلك العوامل تتوافق في حالات معينة مع مناطق سياسية لأزمنة تاريخية ماضية. ويمكن ربط المناطق الجغرافية بأنماط المواصلات السابقة لاستخدام السيارات، وتجمع تلك المناطق حول الطرق المائية الرئيسة في المنطقة، دجلة والفرات وشط العرب والكارون. وتتضمن التجمعات الديموغرافية على الخصوص ما يمكن أن يُشار إليه بدرجة التحضر (SEDENTARIZAHIR)، وأيضاً بدرجة الاتصال بالسكان البدو، الذين يسكنون الصحراء الواقعة في غربي الفرات، وإنّه لصحيح القول بأنّه في بعض الحالات تمتد التجمعات الاجتماعية والجغرافية سويةً، ولكننا أبقينا على التمييز بينهما في معالجتنا؛ وذلك لأنّه يمكن أن نرى للمظاهر اللغوية المتوافقة مع المجموعات الديموغرافية أهمية ديموغرافية مشابهة لمناطق آخر لبلاد ما بين النهرين، بينما تكون للمظاهر التي تُعدّ أساساً ذات أهمية من الناحية الجغرافية علاقة بالمنطقة قيد البحث فقط.

وتستفيد هذه الدراسة من مادة دراسة سابقة للكاتب^(١)، وأيضاً من مادة إضافية جُمعت في العراق خلال عام (١٩٧٣). لقد قارنت الدراسة السابقة لهجة شخص من خرّم شهر (المحمّرة)، مع لهجة شخص من (كاولية) منطقة (ملا صانع) في الأهواز، وربطت تلك اللهجتين بأنماط كلامية حضرية (Urban) وريفية (Rural)، في منطقة جنوب العراق وعربستان عموماً. وعلى الرغم من أنّ هذا التصنيف إلى (حضر وريف) يبقى مفيداً، فإنّ التمعّن في المادة الجديدة في العراق يجعل من الممكن أن ندخل التمييز إلى حضر وريف في نظام أوسع للتصنيف يركز على درجة التحضر، وأيضاً أن نربط النوعين الآنفين بتقسيم جغرافيٍّ مُوزّع شمالاً وجنوباً على وجه التقريب، وله علاقة بكلّ من جنوب العراق وعربستان، (أنظر تحت التّوّعات الإقليمية ١، ٢ أدناه).

لقد قُورِنتِ اللَّهجتان في الدِّراسة السَّابقة بصفتهما تمثَّلاً للمجموعات اللُّغويَّة المشار إليها بتعبيري: (العرب)، و(الحضر) من قبل سكَّان المنطقة. لكنَّه على الرُّغم من أنَّ مصطلح (حضر) يشمل كلَّ سكَّان المدن في بلاد ما بين النَّهرين، وأنَّ المجموعات المُصنَّفة بـ(عرب) هي في جميع الحالات ريفيَّة، فإنَّ كلا الاصطلاحين: (عرب) و(حضر) لا ينطبقان تماماً على تصنيف (مدينة) و(ريف)، وعلى الرُّغم من عدم وجود أساسٍ عامٍّ لاستخدام التعبيرين على امتداد المنطقة، فإنَّه من الممكن أن نلخِّص هنا الفروق الرئيِّسة التي يتضمَّنُها، وبقدر ما يمكنني أن أُقرِّر على ضوء معاشتي في تلك المنطقة، فإنَّ مصطلح (حضر) يُشير إلى سكَّانٍ معيَّنين مستقرِّين على امتداد الأنهر^(٢)، وتقعُ المدن الرئيِّسة للمنطقة في تلك المناطق؛ ولذلك فإنَّ سكَّانها يُعدُّون (حضراً) من قبل السكَّان الريفيِّين، على الرُّغم من أنَّ نظام التصنيف هذا لا يُستخدَم من قبل سكَّان المدن^(٣). ويُشير مصطلح (العرب) إلى السكَّان الأقلَّ استقراراً، والقاطنين في الدَّاخل، بعيداً عن ضفاف الأنهار، الذين تكون غالبيَّتُهم بدواً، أو شبه بدو^(٤).

إنَّ غالبيَّة السكَّان الذين صُنِّفوا حضراً في إيران هم من زُرَّاع النَّخيل على ضفاف شطِّ العرب والأجزاء الجنوبيَّة للكارون وبهمشير، وينطبق هذا إلى حدٍّ ما على منطقة (المحيسن)، وهو عبارة عن اتِّحاد عناصر متنوِّعة الأصل القبليِّ ومصنَّفه بوصفها حضراً. ولا يُصنَّف زُرَّاع النَّخيل، كالكعبيِّين في منطقة (شاديحان) حضراً، بل (عرباً)، ويُستند في ذلك إلى حقيقة أنَّ الكعبيِّين عموماً أقلَّ اعتماداً على زراعة النَّخيل، وكذلك فإنَّهم يزرعون الحبوب في مناطق بعيدة عن ضفاف الأنهر^(٥).

وعليه، فإنَّ التَّصنيف إلى (حضر) و(عرب) في إيران ينطبق بصورة رئيِّسة على تقسيم السكَّان إلى أولئك الذين يعيشون في غابات النَّخيل (بالنَّخيلات)، وأولئك الذين يعيشون في (البادية)، والذين يشتغلون بالرِّي وزراعة الحبوب^(٦). أمَّا في العراق،

فهناك أكثر من استعمال للتعبيرين، ففي بعض الأحيان يكون التصنيف مطابقاً لما في إيران، أي: مقارنة أولئك الذين يشتغلون بزراعة النّخيل بالآخرين، وهم كلُّ من البدو، والمستوطنين حديثاً، ويُستعمل مصطلح (عرب) استعمالاً ثانياً في إشارةٍ كليّةٍ إلى سكّان البدو، فيما يقتصر استعمال تعبير (حضر) إلى الإشارة للمتوطنين المستقرّين^(٧). وتقع خارج نطاق هذا التصنيف مجموعتان تصنّفان بدوّاً تقليدياً، وأولى هاتين المجموعتين هي (الكواولة)، أو (الكاوليّة)، وهم أناسٌ تربطهم بغجر أوربّا قرابة، ويتكلّمون العربيّة لغةً أولى في هذه المنطقة، ويحتفظون - كذلك - ببقايا آثار من لغتهم الآريّة الأصليّة.

أمّا المجموعة الثّانية، فهي المعدان، أو (عرب الأهوار)، الذين يعيشون في أهوار (الحّمّار)، و(الحويزة)، وهي مناطق يعيش فيها الجاموس الذي يربّونه، وبييعون منتجاته^(٨).

لقد أظهر أفراد هاتين المجموعتين ممّن استجوبتهم مظاهر لغويّة يتّصف بها الكلام (البدويّ)، على الرّغم من أنّ (الكواولة) أظهرت ذلك بصورةٍ أوسع، وأظهر (المعدان) الذين زرتهم نمطاً مشابهاً من الكلام لذلك الذي يتكلّمه سكّان الأهوار من غير المعدان ممّن زرتهم، والذين يسكنون منطقة (السّلام) الواقعة في الجنوب الغربيّ من العمارة، وكذلك إلى كلام بعض من (أل بو محمّد) في منطقة الحلفاية الواقعة شرق العمارة. وعلى الرّغم من أنّه لم يكن بالإمكان زيارة مناطق ريفيّة عديدة في المنطقة التي من المرغوب فيه زيارتها إذا أُريدَ عمل مسحٍ لهجيّ شاملٍ، فإنّه برز نمطٌ أساسيٌّ أكّده المراجع اللّغويّة في المنطقة^(٩)، وأسماء الأشخاص والعشائر، وكذلك الدلائل التي حُصل عليها من المخبرين اللّغويين ذوي الأصول الرّيفيّة، الذين اعتمدت عليهم في عمل البحث في الأحواز والعمارة والنّاصريّة، وسيعامل التنوّع اللّغويّ الملاحظ حسبَ نمطين من التمايز، هما: التنوّعات اللّغويّة التي تُظهر توزيعاً متناسباً مع المهنة، والتنوّعات اللّغويّة

التي تتناسب مع المنطقة الجغرافية، وتبعاً لذلك، فإنه ستُوصَف التَّنوعات اللُّغويَّة التي عُرِكت بحسب تلك التمايزات، وستُعطي معلومات عن توزيعها الجغرافي بصورة تقريبية والمجموعات المهنية المرتبطة بها.

وتركز هذه الدراسة على الجانب الصوتي بصورة رئيسية؛ وذلك لأنه وجد أن التنوع الصوتي في المنطقة موضوع البحث أظهر نمطية كبيرة وتناسباً أفضل مع العوامل غير اللُّغويَّة، ولقد كان بالإمكان معاملة الأنواع الكلامية في المادة اللُّغويَّة المجموعة، وكأنها تُظهر في الأساس مجموعة مشتركة من الوحدات المميزة صوتياً؛ ولذلك فإننا استعملنا نظام الكتابة الصوتية نفسه لجميع الأشكال^(١٠)، وتقع التمييزات الصوتية التي لوحظت ضمن العناوين الآتية:

- ١- اختلاف في المدخل العام (Inventory) للوحدات الصوتية.
 - ٢- اختلافات في وجود الوحدات الصوتية في أنماط قابلة للمقارنة.
 - ٣- اختلافات في المقطعية في أنماط قابلة للمقارنة.
- ولقد وجد أنه لكل من النمطين (١) و (٢) أهمية جغرافية أساس، كما تظهر التمايزات الإقليمية في (١) و (٢) و (٣) أدناه، بينما كان للنمط (٣) أهمية مهنية بصورة رئيسية، (أنظر الحالات: (١)، (٢)، (٣)، (٤)، ضمن (التمييزات المهنية))، وقد ضمت هذه الدراسة -أيضاً- بعض التمايزات ذات الطبيعة الصرفية. وتتضمن هذه التمايزات اختلافات في الشكل الصوتي للعناصر النحوية المشتركة، كما في التمايزات الجغرافية (٣) و (٥) و (٦)، أو وجود عناصر مشتركة ذات وظيفة نحوية متشابهة، كما في التمايزات الجغرافية (٤) و (٧)، ولكلا النمطين أهمية جغرافية، وسنذكر التمايزات المعجمية بطريقة عرضية؛ وذلك لأنها عندما يُنظر إليها ضمن المنطقة ككل، تُظهر توزيعاً أقل نمطية، فضلاً عن أنها تنوع على مدى مسافات قصيرة، وعلى أية حال، فقد كان لها أهمية جغرافية، وليست مهنية^(١١).

أ- التَّمَايِزَاتُ الْإِقْلِيمِيَّةُ

سُتَعَزَّلَ فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنَ الدِّرَاسَةِ مَظَاهِرُ تَشَكُّلِ شَوَادٍ عَنْ كَلَامِ الْمُنْطَقَةِ قَيْدَ الْبَحْثِ، أَيْ: مَنطَقَةُ عَرَبِسْتَانِ، وَبَصُورَةُ تَقْرِيْبِيَّةٍ مَحَافِظَاتٍ: الْبَصْرَةِ، وَالْعِمَارَةِ، وَالنَّاصِرِيَّةَ، وَقَدْ غُيِّرَ اسْمَا الْمَحَافِظَتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ إِلَى مَيْسَانَ وَذِي قَارٍ. وَقَدْ قُورِنَتْ هَذِهِ الْمَظَاهِرُ مَعَ الشَّكْلِ، أَوِ الْعَنْصَرِ اللَّغَوِيِّ الْعَامِّ لِلْمُنْطَقَةِ، الَّتِي تَتَّصِفُ بِهَا لَهْجَاتُ (كَلْبَت) عَمُومًا^(١٢)، بِاسْتِثْنَاءِ (١) وَ(٧).

(١) هُنَاكَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ التَّمَايِزَاتِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ الْوَحْدَاتِ الصَّوْتِيَّةَ /ي/ وَ/و/ وَ/ز/ فِي مَنطَقَةِ الْعِمَارَةِ وَمَنَاطِقِ الْأَهْوَارِ الْمَحِيطَةِ، وَالْوَحْدَاتِ الصَّوْتِيَّةَ /ي/ وَ/ج/ فِي بَقِيَّةِ الْمُنْطَقَةِ، وَهَذَا يَتَضَمَّنُ انْعِكَاسَاتٍ لِأَصْوَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْفُصْحَى (الْيَاءِ، وَالْجِيمِ، وَالْقَافِ) ^(١٣).

إِنَّ الْمَفْرَدَاتِ الَّتِي تُظْهَرُ صَوْتُ /ي/ فِي مَنطَقَةِ الْعِمَارَةِ تُظْهَرُ صَوْتُ /ي/ فِي الْمَنَاطِقِ الْأُخْرَى، بَيْنَمَا تَظْهَرُ الْمَفْرَدَاتِ الَّتِي تُظْهَرُ /ز/ فِي مَنطَقَةِ الْعِمَارَةِ. أَمَّا الصَّوْتُ /ي/، أَوِ الصَّوْتُ /ج/ فِي الْمَنَاطِقِ الْأُخْرَى الَّتِي تَلْفِظُ الصَّوْتُ /ز/ ^(١٤) بِوَصْفِهِ انْعِكَاسًا لِصَوْتِ الْجِيمِ، قَدْ عُدَّ خَاصِيَّةً لِسُكَّانِ الْهُورِ عَمُومًا، كَمَا عُدَّ الْقَاعِدَةُ فِي الْمُنْطَقَةِ الْمَحْدُودَةِ بِالْقَرْنَةِ إِلَى الْجَنُوبِ، وَالشُّطْرَةُ إِلَى الْغَرْبِ، وَالْبَسِيْتَيْنِ إِلَى الشَّرْقِ، وَالْوَاقِعَةُ فِي الْجَانِبِ الْإِيرَانِيِّ مِنَ الْحُدُودِ. أَمَّا فِي بَقِيَّةِ الْمُنْطَقَةِ، فَإِنَّ الْانْعِكَاسَ الْمُنْتَظَمَ لِصَوْتِ الْجِيمِ هُوَ صَوْتَا الـ /ي/ ^(١٥)، وَالـ /ج/، وَتَعَكُّسُ الْأَمْثَلَةِ أَدْنَاهُ التَّمَايِزُ بَيْنَ لَهْجَةِ الْعِمَارَةِ وَلَهْجَةِ شَطِّ الْعَرَبِ:

العِمارة	شَطّ العرب	الفُصحى (المترجم)
رُبّه	يبيّه	اجلُّه
وَرّ	-	وَج
مِنْثَل	مِنْثَل	مِنْجَل
وِرّه	وَيّه	وَجّه
دِيَازه	دِيَايّه	دَجَاجَة
نَعْرّه	نَعْيّه	نَعَجَة
رُله	-	حِلّة
رُنِّي	-	حِنِّي
خَنْزَر	خَنْيَر	خَنْجَر
رُيْتَك	ي ee تَك	مَجِيْتُك
رَاي	يَاي	هَنَا
عِرْله	عَجْلة	عَجْلة
صِدِيْث	صِدِيْج	صِدِيْق
رِيْفِثْ	رِيْفِيْج	رَفِيْق
بِلْعِرْل	بِلْعَجَل	عَلَى عَجَل
رَدْدَام	جِدْدَام	قُدَّام

(٢) وتُوجد الياء الطويلة/يـ/ بوصفها انعكاساً للصوت الفصيح (أـ/ ai) في منطقة العمارة ومناطق الهور المحيطة، وكذلك في المناطق الشماليّة والشرقيّة لعربستان الشماليّة، وهذا يتمايز مع الإمالة المُشعّبة (ee)، التي هي الانعكاس المنتظم في المناطق الأخرى، ويكون التباين الصوتي ضئيلاً جداً في الأمثلة التي لا تتضمّن صامته حلقية، أو الصوتين الصّامتين (/ح/ و/ع/؛ وذلك لأنّه في تلك الظروف يكون التلفّظ الواقعيّ لصوت الإمالة الطويلة (ee) هو (أـب) (io)، أو (ie)، وهو صوتٌ انزلاقيٌّ يكون تلفّظه من أماميّ ضيقٍ منبسّطٍ، إلى صائتٍ مركزيٍّ، أو نصفٍ متّسعٍ (from high front to central or half open) بينما يكون التلفّظ الواقعيّ لصوت الياء الطويلة/يـ/ (:i) هو (يـ)، أي: صوتاً صائتاً أمامياً/ ضيقاً/ منبسّطاً (High front spread).

ويوجد الصوت/يـ/ (:i) في عددٍ من أسماء الأشخاص، وأسماء العشائر، وأسماء الأماكن الخاصّة في منطقة العمارة، وهو صوتٌ جاء نتيجةً لصوت الإمالة الطويل، وقد تغيّر تلفّظ البعض منها من أناسٍ من خارج هذه المنطقة، الذين ينطقون صوت الإمالة الطويلة بدلاً من الصوت (/يـ/ :i/ المحليّ، وهذا يُشيرُ إلى أنّها المجموعة نفسها. وفي إيران -أيضاً- يحتوي الشّكل القياسيّ الفارسيّ صوت/ أـب/ (ay) في معظم الحالات، وهو المعادل المنتظم للصوت القديم/ أـب/ (ai)، أي: الرّأي القائل بأنّ هذه الأصوات تُنتج من صوت الإمالة الطويل (ee) الأوّل أن يُدعم -أيضاً- بحقيقة أنّ العديد منها تقع ضمن صيغتي التّصغير (فُعِيل، وفُعِيل)، التي تُصاغ عليها أسماء الأشخاص بصورةٍ شائعةٍ.

وفي الأمثلة التّالية سيُعطى الشّكل المُستعمل في منطقة شطّ العرب أينما تقع الألفاظ المشتركة خارج منطقة العمارة:

العامرة	شط العرب	الفصحى (المترجم)
چيف	-	كَيْفَ؟ ^(١٧)
وین	و ee ن	أَيْنَ؟
عَلِيش، لیش	ل ee ش	لماذا؟
عَلِیکم	ع ee کم	عَلَيْكُمْ
عليه	ع ee هـ	عَلَيْهِ
لیـ	ل ee هـ	إِلَى ^(١٨)
هیچ	ه ee ج	هكذا
سیف	س ee ف	سَيْف
بیـت	ب ee ت	بَيْت
چیمه	چ ee مه	(وقود خشب)
کیکه	ک ee ک	كِيك
عوینه	ـ ee ^(١٩)	عانه (عملة عراقية)

أسماء أشخاص		
مَحْسِن	م ee سِن	مُحْسِن
جَوِيسَم	ج ee سَم	جَوَيْسَم
عَلِیوي	ع ee وي	عُلْيوي
بديويه	ب ee ويه	بُدْيويه

أَسْمَاءُ الْعِشَائِرِ	
إزيرج	—
بنّي حطيط ^(٢٠)	—
بنّي سكّين	—
زُهيريّة ^(٢١)	—

أَسْمَاءُ الْأَمَاكِنِ	
مديّنه	—
حويزه	—
شطيّط	—
زيتان	—
ميسان ^(٢٢)	—

(٢) تحتوي بعض المورفيمات التي تُشير إلى جمع المذكّر المخاطب صوتاً صائتاً متّسعاً (open vowel) في كلام منطقة العمارة وشمال عربستان، بينما تحتوي تلك المورفيمات على صوتٍ صامتٍ خلفيّ ضيّقٍ، أو نصف ضيّقٍ (Close Or Half Closeback Vowel) في كلام بقية العناصر. والعناصر اللّغويّة المقصودة هنا هي الضّمير المنفصل ولواحق الأمر والزّمن الماضي، وأيضاً لاحقة المفعوليّة، وتمثّل الأمثلة التالية التباين اللّغويّ بين لهجة الأحواز وشطّ العرب:

الأحواز	شط العرب	الفصحى (المترجم)
إِنْتَوَ ^(٢٣)	إِنْتَمَ	أَنْتُمْ
يِ ee تَو	يِ ee تُو	جِئْتُمْ
ارْكَبُو ^(٢٤)	رِكَبُو	إِرْكَبُوا
مِكانِكُمْ ^(٢٥)	مِكانِكُمْ	مِكانِكُمْ (أي: الزموا مِكانِكُمْ)

وفي حالة الأمر سُمعت الأشكال اللغوية المنتهية بـ / - و/ كثيراً من أولئك الذين ذكروا الأشكال اللغوية المنتهية بـ / - أو/ أنفسهم. ويبدو على أية حال أن الأشكال اللغوية المنتهية بـ / أو/ كانت الأشكال الأصلية في المنطقة، أمّا الأشكال الأخر، فإنّها نتيجة التصحيح باتجاه التقريب من النمط الفصح.

(٤) في منطقتي العمارة والحويزة، يقوم الاسم/ eeب/ (عَيْب) بوظيفة حرف النفي، فضلاً عن وظائفه الأخر الأكثر اعتيادية^(٢٦)، ولا تُوجد، مثل هذه الوظيفة خارج المنطقة؛ إذ تستعمل / ما/ و/ مو/ بهذه الوظيفة عادةً، وتستعمل / مو- / منطقتي العمارة والحويزة إلى جانب/ eeب/، وتوجد في المنطقة -أيضاً- أشكال لغوية تنتهي باللاحقة / - ش/ ما يذكّرنا باللهجات العربية الغربية^(٢٧). والأشكال اللغوية المنتهية باللاحقة / - ش/ المدرجة أدناه وجِدَتْ في لهجة المخبر اللغوي الذي ينتمي إلى عشيرة الإيزيرج في العمارة، والذي جرى العمل معه في البصرة، وتُباين تلك الأمثلة بين كلام العمارة وكلام شط العرب:

الفصحى (المترجم)	شطّ العرب	العمارة
لا أذهب	ما أروحنُ	عـ ee ب أروحنُ
لمْ تُجِيءْ	ما إِيْتُ	عـ ee ب إِثت
وجدته مُعْتَلِّ	لِگِ ee ته موز ee ن	لِگِ ee ته ع ee ب
الصَّحَّة	ما يذري	إطويب
لا ندرى	ماكو	عـ e ب يذري
لا يوجد	–	مامش
لا أذهب	ما أروح	صار موش وماچان ^(٢٨)
لا يستحون	ما يستحونُ	ما أروحاش
		ما يستحوش

(٥) تكون ضمائر الغائب في منطقتي شطّ العرب وجنوب عربستان على وزن إفعه، بينما تكون في المناطق الأخرى على بناء (فَعَعه)^(٢٩)، والأمثلة التالية تُقارن الأشكال اللغوية في شطّ العرب بالتي في منطقة العمارة:

الفصحى (المترجم)	شطّ العرب	العمارة
هُوَ	هُوّه	إِهُوَ
هِيَ	هِيِيّه	إِهِيّه
هُمْ	هُمْمَه	إِهمّه
هُنَّ	هِنْنَه	إِهنّه

(٦) توجد مجموعة من التباينات في الأشكال اللغوية المتضمنة للواحق المفعولية

المبتدئة بصوت صائت، التي يُمكن ربطها بأشكال لغوية مطابقة لا تحتوي على لواحق، وتنتهي بالصوت الصائت الذي يُرمز له بالفتحة متبوعاً بصوت صامت^(٣٠)، وفي هذه الأشكال اللغوية تُظهر المنطقة كلها صوت العلة، الذي يُرمز له بالكسرة في الأشكال اللغوية المنتهية بلا حقة، كأشكال مماثلة للصوت الذي يُرمز له بالفتحة في الأشكال اللغوية التي لا تنتهي بلا حقة^(٣١)، بينما تُظهر منطقتا شط العرب وجنوب عربستان أشكالا لغوية يُمكن أن تتضمّن الصوت الصائت الأصلي الذي يُرمز له بالفتحة، أو أنّها لا تتضمّن صوتاً صائتاً إطلاقاً، وتباين الأمثلة التالية بين كلام شط العرب وكلام منطقة العمارة:

شط العرب	العمارة	الفصحى (المترجم)
شَافَتَكَ	شَافَتَكَ	رَأَتْكَ
رَمَتَهُ	رَمَتَهُ	رَمَتَهُ
لَمَكَّتَهُ	لَمَكَّتَهُ	ضَرَبَتَهُ
لَدَغَهُ ^(٢٣)	لَدَغَهُ	لَدَغَهُ
—	لَغِفَهُ	—
مَوَوَتَهُ	مَوَوَتَهُ	أَمَاتَهُ
غَسَمَتِي ^(٣٣)	غَسَمَتِي	قَسَمَتِي
رو ee حتي	رو ee حتي	رُوحِي
عَمَتِي	عَمَتِي	عَمَتِي

لكن الأشكال اللغوية التالية، التي لا تنتهي بلا حقة تكون عامة في كلا اللهجتين، باستثناء الشكل (لغف): (شَافَت) (رَأَتْ)، (رَمَت) (رَمَت)، (فَكَّت) (ضَرَبَت)،

(لَدَغ) (لَدَغ)، (لَغَف) (لَغَف)، (مَوَوَت) (أَمَات)، (غِسْمَه) (قِسْمَه)، (روحَه) (روح)، (عَمَمَه) (عَمَمَه).

كما أظهرت التنويعات الشكلية المحتوية على الصوت الصائت الذي يُرمز له بالكسرة تذبذباً في نمط البروز الصوتي (prominence) في العديد من الأشكال اللغوية المذكورة أعلاه، بين المقطع قبل النهائي والمقطع الذي يسبقه، مثلاً: / مَوَوَتَه، مَوَوَتَه /، / غِسْمَتِي، غِسْمَتِي /.

(٧) من الممكن سماع حروف تعجب، وأدوات نحوية معينة في منطقة شط العرب والأجزاء الجنوبية لعربستان، ولا تُسمع مثل هذه الحروف والأدوات في بقية المناطق. وسنذكر أدناه هذه الحروف من مناظراتها الأكثر استعمالاً في بقية المنطقة:

شط العرب وجنوب عربستان	المناطق الأخر	الفصحى (المترجم)
هَسْتِ	أَكُو	هناك
هَوو ee ن	— (٣٤)	هنا
منيهت	مِسَبَب (٣٥)	بسبب
مُشَانِ	مِنْطَرَف	
يَمَّتَه	شَوَكِت (٣٦)	متى؟
هر گس ب (٣٧)	—	
غَرْبانَك	—	قُربانَك

وقد سمعتُ: (أكو)، و(من طَرَف) في منطقة شط العرب وجنوب عربستان، إلى جانب الأشكال اللغوية الأخر الأكثر استعمالاً.

ب- التباينات الوظيفية

في هذا الجزء من الدراسة، ستعزل بعض المظاهر اللغوية، ويُنظر إليها بوصفها نقاط تباين بين كلام بدو الصحراء الواقعة جنوب وغرب الفرات من جهة، وبين كلام سكّان المدن وزرّاع النّخيل جنوب بلاد الرافدين من جهة أخرى، وسيُشار لغرض هذه الدراسة إلى الأشكال اللغوية التي يتّصف بها كلام النّمطين من الكلام بتعبيري: (بدوي)، و(حضري)، وسنبحث هنا ستّ حالات من أنماط لغوية متناظرة شكلياً، عُولجت جميعها باستثناء الحالة الأولى في البحث المشار إليه سابقاً لكاتب هذه الدراسة، ولقد وُجد أنّ هنالك بين الحالتين المتطرفتين للتنوع اللغوي (أي: بدوي، وحضري) حالات أنماط لغوية وسطى أظهرت شكلاً لغوياً (بدوياً) في بعض الحالات، و(حضرياً)، في أشكال لغوية أخرى.

إنّ المجموعات التي تعيش حياة بدوية، أو شبه بدوية، أو المجموعات التي تحوّلت إلى حياة الحضر حديثاً، أظهرت بعامّة عدداً أكبر من حالات الأشكال اللغوية البدوية. ويمكن تطبيق نظام التباين هذا على الأنواع الكلامية التي لا تقع إلّا ضمن المجموعة اللهجية لبلاد الرافدين فقط، فلم يمتثل كلام مدينة الزّبير -وهو نوعٌ من أنواع كلام شرق الجزيرة العربية^(٣٨)- لهذا النظام، وأظهر عدداً من المظاهر اللغوية البدوية، على الرّغم من أنّ للزبير تاريخاً طويلاً في (التحضّر)^(٣٩)، وسنعالج هذا الموقف اللغوي الخاصّ لاحقاً.

وسنبحث أدناه الأنماط اللغوية الستّة. وقد اختيرت تلك الحالات الستّة^(٤٠)؛ لأنّها ذات تطبيقات واسعة، وأيضاً لوجود أمثلة عديدة لها في مادّة البحث. ورُتبت الحالات حسب الزّيادة في عموميّة النمط البدوي للشكل اللغوي، وهكذا فقد وجد للحالة (١) نمطٌ بدويٌّ للشكل اللغوي في مجموعة واحدة فقط، بينما وجد النمط البدوي للشكل

اللَّغَوِيّ للحالة (٤) في جميع المجموعات عدا مجموعة واحدة. والواقع أنّه في معظم الحالات ينتمي معظم السَّكَّان إلى الشَّكل الحضريّ، وهو من خصائص الطبقات المثقّفة من أصل المدن [ذات] الشَّكل اللَّغَوِيّ الأكثر صحّةً؛ ولذلك، فإنّ العديد من الذين يستعملون الأنواع اللَّغَوِيّة البدويّة يدخلون أشكالاً لغويّة حضرية في كلامهم^(٤١)، لكننا لم نُضمّن ذلك في هذه الدّراسة؛ وذلك لأنّه يُشكّل ظاهرة أخرى^(٤٢). والحالات السّت المتباينة الأنماط اللَّغَوِيّة هي:

الحالة (١)

أشكال الفعل المضارع للفعل الصّحيح الأوّلي، والأفعال المُعتلّة الآخر^(٤٣)، والمتضمّنة لواحدٍ من الأصوات الحلقية (/ه، ع، ح، خ، غ/) ^(٤٤)، كالصّوت الأوّل للجذر، تُظهر نمطين من البناء المقطعيّ. ويتضمّن النمط (البدويّ) جذر فعل على وزن (/فعل-/)، أو على وزن (/فعل-/) عندما يتبع بلاحقّة تبتدئ بصوت صائت.

أمثلة:

(الْفُصْحَى (المترجم)	(حضري)	(بدوي)
يَحْفَرُ	يَحْفِر	أَيَحْفِر
يَعْرِف	يَعْرِف	أَيَعْرِف
	يُحْصِص	أَيُحْصِص
	يُحْصِنِي	أَيُحْصِنِي
يَعْرِفُهُ	يَعْرِفَه	أَيَعْرِفَه

الحالة (٢)

بعض الأشكال الفعلية والاسمية المتضمنة للجذر الثلاثي المجرد^(٤٥)، المتبوع بلاحقية تبتدئ بصوت صائت تظهر نوعين من البناء المقطعي، نمطاً بدوياً، بجذر على وزن (/فعل -/ أو فعل /)^(٤٦)، ونمطاً (حضرياً) بجذر على وزن (/فعل /). أمثلة:

(بدوي)	(حضري)	لاحقة	فُصحى
إنْشَدَتْ	نَشَدَتْ		نَشَدَتْ
إفْعَدُوا	فِعْدُوا	e- و	افتقدوا
أعْطِفَان	_	_ آن	عَظِفَان ^(٤٧)

الحالة (٣)

بعض الأشكال الفعلية والاسمية المتضمنة جذوراً فيها أحد الأصوات المذكورة في الحالة (١) سابقاً، (أي: الأصوات الحلقية هـ، ع، ح، خ، غ)، كالصوت الثاني في أصوات الجذر، أظهرت نمطاً (بدوياً) بجذر على وزن (/فعل -/)، ونمطاً (حضرياً) بجذر على وزن (/فعل -/). وبالرغم من أن هذا يُشكّل أساساً الظاهرة اللغوية المشار إليها في الحالة (١) نفسها، فإنها تُبحث هنا بوصفها حالة منفصلة؛ وذلك لأنّ للأشكال اللغوية (البدوية)، و(الحضرية) توزيعاً مختلفاً عن تلك الأشكال المذكورة في الحالة (١). أمثلة:

(بدوي)	(حضري)	(الفصحى) (المترجم)
اسْعَدُون	سَعْدُون	سعدون
أَبْعَدَاد ^(٤٨)	بَعْدَاد	بغداد
أَهُو	هُو	هُوَ
أَجَحْلَه	—	الكحلاء
أَتَحْتَه	— ^(٤٩)	تَحْتَه
أَرْحَمَه ^(٥٠)	رَحْمَه	رَحْمَة
اچْعَبِي	چَعْبِي	كَعْبِي ^(٥١)
أَبْخَتِي	بَخْتِي	بَخْتِي

الحالة (٤)

بعض الأشكال الفعلية المتضمنة لجذر يتكوّن أوّل مقطع فيه من صوت صامت متبوع بصوت صائت، فصوت صامت أو متكوّن من صوت صامت متبوع بصوت صائت طويل مع واحد أو أكثر من الصدور أو السوابق، تُظهر تلك الأشكال الفعلية نمطين مختلفين للمقطعية للصدر أو لسلسلة الصدور، فالنمط (البدوي) يُظهر سلسلة صدور متكوّنة من صوت صامت (غير موجود في بعض الحالات)، متبوع بصوت صامت آخر، فصوت صائت. بينما يُظهر النمط (الحضري) سلسلة صدور متكوّنة من صوت صامت (غير موجود في بعض الحالات) متبوع بصوت صامت آخر. وفي النمط الحضري الذي يكون فيه الصوت الصامت للسابقة التي قبل الجذر موافقاً للصوت الصامت الأوّل للجذر، يُظهر مثل هذا النمط تماثلاً صوتياً (Assimilation) في بعض الحالات.

أمثلة:

(أ) أمثلة فيها سابقة واحدة:

(بدوي)	(حضري)	فُصحى (المترجم)
تَطِيح	اطْطِيح	
تَظِل	اظْظِل	تَظِل، تَبْقَى
تِسْ هـ هـ دن	اتْسُدْ هـ دن	جُنَّ
تَحَاجِه	اتَحَاجِه	حَكَى

(ب) أمثلة فيها سابقتان:

(بدوي)	(حضري)	فُصحى (المترجم)
افْتَرَيْكَ	نَتَرَيْكَ	
اَيْتَلَبَسْ ^(٥٢)	يتَلَبَسْ	يتَلَبَسْ
اَيْتَبَاهَى ^(٥٣)	—	يتَبَاهَى

الحالة (٥)

في أشكالٍ فعليةٍ معينةٍ يُظهر المقطع المفتوح (open syllable) غير النهائي في الكلمة الصوت الصائت الذي يُرمز له بالفتحة في الشكل البدوي، والصوت الصائت الذي يُرمز له بالكسرة في الشكل الحضري. هذا يشمل مقاطع لا يكون فيها الصوت الصائت اللاحق صوتاً صائتاً ضيقاً مجموعة الأصوات (/a,a;ei,o:/)، ويكون الصوت الصائت اللاحق أما (/ل/)، أو (/ر/)، أو عندما يكون الصوت الصائت اللاحق، أو السابق واحداً من الأصوات الحلقية (/هـ، ح، ع، خ، غ/).

أمثلة:

(بدوي)	(حضري)	فُصْحَى (المترجم)
إِنْحَنه	إِنْحِنه	إِنْحَنِ
أَنْتَهه	إِنْتَهه	إِنْتَهَى
إِخْتَرَك [گ]	إِخْتَرَك [گ]	اِخْتَرَق
إِشْتَعَل	إِشْتَعَل	إِشْتَعَلَ
خَرَب	خَرَب	خَرَّبَ

الحالة (٦)

تُظْهَرُ أَشْكَالُ فِعْلِ الْأَمْرِ الْمَفْرُودِ الْمَذْكُورِ لِلْأَفْعَالِ الْمُعْتَلَّةِ الْآخِرِ، أَي: الْأَفْعَالِ الَّتِي آخِرُهَا صَوْتُ (/ ي /) شَكْلًا حَضَرِيًّا يَنْتَهِي بِالصَّوْتِ الصَّائِتِ الَّذِي يُرْمَزُ لَهُ بِالْكَسْرَةِ، وَهُوَ قَدْ يَكُونُ طَوِيلًا عِنْدَمَا تَلْحَقُهُ لَاحِقَةٌ كَالْإِشَارَةِ إِلَى الصَّوْتِ الثَّالِثِ لِلْجَذْرِ، وَشَكْلًا (بَدَوِيًّا) مِنْ دُونِ هَذِهِ الْإِشَارَةِ، وَقَدْ وَجَدْتُ أَمْثَلَةً لِلْوِزْنَيْنِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي لِلْفِعْلِ فِي مَادَّةِ

الدَّرَاسَةِ. أَمْثَلَةٌ:

(بدوي)	(حضري)	فُصْحَى (المترجم)
إِمَشْ	إِمَشِي	إِمَشِ
إِغْدُ	— (٥٤)	
وَلْ	وَلِّي	وَلِ
عَنْ	عَنِي	عَنِّي
سَوْ	سَوَوِي	سَوِ
وَدَدْ	وَدَدِي	أَرْسَلْ
وَدَّهِمْ	وَدَّذِهِمْ	أَرْسَلَهُمْ
هَنَّهُمْ ^(٥٥)		

ويُظهر الجدول الموجود في نهاية هذه الدراسة توزيعاً للأنماط (البدوية)، (والحضريّة) للحالات الستّة. ويمكن بموجب هذه التباينات الستّة أن تُعرَّل أربع مجاميع ديموغرافية رئيسة تختلف بالموجود النسبي لنمطي الشكل اللغوي. وقد رُتبت هذه المجاميع الأربع من اليسار إلى اليمين حسب درجة وجود النمط (البدوي) للشكل اللغوي.

ويمكن أن يميّز قطبان جغرافيّان: منطقة الكلام (الحضري) في جنوب عربستان، وعلى امتداد شط العرب، ومنطقة الكلام (البدوي) على امتداد الفرات، ومنطقة تتوسّط هاتين المنطقتين على امتداد دجلة، وتمتدّ إلى شمال عربستان، وواقعة تحت تأثير المنطقتين الآخرين. إنّ تأريخ المنطقة منذ نهاية القرن الثالث عشر وحتى القرن الثامن عشر هو تأريخ تحولات من القبليّة إلى التحضر وبالعكس^(٥٦)، وفيه انتقلت المجموعات البدوية إلى المنطقة من الصحراء التي تقع إلى الغرب. ويمكن أن يُنظر إلى توزيع المتغيّرات اللغوية الحالي المناسب لنظام التباين المعتمد على التفريق بين (بدوي)، و(حضري)، على أنّه نتيجة لهجرة البدو إلى المنطقة، وإلى تماثل كلام السكّان الحضري القدامى مع كلام هؤلاء البدو الذين كانوا المجموعة الأكثر هيبة ومقاماً.

ج- التنوّعات الإقليمية

لقد أشرّت مادّة البحث أربعة تنوّعات إقليمية لمناطق تحيط ببعض مراكز الاتصالات، وكلّ هذه التنوّعات خلا التنوع (٤) يُمكن أن تُعدّ من اللهجات المُسمّاة (كَلِت)، المُستعملة في بلاد الرّافدين، وقد عُرِلت هذه التنوّعات على أساس المظاهر الإقليمية البحتة المذكورة تحت (أ)، وكذلك على أساس نظام التباين (حضري- بدوي) المذكور في (ب). وقد صُنّف بعض التنوّعات التي أظهرت صفات أكثر من واحدة من تلك الأنماط الإقليمية الرئيسيّة، مثل تنوع شمال عربستان، على أساس خصائصها الرئيسيّة، وفي حالة التنوع (١)، والتنوع (٣)، فقد أظهر توزيعهما توافقاً مع مناطق

النفوذ المركزيّ للتجمّعات العشائريّة في الأزمنة السّابقة، ويُبحث لاحقاً هذا التوافق بين التنوّع اللّغويّ مع مراكز الاتّصالات والتأثير السّياسيّ.

أما التنوّعات الإقليميّة المعزولة، فهي:

١- شطّ العرب والكارون الأسفل

اتّصف هذا التنوّع بالمواصفات الإقليميّة المذكورة في: (أ)، (٥)، (٦)، (٧)، ووجود النمط الحضري للشكل اللّغويّ في جميع الحالات السّتّ المذكورة في (ب)، باستثناء الوجود المتفرّق للنمط البدوي في الحالة (٦)^(٥٧)، وقد سُجِّلَ ذلك في عدد من المناطق على امتداد شطّ العرب^(٥٨) من مصبّه في الفاو وحتى العشار، وكذلك في نهر بهمشير، وفي منطقة الكارون، وسُجِّلَ في خرّمشهر، ومحرزي، وفي شاديگان في شرق الكارون. وحسب الدّليل الذي حُصل عليه من المخبرين اللّغويّين، يُمكننا الاستدلال بأنّ ذلك -أيضاً- من مزايا جانبي شطّ العرب حتّى قرب القرنة وشواطئ الكارون حتّى قرب جنوب الأحواز، وأيضاً في منطقة بندر ماشهر. ولو استثنينا ضفاف شطّ العرب إلى الشّمال من البصرة، فإنّ هذه المنطقة تتوافق بصورة جيّدة تقريباً مع المنطقة التي يسكنها بنو كعب^(٥٩)، الذين سيطروا على معظم مناطق جنوب شرقي عربستان منذُ حدود نهاية القرن السّابع عشر، وحتى بروز عُصبة (المحيسن) نهاية القرن التّاسع عشر، وإنّ منطقة نفوذ (المحيسن) بذروته شملت هذه المنطقة^(٦٠)، لكنّهم يَخْتَلِفُونَ عن باقي السّكّان بكونهم يستقروّن في خرّمشهر، بينما استقرّ الكعبيّون في شاديگان، التي سُمّيت بعد ذلك بالفلاحية.

لقد عُدّ نمط الكلام هذا من خصائص (الحضر)، أي: النّاس (المستقرّين)، أو (أهل النّخيلات). وتُصنّف المجموعات التي أُخِذَتْ عَيِّنَات الدّراسة منها حضراً أيضاً، باستثناء أولئك المخبرين اللّغويّين في شاديگان، الذين هم من كعب، والذين يُصنّفون (عرباً).

وإذا كان نمط الكلام هذا من خصائص كعب عموماً، وهم قبيلة مستقرة لمدة قرنين^(٦١)؛ لذلك فإنه من المنطقي أن يُعدّ هذا التنوع أنموذجاً للمجموعات ذات التنظيم الحضري الطويل في هذه المنطقة، سواء عُدّت (حضراً)، مثل: المحيسن، أم (عرباً)، مثل: الكعبيين.

١- العمارة ومناطق الأهوار المحيطة بها

امتاز هذا التنوع بالمظاهر الإقليمية المذكورة تحت (أ)، (١) و (٢) و (٣) و (٤)، وبوفرة النمط البدوي للشكل اللغوي في الحالات المبحوثة في (ب). والواقع أن التنوعات التي بُحِثتْ أظهرت الشكل البدوي في جميع الحالات عدا (١)، و (٢). ولقد سُمع هذا التنوع اللغوي في مناطق الحلفاية شرق العمارة، وسلام إلى الجنوب الغربي، وأيضاً سُمعت من المعدان، الذين يسكنون البسيتين إلى الشرق من هور الخويزة. وللمعدان الذين يقطنون الجبايش تنوعٌ كلاميٌّ مشابهٌ، إلا إنهم لم يُظهروا المظهر الإقليمي (٤)، الذي هو من خصائص منطقة العمارة. وهناك تنوعٌ مشابهٌ فيما يتعلّق بالتباينات (الحضرية/ البدوية)، ولكنه يظهر مظاهر جغرافيةً مختلفة قليلاً، وقد سُمع هذا التنوع في مناطق: (زيتان، وكوت سيّد عناية، وسوسنگرد في عربستان)، وهذه المناطق الثلاث أظهرت المظهر (٢)، الذي هو من خصائص منطقة العمارة، ولكنها لم تُظهر المظاهر: (١)، و (٣)، و (٤). ولقد أظهر المخبر اللغوي الذي كان من (كوت سيّد عناية) المظهر (٣) أيضاً، لكنه أظهر فضلاً عن ذلك المظهر (٦)، وهو من خصائص تنوع شط العرب اللغوية. وكلام (الكواولة) هو أيضاً من هذا التنوع، بيد أنه يحتوي على مظهرٍ بدويٍّ آخر، وهو المذكور في الحالة (٢)^(٦٢).

ومن الممكن أن يكون نمط الكلام الأكثر (بداوةً) كما تتمثل في كلام الكواولة، أكثر عموماً في المنطقة؛ وذلك لأنّه يبدو من غير المحتمل أن يكون للكواولة شكلٌ لغويٌّ أكثر

بداوة من ذلك الذي يستخدمه السَّكَّانُ الرَّيْفِيُّونَ المحيطون بهم فيما يَتَعَلَّقُ بالحالة (٢).
وَتُعْطِي المادَّة التي جمعها الباحث (لوريمر) في الأحواز- التي لم يُشَر فيها إلى مصدرها-
عدداً من الأشكال اللُّغويَّة التي يُمكن أن تُفَسَّر بِأَنَّها من النمط (البدويّ) للحالة (٢)،
على الرُّغم من أنَّه من الصَّعب التَّأكُّد من ذلك؛ بسبب نظام الكتابة الصَّوتيَّة الذي اتَّبَعه.
والأشكال اللُّغويَّة ذات العلاقة التي وَجِدَتْ في مادَّته هي:

الكلمة	الفُصحى (المترجم)
شَتِلَتْ	شَتَلَتْ
كَنِسَتْ	كَنَسَتْ
هِيَمَتْ	هَجَمَتْ
لِزَمَتْ	لَزَمَتْ
صَفَر	صَفَر
لكنَّه يُعْطِي -أيضاً- الأشكال اللُّغويَّة التَّالِيَة من النَّمط (الحضريّ)	
يَزَلَوْ	
خِشْبَه	خَشَبَة

وهو لم يسأل أيَّ مَخْبِرٍ لُغويٍّ من المجموعات البدويَّة في مناطق الأحواز والعمارة،
فمن المحتمل -إذن- أن يُشبه كلامهم كلام الكواولة؛ وذلك لأنَّهم يُعَدُّونَ المجموعة
التي كان لها الاتصال الأكثر بهم في الماضي^(٦٣)، وإذا ما صَحَّ ذلك، فإنَّه سيوازي الحالة
الموجودة في قبيلة (صلبة)، وهي قبيلة منبوذة تعيش في الصَّحراء السَّوريَّة، لها حالة
ووظيفة تُشبهان الكواولة الذين يستعملون لهجة مشابهة لتلك التي يتكلَّم بها جيرانهم

البدو^(٦٤)، الذين تربطهم ببعض علاقة عمالة. فضلاً عن ذلك، فإنّ الشكل اللغوي (أعطفان)، الذي يُعطيه (لوريمر)^(٦٥) اسماً لفخذ قبيلة بدويّة للعنانجة، هو مؤشّر على وجود هذا النمط للشكل اللغويّ في كلام بعض المجموعات البدويّة. إنّ مستعملي هذه التنوّعات، باستثناء المعدان والكوالة، صُنّفوا (عرباً)، وأغلب هؤلاء من المزارعين، ويملكون المواشي أيضاً، كما أنّ أغلبهم حديثو التحضر إذا ما قورنوا بالذين يستعملون التنوّع اللغويّ لشطّ العرب وأسفل الكارون^(٦٦). إنّ الكلام الذي يُستعمل في مناطق عربستان البعيدة عن شطّ العرب والكارون، أكثر شبهاً بكلام منطقة العمارة، لكنّه وحسب المظاهر الإقليمية يُظهر تماثلاً مع كلام العمارة وشطّ العرب.

٣- الفرات

يمتاز هذا التنوّع اللغويّ بعدم وجود المظاهر الإقليمية المذكورة في (أ)، التي تتميز بها التنوّعات المذكورة آنفاً^(٦٧)، وكذلك فإنّه نمطٌ بدويّ متطرّف، فيه يظهر الشكل البدويّ في جميع الحالات السّت المذكورة في (ب)، وقد سُمِعَ هذا التنوّع في: الناصرية، والبطحاء، والديوانية. إنّ الطبيعة البدويّة لهذا التنوّع اللغويّ تبدو - على أساس الدليل المتوافر - صفة لمعظم منطقة الفرات إلى بغداد حسب ما تعكسه المادّة التي يُعطيه (مايسز) و(فايسباخ) لمنطقتي الحلة والمسيب^(٦٨). إنّ الصّفة البدويّة لهذا التنوّع تتناسب - على الأخصّ في المنطقة قيّد البحث - مع الهيكل الاجتماعيّ، فالمنطقة منطقة تعاملٍ اقتصاديٍّ وحضاريٍّ وثيقٍ بين السّكّان البدو والحضر، وهذا ما يمثّل جلياً في اتحاد المنتفك الذين سيطروا على المنطقة زمن العثمانيين والبريطانيين، الذي كان خليطاً من البدو والحضر تحت زعامة آل السّعدون^(٦٩). ويُستشفّ من المادّة المجموعة أنّ في هذه المنطقة اختلافاً قليلاً بين كلام المجموعات البدويّة والحضريّة^(٧٠)، كما يمكن أن يُعدّ

هذا التنوع اللغوي من خصائص السكّان المستقرّين جنوبي الفرات، أو الذين يعيشون بدوياً بين جنوب الفرات والصّحراء الواقعة إلى الغرب^(٧١). وتقضي العشائر الرعويّة التي جُمعت مادّة البحث منها أشهر الصّيف بالقرب من الفرات، ويتركّون المنطقة إلى الصّحراء في الجنوب الغربيّ خلال الشّتاء. ويختلف كلامهم في مظاهر معيّنة لا علاقة لها بالتباينات (الحضريّة- البدويّة) عن كلام أغلب البدو الذين يهاجرون إلى مناطق أبعد داخل الصّحراء خلال الشّتاء، ويشبه كلام هؤلاء كلام السكّان المستقرّين في منطقة نجد، وليس كلام وادي الرّافدين^(٧٢).

٤- الزّبير وأجزاء من الفاو

إنّ كلام مدينة الزّبير التي تقع في الصّحراء بحدود (٢٥ كم) جنوب غربي البصرة، وكلام بعض قطعات سكّان الفاو في مدخل شطّ العرب، كلام ذو نمطٍ مختلفٍ تماماً عن كلام المناطق الأخر قيّد البحث. إنّ هذه الأنماط أظهرت تشابهاً ملحوظاً لكلام الكويت كما وصفه جونستون^(٧٣)، ولعلّها ضمن مجموعة اللهجات العربيّة الشّرقية. وفي دراسة الكاتب السّابقة (ص ٥٤٥ رقم ٢٣) ذُكرت بعض المظاهر المهمّة التي يتّصف بها كلام الزّبير. وهناك مظاهر صوتيّة ومعجميّة تنطبق على التنوع اللغوي للفاو تختلف- على أيّة حال- بكونها لا تتضمّن مظاهر (بدويّة). وأظهر التنوع اللغوي للزّبير الشّكل البدويّ في الحالات (٢، ٣، ٤، ٥)^(٧٤)، والمظهر الصّوتيّ الأكثر تكراراً الذي يربط هذه التنوّعات اللّغويّة بكلام الكويت هو تتابع الأصوات الصّامتة النّهائي في الوقف عند بعض الكلمات، ويُفصل بين أصوات هذا التّتابع بصوت علةٍ في اللهجات المبحوثة الأخر، وفي اللهجات المُسمّاة (كَلَت)^(٧٥)، والأشكال اللّغويّة التالية تمثّل الفاو والزّبير:

زبير	الفُصحى
أُمْس	أُمْس
رَحَتْ	رُحَتْ
چِنْتُ	كُنْتُ
جَذَرُ	قَدَرُ
لِئْسَ	لباس، أَلِيسَة
بِشْتُ	
عَكْسُ	العَكْس
صَيَّيْقَتْ	صَيَّيْقَتْ
الفاو	
أُمْس	أُمْس
چَلْب	كَلْب
شِفْتُ	شُفْتُ
حَلَجْ	حَلَقْ
چِنْتُ	كُنْتُ
سَعَلْتُ	سَأَلْتُ

ونذكر في أدناه بعض المظاهر المعجمية والصوتية العشوائية التي توضّح هذه العلاقة، وفي كلّ حالة يُوجد الشّكل اللّغويّ المعطى في لهجة الكويت:

الرّبير	الفُصحى (المترجم)
سَكَّك ^(٧٦)	صَكَ
فِجِج ^(٧٧)	فَكَ
عَضَب ^(٧٨)	قبض على
بَغَى ^(٧٩)	بَغَى
يَبِي	يُرِيد
هُوْ، هِي ^(٨٠)	هُوْ، هِيْ
هَنِي ^(٨١)	هنا
چِذِي ^(٨٢)	كَذِي (كذلك)
أَب ^(٨٢)	حرف للاستقبال
مِنْ ^(٨٣)	مَنْ؟
الفاو	
گَلَّت	قَلَّت
شو- ^(٨٤)	
يووش ^(٨٥)	(رحلة بحريّة)
كoo س ^(٨٦)	رياح الشّمال

ويبدو التنوّع اللّغويّ للفاو رابطة اتّصال بحريّة بين الموقعين، ما أدّى إلى هذا التشابه بين اللهجتين، ولقد أنتج التزاوج والهجرة بين هاتين المنطقتين أقلّيّة سُنيّة ملحوظة في الفاو، يرتبط بها هذا التنوّع اللّغويّ، لكنّ السكّان من غير السّنة يستعملون بعضاً من هذه المظاهر اللّغويّة^(٨٧)، وفي حالة الرّبير تبدو العلاقة الحضاريّة والاقتصاديّة بين المدينتين أساس التشابه اللّغويّ^(٨٨)، ويُمْكِن عَدّ الرّبير خارج منطقة الرّافدين جغرافياً

ولهجياً، بينما تكون الفاو منطقة للاتصال بين المتكلمين بالتنوع اللغوي لوادي الرافدين، وأولئك الذين يستعملون اللهجات الشرقية العربية^(٨٩).
توزيع نمط الأشكال اللغوية (البدوية)، و(الحضرية)

الحالة	المجموعة	
قبائل الفرات من الكواولة والسكان الحضر ^(٩٠)	السكان (الحضر) للعمارة وشمال عربستان	السكان (الحضر) لشط العرب وجنوب عربستان والفلاحين
		الفُصْحَى
(١) يُحْفِر، يُحْفَر (٢) نَشِدَتْ، نَشِدَتْ	يُحْفِر نَشِدَتْ ^(٩١) (نَشِدَتْ) صَخْلَه تَبَارَزُ خَذَ غَنَ	يُحْفِرُ يُحْفَرُ - نَشِدَتْ صَخْلَه دَبَارَزُ تَبَارَزُ خَذَ أَخَذَ غَنِي غَنَ
(٣) صَخْلَه، صَخْلَه (٤) تَبَارَزُ، تَبَارَزُ (٥) خَذَ، خَذَ (٦) غَنَ، غَنَ		

لقد استعملت المفردات نفسها خلال البحث من أجل الدقة والثبات في البحث. ولم تُوثق هذه الأشكال اللغوية لكل مجموعة، ولكن قد استعملت بالفعل أنماط أشكال لغوية مناظرة، ومثل تلك الأشكال اللغوية، على أية حال أشكال عامة الاستعمال ويُتوقع وجودها.

الهوامشُ

* نُشِرَ البحثُ في مجلّة كَلِيبَةِ الدَّرَاسَاتِ الْإِفْرِيقِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ سنة ١٩٧٦م.

- ١- ب. إنكام Urban and Rural Arabic in Khuzistan في مجلّة BSOAS xxxvi 31973.
- ٢- يذهب ورث (خريطة ٢ مقابل ص ٢٢) إلى أنّ مناطق جنوب العراق التي يسكنها سكّان مستقرونّ قبل عام (١٨٠٠)، هي ضفاف شطّ العرب والفرات حتّى النّاصريّة. وأيضاً مركز العمارة وبين الحيّ والرّفاعي على نهر الغراف. يُنظر:

E.wirth, Agrargeographie des Irak Hamburg, 1962

- ٣- إنّ سكّان المدن الجديدة، مثل: عبادان، والأحواز، والعمارة، والنّاصريّة، يسكنها عنصر أجنبيّ كبير، ففي إيران يأتي هذا العنصر من المناطق التي تُستعمل فيها الفارسيّة، أمّا في العراق، فتأتي من المناطق القديمة؛ ولذلك فهذا العنصر خارج نطاق التصنيف، وعربيّة أغلب سكّان المدن، على أيّة حال، هي نفسها التي يستعملها الحضر.
- ٤- يُنظر حاشية (٦٦) في أدناه.

5. J.G. Lorimet, Gazrtteer of the Persian Gulf, Oman, and Central Arabia, 1908-15, H, A, p.965

- ٦- إنّ الاختلاف المهمّ بين البناء الاجتماعيّ لهاتين المنطقتين، هو أنّ امتداد ضفاف النّهر تكون الوحدة الأساس للتنظيم الاجتماعيّ هي (الحوز)، أو المنطقة التي بين (الشّطّين)، أو النّهرين، ويُمكن أن يدخل ضمن سكّان الحوز أناس من قبائل مختلفة، كلّهم يُشاركون في أمور تخصّ الزراعة، ولكنّ السكّان ينقسمون بعيداً عن الأنهر إلى قبائل وعصب كبيرة جغرافياً، تحتفظ في بعض المناطق بأعراف شبه حربيّة. وعلى الرّغم من أنّ المجاميع الأولى يُمكن أن تُكوّن مع بعضها اتّحاداً، كما في حالة (المحيّسن)، فإنّها لا تُعدّ من قبل السكّان العرب عشيرة.

- ٧- إنّ الدّلالة الأصليّة لتعبير (عرب) هي بالطبع (بدو). يُنظر: مقدّمة ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، القاهرة، ١٩٥٧-١٩٥٨م: ٢/٤٠٩-٤١٣، الذي يستعمل المصطلح للإشارة إلى البدو الذين لا يستعملون العربيّة، مثل: الأتراك. ولكنّ (هايم بلانك) يبيّن في كتابه (Communal Dialects in Baghdad): ص ٢١، حاشية ٧٥، أنّ المصطلح يُستعمل لتسمية رجال العشائر المستقرّين في العراق، وفي اللّهجة البغداديّة بخاصّة. ويمكن أن يكون الفرق بين الحالة في إيران

والحالة في العراق هو أن مصطلح (عرب) يُرادف مصطلح (البدو)، الذي يُشير إلى البدو الذين يملكون الجمال، الذين يذهبون خلال هجرة فصل الشتاء إلى الصحراء السورية. ولا يوجد (بدو) بهذا المعنى في إيران، ولكن مصطلح (عرب) يُستعمل من قبل سكان المدن بصورة مترادفة، وقد عدّ كتاب آخرون التباين الأهم هو بين (البدو) والسكان (المستقرين). يُنظر:

M.vom Oppenheim Die Bedu men, III, weisbaden, 195 - 478

S. Drower in H. Field (ed) Anthropolog of Iraq, 1, 2 Chicago, 1949, 252.

ويعطينا (أوبنهايم) الترادف بين: (الشّاوية)، و(العرب)، أو (الفلح)، أمّا (دارور)، فيقابل (شاوية) (رعاة) مع (الحضر)، أي: (الزُّراع المستقرين). و(دكسون) في كتابه:

(The Arab of the desert, London, 1945, 550)

هو الوحيد الذي يسمح أن يقابل تعبير (حضر)، أي: (الزُّراع)، و(الشّاوية)، ولا يُشير ذلك إلى البدو كليّة. ويصف (دكسون) البدو بكونهم (المزارعين) نصف المستقرين ونصف البدو، ممّن يملكون الماشية، الذين يقضون أواخر الشتاء والربيع وأوائل الصيف في الصحراء مع ماشيتهم، ويتروكون بعضاً مع رجالهم في قرى البردي على الأنهر لفلاحة الحقول.

٨- كما يذكر سالم. يُستعمل مصطلح (معدان) من قبل أولئك الذين يسكنون خارج المنطقة، للإشارة إلى كلّ المجموعات التي تسكن بيوت البردي، أو حول جنوب الفرات ودجلة، لكنّ التمييز الأساس ضمن المنطقة هو في كون المجموعة تربي الجاموس أو لا. أمّا أنا فأتبع مصطلح (سكان الأهوار) متضمناً كلّاً من: (المعدان)، و(غير المعدان) ممّن يسكنون المنطقة. يُنظر:

S. M. Salim, Marsh Dwellers of the Euphrates, della, London, 1962, 9

٩- إنّ المصادر الرئيسة التي أخذت المعلومات منها، هي: إبراهيم السامرائي، (التوزيع اللغوي في العراق)، بغداد، ١٩٦٣ م، وعلى الأخصّ الصفحات (٢٣٥-٢٤٢). (وأطروحة ماجستير):

D. L. RLorimer A note book on the Arabic of Ahwaz

D. O. Edzard ,Zum Vocabular der Ma'dan Araber in Sudlichen Iraq, in G.weissner (ed), Fesd Seurift fur Wilhelm Eilers Wiesbaden, 1967, 305-17

الذي يعالج الكلمات التي يستعملها المعدان، لكنّه يهتمّ بالكلمات فقط، ويستعمل نظاماً كتابياً صوتياً عامياً لا يُظهر تفاصيل المظاهر الصوتية للهجة. وغالبية المادة التي يُعطيه يمكن أن تعمّم على بقية المنطقة قيد البحث. ولقد رجع إلى المادة التي أعطاها كلّ من: (مايسز، وفايسباخ) من منطقتي المسيب والحلة، وللمقارنة يُنظر:

Bruno Meissner, Neuarabische Gcschichten aus Clem Iraq:

Beitrag Zur Assyriologic and Semitischen Sprachwissenschaft, VII.3, 1903, I-IVIII 1-148.

F. H Wissbach, Beitrage Zur Kunde des Irak-Arabischen Leibzg, 1930.

ولإعادة النَّظَر في المادَّة المُقدَّمة في المصدرين أعلاه، يُنظر:

A..Denz, Die verbal syntax des neubabylonischen Dialektes Von Kwayris (Iraq) Abhandlungen Fur die Kunde des Morgenlandes XL, I, 1971:

١٠ - استعمل نظام التمثيل الكتابي نفسه لدراسة الكاتب السابقة، يُنظر مقدِّمة المترجم.
١١ - هذا يُبين نوعاً ما وجهة النَّظَر المأخوذة في الدِّراسة السابقة، التي أُعطي فيها عدد من التباينات المعجمية المتوافقة مع التقسيم (حضري/ ريفي) (ص ٥٣٧ - ٨)، وفي ضوء المادَّة الإضافية التي حصل عليها من العراق أودَّ أنْ أعتبر أنَّ هذه التباينات أهميَّة إقليمية تفرِّق بين التَّنوع الإقليمي (١)، والتَّنوع الإقليمي (٢) (يُنظر لاحقاً)، لكنَّه وحسب الموقف في إيران، فإنها تتطابق أيضاً مع التقسيم إلى (حضر/ عرب)؛ وذلك لأنَّ أغلبية (الحضر) يستعملون التَّنوع (١)، بينما تستعمل غالبية العرب بعض الخصائص للتَّنوع (٢).

١٢ - معرفة الخصائص العامة لهذه المجموعة، وكذلك تصنيف لهجات بلاد الرافدين إلى (كَلَّت)، و(قلنتو)، يُنظر:

Blanc Communal dialects in Baghdad المذكور في حاشية ٧.

١٣ - لتفاصيل هذه العملية التاريخية، يُنظر:

T. M. Johnstone, (The affrication of) (Kaf) and (qaf) in the Arabic dialects of the Arabian Peninsula: Jss, VII, 2, 1963, 210 - 26. Blanc communal dialects, 25- 30.

١٤ - هذا المظهر يذكره السَّامرائي أيضاً، بوصفه مظهراً لمنطقة العمارة. يُنظر (التوزيع اللُّغوي): ص ٢٣٦.

١٥ - لقد عالج (جونستون) التوزيع الجغرافي لصوت /ي/ بوصفه انعكاساً للجيم في لهجات الجزيرة العربية، يُنظر: 7- 234- BSOAS, xxviii, 2, 1965.

ويُنظر أيضاً: Eastern Arabian dialects studies, London 1967, 9-11.

من الدليل الذي قدَّمه المخبرون اللُّغويون في العراق، يمكن القول إنَّ الحدود الشمالية للصوت /ي/ على دجلة هو المكان الذي ما بين الكوت وبغداد، بينما تكون الحدود على الفرات في مكانٍ ما بين البطحاء والسَّواة، وقد سمعته بنفسه من مزارعين في منطقة الكوت.

١٦- إنَّ اسمي الفاعل للفعلين (يحيي) و(يذهب)، أي: /ياي/ و/غاد/ يُستخدَمان في لهجات مجموعة (كلت) بمعنى (هذا الاتجاه) (ذاك الاتجاه)، أمّا في العمارة، فقد فقدت معناها مؤشّرين للاتجاه، ويعنيان (هنا) و(هناك) فقط.

١٧- يأتي الشكل اللغوي /ك ee ف/ في لهجة شطّ العرب بمعنى الحالة، أو الهياة في الجملة التالية، مثلاً: أنا ك ee في موز uee/. (حالي ليست جيّدة)، وفي منطقة العمارة تُستخدَم (چيف) كأداة استفهام في الجملتين التاليتين، مثلاً: (ولك چيف مارحت؟) (لماذا لم تذهب؟)، (چيف هالحچايه؟) (ما هي الحكاية؟).

١٨- يوجد هذا الحرف في الأشكال اللغوية من قبيل: (ليغاد)، (هناك)، (ليوره) (للخلف). إنَّ الأشكال اللغوية التي يوجد فيها (يب) هي من خصائص لهجة بغداد أيضاً، وكذلك الحالة في/ هيج/، وهكذا، و/ چيمه/.

١٩- يستخدم الشكل غير المُصغّر/عانه/ في الجزء العراقي من منطقة شطّ العرب.

٢٠- في هذا الشكل كما في الحالة في الشكل (شطيط) أدناه لم يُلَفَظ الصّوت النهائي بلعومياً كما هو الحال في انعكاسات الأصوات العربية الفصيحة/ ط، ذ، ص/ عندما تأتي بعد الياء الطويلة: مثلاً: / مريض/ (قريض)، /رخيص/ (رخيص).

٢١- في بحثه المعنون Description of the province of Khuzistan JRGS, xv1, 1946,5 يعطي ليارد Layard (زهريه).

٢٢- قارن بين الكلمة الفارسية (ميشان) مع العربية (ميسان)، وهو الاسم الذي يُطلَق على كلّ المنطقة الواقعة جنوب بلاد الرافدين وأجزاء من عربستان حتّى أواخر القرون الوسطى. يُنظر: (ميسان)، ويُنظر -أيضاً-:

Encyclopedia of Islam III, 146/7.

ويمكن أن يُعثر على عدد من الأسماء للأماكن القريبة، مثل: نيسان شطّ نيسان، يُنظر: هانزمان: ص٣٥. ولقد زار كاتب البحث -أيضاً- منطقة تُدعى نيشان شمال شرق الجبايش. ويمكن أن توجد علاقة بين (ايشان) [ايشان]-وهو اسم الارتفاع الذي تُبنى عليه أماكن المعدان- ونيسان وميشان.

٢٣- يستخدم/ إنتم/ (أنتم) في منطقة العمارة، وكذلك في كلام الكوالة. يُنظر -أيضاً-: السامرائي (التوزيع اللغوي): ص٢٣٧.

٢٤- إنَّ التراكيب المقطعية لفعلي الأمر هذين هي من خصائص هذين التنوعين، لأمثلة أكثر، يُنظر: ص٥٤٢ من:

Urban Rural Arabic in Khuzisten.

- ٢٥- أعطى المخبر اللغوي الذي يسكن الأحواز الشكليين/ بيكان/ وبيجان/ .
- ٢٦- يذكر السامرائي في هذا المظهر للعمارة، يُنظر (التوزيع اللغوي): ص ٢٤٢.
- ٢٧- يوجد الشكل/ موش/ كحرف نفي في منطقة واسعة تمتدّ شمالاً وحتى الديوانية على الفرات. يُنظر: السامرائي، ص ٢٤٠.
- ٢٨- ليس هناك تعبير مقابل في شطّ العرب. وهذا التعبير يُذكرنا بالتعبير الفارسي/ نشيت أونابود شود/ والذي يحمل المعنى نفسه.
- ٢٩- لقد ذكرت الأشكال/ اهوؤ، إهيّه، إهممه، إهنه/ في كلام بني لام، وهي عشيرة بدويّة تسكن شمال وشرق العمارة. ويُعطي جونستون (ص ١٠٤) أشكالاً متشابهة في اللهجة البحرينية، ولأساس هذه الحالة وغيرها، يُنظر: حاشية (٢٠)، ص ٥٤٤ Urban rural Arabic، ويبدو أنّ لكلام الشيعة في البحرين أصولاً في جنوب العراق.
- ٣٠- كذلك الأشكال المنتهية بالصّوت الصّائت الذي يرمز له بالفتحة، الذي يُشير إلى تاء التانيث، التي لا تُلفظ عند الوقف. كما في الأمثلة الثلاثة الأخيرة.
- ٣١- يُعطي فايسباخ أشكالاً من هذا النمط: ص ٧ (أخذته/ (أخذته)، و ص ٢٣/ شافته/ رآته)، و ص ٨.
- ٣٢- تستخدم الكلمة/ ضمّ/ في شطّ العرب بمعنى: أخفى.
- ٣٣- قارن الكلمة (قسمة) الفصيحة. يبدو أنّه بالإمكان أن تُلفظ الأصوات الصّامتة الابتدائية، أمّا كأصوات انفجارية، أو احتكاكية في هذه اللهجات. يُنظر -أيضاً-:
- Urban rural Arabic in Khuzistan.
- ٣٤- بالرغم من وجود/ هيئات/ في اللهجة البغدادية، وهو حرف إشارة، إلّا أنّه كما يبدو لا توجد أشكالاً موازية في بقية المنطقة قيد البحث. يُنظر:
- B. E. Clarity, K. Stowasser and R. G. Wolfe A Dictionary of Iraqi Arabic, Washington, D.C. Georgetown University perss 1964, 179.
- ٣٥- المصدر نفسه: ص ١٦، والشكل المعطي/ بسبب/ .
- ٣٦- المصدر نفسه: ص ١٩٨.
- ٣٧- قارن الكلمة الفارسية/ هرگز/ (إبدأ).
- ٣٨- تُستخدم اللهجات العربيّة الشرقيّة على امتداد الساحل الغربي للخليج العربي. يُنظر: جونستون، خاصّة الأجزاء: ١، ٢، ٣.
- ٣٩- يذكر لونكريك أنّ الزبير كانت محطة للقوافل التجاريّة منذ القرن السادس عشر. يُنظر:

S.H.Longrig (Four Centnries of Modern Iraq), Oxford 1925,1,390.

٤٠- الحالات (١، ٢، ٣، ٤، ٥) نتيجة التغيرات الصوتية التاريخية، وتشمل المنطقة بأجمعها، غير أنّ هذه التغيرات قد حدثت بصورة مختلفة من لهجة إلى أخرى، وهكذا نتجت أشكال مختلفة. يُنظر -أيضاً- جونستون: ص ٦- ٩ للحالات (١، ٢، ٣)، وأيضاً ملحق دراسته والبحث التالي للحالة (٥):

Aspects of Syllabi Fication in the spoken Arabic of Anaiza, BSOAS,XXX,I,1967

1-6

٤١- يذكر جونستون: ص ٤٣ تذبذباً مشابهاً بخصوص الأشكال من النمط المُعالج في الحالة (٣) أدناه في اللهجات العربية الشّرقية.

٤٢. يُنظر: W. Labov, Hypercarrechion by the Lower middle class as a Factor in: Linguistic Change.in WR.right (ed). Sociolinguistics, The Hague,1966,84-113. وعلى الخصوص الصفحات (٨٤-٨٥).

٤٣- لهاتين الفصليتين وحدهما إمكانية هذا النمط من التفاوت المقطعي. أمّا من الأفعال المعتلة الوسط والمشددة، فللأصوات الصّامتة شكلان من التلفظ، بينما للأفعال المعتلة الأولى فقط الهمزة والواو والياء، كالأصوات الأولى للجذر.

٤٤- بالرغم من أنّه لم يُسمع لهذا النمط من الشّكل اللّغوي أمثلة تكون فيها الأصوات للجذر للصّوتين/غ/و/هـ/، فإنّه يبدو من المُحتمل أن تُستخدّم مثل هذه الأمثلة؛ وذلك لأنّها موجودة عموماً في الكلام البدوي للصحراء السّوريّة، وأيضاً في مادّة فايسباخ. يُنظر -أيضاً-: Urban and rural Arabic.

٤٥- نعني بالتعبير (Unaugmented) (المُجرّد) عدم وجود إضافات صوتيّة ابتدائيّة إلى الجذر. يُنظر: ص ٥٤١-٥٤٣، Urban and rural Arabic.

٤٦- يعتمد وجود الصّوتين الصّائتين اللّذين يُرمز لهما (بالكسرة) و(الفتحة) على طبيعة الأصوات المحيطة كما هو موضّح في الحالة (٥) في أدناه. لتفاصيل أكثر يُنظر: جونستون: ص ٢٥٧-٢٥٩.

٤٧- يذكر لوريمر (أغطفان)، وهو اسم لفخذ بدوي للعنانجة، وهي عشيرة تسكن شال عربستان. يُنظر: ص ٧٣ و Gazetteer,II,A وأظنّ أنّ تاءه يجب أن تكون طاءً تبعاً للاسم الفصيح (غطفان)، كما أنّه يعطي -أيضاً- أغزوي كفخذ لبني مالك. يُنظر ص ١١٥٦ Gazetteer, II, B لكنّه يشكّ بهذا؛ وذلك لأنّ (أوبنهايم) يُعطيه/ أغز ee وي/. يُنظر: ص ٤٦.

Die Beduinen IV, I, Weisbaden, 1967

٤٨- تُشير هذه إلى اسم بحيرة إلى الشمال الشرقي من الجبايش / بركة بغداد / .
 ٤٩- لم تُسمَع (تحت) في لهجات النمط الحضري. وفي هذه التنوعات تستخدم (جَوَّه) و(حَدِر) بمعنى (تحت). ويذكر جونستون (حَدِر) في اللهجات العربية الشرقية. يُنظر: ص ٦٨.
 ٥٠- ذكر لويبر / رَحْمَة / كقسم من بني لام الذين يعيشون بدوياً شمال شرق العمارة. يُنظر: ص ١٠٠٨١, B. Gazetter, II,

٥١- تُطلق كلمة (جَعَب) على لعبة محلية. يُنظر:

Westphal-Hellbush and H. Westphal, Die Ma'dan Khultur, and Geschichte Marschen bewohner, Berlin, 1962. 7301- 298

٥٢- تُسمَع هذه الأشكال المبتدئة بصوت /ي/ كثيراً أيضاً، مثل: / دي، تباهي، (ي) تلابس /، على الرغم من أن هذه الأشكال لا تختلف عن الأشكال الكاملة.
 ٥٣- في (التنوعات الحضريّة) توجد / يواضب / أو / يدير باله / .
 ٥٤- لا يُسمَع الفعل / غَيْر / في الكلام الحضري، الذي يعني (يُصَبَح) بشكل الأمر في هذه التنوعات، والأمر هو / صَيَّر / من / صار / .

٥٥- هذه الصيغة تُستخدَم من قبل المازنين على أناس يأكلون، والفاعل المستتر هنا لفظ الجلالة. والإجابة المعتادة في مثل هذه الحالة (منهم)، أي: عسى الله أن يجعلك واحداً منهم، وحالات تحيات مشابهة موجود في كلام المنطقة. وأيضاً سَمِعْتُ عبارة / الله يساعدهم / و / حَيَّيْهِمْ / . والأولى تُستعمل كثيراً في العراق، أما الثانية، فقد أُخِذَتْ من تسجيلٍ لكلام بدويٍّ من الكويت.
 ٥٦- يُنظر: ص ١٦٨ - ١٧٠ من: Blanc, Communal dialects

وللمعلومات عن وصول العشائر العربية إلى عربستان، يُنظر:

A.Kasravi, Tarikh-ipansadsala-i: Khuzistan, Tehran, 1934, 142, Lorimer, Gazetteer Oppenheim, Die Beduinen, IV, I, pp 10,11,15,111

ويُنظر: ص ١٦٢٧.

٥٧- على الأخصّ تستخدم / إمش / (إمش) من قبل العديد ممّن يكون نمط كلامهم حضرياً.
 ٥٨- على وجه التحديد، جُمِعَت المادّة من المناطق التالية: حوز عبد العزيز الرشيد التي تقع على بعد (١٣ كم) جنوب الفاو، ومدينة الفاو، والسّبية على جانبي الشطّ في أبي الخصيب، والعشار، والتّومة، وأبو وردة على جزيرة عبادان.

٥٩- يُنظر: E. Niebuhr, Beschreibung von Arabien, kopenhagen, 1772, II, ch, v, p.330.

C. A. De. Bode, Travels in Luristan and Arabistan, London, 9, 1845, II, ch. xx, pp.111-12 Lorimer Gazetteer, 11, A, p.962.

ولدراسة أحدث لتأريخ الكعبيين، يُنظر:

J.P. perry, The Bani Kabian ambitions brig and state in Khuzistan in J. Aubim (ed), Lemonade Iranienet I, Islam, I, Geneve, paris 1971, 131 152.

٦٠- يُنظر: A.T. Wilson, précis of the relations of the British goverment with the tribes and shaikhs of Arabistane, Bushire. 1911, p.67

٦١- يُنظر: Lormer, Gazetteer, II, A, P.121.

الذي يذهب إلى أنّ الكعبيين (حضر) تماماً، ويذكر (Layrad) في بحثه المُعَنُون:

Description of the province of Khuzistan, JRGS, XVI, I 1846, 1-105

إنّ غالبية الكعبيين (مستقرون في قرى). ويوحي كلّ من (ستوكرلر ونير) بأنّهم سكّان حضر بصورة رئيسة. يُنظر على الأخصّ:

J.H.Stocqueler, Fifteen months pilgrimage through untrodden tracts of Khuzistan and Persia, London, 1832, II, ch. VIII, p. 386 and Niebuhr, II, Ch.III, p.168.

٦٢- استقرّت مجموعتنا الكواولة في الجوادر في الصّحراء الواقعة جنوب غرب البصرة وخارج عربستان، وقد كانتا إلى وقتٍ قريبٍ تسكنان الخيام، ولكنّها الآن تسكنان في منطقة معمل الورق بين البصرة والقرنة، وفي منطقة ملاصاني شمال الأحواز على الكارون. أمّا كلامها فهو متشابه، إلّا إنّ المخبر اللّغوي الذي يسكن البصرة أبدى تردّداً بين صوتي/ الياء/ و/ ز/ في عدّة حالات.

٦٣- يُنظر: Dickson, The Arab of the desert, 517-19.

R.Montagne, Contes poetriques bedouins, (recuillis chezles Sammar de Gezire), BEO, v, 1935, 72

٦٤- يُنظر: Montagne Contes, 72 - 3.

Dickson the Arab of the desert 529 - 512

٦٥- يُنظر: Gazetteer, II, A, 73.

٦٦- بخصوص منطقة عربستان على الأخصّ يُبيّن الدليل الذي قدّمه الكتاب الأوائل الأحوال البدويّة للمنطقة. أمّا لوريمر فيذهب إلى أنّ المنطقتين الرّئيسيتين هما: الأحواز والحويزة. ويذهب إلى أنّ العشائر التي تضمّ غالبية بدويّة هي: بادية، وعنافجة (الأحواز)، وآل كثير (في ديز فول وشوستر)،

وبني تميم، وبني طرف (الحويزة). يُنظر: Gasetteer, II, A. pp.119-24.
٦٧- لم تُلاحظ أية مظاهر صوتية أو صرفية ذات أهمية إقليمية لهذه المنطقة. ويمكن أن يُعزى ذلك جزئياً إلى قلة المادة المجموعة نسبياً. وهناك مظهر معجمي مهم، وهو /چثر/ بمعنى: (كثير). وتُستخدم في بقية المنطقة انعكاسات لكلمة (واجد/ هواية/ في العمارة وبغداد، و/ وايد/ على امتداد شط العرب وعربستان.

٦٨- يمكن أن توجد أمثلة في مادتهم لجميع الحالات عدا النمط (٦) للأشكال البدوية، فمثلاً: فايسباخ/ إنْجِدْم/ (تخدم)، ص ٢٣، /إِطْلَعُوهُ/ ص ٥، /لگهوه/ (القهوة)، ص ١، /إِتَارَكْ/ (تشاجر)، ص ١٣، /إِنْحَدِرْ/ (إِنْحَدَرَ)، ص ٣.

٦٩- يُنظر: Dickson, The Arab of the desert, ch XIX ، وعلى الأخص ص ٥٥٢-٥٥٣.
وعلي جواد الطاهر (العشائر العراقية)، بيروت، ١٩٧٢م، خصوصاً ص ١-٥.

٧٠- حصلتُ على المعلومات عن كلام العشائر الرعوية من مخبرين لغويين من البدور وبني حاجم، وقد حصلتُ على المعلومات التي تخص المزارعين المستقرين من مخبرين لغويين من الظوالم، وكذلك من أحد المخبرين اللغويين، وكان راعياً من منطقة الناصرية.

٧١- إنَّ هذا التقسيم اللهجي إلى تنوع الفرات مقابل إحدى خصائص منطقة العمارة وأجزاء من عربستان يتطابق مع وجهة نظر (سالم) على الأنماط الرئيسة للتفاعل الحضاري في المنطقة، يُنظر Marsh Dwellers، ص ٨. ويذكر سالم -أيضاً- في ص ٩: «أنَّه لا يمكن أن يفرق سكان الأهوار على أساس لغوي؛ وذلك لأنَّ هناك تغيرات طفيفة في اللهجة»؛ ولأنَّ استخدامه مصطلح (سكان الأهوار) يشمل جميع المزارعين بين الفرات الأسفل ودجلة، وعلى امتدادهما، فإنَّ وجهة نظره السابقة تناقض نتائج دراستي. وعلى أية حال، فإنَّه لربما يُشير إلى التغير الطفيف نسبياً، والمُلاحظ في مقارنة المجموعتين اللهجيتين الرئيسيتين لبلاد الرافدين، أي: (كَلْت)، و(قَلْتو). يُنظر: Blanc Communal dialects, P7.

٧٢- لقد ذكرتُ العلاقة التي تربط بين كلام البدو والحضر الذين يسكنون شمال شرق شبه الجزيرة من قبل كلٍّ من بلانك، ص ١٦٨، وجونستون، ج ١، ص ٢. ويُضمَّن جونستون كلاً في اللهجات البدوية والحضرية تحت المجموعتين (ب) - (الشمري)، و (ج) - (عزري)، لمجموعة شمال الجزيرة. أمَّا المظاهر الرئيسة التي تُفرق كلام البدو عن كلام العشائر الرعوية، فهي نفسها التي ستُعطى أدناه، والتي تُفرق بين اللهجات العربية الشرقية، وبين لهجات بلاد الرافدين.

٧٣- يُنظر جونستون (اللهجات العربية الشرقية): ص ٧٠-٩٢، على الأخص.

٧٤- يوافق عدم وجود الشكل (البدوي) للحالة (١) مع الحالة في لهجة الكويت. يُنظر: جونستون: ص ٧٠.

- ٧٥- يُنظر: بلانك: ص ٥٥.
- ٧٦- يُنظر: D. Holmes and S. Saman, A Handbook of Kuwaiti Arabic, London, C, 1951, 204
- ٧٧- يُنظر: جونستون: ص ٧٢.
- ٧٨- المصدر نفسه: ص ٣٠.
- ٧٩- المصدر نفسه: ص ٧٨.
- ٨٠- المصدر نفسه: ص ١٣.
- ٨١- المصدر نفسه: ص ١٦٩.
- ٨٢- المصدر نفسه: ص ٦٨.
- ٨٣- يُلاحظ جونستون هذا الشكل في الساحل المهادن. يُنظر: المصدر نفسه: ص ١٧١.
- ٨٤- قارن بين/ يَهْوِيهِ/، وهما الشكلا اللذان يَعْمَان بقية المنطقة. يُنظر: ص ٥٤٧.
- Urban and rural Arabic
- ٨٥- يُنظر: C. Landberg. Glossaire datinois, I, Leiden, 1920- 311.
- ٨٦- قارن ذلك من الكلمة الكويتية/ ك ٥٥ س/ رياح الشمال. يُنظر جونستون: ص ١٢٥.
- ٨٧- هناك مظهر يتقاسمه بصورة كلية تنوع الفاو ولهجة الكويت، الذي يؤيد إلى حد ما افتراض وجود علاقة بحرية إذا ما أخذت بعين الاعتبار المفردات التي لها علاقة، وهذا المظهر الصوتي هو وجود الأشكال الاسمية المنتهية بـ/ـُ/ أو/ـُ/، ويذكر جونستون هذا المظهر (٨٤)، ويُعطي مثلين، هما: /حَلَوِيُّ/ (نوع من السمك)، و/جَفْتَرُ/ (عارضة حديدية تربط هيكل السفينة)، وأيضاً/ يافا- / (مؤخرة السفينة). يُنظر:
- Johnston and Muir' some nautical terms in the Kuwaiti dialect of Arabic BSOASXX, VII, 2, 1964, 322.
- تحتوي المادة التي جمعتها من الفاو كلمة/ طُعِطِع و و هـ/ (نوع من السمك)/ وِصَلَّ ee بوو- / (عصير نبات الجولان)، وأيضاً إمكان تكوين أسماء الأشخاص المقربين بواسطة إضافة اللّاحقة/ـُ/ مثلاً/ عِيسُ/ (عيسى)،/ خَلِيكُ/ (خليل)،/ نَيْمُ/ (نجم)، يوادوو/ (جواد).
- ٨٨- يُنظر: لوريمر Gazetteer. II, B, p 1951
- ٨٩- يذكر جونستون (في الصفحتين ٧٠- ٧١) عدداً من المظاهر التي تُشير إلى تأثير لهجات جنوب العراق على لهجة الكويت.
- ٩٠- أيضاً مدينة الزبير ما عدا الحالة (١). يُنظر أعلاه.
- ٩١- يُنظر أعلاه تحت عنوان (التنوع الإقليمي) (٢).

الوحدات الصوتية (الفونيمات) المُفخّمة في لهجة البصرة (دراسة في علم الأصوات)

د. قاسم راضي البريسم

مقدمة

تُعدّ ظاهرة التّفخيم من الظواهر الصوتيّة المُعقّدة في اللّغة العربيّة بشكلٍ عامّ، ولهجاتها بشكلٍ خاصّ. فهي قبل ظهور المنهجين (الفونيميّ، والتّطريزيّ) (The Phonemic and prosodic approaches) -اللّذين بموجبهما عُدّت ظاهرة التّفخيم ملمحاً تمييزيّاً يدخل في تغيير دلالة الألفاظ- لم تكن ظاهرة تمييزيّة (Distinctive features) تُتميّز بين الفونيمات، أي إنّ الفونيمات المُفخّمة ليست سوى تحقيق للفونيمات المرقّقة، فلم يُشر الأصواتيّون العرب إلى أهميّة التّفخيم في تغيير دلالة الكلمة؛ لذا لم تُعطِ الأصوات المُفخّمة رموزاً مستقلّة تختلف عن الرّموز العاديّة في الألفباء العربيّة. وبعد ظهور المنهجين المُشار إليهما دُرِسَتْ ظاهرة التّفخيم في اللّغة العربيّة ولهجاتها بوصفها ظاهرة تمييزيّة. وقد تشعّبت آراء علماء اللّغة الذين درسوا هذه الظاهرة في اللّغة العربيّة ولهجاتها، فمنهم من فضّل المنهج الفونيميّ في دراستها، الذي يستند إلى الفونيم أساساً للتمييز بين معاني الكلمات، ومنهم من درسها وفقاً للمنهج التطريزيّ، الذي يعتمد على مجموعة الملامح التمييزيّة غير الفونيميّة في الكلمة، ولم

يختلف الجميع بأنّ التّفخيم يمكن أن يكون ظاهرة مميّزة للفونيمات. يمثّل هذا البحث استكشافاً لبعض الفونيمات المُفخّمة في لهجة البصرة بشكلٍ خاصّ واللّهجة العراقيّة بشكلٍ عامّ، على أساس فونيميّ يستند إلى ظاهرة التّفخيم بوصفها أساساً في تغيير دلالة الكلمة عن طريق إيراد التّقابل الأصغر (Contrast minimal) بين الفونيم المُفخّم وغير المُفخّم في الكلمة نفسها. وقد حاولتُ قبل الدّخول في تفصيل الفونيمات المُفخّمة في لهجة البصرة إعطاء فكرة عن مصطلح التّفخيم وآراء علماء اللّغة عن استخدامه، و حاولتُ -أيضاً- تبيان وجهات النّظر عن تحديد ظاهرة التّفخيم في ضوء الدّراسات المختبريّة الحديثة.

١ - مصطلحُ التّفخيم

تمتاز اللّغات السّامية بشكلٍ عامّ واللّغة العربيّة بشكلٍ خاصّ بظاهرة التّفخيم، وتشارك اللّهجات العربيّة اللّغة العربيّة الأمّ هذه الظاهرة. وقبل الشّروع في تفاصيل ظاهرة التّفخيم في لهجة البصرة، نعطي فكرةً عن استخدام المصطلح (Terminology) عند العرب والمحدثين.

١-١ مصطلحُ التّفخيم عند العرب

يُشير مصطلحُ التّفخيم في اللّغة إلى التّعظيم، فقد جاء في لسان العرب: «فَخَمَ الكلام عَظَمَهُ»، ومنطقُ فخمٍ: (جزل). والتّفخيم في الحروف ضدّ الإمالة، وألف التّفخيم هي التي تجدها بين الألف والواو، كقولك: سلامٌ عليكم، وقام زيدٌ، وعلى هذا كتبوا (الصّلوة، والزّكوة، والحيوة)، كلّ ذلك بالواو؛ لأنّ الألف مالت نحو الواو، وهذا كما كتبوا (أحديهما، وسويهن) بالياء؛ لمكان إمالة الفتحة قبل الألف إلى الكسرة^(١). وليس في هذا التحديد اللّغويّ ما يهدينا إلى تتبّع الظاهرة النّطقيّة، بل إنّ فيه خلطاً

وغموضاً، فعلى الرغم من غياب الدقة في تحديد المصطلح اللغوي، فإنّ هناك خلطاً بين التّفخيم والإمالة، ففي الوقت الذي يؤكّد أنّ التّفخيم في الحروف ضدّ الإمالة، يضرب مثلاً حول ألف التّفخيم التي تكون بين الألف والواو، وفي هذا المثال يكون التّفخيم عنده بمنزلة الإمالة.

وفي الاصطلاح، نجد أنّ العرب استخدموا عدّة مصطلحات للإشارة إلى الظاهرة الصوتية التي تميّز بين الأصوات في اللغة العربية عن غيرها، وعلى الرغم من أنّ هذه المصطلحات لم تكن دقيقة، إلّا أنّها عكست مقدار الوعي الصوتي عندهم، وقدرتهم على التمييز بين الأصوات المُفخّمة وغير المُفخّمة، هذه المصطلحات هي: (الإطباق، والاستعلاء، والتفخيم). وعندما نبحث عن دلالات هذه المصطلحات عند العرب وخصوصاً عند علماء العرب الأصواتيين، أمثال: سيبويه، وابن جني، وغيرهما، نجدها تشترك جميعاً في تفسير الظاهرة الصوتية، على الرغم من اختلافها من قريبٍ أو بعيدٍ مع المفهوم الصوتي الحديث لها.

يُعدّ سيبويه أوّل من أشار إلى الأصوات المطبقة، فلم نجد ذكراً لظاهرة التّفخيم عند أستاذه الخليل، فقد وصف سيبويه لنا ظاهرة الإطباق، بقوله: «ومن الحروف: المطبقة والمنفتحة، فأما المطبقة، فالصّاد والضّاد والطاء والظاء، والمنفتحة، كلّ ما سوى ذلك من الحروف؛ لأنّك لا تطبق لشيءٍ منهنّ لسانك ترفعه إلى الحنك الأعلى، وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهنّ انطبقّ لسانك من مواضعهنّ إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك، فالصّوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف»^(٢). يظهر من تعريف سيبويه للإطباق أنّه الظاهرة التي يُسهّم فيها اللسان والحنك؛ إذ يرتفع اللسان نحو الحنك، وفي هذا التحديد يكشف سيبويه عن أهميّة اللسان ودوره في إنتاج المُفخّمات؛ إذ يؤدّي دوراً كبيراً

في عملية التّفخيم، لما يطرأ عليه من تغييرات، والملاحظ أنّ سيويه في تعريفه يستخدم الإطباق والتّفخيم بمعنى واحد، كما أنّنا نجد سيويه يحدّد حروف الاستعلاء بسبعة، وهي: «الصّاد، والضّاد، الطاء، والظاء، والغين، والقاف، والحاء»^(٣)، التي - كما يقول - تمنع الإمالة؛ لأنّها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى. كما نجده يحصر الأصوات المطبقة (المُفخّمة) بأربعة، وهي: «الصّاد، والضّاد، الطاء، والظاء»، وما عداها فهي أصوات منفتحة - كما يُسمّيها -، أي: مُرَقَّقة. وفي (سرّ صناعة الأعراب) لابن جني، نجد تفصيلاً لهذه المصطلحات، على الرّغم من أنّها تبقى غامضة إلى حدّ ما، ولا يمكن بناء صورة واضحة لهذه الظاهرة بشكلٍ دقيق تتفق والتحديد الصوتي الحديث.

يُعرّف ابن جني الإطباق، بقوله: «أن ترفعَ ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مُطْبِقاً له»^(٤). لم يُصِف ابن جني في تعريفه للإطباق شيئاً جديداً إلى تعريف سيويه، كما أنّه في تقسيمه للأصوات من حيث الإطباق والانفتاح اتّبع تقسيم سيويه لها، فعَدَّ الضّاد والطاء والضّاد والظاء من الأصوات المطبقة، وما عداها مفتوح غير مُطْبَق: «وللحروف انقسام آخر، إلى: الاطباق والانفتاح، فالمطبقة أربعة، وهي: (الضّاد، والطاء، والضّاد، والظاء)، وما سوى ذلك فمفتوح غير مُطْبَق»^(٥).

ونجد تعريفاً للاستعلاء عند ابن جني، فهو يُعرّفه، بقوله: «ومعنى الاستعلاء أن تتصعد إلى الحنك الأعلى»^(٦)، فهو يميّز بين الاستعلاء والانخفاض، فالحروف المُستعلية عنده سبعة، وهي: (الحاء، والغين، والقاف، والضّاد، والطاء، والضّاد، والظاء)، وما عدا هذه الحروف فمنخفض.

«وللحروف انقسام آخر إلى: الاستعلاء والانخفاض، فالمستعلية سبعة، وهي: الحاء، والغين، والقاف، والضّاد، والطاء، والضّاد، والظاء، وما عدا هذه الحروف فمنخفض»^(٧).

والجدير بالذكر، أنّ ابن جني استطاع أن يميّز بين مصطلحي الاستعلاء والإطباق، فكلّ مُطبّق مُستعلٍ وليس العكس، فقد عدّ الأصوات المُستعلية المُطبّقة: (الضّاد، والصاد، والظّاء، والطاء)، في حين عدّ: (الحاء، والغين، والقاف)، من الأصوات المُستعلية غير المُطبّقة: «وللحروف انقسام آخر إلى: الاستعلاء والانخفاض... فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق، وهي: (الضّاد، والصاد، والطاء، والظّاء)، وأمّا (الحاء والغين والقاف)، فلا إطباق فيها مع استعلائها»^(٨).

١-٢ مصطلحُ التّفخيم عند المحدثين

يستخدم الأوربيون عدّة مصطلحات للإشارة إلى الظاهرة الصوتية التي تصاحب بعض الأصوات في اللغة العربية ولهجاتها، كلّ حسب اجتهاده ونظرته لظاهرة التّفخيم نفسها، ومن هذه المصطلحات (Emphasis)(تفخيم)، ومنه صفة الصوت (Emphatic)(مُفخّم)، ومصطلح (Velarization) (الإطباق)، ومنه الصوت المُطبّق (Velarized)، ومصطلح (Pharyngealization) (التّحليق نسبة إلى الحلق)، والصوت المُفخّم الذي يُنتج في منطقة الحلق يُطلق عليه (Pharyngealized) عند بعض الأصواتيين^(٩). وتستخدم بعض المصطلحات^(١٠) مثل: (U-Resonance و Uvularization و Restractyon و Strong و Articulaion)، وحتى (Heaviness) للإشارة إلى ظاهرة التّفخيم، إلّا أنّ هذه المصطلحات أقلّ شيوعاً من المصطلحات السابقة.

يُشير (Trubetzkoy)^(١١) إلى ظاهرة التّفخيم في اللّغات السّامية بشكلٍ عامّ واللّغة العربيّة بشكلٍ خاصّ بالمصطلح (Amphatic و Velarization)، ويستخدم المصطلحين (Emphathc و Velarized) بمعنى واحدٍ للإشارة إلى الصوت المُفخّم. ويستخدم (Jakobson)^(١٢) عدّة مصطلحات للإشارة إلى الأصوات المُفخّمة

في اللغة العربية في أثناء تطبيق نظريته في الملامح التمييزية على لهجة الدروز في شمال فلسطين، ومن هذه المصطلحات (Emphatic) (مُفَخَّم)، ويُقابله (Nonemphatic) (غير مُفَخَّم)، و (Flat)، ويُقابله مصطلح (Plain) (غير مُفَخَّم)، ومصطلح (Pharyngealized) (مُفَخَّم)، نسبة إلى الحلق، ويقابله (Nonpharyngealized) (غير مُفَخَّم).

أما (Ferguson)^(١٣)، فيستخدم مصطلحي (Emphatic و Velarized) للإشارة إلى الصّوت المُفَخَّم، مثل: /ص، ط، ض، ظ/، إلاّ أنّه يستخدم مصطلحاً آخر، وهو (شبه المُفَخَّم) (Semiemphatic) لوصف الأصوات التي تشترك مع الأصوات المُفَخَّمة في صفة التّفخيم، ولكن في سياقاتٍ معيّنة، وعند مجاورة الأصوات المُفَخَّمة مثل: /القاف، الخاء، والغين/؛ لذا فقد ميّزَ (Ferguson) بين ما هو تامّ التّفخيم الذي يقع في كلّ المواقع الصّوتية، وما هو مُفَخَّم تحت ظروف صوتية معيّنة، كأصوات /غ، ق، خ/، وهو يرى أنّ مصطلح (الاستعلاء) (Elevation of the dorsum)، الذي استخدمه العرب لوصف بعض الأصوات، يقابل المصطلح (شبه المُفَخَّم) (Semi-Emphatic)، ويظهر هذا واضحاً في نصّه: «إنّ النّوعيّة التي تتّصف بها الأصوات شبه المُفَخَّمة /غ، ق، خ/ من المُحتمل أن تكون وراء استخدام النّحاة العرب لمصطلح الاستعلاء الذي استخدم لوصف تلك الأصوات فقط»^(١٤). وقريب من رأي (Ferguson) رأي (R.S.Harrell)^(١٥)، الذي يرى أنّ التّفخيم يظهر مع الأصوات الصّامتة والصّائتة على حدّ سواء. ويُميِّز (Harrell) بين نوعين من المُفَخَّات، النّوع الأوّل ويُطلق عليه المُفَخَّات المستقلّة (Independent Emphatics)، وهي: /ص، ض، ط، ظ/، وهذه المُفَخَّات تظهر بحرّيّة في كلّ المواقع الصّوتية ومع كلّ الصّوائت (Vowels)، وأمّا النّوع الثّاني، فتظهر مُقيّدة أو مقترنة مع أصوات مُفَخَّمة أُخر (Conjunct Emphatics)، مثل: /ر، ل/.

ويستخدم (سلمان العاني) مصطلحاً آخر، وهو (Pharyngealized) (من التحليق Pharyngealized، نسبة إلى الحلق)، بدلاً من (Emphatic و Velarized) للإشارة إلى الصوت المُفخّم، ويعلّل سبب استخدام هذا المصطلح، بقوله: «بعد إجراء التجارب الفيزيائية والنطقية على ما يُسمّى بالفونيمات المُفخّمة (Velarized Consonants) ظهر أنّ المنطقة المسؤولة عن التّفخيم هي البلعوم وليس الطبق»^(١٦).

ونجد تفريقاً عند (عبد الصّبور شاهين) للمصطلحات (الإطباق، والانفتاح، والاستعلاء، والاستفال)، بقوله: «ويجب أن نذكر هنا ملاحظة تتعلّق بالمصطلحات الواردة في هذا الصّدّد، فالتّفخيم مقابل التّريق، والإطباق مقابل الانفتاح، فكلّ مُطبّق مُفخّم، وكلّ مفتوح مُرّقّق، والفرق بين الإطباق والتّفخيم أنّ الإطباق وصف عضويّ للسان في شكله المقصر المطبق على سقف الحنك، وأنّ التّفخيم هو الأثر السّمعّي النّاشئ عن هذا الإطباق، فإذا سُمِعَ الصوت مرّقّقاً، فإنّ معنى ذلك أنّ اللسان في وضعٍ مفتوح يتّصل فيه بالحنك الأعلى من نقطة واحدة أماميّة»، ويميّز -أيضاً- بين الأصوات المُستعملة والمستقلّة، فهو يرى أنّ الاستعلاء «صفة لبعض الأصوات الخلفيّة، وهي: القاف، والغين، والحاء، وفيها يرتفع اللسان بجزئه الخلفيّ نحو اللّهاة ليخرج الصوت غليظاً مفخّماً، ولكن دون مبالغة في تغليظ النطق»^(١٧).

أمّا الاستفال، فهو نظير الاستعلاء «وهو وضعُ للسان يكون له فيه أسفل في قاع الفم، وذلك في بقيّة الأصوات المرقّقة»^(١٨).

ويرى (تمام حسن) أنّ التّفخيم والتّريق يختلفان في الفُصحى عنها في العاميّات، فهما في الفُصحى يرتبطان بالحروف، أمّا في العاميّات، فهما ظاهرة موقعيّة لا ترتبط بالحروف، وإنّما بالموقع في السّياق.

ويرى أنّ مما يُعدّ خصائص حروف التّفخيم (ص ض ط ظ غ خ ق) عند النّحاة القدماء العرب، أمّا صفة الإطباق، وأمّا مخرج الطبق (وهو هنا يشمل اللّهاة)،

وصفة الإطباق ومخرج الطبق يشملهما في التجويد العربي اصطلاح (الاستعلاء). ويرى -أيضاً- أنّ التّفخيم في هذه الحروف غير متّحد القيمة، ولا مرّات الورود في المثال. فحروف الإطباق الأربعة مُفخّمة إلى درجة أكبر من تفخيم الحروف الطبقيّة الثلاثة، وهي ترد مفخّمة أكثر مما ترد الثلاثة الطبقيّة؛ ذلك لأنّ حروف الإطباق يبقى لها تفخيمها في كلّ وضع، ومع كلّ حرف علّة سابق أو لاحق، أمّا الثلاثة الطبقيّة، فإنّها لا تُفخّم في مجاورة الكسرة؛ لذلك يرى أنّ التّفخيم في الفُصحى، تفخيم يرتبط بالحروف أكثر مما يرتبط بالموقع، وبذلك لا يمكن عدّه ظاهرة موقعيّة. أمّا في اللهجات العاميّة، فهو على العكس من ذلك يرتبط بالموقع أكثر مما يرتبط بالحروف^(١٩).

ويعترض (Odisho)^(٢٠) على استعمال المصطلحات (Emphasis Velarization و Pharyngeal Zation) للإشارة إلى ظاهرة التّفخيم؛ لأنّه يرى أنّ هذه المصطلحات لا تغطّي كلّ السّمات المعقّدة التي تصاحب ظاهرة التّفخيم؛ لذا يُستخدّم التّفخيم بمعنى خاصّ كي يشمل كلّ السّمات المعقّدة التي سوف نذكرها في هذا البحث، والتي تصاحب ظاهرة التّفخيم التي لا يمكن حصرها بعضو محدّد.

ويتفق (Ali and Danliooff)^(٢١) مع (Odisho) على أنّ المصطلحات المستخدمة خصوصاً (Velarization و Pharyngealization و Laryngealization) لوصف الأصوات المُفخّمة لم تكن ملائمة لوصف الأحداث التي تظهر في إنتاج الأصوات المُفخّمة؛ لأنّها تكشف عن سمة أو بعض السّمات التي تُصاحب ظاهرة التّفخيم.

٢- مفهوم التّفخيم

بعد هذه المقدّمة في علم المصطلح (Terminology)، نعود إلى تحديد ظاهرة التّفخيم، كما أكّدها التجارب المختبريّة الحديثة.

يحدّد (Trubetzko) التّفخيم في اللّغة العربيّة بقوله: «تتّصف الفونيمات المُفخّمة

بتثخين أو تغليظ (Thickening) في جذر اللسان، مما يسبب في الوقت نفسه تحركاً، في الحنجرة، ويظهر التباين بين الفونيمات المُفخّمة وغير المُفخّمة في الفونيمات الدلّقيّة، والحلقية والصّفيرية، الحنجريّة، ويُصاحب التّفخيم في هذه الفونيمات تحولات أو تغيّرات في أوضاع النطق^(٢٢). يرى أنّ مع الأصوات الحنكيّة المُفخّمة يحدث تقلّص في فتحة العضو المرن بسبب تحرك الحنجرة إلى الأعلى، ما يؤديّ إلى تحرك اللسان إلى الأمام، وإنّ وضع الحنجرة الخاصّ هذا في أثناء إنتاج الفونيمات الحنكيّة المُفخّمة، يُنتج صوتاً خاصّاً أجشاً (ضوضاء احتكاكية، تمتدّ إلى الأصوات المجاورة) للصّوائت (Vowels)^(٢٣).

ويرى (Jakobson)^(٢٤) أنّ السّمة النّطقية لجميع الفونيمات المُفخّمة هي تقلّص (Contraction) الجزء العلويّ للبلعوم. كما كشفت أشعة x أنّ الجزء البارز من جذر اللسان يتحرّك نحو الجدار الخلفيّ للبلعوم، وينتج عنه تقلّص في فتحة البلعوم. وكما ذكرنا سابقاً في أثناء الكلام عن المصطلح، أنّ (سلمان العاني) توصّل نتيجة لما قام به من دراسات فيزيائيّة ونطقية للأصوات المُفخّمة، إلى أنّ المنطقة المسؤولة عن إنتاج الأصوات المُفخّمة هي البلعوم (Pharynx)، وليست منطقة الطبق (Velum)^(٢٥). أظهرت الدّراسة التي قام بها (لطيف حسن علي) (Daniloff)^(٢٦) عن طريق التطوير الشعاعيّ السّيميّ (Cinefluorographic) من أجل كشف التباين في النّشاطات الفسيولوجيّة لجذر اللسان والطبق وجدار البلعوم الخلفيّ، وعظم قاعدة اللسان (Hyoid Bone) (العظم اللامي) في أثناء نطق الفونيمات المُفخّمة وغير المُفخّمة، «أنّ اللسان هو العضو الرّئيس النّشط الذي يعودُ له الفضل في التفريق بين الفونيمات المُفخّمة وغير المُفخّمة، ويتمثّل ذلك في الدّور النّشط للجزء الخلفيّ من اللسان المقابل للحنك (palatine dorsum) والبلعوم (pharyngeal dorsum)، حيث يتحرّك الجزء الخلفيّ المقابل للحنك بقوة في أثناء إنتاج الأصوات المُفخّمة،

وبشكلٍ عامٍّ ينخفض الجزء الخلفي من اللسان المقابل للحنك، ويتحرك جزؤه الخلفي المقابل للبلعوم إلى الخلف في الأصوات المُفخَّمة عمّا هو عليه في الأصوات غير المُفخَّمة، كما تظهر الأصوات المُفخَّمة بشكلٍ عامٍّ عن انخفاضٍ جزئيٍّ للجزء الأمامي من اللسان (Anterior Portion Of The Tongue Dorsum)، والجزء المقابل للحنك من مؤخرة اللسان (Palatine portion Of The Tongue Dorsum)، وبشكلٍ عامٍّ يتحرك الجزء المقابل للبلعوم من مؤخرة اللسان. (Dorsum The Pharyngeal portion of the tongue dorsum) إلى الخلف مع الأصوات المُفخَّمة عمّا هو عليه مع الأصوات غير المُفخَّمة^(٢٧). كذلك كَشَفَتِ الدِّراسة عن تحرك الجزء الخلفي للبلعوم باتجاه الجدار الخلفي للبلعوم (posterior pharyngeal wall)، إلّا إنّ الجدار الخلفي للبلعوم والطبق ليسا هما العضوين النشطين في التفريق بين الفونيمات المُفخَّمة وغير المُفخَّمة، إلّا مع فونيم / الحاء /، حيث ينخفض الطبقة حتّى يكاد أن يلامس اللسان، وأنّ الجدار الخلفي للبلعوم لا يُسهم إلّا قليلاً، أو قد لا يُسهم تماماً في إنتاج الأصوات المُفخَّمة من حيث الحركة المرئية^(٢٨).

كذلك أظهرت الدِّراسة تغيّرات في سعة التجويف البلعومي، إلّا إنّ التغيّرات المهمّة في سعة التجويف البلعومي ناتجة غالباً من حركات جذر اللسان الأمامية والخلفية، وليس إلى حركات جدار البلعوم^(٢٩).

وأخيراً، لم تُظهر الدِّراسة حركات مميزة لعظم قاعدة اللسان (Hyoid bone) في التفريق بين المُفخَّات وغير المُفخَّات.

أمّا (Odisho)، فيُعرّف التّفخيم على أنّه «سمات نُطقيّة معقّدة، وأنّ هذه السمات تعمل بتراكيب مختلفة فيما بينها، وليس من الضروري أن تشترك جميع هذه الصفات في إنتاج كلّ صوتٍ مُفخَّم»^(٣٠). ويُحدّد (Odisho) تلك السمات الصوتيّة التي تميّز ظاهرة

التّفخيم بعدّة ظواهر^(٣١):

- ١- ارتفاع الحنجرة قليلاً.
 - ٢- تَصَيُّقُ بلعوميّ واضح.
 - ٣- بروز شفويّ أو تدوير شفوي (لوحظ أنّ البروز الشّفويّ أوضح من التدوير في المُفخّمات).
 - ٤- تحرّك عضو النطق الرّئيس (Primary Articulator) إلى الخلف، خاصّة مع الطاء والصاد.
 - ٥- اتّصال شديد بين أعضاء النطق المُسهِمة في إنتاج الفونيمات المُفخّمة.
 - ٦- تَسَطُّح وتَقَرُّر معظم أجزاء اللّسان (خاصّة قبل وأثناء إطلاق الهواء بعد انحباسه في إنتاج المُفخّمات الانفجاريّة).
 - ٧- رجوع معظم اللّسان إلى الخلف (يسبّب العاملان السّادس والسّابع توسّعاً في التجويف الفميّ).
 - ٨- وأخيراً، انخفاض ملحوظ للفكّ، يتزامن مع تسريح الهواء السّريع بعد الانحباس والانخفاض الشّديد للّسان.
- ويتفق عبّاس جودت رحيم مع (Odisho) على معظم الصّفات الصّوتية لظاهرة التّفخيم، فيعرّف التّفخيم، على أنّه «ظهور متزامن لسمات صوتيّة معيّنة فسيولوجيّة وفيزيائيّة تؤثر على الكثير إنّ لم تكن كلّ الصّوامت في اللّغات السّامية بشكلٍ عامّ، واللّغة العربيّة الفصحى منها، واللهجات بشكلٍ خاصّ»^(٣٢).
- هذه نظرة سريعة حول مفهوم التّفخيم ومصطلحه، أردنا منها أن تكون توطئة للدّخول في تفاصيل هذه الدّراسة الفونولوجيّة للفونيمات المُفخّمة في لهجة البصرة.

٣- الْفُونِيَمَاتُ الْمُفَخَّمَةُ

تحتوي لهجة البصرة سابقاً على ستّة وأربعين فونياً، منها تسعة فونيات للصّوائت (Vowels)، والباقي للصّوامت (Consonants)، وتضمّ هذه الصّوامت عشرة فونيات مُفَخَّمَة^(٣٣) (Emphatic Consonants)، وهي: (الباء العربيّة، الباء الإنجليزيّة (p)، الطاء، الصّاد، الطاء، الزاي، الميم، الرّاء، اللّام، الفاء)، وقد فصّلت الحديث عنها في دراستي ولهجة البصرة^(٣٤). وفي هذا البحث الذي يتناول إضافة فونيات جديدة إلى لهجة البصرة، وإعادة ترتيب خارطتها الفونيميّة، سوف نتناول التّفخيم بوصفه ظاهرة فونيميّة تميّز بين الفونيم والألفوني، أي: وفقاً للمنهج الفونيميّ الذي يعتمد الفونيم أساساً للتمييز بين معاني الكلمات^(٣٥). والحقيقة أنّ ظاهرة التّفخيم في لهجة البصرة يُمكن أن تُعالج بوصفها سمّةً تطريزيّةً (Prosodic Feature)، أي: لا تستند على عنصرٍ مفردٍ للتمييز بين معاني الكلمات، بل على مجموعة السّمات المميّزة داخل الكلمة. لقد استخدم المنهج الفونيميّ في دراسة ظاهرة التّفخيم في اللّغة العربيّة ولهجاتها من قبل الكثير من العلماء، أمثال: (Ferguson, Jakobson, Harrell, Blanc)، ولم يُنكر هؤلاء في الوقت نفسه المنهج التطريزيّ، بل أكّدوا إمكانيّة معالجة التّفخيم وفقاً لهذا المنهج، حتّى أنّ بعضاً منهم استخدمه في دراسته لبعض اللّهجات العربيّة^(٣٦). إنّ الفونيمات المُفَخَّمَة الجديدة التي يمكن عدّها فونيات مستقلّة وليست تنوّعات (Variants)، أو ألفونات (Allophones)، هي: (الهمزة، ع، غ، ح، هـ، و، ك). وقد اعتمدتُ في البرهنة على استقلاليّة هذه الفونيمات في لهجة البصرة عن طريق ورود الثنائيات الصّغرى (Minimal pairs)^(٣٧)، التي يظهر فيها التقابل الأصغر بين الفونيم المُفَخَّم وغير المُفَخَّم.

٣-١ الفونيمات الحنكيّة

فونيم /ك/ المُفخّم

يظهر فونيم /ك/ المُفخّم في لهجة البصرة في مواقع صوتيّة محدّدة، فهو يظهر قبل:

١- الباء: ركب (ساعد على الرّكوب).

مراكب (سفن بحريّة).

٢- الفاء: كفّ (أخذ كلّ شيء)، نظف.

٣- الميم: كمّة (مجموعة).

٤- الهاء: كهرب (من الكهرباء، أو نوع من السّبح).

٥- الصّائبات الطويل /aa/ كافّة (اسم فاعل للفعل كفّ، أي: أخذ أو نظف،

ويستخدم للمؤنّث).

ويظهر التباين الصّوتيّ بين المُفخّم وغير المُفخّم في الشائيات الصّغرى

(Minimal Pairs) التالية:

كفّه^(٣٨): كفّة الميزان، أو دواسة الدّراجة الهوائيّة، كفّه، أي: زاد عن الحاجة، أو طرف

الثوب (للملابس).

ركّب: ساعد في ركوب السّيء، ركب: من التركيب (تُستخدم في البناء والزّجاج...

إلخ).

حكّم: المباراة، المعروف: حكّم: الماضي للفعل يحكّم (ويُستخدم في اللهجة بمعنى

إصدار الحكم والعقوبة).

كافّة: كلّ أو جميع: كافّة اسم فاعل للمؤنّث من الفعل كفّ، الذي يُستخدم في

اللهجة بمعنى أخذ كلّ شيء (من البيت.. إلخ)، أو بمعنى نظّف.

وقد لا يؤدّي اختلاف النطق بين المُفخّم وغير المُفخّم للكلمة الواحدة إلى اختلاف

المعنى عند الكثير من المتكلمين، وفي هذه الحالة يُطلَق على هذا التباين النطقي بالتنوعات الحرة (variants free)^(٣٩). الكلمتان /خف/ و/ حارب/ عند الكثير من المتكلمين في لهجة البصرة تُنطقان مُفخّمة مرّةً وغير مُفخّمة مرّةً أخرى. وفي كلتا الحالتين تدلّ كلّ منهما على معنى واحدٍ، وهو: هدأ، أو سكن (الألم... إلخ)، وقاتل على التوالي، وبذلك لا يمكن أن نعدّ فونيمي الخاء والفاء في النطق المُفخّم في كلمة /خف/، والراء والباء في النطق المُفخّم في كلمة /حارب/ فونيمين مستقلّين بالنسبة إلى نظيريهما (الخاء والفاء) غير المُفخّمين، في: /خف/، و(الراء والباء)، في: /حارب/، ما داما غير قادرين على التمييز بين الكلمة من الناحية الدلالية.

فونيم /غ/ المُفخّم

يظهر فونيم /غ/ المُفخّم في مواقع صوتيّة محدّدة، وهي:

١ - قبل الباء: غبّة (فترة من الزّمن)، غبّش: نهض من النّوم مبكّراً.

٢ - قبل الميم: دلغم. (بدا غاضباً، أو حزينا).

٣ - قبل الفاء: غفلة (خفية، أو على حين غرّة).

٤ - قبل الراء: غريل (كلمة تُستخدَم لتقنية الأشياء كالرمل... إلخ).

٥ - قبل اللّام: غلّة، أي: رفع السّعر.

٦ - قبل الصّائت الطويل /aa/ غاب.

ويظهر التباين الصّوتي بين الغين المُفخّمة وغير المُفخّمة في الشنائيّات الصّغرى الآتية:

غَم: الهم والحزن: غَمّ: فعل ماضٍ يُستخدَم في اللهجة للإشارة إلى التصرّف الذي

يقوم به الفرد تجاه الآخرين بعدم الرّضا أو الكره... إلخ.

غبّه: أخفى: غبّه: فترة من الزمن.

فونيم / و/ المُفخّم (نصف صائت) (٤٠)

يظهر فونيم / و/ المُفخّم في مواقع محدّدة، وذلك قبل:

١ - الباء: إِصَوَّب (أي: أُصِيبَ بطلقٍ نارِيّ). صَوَّب (أي: أصابه).

٢ - الفاء: وَفَّه (أي: سَدَّد ما عليه من ديون).

٣ - القاف: وَفَّه (احبسّه).

٤ - الكاف: وَكَّفَه (وقوفاً)

٥ - الصاد: وصفه (الوصفة الطيّبة).

ويظهر التباين الصوتي بين الواو المُفخّمة وغير المُفخّمة في الثنائيات الصغرى الآتية:

وُصِّفَه (أي: صف لنا أوصافه)، وَصِّفَه (وصفة الطبيب المعروفة).

وَرَمَه (أضره)، وَرَمَه (من الورم) انتفاخ الجلد.

٣-٢ الفونيمات الحلقية

فونيم / ع/ المُفخّم

وصفت العين قديماً وحديثاً بأثماً من الأصوات الاحتكاكية المجهورة، وفي دراستي لللهجة البصرة صنّفتها ضمن الأصوات المهموسة الانفجارية، متّفقاً بذلك مع ما جاء به (سلمان العاني) في دراسته الفيزيائية لصوت العين في اللهجة العراقية^(٤١). وقد لاحظتُ أنّ الانفجار في العين يغلب على الاحتكاك، كما أنّه ليس هناك ما يثير إحساسي بوجود ذبذبات في الأوتار الصوتية في أثناء نطقها لتصنيفها ضمن الأصوات المجهورة.

يظهر فونيم / ع/ المُفخّم في المواقع الصوتية الآتية:

١ - قبل الباء: شَعَب، صَعَبَه (من الصَّعوبة).

٢ - قبل الفاء: ضاعف (أي: زاد من).

٣ - قبل الميم: عَم (كلمة تُستخدَم في اللهجة الدلالية على ما يتعلّق بأكل الطّفل).

- ٤- قبل الرَّاء: شعره (مفرد الشعر المعروف).
 ٥- قبل النَّون: عنبه (شجرة المانكو).
 ٦- قبل الصَّائت الطويل /aa/: تعاَقَب (من العقوبة)، عارفه (أي: أعرفه).
 ويظهر التباين الصوتي بين فونيم العين المُفخَّم وغير المُفخَّم في الثنائيات الصَّغرى.
 عارفه: (خبير أو فاهم بأمور الطبِّ الشَّعبيِّ)، عارفه (أي: أعرفه جيِّداً)
 (عَنْبِه): شجرة العنب، عَنْبِه (شجرة المانكو أو ثمارها).
 (تَفَرَّع) (نزع ما على رأسه)، تَفَرَّع (من التفرَّع في الأشجار).
 (عَم) (العَمُّ المعروف أخ الأب)، عَم (كلمة تدلُّ على أكل الطَّفل).

فونيم/ح/ المُفخَّم

يظهر فونيم/ح/ المُفخَّم في المواقع الصوتيَّة الآتية:

- ١- قبل الرَّاء: حَرَّره (أي: سخَّنه).
 ٢- قبل الميم: رَحمه (اسم لبنت).
 ٣- قبل الصَّائت القصير /a/ رَبَّحه/ رَبَّحَ/ أي: ساعده كي يريح.
 ٤- قبل الصَّائت الطويل /aa/ صاحبه (أي: اجعله صديقاً).
 ويظهر التباين الصوتي بين الحاء المُفخَّمة وغير المُفخَّمة في الثنائيات الصَّغرى الآتية:
 صاحبه: أي: صديقه صاحبه (فعل أمر)، أي: اتخذ صديقاً، أو صاحباً.
 رَحمه: المغفرة رَحمه (اسم لبنت).
 رَبَّحُه (من الرِّبح، أي: رَبَّحه) رَبَّحه، أي: ساعده في الحصول على الرِّبح

٣-٣ الفُونِيَاْتُ الْحَنْجَرِيَّةُ

الهمزة المُفخَّمة

تظهر الهمزة المُفخَّمة في المواقع الصوتيَّة الآتية:

١ - قبل الباء: أبحر (بحور).

٢ - قبل الميم: أمّن (أذن).

٣ - قبل الفاء: أفران (جمع فرن).

٤ - قبل الراء: رأف (من الرأفة).

٥ - قبل الصاد: أصلح (أفضل).

٦ - قبل الكاف: أكرم (من الكرم).

قبل النون: أنصه (أي: أخفض)

ويظهر التباين الصوتي بين الهمزة المُفخّمة وغير المُفخّمة في الشائيات الصّغرى الآتية:

أمان: (الهدوء والسلام) أمان: بداية في الأغنية العراقية (المقام العراقي).

أمّن: اطمأن، أمّن: أذن.

الله يجب: الله (الله) (٤٢).

فونيم /هـ/ المُفخّمة:

يظهر فونيم الهاء المُفخّمة غالباً قبل الصّائت القصير /a/ كما في فرهه/ فرهـ/، أي:

حركها بشكلٍ دائريّ.

لهـ/ هــ/، أي: نسي.

كذلك تظهر قبل:

١ - الراء: مهرجان.

٢ - الميم: رُهمت، أي: أصبحت صالحة، أو أنجزت (للمؤنث).

ويظهر التباين الصوتي بين الهاء المُفخّمة وغير المُفخّمة في الشائيات الصّغرى الآتية:

فرهه/ فرهـ/ واسعة، مريحة فرهه/ فرهـ/، أي: حركها بشكلٍ دائريّ.

رُهمت (ضحكت بشدة أو بفرح) رُهمت (أصبحت صالحة، أو أنجزت).

همّ: ألم أو حزن، أو أيضاً همّ (كلمة تُستخدم في اللهجة لغذاء الطفل).

الهوامش

- ١- لسان العرب: مادة (فخم).
- ٢- الكتاب، سيبويه: ٤/٤٣٦.
- ٣- المصدر نفسه: ٤/١٢٨.
- ٤- سرّ صناعة الإعراب، ابن جني: ١/٦١.
- ٥- المصدر نفسه: ١/٦١.
- ٦- المصدر نفسه، والصفحة.
- ٧- المصدر نفسه: ١/٦٢.
- ٨- المصدر نفسه، والصفحة.
- ٩- من هؤلاء: سلمان العاني. للمزيد من التفاصيل:
Arabic phonology.salman H.ALani.p.44.
- ١٠- The phonology of spoken Iraqi Arabic.Abbas.Jawdat.Rahim.p.187.
- ١١- Principle of phonology.Trubetzkoy.p.131.
- ١٢- يُنظر:-The Emphatic phonemes in Arabic.R.Jakobso, pp.195-
171.
- ١٣- يُنظر: The Emphatic Lin Arabic.Charles A.Ferguson.p.157.
- ١٤- المصدر نفسه: p.161.
- ١٥- Alinguistic Analysis of Egyption Radio Arabic.R.S.Harrell.pp.26-30
- ١٦- يُنظر: Arabic Phonology. Salman H.ALani. P. 44
- ١٧- يُنظر: علم الأصوات، برتيل مالبرج، ترجمة: د. عبد الصّبور شاهين: ص١١٧، وما بعدها.
- ١٨- المصدر نفسه: ص١١٨.
- ١٩- يُنظر: مناهج البحث في اللّغة، تمام حسان: ص١٨٧-١٨٩.
- ٢٠- يُنظر: The phonology and phonetic of Neo-Aramic as spoken by the
Assyrians in Iraq, Odisho. p.89.
- ٢١- يُنظر بحثها: A contrastive cinefluorographic investigation of the Articulation

- of Emphatic and Non cmphatic cognate consonants. P.100-
Principle of phonology. Ttubetzky, p. 131 – ٢٢
- ٢٣- المصدر نفسه 131.p
- ٢٤- يُنظر: 160. R. Jakobson, Mufaxxama the emphatic phonemes in Arabic, pp. 161
- ٢٥- 44. Salman. H. ALani, Arabic phonology, p. ٢٦
- ٢٦- A contrastive cinefluographic investigation of the articulation of Emphatic and Non Emphatic cograte consonants, pp.81-105
- ٢٧- المصدر نفسه: ص ٨٨.
- ٢٨- A contrastive cinefluographic investigation of the articulation of Emphatic and Non Emphatic cognate consorant, Ali and Daniloff, p.100.
- ٢٩- المصدر نفسه: الصفحات (٩٠، ٩١، ١٠٠).
- ٣٠- The phonology and phonetics of Neo-Aramic as spoken by the Assyrians in IRAQ, Odisho, p.89.
- ٣١- The Role of the rear section of the vocal tract in Baggdadi Arabic (unplished M. phil thesis) University of Leeds. pp.37.ff.
- يُنظر - أيضاً: 187-192. pp. Jawdat, abbas, The phonology of spoken Iraq Arabic, ٣٢- p.192. The phonology of spoken Iraqi Arabic.
- ٣٣- استخدمتُ المصطلح (مُفخَّم) (emphatic) في هذا البحث للإشارة إلى الظاهرة الصوتية التي تُميّز الصوت المُفخَّم عن غير المُفخَّم من الناحية النطقية بالمعنى الذي فصلنا الحديث عنه سابقاً.
- ٣٤- في دراسة للمؤلف حصل فيها على شهادة الدكتوراه من جامعة أكسترا/ بريطانيا تحت عنوان:
The spoken Arabic of Basrah, Iraq A descriptive study of Phonology, Morphology and syntax, Qasim R.mahdi (un published thesis, university of Exeter, 1985).
- هناك - أيضاً- عدّة دراسات حول اللهجة العراقية تتباين في منهجها وأسلوب تناولها لظاهرة التفخيم، أهمّها دراسة عباس جودت رحيم للهجة بغداد، وقد أتبع في دراسته المنهج الوظيفي كما ورد عند (Trubetzky) رائد المدرسة الوظيفية. وتناول عباس جودت ظاهرة التفخيم وفقاً للمصطلح الذي استخدمه (Trubetzky)، وأطلق عليه (relevant features). للمزيد من التفاصيل، يُنظر

رسالته:

The phonology of spoken Iraqi Arabic. pp.187-1920
دراسات E.Odisho لظاهرة
التفخيم، التي منها: الدراسة الفسيولوجية والفيزيائية لهجة بغداد، ودراسته الصوتية والفونولوجية
للغة الآرامية الحديثة في العراق.

للمزيد من التفاصيل، يُنظر رسالته:

The phnology and phonetic of Neo-Aramic as spoken by the Assyrians in
Iraq,p88-103.

وكذلك رسالته:

The Role of the rear section of the vocal tract in Baghdadi Arabic,pp.37ff

٣٥- لقد أثار ظهور الفونيم (phoneme) هزة كبيرة في علم اللغة، وقد تشعبت النظريات
واختلفت في تعريفه وتحديدده، وقد اعتمدت في منهجي لهذا البحث على النظرية المادية للمدرسة
الإنجليزية في تعريف الفونيم وتحديدده، كما ورد في كتابات (دانيال جونز)، وخصوصاً كتابه (الفونيم
طبيعته واستعماله)، فهو يُعرّف الفونيم بأنه «أسرة من الأصوات في لغة معينة، تتّصف بخصائص
متشابهة، وتُستعمل بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن يظهر في كلمة نفس السياق الصوتي الذي
يقع به الآخر». ويحتوي الفونيم على عدّة أعضاء (Members)، أو الفونات (Allophones)، أو
تنوّعات مشروطة (Variants Conditioned). وعندما يحتوي الفونيم على أكثر من عضو فإنّ
أحد هذه الأعضاء يكون أكثر أهميّة من الأعضاء الأخر، وقد يعود السبب إلى أنّه أكثر استعمالاً
(شيوفاً) من غيره، أو أنّه العضو الذي يُستعمل بشكل مفرد، أو أنّه يتوسّط بين الأعضاء المتطرّفة،
ويُطلق دانيال جونز على هذا (العضو الأساسي) (Principle Member)، أو (معيّار الفونيم)
(Nrm of Phoneme)، أمّا الأعضاء الأخر الموجودة في الفونيم نفسه، فتُسمّى بـ (الألفونات
المساعدة) (Subsidiary Allophones)، أو (الأعضاء المساعدة) (Subsidiary Members).

إنّ التمييز بين الفونيم وألفونيم، وبين الفونيم وأعضائه أو أفرادده، يستند إلى قدرة الفونيم في التمييز
بين الكلمات والمعاني، فأصوات الفونيمات المختلفة قادرة على التمييز بين الكلمات، بينما الأصوات
العائدة إلى الفونيم نفسه غير قادرة على ذلك، فإذا وضع صوت مكان آخر وتغيّر المعنى، فإنّ كلا
الصّوتين ينتهان إلى فونيمين مختلفين، أمّا إذا حدث العكس، أي: لم يتغيّر المعنى، فهما تنوّعان لفونيم
واحد. للمزيد من التفاصيل حول نظرة دانيال جونز للفونيم، يُنظر كتابه ومقالته:

The phoneme its nature use, Daniel jones

The history and meaning of the term phonem in phonology,edited by Erik c.

fudge, pp.17-34

٣٦- استخدم (Ferguson) المنهج الفونيمي في دراسته لصوت اللام المُفخَّم في اللغة العربية؛ إذ عدّه فونيمًا مستقلًا في بحثه الموسوم: (اللام المُفخَّم في اللغة العربية).
The Emphatic Lin Arabic، وفي البحث نفسه يؤكّد (Ferguson) أنّ ظاهرة التّفخيم في اللغة العربية يُمكن أن تُعالج بوصفها ظاهرة تطريزيّة (Aprosodic Feature)، أي: (Asupraseg Mental Phoneme). للمزيد من التفاصيل، يُنظر:

The Emphatic Lin Arapic, chales. A. Ferguson. pp.157-166.

كذلك استخدم (Haim Blanc) المنهج الفونيمي في التمييز بين بعض الفونيمات المُفخمة وغير المُفخمة، مثل: (الميم والباء)، في دراسته للّهجات الشّائعة في بغداد. للمزيد من التفاصيل، يُنظر كتابه: The Communal Dialects in Baghdad. Hiam Blanc

خصوصاً الفصل الثالث: ص ١١٧، وما بعدها.

أمّا (Herrall)، فيستخدم هو الآخر المنهج الفونيمي في دراسته للّهجة المصريّة، ويأتي بالثنائيات الصّغرى (Minimal Pairs) لفونيمي (الراء واللام)، إلّا أنّه فضّل المنهج التطريزيّ، أو ما فوق الفونيم (suprasegmental) في معالجة ظاهرة التّفخيم لعدّة أسباب، منها: أولاً: إنّ ظاهرة التّفخيم لا تظهر بوصفها سمّة لعنصر مفرد، بل تتعلّق بمجموعة عناصر، ثانياً: إنّها تؤدّي دوراً تعبيرياً وأسلوبياً مهماً في اللغة العربيّة.

للمزيد من التفاصيل حول منهجه، يُنظر: The phonology of colloquial Egyptian Arbic, pp. 78—820

ويستخدم (Jakobson) منهجاً يختلف عن المنهج الفونيمي في دراسته للّهجة شمال فلسطين، يُطلق عليه (Features distinctive) (السمات المميّزة). للمزيد من التفاصيل، يُنظر مقاله:

Mu-Faxxama-The Emphatic Phonemes in Arabic. pp.159-171.

٣٧- يُمكن تعريف وتحديد مصطلح (Minimal Pair) الثنائية الصّغرى (الكلمتان اللتان تتّفقان في كلّ شيء، وتختلفان في عنصر صوتيّ واحد)، ويُستدلّ بـ (Minimal Pair) في إثبات فونيميّة صوت ما، فإذا أمكن استبدال صوت مكان صوت آخر، ولم يتغيّر المعنى، فهما ألفونان لفونيم واحد، أمّا إذا تغيّر المعنى فهما صوتان لفونيمين مختلفين. كما هي الحالة في الثنائية الصّغرى في اللغة الإنجليزيّة (dark, bark)، فكلٌّ من: [d] و [b] فونيم مستقلّ؛ لأنّه غيّر من معنى الكلمة، وكذلك الحالة في اللغة العربيّة، كلٌّ من: [ن] و [ق] فونيم مستقلّ في كلمة نام، وقام؛ لأنّه ساعد في تغيير المعنى.

٣٨- تظهر في بعض الأمثلة التي وردت في البحث كثنائيات صغرى، التنوّعات الحرّة لها، وهذا يعتمد

على المتكلم نفسه، فهو يلفظ الصوت المُفخَّم لفظاً عادياً مرّةً، ولفظاً مُفخِّماً مرّةً أخرى. إلا إنَّ الشَّيءَ الأكيد هو وجود كلمتين تختلفان في المعنى بسبب التفخيم جنباً إلى جنب في اللهجة.

٣٩- يظهر هذا التنوع الحرّ -أيضاً- في اللغة الإنكليزية، فبعض المتكلمين يلفظون كلمة (economics) مرّة مع الصّائت (i)، فيكون اللفظ [ik δ namiks]، ومرّة مع الصّائت / ε /، فيكون اللفظ [ε k δ namiks]، دون أن يؤدي هذا الاختلاف في اللفظ إلى تغيير المعنى. للمزيد من التفاصيل، يُنظر:

An introduction to language Victoria From kin. Robert Rodman.p.74.

٤٠- يُمكن أن يُصنّف فونيم الواو ضمن الفونيمات الشفوية أيضاً.

٤١- Salman H. Alani,An acoustical and physiological invstigation of The Arabic/p.89,

٤٢- يبدو أن تفخيم همزة هنا وقع تحت تأثير اللام المُفخَّمة في لفظ الجلالة.

المصادر والمراجع العربية

- ١- ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، لبنان.
- ٢- ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٥ م.
- ٣- برتيل مالبرج، علم الأصوات، ترجمة: د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، ١٩٨٥ م.
- ٤- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٩ م.
- ٥- خليل العطيّة، في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، ١٩٨٣ م.
- ٦- سبيويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، ١٩٧٥ م.

المصادر الإنكليزية

- 1- Al- Ani- salman, H. Arabic Phonology, The Hegue, Mouon, 1970 --- An Acoustical and Physiological Incestion of the Arabic &/in Reading in Arabic Linguistics, (ed) by Salman H. Al-Ani, Invdiana University.
- 2- Abbas, jawdat Rahim, the phonology spokren Iraql Aranic from the functional point of view,unpubished thesis, university of leeds, Dept of lingusics and phonetics 1980. 3-Ali,latif,Hassan and R. G. D. Anilooff, Acontrastive Cinefluorographicin Vestigition, of the Arthculation of Emphatic- Non Emphatic Cognate Consonants.Studia Linguistic 26,3,pp.81/105.
- 4-Ferguson,Charles A.the Emphatic L in Arabic,in Reading in Linguistics,(ed) by Salman. H.al-Ani Indiana University,pp.157-166.
- 5- Haim Blanc, Communal Dialects in Baghdad, Harvrd Middle Eastern Monographs America,1964.
- 6-Harrell,R.S. the phonology of colloduial Egyptian Arabic,American

council of learned societies, New York, 1957.

7- Jones Daniel, The phoneme Its nature and use. The History and meaning of the Term phoneme, in phonology, selected Readings (ed) by Erik c. fudge. 1973, pp. 17- 34

8- Jakobson, R., mutaxxama - The Emphatic Phonemes in Arabic, in phonology selected Readings (ed) by Erik c. fudge, 1957, pp. 159-171.

9- Mahdl, Q. R., the spoken Arabic of Basra Iraq descriptive study of phonology Morphology and syntax (unpublished PH.D thesis University of Exeter, 1985.

10. Odisho, E., the phonology and phonetics of Neo - Aramic as spoken by the Assyrians in Iraq, (unpublished ph.d) thesis, University of Leeds 1975.

- The Role of the rear section of the vocal tract in Baghdadi Arabic (unpublished M. phil. thesis) University of Leeds, 1973.

11. Trubetzkoy, N. S., principle of phonology Translated by christiane A. M. Baltaxe. University of California press 1971.

12- Victoria Fromkin. Robert Rodman, An Introduction to language, Holt, Rinehart and Winston, America 1983.

الإبدال في لهجة جنوب البصرة(*)

د. علي غالب ناصر

على الرغم من أهمية دراسة اللهجات المعاصرة بوصفها أحد مجالات علم اللغة الحديث، فإن هذا المجال ما زال يفتقر إلى جهود أكبر تقوم بمهمة وصف اللهجات وتوضيح أوجه الشبه والاختلاف بينها وبين العربية الفصحى؛ سعياً إلى تضيق الفجوة بينها كي ترقى إلى مستوى أفضل.

ويواجه هذا المنحى من الدراسة مصاعب جمة تقف عائقاً دون دراسة اللهجات العربية المعاصرة، من ذلك افتقار معظم الجامعات ومراكز البحوث إلى الأجهزة الحديثة لدراسة الأصوات، ولا يملك المرء إزاء ذلك غير الاعتماد على ما قرره علماء اللغة القدماء والمحدثون من وصف الأصوات؛ لتيسير مهمة البحث، وإعطاء تصوّر قريب للهجات المدروسة.

ويبقى البحث الميداني على أهميته وسيلة ناقصة إذا لم تنهياً للدارسين خبرة في مجال دراسة اللهجات، والانتباه إلى الظواهر المتفرّدة والمتشابهة. ومن أجل الوصول إلى نتائج مرضية في مثل هذه البحوث، لابد من الاعتماد على الملاحظة الدقيقة للظواهر وتسجيلها، ولا غرابة في ذلك، فجهود علماء اللغة القدماء في مجال الأصوات كانت تعتمد على الملاحظة الذاتية، وتذوّق الأصوات، فاستطاعوا التوصل إلى نتائج لا تختلف في الأعم الأغلب عما قرره المحدثون، على الرغم من إفاداتهم من الأجهزة الحديثة في مجال دراسة الأصوات.

ولا يضير الفُصحى شيء عندما تَفَرَّعَتْ عنها عدَّةُ لهجاتٍ، لها خصائص تضرب في القِدَم وتَتَّصِل باللهجات العربية القديمة، يدلُّ على ذلك الكثير من الظواهر المشتركة بين اللهجات المعاصرة واللهجات العربية القديمة. وقد تنبَّه اللُّغويون القدماء إلى هذا النوع من الدِّراسة، فحفظوا لنا طائفةً من الظواهر اللُّهجيَّة في كتبهم، فضلاً عن تأليفهم في لغات القبائل والأمصار واللُّغات في القرآن الكريم.

وقد وجدتُ في لهجة جنوب البصرة طائفة من الظواهر التي تجدر دراستها؛ ذلك لأنني أنتمي إلى هذه المنطقة^(١)، فكانت ملاحظاتي تعتمد على خبرتي بهذه اللهجة، فضلاً عن ذلك، فقد اعتمدتُ على رواة من كبار السَّن يمثِّلون هذه اللهجة من كلا الجنسين. وتجنباً للإطالة، اقتصر البحث على دراسة ظاهرة الإبدال بين الأصوات الصَّامتة، وأشرتُ إلى التفسير الصوتي لهذه الظاهرة، وربطتُ بين ما يجري في هذه اللهجة وظواهر جرت في اللهجات العربية القديمة والمعاصرة، وبدأتُ بأصوات الصَّفير، ثم انتهيتُ إلى الهمزة بوصفها أقصى الأصوات مخرجاً.

ومما لا شكَّ فيه وجود الظواهر المشتركة بين اللهجات العربية المعاصرة بحكم قانون التَّأثُّر والتَّأثير بين اللهجات واللُّغات، ويُمكن التَّثبت من ذلك لو تمت دراسة كلِّ لهجة على حدة، ووصفتُ خصائصها وصلتها بغيرها من جهة والعربية الفُصحى من جهةٍ أخرى.

الإبدال لغة

البدل: خلف من الشيء، والتَّبديل: التَّغيير، واستبدلتُ ثوباً مكان ثوبٍ آخر، وأخاً مكان أخ، ونحو ذلك المبادلة^(٢)، وأبدلتُ الشيءَ بغيره، وبَدَلَهُ اللهُ من الخوفِ أمناً^(٣). ويقول الرَّجُلُ للرَّجُل: أذهبْ معك بفلان، فيقول: معي رجلٌ بَدَلَهُ، أي: رجل يُغني غناءه، ويكون في مكانة^(٤).

الإبدال اصطلاحاً

قال ابن سيده: «حدّ البديل وضع الشيء مكان غيره^(٥)، وفي اللسان: «الإبدال: جعل شيء مكان شيء آخر، كبديلك من الواو تاء في تالله^(٦)». والإبدال عند المحدثين هو اختلاف بين صورتين، أو نطقين لكلمة ذات معنى واحد، وذلك الاختلاف لا يجاوز حرفاً واحداً من حروفها، بشرط أن توجد علاقة صوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه^(٧).

والذي أعنيه بالإبدال في هذا البحث لا يخرج كثيراً عن المعنى الاصطلاحي الذي ذكره المحدثون، على الرغم من أن من بينهم من عدّ الإبدال ضرباً من ضروب المماثلة^(٨).

وقد عني اللغويون القدماء بدراسة هذه الظاهرة، فألقوا فيها من ذلك:

أ- القلب والإبدال، لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ).

ب- الإبدال والمعاقبة والنظائر، للزجاجي (ت ٣٤٠هـ).

ج- الإبدال، لأبي الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ).

وهذه الكتب وصلت إلينا جميعاً.

وأفرد طائفة منهم أبواباً في كتبهم لعرض هذه الظاهرة، منهم: سيبويه، وابن جني، وأبو علي القالي، وابن سيده^(٩).

واشترطت طائفة من اللغويين وجود علاقة صوتية بين الأصوات التي يحدث فيها الإبدال، من ذلك قول الفراء (ت ٢٠٧هـ): «إنما يعلم ما يُنسب من الحروف باللغة أن يُبدل الحرف من أخيه، ويكون معه في قافية واحدة، مثل: مدح ومدّه، والنون والميم والعين والهمزة، مثل: استأديت واستعديت، هذا كثير، يُبدل الحرف من أخيه، فيُدغم إذا قُرب ذلك القرب^(١٠)».

وذهب ابن جني مذهب الفراء في أن الإبدال لا يقع إلا مع الأصوات المتقاربة

المخارج، وَعَدَّ الحروف التي يقع بينها البدل أحد عشر حرفاً، وقال: «وُسَمِيَ حروف البدل، ولسنا نريد البدل الذي يحدث مع الإدغام، وإنَّما نريد البدل من غير إدغام»^(١٠). وذهب ابن سيده إلى أنَّ «ما لم يُتقارب مخرجاً البتَّة، فقليل: على حرفين غير متقاربين فلا يُسَمَّى بدلاً، وذلك كإبدال حرفٍ من حروف الفم من حروف الحلق»^(١١).

أمَّا المحدثون، فلم يخرجوا عمَّا ذهب إليه القدماء، فَحَتَّمُوا وجود علاقة صوتية بين الأصوات التي يحدث فيها الإبدال، فاشتراط عزَّ الدين التَّنُوخِي وجود تقارب في المخرج، أو في المخرج والصفة بين الصَّوتين المتبادلين^(١٢). وأكد الدكتور إبراهيم أنيس أهمية العلاقة الصوتية بين الحرفين والمُبدَل منه^(١٤).

وإلى ذلك ذهب الدكتور عبد الصَّبور شاهين، قال: «الإبدال لا يكون إبدالاً حقّاً إلَّا إذا كان بين البدل والمُبدَل منه علاقة صوتية، كقُرب المخرج أو الاشتراك في بعض الصفات الصوتية، كالجهر والهمس، والشَّدة والرَّخاوة»^(١٥).

أمَّا أمثلة الإبدال التي وردت في كتب الإبدال ولا رابط بينها في المخارج والصفات، فلا تُعدُّ من الإبدال في رأيهم، بل فسَّروا ذلك على أنَّ كلَّ صورة تكون مستقلة عن الأخرى، على حين لم يستبعد آخرون وجود الإبدال بين الحروف المتباعدة في المخارج والصفات، ورجَّحوا أنَّ يكون ذلك نتيجة لتغيرات طرأت على الأصوات على امتداد الزَّمن إلى الدَّرَجَةِ التي تُخفى فيها العلاقة بين الصَّوتين المتبادلين^(١٦).

واختلف اللُّغويون بشأن وجود هذه الظاهرة، فعَدَّ أحمد بن فارس أنَّ «سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض»^(١٧).

وذهب أبو الطَّيِّب اللُّغويّ خلاف ذلك، وفسَّر الظاهرة بأنَّها من تباين اللُّهجات، قال: «وليس المراد بالإبدال أنَّ العرب تتعمَّد تعويض حرفٍ من حرفٍ، وإنَّما هي لغات مختلفة لمعانٍ متَّفَقة تتقارب اللَّفْظَتان في لغتين لمعنى واحدٍ حتَّى لا يختلفا إلَّا في حرفٍ

واحد، والدليل على ذلك أن قبيلة لا تتكلم بكلمة طوراً مهموزة وطوراً غير مهموزة، ولا بالصّاد مرّةً وبالسّين أخرى، وكذلك إبدال لام التعريف ميماً والهمزة المصدّرة عيناً، كقوله في (أن) (عن)، لا تشترك العرب في شيء من ذلك، إنّما يقول هذا قومٌ وذاك آخرون^(١٨).

ويمكن أن نفّسر وجود هذه الظاهرة على النحو الآتي:

أ- إنّ الإبدال ظاهرة لغويّة، وما ورد في العربيّة منها أثرٌ لا اختلاف اللهجات العربيّة القديمة، والدليل على ذلك ما ورد من أمثلة كثيرة كان التّباين اللّهجيّ هو الواضح فيها، سواء أكان معزّواً أم أهمل اللّغويّون عزّوه.

ب- إنّ الإبدال يُعدُّ ظاهرةً طبيعيّةً في العربيّة الفُصحى عبر تأريخها الطويل، وعبر صلاتها الحميمة باللّغات الجزريّة الأخرى، فقد اشتركت العربيّة مع غيرها في ظواهر كثيرة، منها: ظاهرة تسهيل الهمز، التي تُعدّ إحدى ظواهر التطوّر الصّوتيّ فيها^(١٩).
وسواء أكان الإبدال ظاهرة لغويّة أم تبايناً لهجياً، فحدث ذلك ويحدث نتيجة التطوّر الصّوتيّ^(٢٠).

السّين والصّاد

حدّد القدماء مخرج السّين بين طرف اللّسان وفوق الثّنايا، وهو صوت رخو مهموس^(٢١)، ويتّفق الصّاد في المخرج، وفي صفتي الهمس والرّخاوة^(٢٢)، إلّا إنّ الصّاد مطبق. أمّا المحدثون، فالسّين عندهم لثويّ احتكاكيّ (رخو) مهموس، والصّاد لثويّ احتكاكيّ مهموس مُفحّم (مُطَبّق)^(٢٣).

فالاختلاف بين الصّوتين هو في كون الصّاد من الأصوات المُطبّقة أو المُفحّمة، أمّا السّين، فلا إطباق فيه.

وقد جنحت هذه اللّهجة إلى إبدال السّين صاداً في طائفة من المفردات، فحوّلوا

السَّيْنِ إِلَى صَوْتٍ مُفَخَّخٍ حَتَّى أَصْبَحَتْ صَاداً؛ وَذَلِكَ نَظْراً إِلَى تَأَثُّرِ الْأَصْوَاتِ بِبَعْضِهَا، وَمِيلِهَا إِلَى التَّقَارُبِ فِيهَا بَيْنَهَا، وَذَلِكَ مَا عَدَّهُ الْمَحْدُثُونَ مِنْ قَبِيلِ الْمَاهِلَةِ بَيْنِ الْأَصْوَاتِ؛ سَعِيّاً إِلَى الْاِقْتِصَادِ فِي الْجَهْدِ الْعِضْلِيِّ وَتَيْسِيرِ النَّطْقِ^(٢٤). وَلَمْ يُغْفَلِ الْقَدَمَاءُ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ، فَاصْطَلَحَ عَلَيْهَا سَبْيُوِيَه بِالْمُضَارَعَةِ وَالتَّقْرِيبِ^(٢٥)، وَأَطْلَقَ عَلَيْهَا ابْنُ جَنِي التَّقْرِيبَ^(٢٦). وَمِنْ الْمَفْرَدَاتِ الَّتِي أُبْدِلَتْ فِيهَا السَّيْنُ صَاداً، قَوْلُهُمْ:

الكلمة في الفُصْحَى	النَّطْقُ فِي لَهْجَةِ جَنُوبِ الْبَصْرَةِ
بساط	بصاط
سراج	صراج
سخر	صخر
ساخن	صاخن
سبخ	صبخ
سلخ	صلخ
العيس	العيص
فانوس	فانوص
سخام	صخام
سخله	صخله
سطع	صطع
سطا	صطا
سطر	صطر

وذكر ابن سيده أن بني العنبر من تميم قالوا: (صاطع) في (ساطع)^(٢٧)، وقد وَرَدَ هذا الإبدال في لهجة تميم، فقال التَّمِيمِيُّونَ: (الصاق) في (السَّاق)، وقالوا: الصَّراط، وصِقل، وصلغ، وصخب، في: السَّراط، وسلغ، وسخب^(٢٨)، وقال الفراء: «ماء سخن وصخن»^(٢٩).

وحدّ (كانتينو) هذا الإبدال حينما تكون السين قبل الغين، أو الخاء والقاف، أو الطّاء^(٣٠). وعدّ المحدثون جنوح اللهجة إلى تفخيم الأصوات غير المُفَخَّمة بمنزلة صفة من صفات اللهجات البدوية، ولا شك في أن هذا النهج امتداد للموروث من لهجة تميم^(٣١).

– الذّال والظّاء

مخرج الذّال والظّاء من بين طرف اللسان وأطراف الثّنايا، فهما لثويان عند القدماء^(٣٢)، ومن الأصوات الأسنانِيّة عند المحدثين، فعند النّطق بهما يتّصل طرف اللسان بأطراف الثّنايا العليا؛ إذ يكون بينهما مجرى ضيّق يصدر عنه نوع من الحفيف^(٣٣)، وعلى الرّغم من اشتراكهما في المخرج وفي صفتي الرّخاوة والجر، فإنّ الظّاء من الأصوات المُطَبَّقة، يقول سيبويه: «لولا الإطباق لصارت الظّاء ذالاً»^(٣٤)، وقد سعت اللهجة إلى إبدال الذّال ظاء على سبيل التّفخيم، من ذلك مثلاً:

الكلمة في الفصحى	النّطق في لهجة جنوب البصرة
ذكر	ظكر
مذكور	مظكور
ذخر	ضخر [ظخر]
ذراع	ظراع

ذاق	ضاك [ظاك]
ذوق	ظوك
ذرق	ظرك
الذّار (الكنف أو الظلّ)	ظرا

ولاشكّ في أنّ الميل إلى تفخيم الذّال لا يخصّ هذه اللهجة فقط، بل تجده في أنحاء آخر من البصرة وغيرها.

الجيم والياء

مخرج الجيم من وسط اللسان، بينه وبين الحنك الأعلى، وهو صوتٌ مجهورٌ شديدٌ^(٣٥). أمّا عند المحدثين، فهو صوتٌ لثويٌّ حنكيٌّ مركّبٌ (انفجاريٌّ احتكاكيٌّ) مجهورٌ، والياء يشترك مع الجيم في المخرج عند القدماء، وهو مجهور^(٣٦)، وعند المحدثين هو «صوتٌ حنكيٌّ وسيطٌ مجهورٌ»^(٣٧).

ويحدث إبدال الجيم ياء في طائفةٍ من الألفاظ، يمكن حصر طائفةٍ منها على النحو الآتي:

الكلمة في الفصحى	النطق في لهجة جنوب البصرة
ثلج	ثلي
نجد	نيد
نجدي	نيدي
جعفر	يعفر
سرج	سري

جامع	يامع
مَسْجِد	مَسِيد
جوعان	يُوعان
جبل	يبل
جمل	يمل
جمد	يمد
جابر	يابر
جناح	يُناح
وجه	ويه
جديد	يديد
جر الحبل	يَر الحبل
الجود	اليود
يوم الجمعة	يوم اليمعة
جمار	يُمار
جار	يار
عجن	عين
الدجاج	الدياي
منجل	مِنْيل
جاء	يا

جئت	بيت
يعرج	يعري
المزلاج	المزلاي

إنَّ هذه الظاهرة لا تقتصر على هذه اللهجة فحسب، بل أُثِرَتْ عن طائفةٍ من اللهجات المعاصرة تمتدّ من الجزء الجنوبيّ لشبه جزيرة العرب ودول الساحل الشرقي منها، وكذلك في الأحواز وبعض مناطق الشّام^(٣٨).

وأثر ذلك عن لهجة الكويت -أيضاً-^(٣٩)، وفي لهجة المُحرّق في البحرين^(٤٠). ومن خلال الأمثلة التي ورد فيها إبدال الجيم ياءً نتبيّن أنّ ذلك لا يرتبط بموقع معيّن كأن تُجاور الجيم صوت لين معيّن، أو تكون في أوّل الكلمة أو آخرها. وقد فسّر الدكتور عبد العزيز مطر هذا المنحى في لهجة الكويت بـ «أنّ الجيم والياء هما من مخرج واحد، وهو وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى، والفرق بينهما إنّما هو في طريقة النطق، فالجيم تُنطق بالتقاء وسط اللسان بالجزء الصّلب من سقف الحنك، أمّا في الياء، فإنّ وسط اللسان لا يلتقي بهذا الجزء، بل يقتربُ منه»^(٤١).

لقد كان لهذه الظاهرة أصلٌ عند قبيلة تميم، فذكر أنّهم يقولون: (صهاري وصهري) في (صهاريج وصهريج)^(٤٢)، وذكر أبو الطيّب اللّغويّ روايةً تؤكّد وجود مثل هذا الإبدال عند طائفة من العرب، فقال: «قال أبو حاتم: قلتُ لأُمّ الهيثم: هل تُبدل العرب الجيم ياءً في شيءٍ من الكلام؟ فقالت: نعم، ثمّ أنشدتني:

إِذَا لَمْ يَكُنْ فَيَكُنْ ظِلٌّ وَلَا جَنَى فَأَبْعَدَكُنَّ اللَّهُ مِنْ شَيْرَاتِ

أي: مِنْ شَجَرَات»^(٤٣).

ونقل ابن السكّيت: أنّ بعضهم قال: شَيْرةٌ لِلشَّجَرَةِ^(٤٤).

ومّا ذكر ابن خالويه في ضمن القراءات الشّاذّة: «هذه الشّجرة بكسر الشّين، وهذه

الشيرة بالياء، حكاه أبو زيد»^(٤٥).

ولعل الميل إلى الياء في طائفة من الألفاظ إنما جرى لتقليل الجهد العضلي. وقد حدد (جونستون) حدود قلب الجيم ياءً حينما تتصل بأي صوت من أصوات اللين الأمامية أو الخلفية، وافترض أن هذا الإبدال هو خصيصة مكتسبة في لهجات شرق الجزيرة ولهجات شمال الجزيرة العربية إلا أن افتراضه لا يمت إلى الدقة بصلية، فقلب الجيم ياءً ظاهرة عرفت في العربية قديماً، وكانت شائعة في لهجة تميم، إلا أن اللغويين لم يسجلوا غير جزء يسير منها.

وقد سمعت أكثر من واحد من أطراف مذن السّماوة والحلة والزّير ممن يقلّب الجيم ياءً، والظاهر أن هذا الإبدال لا تختص به لهجة جنوب البصرة، بل يشمل أرجاء آخر من العراق والوطن العربي.

– القاف والكاف (الجيم القاهريّة)

مخرج القاف من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى، وهو صوت مجهور شديد^(٤٦)*. أما الكاف، فقد عدّه سيويوه وابن جني من الحروف غير المستحسنة في القرآن والشعر. والكاف التي بين الجيم والكاف والقاف^(٤٧)، قال ابن جني: «ولا تكاد توجد إلا في لغة مرذولة غير متقبّلة، وهي الكاف التي بين الجيم والكاف»^(٤٨).

وذكر ابن دريد أن هذا الصوت معروف في لغات اليمن، فقال^(٤٩): لغة سائرة في اليمن، مثل: (جمل)، إذا اضطرّوا، قالوا: (گمل)^(٥٠)، واستشهد ابن فارس بقول أبي الأسود الدؤلي:

ولا أگول لگدر الگوم: گدنضجت ولا أگول لباب الدار: مگفول

ووصف الصوت بأنّه الحرف بين القاف والكاف والجيم^(٥١)، وورد قول أبي الأسود

في اللسان وفي ديوانه:

ولا أقولُ لِقدِرِ القومِ: قد غليتُ ولا أقولُ لبَابِ الدَّارِ: مغلوْقُ^(٥٢)

وأظنَّ أنَّ الرِّوَاةَ طمسوا الأثرَ اللَّهْجِيَّ الَّذِي وردَ في رِوَايةِ أحمدَ بنِ فارسٍ.

وقد قرأ عبد الله بن مسعود: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَكْهَر) ^(٥٣) (سورة الضحى: ٩)، والظاهر أنَّ هذا الإبدال قديم عُرفَ في طائفةٍ من اللَّهْجَاتِ العَرَبِيَّةِ القَدِيمَةِ، كلَّهْجَةٍ تَمِيمٍ ولهْجَةٍ بني أسد^(٥٤). وروى أبو زيد: «الْكَصِيرُ لُغَةٌ لِبَعْضِ الْعَرَبِ فِي الْقَصِيرِ»^(٥٥)، وقال -أيضاً-: «الْغَسَكُ فِي الْغَسَقِ، وَهُوَ الظُّلْمَةُ»^(٥٦).

ويحدث صوت الكاف حينما يتقدَّم مخرج القاف قليلاً إلى الأمام مع المحافظة على صفتي الجهر والسَّدَّةِ، والتَّخْفِيفِ مِنَ الاسْتِعْلَاءِ^(٥٧).

وقد كثرَ هذا الإبدال في هذه اللَّهْجَةِ الَّتِي تَحَوَّلَتْ فِيهَا الْقَافُ إِلَى كَافٍ ثَقِيلَةٍ تُنْطَقُ كَالْجِيمِ الْقَاهِرِيَّةِ، مِنْ ذَلِكَ:

الكلمة في الفصحى	النطق في لهجة جنوب البصرة
قفص	كفص
قال	كال
رزاق	رزاك
موقد	موكد
قحط	كحط
عذق	عذك
صقر	صكر
أقط	إكط
قعد	كعد

ساق	ساگ
لصق	لزگ
بخنق	بُخْنُگ
فوق	فوغ
قمّاش	گْمَاش
ينقل	ينگُل
قطعة	گْطعة
قَمَر	گَمَر

ولا يقتصر هذا الإبدال على هذه الألفاظ فقط، بل هنالك العشرات من الألفاظ أثرت إهمالها خشية الإطالة في البحث، كما ينبغي أن ننبّه إلى أنّ هذه الظاهرة تنتشر في أرجاء عديدة من الوطن العربي^(٥٨).

– القاف والجيم

من الصّور النّطقيّة للقاف في هذه اللهجة أنّها تُنطق جيماً، وهي تختلف عن الجيم الفصيحة؛ إذ هي خالية من التّعطيش الذي تتّصف به الجيم التي ينطقها سكّان الأهوار في ميسان وبعض نواحي الشّام^(٥٩)، ويحدث هذا الإبدال حينما تُسبق القاف أو تُلحق بصوت لينٍ أماميٍّ، أي: الكسرة، وياء المدّ، والفتحة المُرَقَّعة، أو ألف المدّ المُرَقَّعة، فإنّ صوت اللّين يجذب صوت القاف إلى الأمام فيخرج من وسط الحنك^(٦٠)، مع المحافظة على صفتيّ الجهر والشّدة، أي إنّ القاف تُنطق جيماً، وقد أبدلت القاف جيماً في طائفة من الألفاظ، منها:

الكلمة في الفُصحى	النُّطق في لهجة جنوب البصرة
قاعد	جاعد، وبعضهم يقول: كاعد
قدام	جَدَّام
قدمي	جُدَمي
أقدامي	جُدامي
ساقية	ساجية
سواقي	سُواجي
سويق	سُويج
قدر	جدر
صديق	صِدِيج
قريب	جَرِيب
باقلاء	باجِلَّة
غريق	غَرِيج
حريق	حَرِيج
طريق	طَرِيج

وقد عاقب العرب قديماً بين القاف والجيم، فورد في اللسان: «وعَزَج الأرض بالمسحاة، إذا قلبها، كأنه عاقب بين عزق وعزج»^(٦١)، «وحَدَّق فلان الشيء بعينه، يحدقه حدقاً: نظر إليه، وحدَّج، مثل حَدَّق، والتَّحدِيج، مثل التَّحدِيق»^(٦٢)، «والمزلاق لغةٌ في المزلاج الذي يُغلق به الباب ويُفَتَّح بلا مفتاح»^(٦٣)، «والقُمزة بالضَّم مثل الجمزة، وهي

كتلة من التمر»^(٦٤)، و«التزلج التزلق»^(٦٥).

وأغلب الظن أن العدول عن القاف إلى الجيم نابغ من أن القاف أحد الأصوات المستعالية لكنهما يشتركان في الشدة، غير أن الجيم مجهورٌ لثويٌ حنكيٌّ، والقاف لهويٌّ مهموسٌ، ولعلَّ الميْل للجيم هو للتخفيف من الجهد العضليّ.

– الكاف والجيم

ذهبَ سيبويه إلى أن صوت الجيم (ج) أقرب ما يكون إلى الكاف^(٦٦). وهو صوتُ الكشكشة الذي عُرفَ في اللهجات العربيّة القديمة، وحدّده ابن دُرَيْدَ بأنه بين الجيم والشّين^(٦٧)، ولعلَّ أحمد بن فارس وصفه بدقّة أكثر؛ إذ قال: «الحرف الذي بين الشّين والجيم والياء»^(٦٨).

وحصر القدماء هذا الإبدال في كاف المخاطبة، سواء أكان ذلك في الوقف أم في الوصل، «وذلك قولك: إنش ذاهبة، ومالشي ذاهبة، تريد: إنك ومالك»^(٦٩).

وقرئ قوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ (مريم: ٢٤): (جعل ربش تحتش سريًّا)^(٧٠).

أمّا المحدثون، فذهبوا إلى أن صوت الكشكشة يوافق صوت (ch) في كلمة (chair) في اللغة الإنكليزيّة، وذلك ممّا لا تختصّ به اللهجات العربيّة القديمة والحديثة فحسب، بل يشمل الكثير من لغات العالم، «وهي قلب الكاف التي يليها صوت لين أماميّ أيّاً كان موضعها إلى نظيرها من أصوات وسط الحنك»^(٧١). وأشار (جونستون) إلى هذه الظاهرة، بقوله: «في الكلمات العربيّة قد تتحوّل الكاف إلى (ج) عند مجاورتها لأصوات اللّين الأماميّة»^(٧٢).

فالذي يحدث هو: «أنّ صوت اللّين الأماميّ يجذب صوت الكاف من أقصى الحنك إلى وسطه، حيث مخرج الشّين، ويصحب ذلك تغيير صفة الكاف من الشّدة إلى

الرّخاوة»^(٧٣)، ولم يقتصر في اللهجة إبدال كاف المخاطبة جيماً، بل تجاوزته إلى طائفة كبيرة من الألفاظ، منها:

الكلمة في الفُصحى	النّطق في لهجة جنوب البصرة
كان	چان
كنت	چنت
كلب	چلب
كمأة	چمّة
كاسب	چاسب
كبد	چبد
كذبة	چذبّه
كتف	چتف
كال [من الكيل]	چال
كلمة	چلمّه
دكّة	دچّه
حاكم	حاجم
ييكى	ييّچي
يحكى	يچي
يكري	يچري
سبيكة	سبيچّه

سكك	سِچِچ
بركة	بِرْجَه
يبارك	ييارِچ
ركيك	رِچِچِچ
مسكين	مِسْچِين
ديك	دِچِچ
شباك	شِبَّاج
سمك	سِمِچِچ

ويطرِد هذا الإبدال في كاف المخاطبة أينما ورد في هذه اللهجة على النحو الذي حدّده الأقدمون وسَمَّوه الكشكشة^(٧٤)، لكن اللهجة حافظت على نطق الكاف ولم تُبدلها في طائفة من الألفاظ، منها:

(كوثر، مكّة، مالك، ملكة، ملك، كتاب، كريم، أكل، أكلة، كاظم، كاظميّة، كرب، كود).

– القاف والغين

القاف عند المحدثين صوتٌ لهويٌّ شديدٌ مهموسٌ، والغين صوتٌ من أقصى الحنك رخوٌ مجهورٌ^(٧٥). وقد ورد نطق القاف غيناً في هذه اللهجة، حيث يتأخّر مخرج القاف قليلاً نحو أدنى الحلق إلى الفم، ويحافظ الصوت على صفتي الجهر والاستعلاء، ويتحوّل من الشدّة إلى الرّخاوة^(٧٦).

وقد وردت في هذه اللهجة طائفة من الألفاظ أبدلت بها القاف الفصيحة إلى الغين، منها:

الكلمة في الفُصحى	النطق في لهجة جنوب البصرة
قصر	عَصْر
قرأ	عَرَ
دقيقة	دغِغَة
دقيقتين	دغِغَتَيْن
دقائق	دغايغ
عبد القادر	عبد الغادر
فقط	فغد
شقا ^(٧٧)	شغا
قرآن	غرعان، وبعضهم يقول: قرعان
القضية	الغضيّة
يتنشّق	يتنشّغ

وقد ورد إبدال الغين قافاً في طائفةٍ من الألفاظ، منها:

الكلمة في الفُصحى	النطق في لهجة جنوب البصرة
غرفة	قُرْفَة
يغرف أو يجذف	يَقْرَف
غاص	قاص
الغوص	القَوّص

غداء	قَدَه
غابت الشمس	قَابَتْ
غمس	قَمَسَ
غمز	قَمَزَ

وحدث نظير هذا الإبدال في لهجة المحرق، التي تُنطق طائفة من الألفاظ فيها بالغين، فتُبدل قافاً عربيّة^(٧٨).

وقد ورد في العربيّة الفصحى تناوب القاف والغين في ألفاظٍ، من ذلك ما ذكره صاحب اللسان: تغلغل: أسرع في السير، ورسالة مغلغلة: محمولة من بلد إلى بلد في سرعة، وتقلقل في البلاد: تقلّب فيها، والتقلقل: الخفا والإسراع^(٨٩). والنشوق والنشوغ: السعوط الذي يُشقق.

-العين والمهمزة

حدّد القدماء مخرج العين من أواسط الحلق، وهو بين الرّخو والشديد، مجهور^(٨٠). أمّا مخرج الهمزة، فمن أقصى الحلق، مجهورٌ شديد^(٨١). أمّا المحدثون، فالعين عندهم صوتٌ حلقّي رخوٌ مجهور^(٨٢)، والهمزة صوتٌ حنجريٌّ شديدٌ، لا هو بالمهموس ولا بالمجهور^(٨٣).

وقد حدث إبدال الهمزة عيناً، ووقف اللّغويّون القدماء عند هذه الظاهرة، وسمّوها بـ(العننة)، التي كانت شائعة في قبائل تميم وقيس وأسد^(٨٤)، ووجدوا أنّ إبدال الهمزة عيناً ورد في إبدال همزة (أ) إذا كانت مفتوحة، من ذلك قول جرّان العود:

فما أبْنِ حَتَّى قَلَنْ يَالَيْتَ (عَنَّا) تَرَابٌ وَ(عَنَ) الْأَرْضَ بِالنَّاسِ تُحَسِّفُ^(٨٥)
إلاّ إنّ الثّابت أنّ هذا الإبدال لم يقتصر على همزة (أ)، بل شمل طائفة من المفردات،

فَقَدْ وَرَدَ عَنْ تَمِيمٍ أَنَّهَا تَقُولُ: الْخَبْعُ فِي الْخَبِّ^(٨٦).

وَجَاءَ فِي لَهْجَةِ تَمِيمٍ: اعْتَنَفْتُ الْأَمْرَ بِمَعْنَى ائْتَنَفْتُهُ، اعْتَنَفْنَا الْمَرَاعِي، أَي: ائْتَنَفْنَا الْمَرَاعِي^(٨٧)، وَكَعْصَنَا عِنْدَ فُلَانٍ مَا شِئْنَا، أَي: كَأَصْنَا بِمَعْنَى: أَكَلْنَا^(٨٨). وَقَدْ عَدَّ الْمُحَدِّثُونَ هَذَا الْإِبْدَالَ أَقْصَى مَرَا حِلِّ تَحْقِيقِ الْهَمْزِ^(٨٩)، وَجَنَحَتْ لَهْجَةُ جَنُوبِ الْبَصْرَةِ إِلَى إِبْدَالِ الْهَمْزَةِ عَيْنًا فِي الْفَاطِ، مِنْهَا:

الكلمة في الفُصحى	النُّطق في لهجة جنوب البصرة
فَجَاءَ	فَجَعَه
جَرَأَ	يَرَعَه
جَرِيَ	يَرِعَ
يَتَجَرَأُ	يَتِيرَعُ
هَيَأَ	هَيَعَه
قَرَأَ	قَرَعَانَ أَوْ غَرَعَانَ
يَتَهَيَّأُ	يَتَهَيَّعُ
أَجَاصَ	عَنِيَا صَ

وَلَعَلَّ هَذَا الْإِبْدَالَ يَنْسَجِمُ مَعَ طَبِيعَةِ الْقَبَائِلِ الْبَدَوِيَّةِ الَّتِي تَمِيلُ إِلَى التَّفْخِيمِ بِالصَّوْتِ وَالْجَهْرِ بِهِ^(٩٠). وَحَدَّثَ إِبْدَالَ الْعَيْنِ هَمْزَةً فِي الْعَرَبِيَّةِ، مِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ جَنِيٍّ، قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا الصَّبْرِ يُنْشِدُ:

أَرِينِي جَوَادًا مَاتَ هُزْلًا لَأَنْتِي أَرَى مَا تَرِينَ، أَوْ بِخِيَلًا مَخْلَدًا

قَالَ: يُرِيدُ: لَعَلَّنِي»^(٩١).

وجاء في إبدال الزَّجَاجِي قول بعض ربيعة: يا أبا لله، في يا عبد الله^(٩٢)، وقال بعض العرب: «هو يستعدي ويستأدي وإمرأة وأمرعه»^(٩٣)، وروي عن طيء قولها: دأني، عوضاً عن دعني^(٩٤)، وحدث هذا الإبدال في لهجة جنوب البصرة، من ذلك:

الكلمة في الفُصحى	النطق في لهجة جنوب البصرة
العهد	الأهد
عهدي	أهدي
عاهدته	آهته
استعهد	استاهده

وجاء فيها -أيضاً-: إلك أهد الله، بمعنى: لك عهدُ الله.

-الهمزة

الهمز عند المحدثين صوتٌ حنجريٌّ شديدٌ، وقفوا إزاءه مختلفين، فعده بعضهم مهموساً، وعده بعضهم الآخر بين المجهور والمهموس^(٩٥). وقد جنحت هذه اللهجة إلى التخلص من الهمز، فسَهَلَت الهمز في عدّة ألفاظٍ. ويظهر أنّ هذه الظاهرة ليست حديثة، بل لها أصلٌ في اللغات السّامية، كالبابليّة والآشورية؛ إذ تميل إلى ترك الهمزة إذا جاءت مسبوقة بحركة، ويُعوّض عن الهمزة بمدّ الحركات قبلها^(٩٦).

وأثرت هذه الظاهرة عن قبائل الحجاز وقريش التي شاع فيها هذا الاستعمال^(٩٧). وذكر ابن السّكّيت أنّ بني تميم يقولون: عباية، في: عباءة^(٩٨)، وما تزال هذه الكلمة شائعة في عدّة لهجات عربيّة، منها: لهجة جنوب البصرة، وأثير عن قبيلة أسد أنّها تقول: أرجيت الأمر، بدلاً من: أرجأت الأمر، أي: أخرته^(٩٩).

وَفَسَّرَ المحدثون هذه الظاهرة بأنها: «نوعٌ من الميل إلى السَّهولة والبعد عن التزام التَّحْقِيقِ فِي النُّطْقِ بِالأصوات»^(١٠٠). وذكر ابن قتيبة طائفةً من الألفاظ التي تُهْمَزُ، والعامة تدعُ هَمْزُهَا، منها: أَبْطَأْتُ، واستَبْطَأْتُ، وتَوَضَّأْتُ، وأَطْفَأْتُ، وهدأت^(١٠١). ولعلَّ ما يجري في هذه اللهجة وغيرها من اللهجات العربيَّة لا يختلف عمَّا جرى في اللهجات التي عاصرها ابن قتيبة، فجاء في هذه اللهجة:

الكلمة في الفُصحى	النُّطق في لهجة جنوب البصرة
أَبْطَأْتُ	بُطِيت
استَبْطَأْتُ	استَبْطِيت
تَوَضَّأْتُ	تُوظِّيت
أَطْفَأْتُ	طَفِّيت
هدأت	هِدِيت
ملأت	مِلِيت
حنأت	حَنِيت

وعلى سبيل التخلُّص من الهمز مالت هذه اللهجة إلى تحويلها إلى صوتٍ مدٍّ^(١٠٢)، من ذلك:

الكلمة الفُصحى	النُّطق في لهجة جنوب البصرة
رَأْس	راس
فَأْس	فاس

كأس	كاس
ذئب	ذيب
بئر	بير
رائح	رايح
يأمر	يامر
طائر	طاير
لؤلؤ	ليلو

ومن أجل تيسر النطق جئنا باللهجة إلى قصر الأسماء الممدودة بحذف الهمزة، من ذلك قولهم في بعض الصفات التي تأتي في الفصحى على وزن (أفعل - فعلاء):

الكلمة في الفصحى	النطق في لهجة جنوب البصرة
أخضر - خضراء	خَضَر - خَضْرَه
أحمر - حمراء	حَمَر - حَمْرَه
أعرج - عرجاء	عَرِي - عَرِيَه
أخرس - خرساء	خَرَس - خَرْسَه

إلا إنهم يقولون: أبيض وأسود وأزرق، وبيضه وسوده وزرغه، ويظهر أن لذلك أصلاً في اللهجات العربية القديمة، فقد حُكي عن الفراء، قال: «سمعتُ العرب تقول لسعف النخيل وجريده: الخضر»^(١٠٣).

ومن الأسماء الممدودة التي جرى قصرها بهدف التخلص من الهمز:

الكلمة في الفُصحى	النطق في لهجة جنوب البصرة
سِماء	سِمَمَه
وفاء	وِفَه
رجاء	رِجَه
عشاء	عِشَه
غداء	غِدَه، أو قِدَه
جفاء	جِفَه
مساء	مِسَه

ومن مظاهر التخلص من الهمز، إبدال الهمزة واواً، وقد ذكر ابن السكيت مثل هذا الإبدال، فقال: «وقد أكثرت العهد ووكّدتُه»^(١٠٤)، ويُقال: «آخيتُه وواخيتُه»^(١٠٥)، وروي عن الأصمعيّ، يُقال: أرّختُ الكتابَ وورّختُه، أكفتُ الدّابةَ أو كفتُها، وقيل: وسادة وإسادة، ووشاح وإشاح»^(١٠٦).

وعزا الزّجاجيّ مثل هذا الإبدال إلى لهجة هُذيل، فجاء أنّهم يقولون: أقاء في وقاء، وإعاء في وعاء، وإدّ بدلاً من ودّ، وإسادة في وسادة، وأجوه في وجوه^(١٠٧). غير أنّ جنوح لهجة جنوب البصرة كان مخالفاً لما أُثِرَ عن هُذيل، فقد مالت هذه اللهجة إلى الابتعاد عن الهمزة وإبدالها واواً، فمن ذلك:

الكلمة في الفُصحى	النطق في لهجة جنوب البصرة
أين	وين
أنّ	ونّ

أَنِين	وَنِين
أَكَّد	وَكَّد
أَكَّل	وَكَّل
تَنَاءَب	تَنَآوَب
أَدَّى	وَدَّى
آخَى	خَاوَه
ذَكَاء	ضَكَاوَه
إِرْث	وَرْث

ولم يقتصر هذا النطق على لهجة جنوب البصرة، بل هو مأثور عن العديد من اللهجات العراقية المعاصرة

وبعد أن تمّ الوقوف على أهمّ الأصوات التي جرى بينها الإبدال، ينبغي لنا أن نقول إنّ هناك أمثلة على الإبدال جرت في كلمة أو كلمتين، فلم أقف عندها؛ لأنّها لا تشكّل ظاهرة، فضلاً عن أنّ في هذه اللهجة خصائص صوتيّة آخر لم يجر بحثها خشية الإطالة، فمن المعروف أنّ الإبدال لم يحدث في الفصحى بين الأصوات الصامتة فقط، بل حدث تناوب بين أصوات المدّ الطويلة والقصيرة؛ لذا تركتُ هذا المجال إلى بحثٍ آخر أستكمل فيه هذا الجانب المهمّ من خصائص هذه اللهجة، فضلاً عمّا في هذه اللهجات من خصائص لغويّة أخرى في مجال الصّرف، وبعد عرض هذا الجانب من صفات هذه اللهجة يمكن القول إنّ هذه الصّفات لا تشملها فقط، بل هي صفات لهجيّة حاولتُ قدر المستطاع ذكر ما يشابهها من لهجاتٍ عربيّةٍ معاصرةٍ أو قديمةٍ، فهي تشارك لهجات الخليج العربيّ وإقليم الأحواز في إيران بشكلٍ خاصّ.

الهوامشُ

- * بحث منشور في مجلّة كَلِيّة الآداب-جامعة البصرة، العدد (٢٢) لسنة ١٩٨٩م.
- ١- لقد تمّ تهجير سكّان جنوب البصرة، ابتداءً من الفاو حتّى منطقة أبي الخصب منذ عام ١٩٨٠م؛ بسبب نشوب الحرب بين العراق وإيران، وتفرّقوا في أرجاء أُخر، والذين عادوا إلى موطنهم بعد الحرب قلّة قليلة منهم.
 - ٢- العين: ٤٥ / ٨ (بدل).
 - ٣- الصّاح: ١٦٣٢ / ٤ (بدل).
 - ٤- اللّسان: ٤٨ / ١١ (بدل).
 - ٥- المُخصّص: ٢٦٧ / ١٣.
 - ٦- اللّسان: ٤٨ / ١١ (بدل).
 - ٧- من أسرار اللّغة، الدكتور إبراهيم أنيس. ويُنظر الإبدال، لأبي الطيّب اللّغوي: ٩ / ١ (المقدّمة).
 - ٨- القراءات القرآنيّة في ضوء علم اللّغة الحديث، الدكتور عبد الصّبور شاهين: ص ٧٤.
 - ٩- الكتاب: ٢٣٧ / ٤، والخصائص: ٨٢-٨٨، والأُمالي: ٦٨ / ٢، ٧٨، ١١٣، ١٥٥.
 - ومواضع أُخر، المُخصّص: ٢٦٧ / ١٣.
 - ١٠- شرح كتاب سيبويه، للسّيرافيّ (مخطوط)، ج ٣، نقلاً عن القراءات القرآنيّة في ضوء علم اللّغة الحديث: ص ٧٣.
 - ١١- سرّ صناعة الإعراب: ٧٢ / ١، واختلف اللّغويّون في عددها، فهي عند القالي اثنا عشر حرفاً، يُنظر الأُمالي: ١٨٢ / ٢، وعند ابن سيده ثلاثة عشر حرفاً، يُنظر: المُخصّص: ٢٦٧ / ١٣.
 - ١٢- المُخصّص: ٢٧٤ / ١٣.
 - ١٣- مقدّمة الإبدال، لأبي الطيّب اللّغويّ: ٩ / ١.
 - ١٤- من أسرار اللّغة: ص ٧٥.
 - ١٥- القراءات القرآنيّة في ضوء علم اللّغة الحديث: ص ٧٣.
 - ١٦- أبو الطيّب اللّغويّ وآثاره في اللّغة: ص ٤٧.
 - ١٧- الصّاحبيّ: ص ١٧٣.

- ١٨- المزهر: ١/ ٤٦٠.
- ١٩- من أسرار اللغة: ص ٧٧.
- ٢٠- نفسه: ص ٧٥.
- ٢١- الكتاب: ٤/ ٤٣٤.
- ٢٢- نفسه، والصّفحة نفسها.
- ٢٣- الأصوات، كمال بشر: ص ١٢٠.
- ٢٤- الأصوات اللّغويّة، إبراهيم أنيس: ص ١٧٩.
- ٢٥- الكتاب: ٤/ ٤٧٧.
- ٢٦- الخصائص: ٢/ ١٤٣.
- ٢٧- المخصّص: ١٣/ ٢٧٣.
- ٢٨- لهجة تميم، الدّكتور غالب المطلبي: ص ٩٢.
- ٢٩- الإبدال، لابن السّكّيت ضمن الكنز اللّغويّ: ص ٤٢.
- ٣٠- دروس في علم أصوات العربيّة: ص ٧٣.
- ٣١- في اللّهجات العربيّة: ص ١٢٧.
- ٣٢- الكتاب: ٤/ ٣٣٤.
- ٣٣- الأصوات اللّغويّة: ص ٤٨، والأصوات: ص ١١٩.
- ٣٤- الكتاب: ٤/ ٤٣٦.
- ٣٥- الكتاب: ٤/ ٤٣٣-٤٣٤.
- ٣٦- الأصوات: ص ١٢٦.
- ٣٧- نفسه: ص ١٣٣.
- ٣٨- دراسات في لهجات شرق الجزيرة العربيّة، جونسون: ص ٦٤.
- ٣٩- خصائص اللّهجة الكويتيّة، الدّكتور عبد العزيز مطر: ص ١٧.
- ٤٠- دراسة صوتيّة في لهجة البحرين، الدّكتور عبد العزيز مطر: ص ٢٧.
- ٤١- خصائص اللّهجة الكويتيّة: ص ٢٠.
- ٤٢- الإبدال: ١/ ٢٦١، ويُنظر: لهجة تميم: ص ١٠١.
- ٤٣- الإبدال: ص ٢٩.
- ٤٤- مختصر شواذ القراءات: ص ٤.
- ٤٥- دراسات في لهجات شرق الجزيرة: ص ٦٣.

- ٤٦- ... * في الأصل الهامش غير موجود (النّاشر).
- ٤٧- الكتاب: ٤٣٣/٣-٤٣٤.
- ٤٨- نفسه: ٤/٤٣٢.
- ٤٩- سرّ صناعة الإعراب: ١/٥١.
- ٥٠- الجمهرة: ١/٥.
- ٥١- الصّاحبيّ: ص ٥٤، والمزهر: ١/٢٢٢، وعزا اللّغة إلى تميم.
- ٥٢- اللّسان: ١٣٤/١٥ (غلا)، وديوان أبي الأسود، تحقيق: الشّيخ حسن آل ياسين: ص ١١٩.
- ٥٣- تفسير القرطبي: ٢٠/١٠٠.
- ٥٤- لهجة تميم: ص ١٠٤، ولهجة أسد: ص ١٠٠.
- ٥٥- التّهذيب: ١٠/٤٢ (كصر)، التّكملة: ٣/١٨٧.
- ٥٦- التّهذيب: ١٠/٤٢ (كصر).
- ٥٧- لهجة البحرين: ص ٤٨.
- ٥٨- يُنظَر في ذلك: لهجة البحرين: ٤٢-٤٣؛ إذ هي لهجة المُحرّق وستره، وخصائص اللّهجة الكويتيّة: ص ٣١، وفي اللّهجة الصّنعائيّة: ص ٤٩.
- ٥٩- التوزيع اللّغوي الجغرافي: ص ٢٣٦.
- ٦٠- لهجة البحرين: ص ٤٨-٤٩.
- ٦١- اللّسان: ٢/٣٢٣ (عزج).
- ٦٢- الصّحاح: ١/٣٠٥ (حدج).
- ٦٣- نفسه: ٤/١٤٩١ (زلق).
- ٦٤- نفسه: ٢/٨٨٩ (قمز).
- ٦٥- نفسه: ١/٣١٩ (زليج).
- ٦٦- الكتاب: ٤/١٩٩.
- ٦٧- الجمهرة: ١/٥.
- ٦٨- الصّاحبيّ: ص ٥٤.
- ٦٩- الكتاب: ٤/١٩٩، وسرّ صناعة الإعراب: ١/٢١٦.
- ٧٠- شرح المُفصّل: ٩/٤٩.
- ٧١- في اللّهجات العربيّة: ص ١٢٤، وخصائص اللّهجة الكويتيّة: ص ٤٢.
- ٧٢- دراسات في لهجات شرق الجزيرة: ص ٨٥.

- ٧٣- لهجة البحرين: ص ٥٧، أصوات اللين الأمامية هي: الكسرة أو ياء المدّ، والفتحة المرفقة أو ألف المدّ. يُنظر: خصائص اللهجة الكويتية: ص ٣٩.
- ٧٤- الكتاب: ١٩٩/٤، واللّسان (شقا): ٦/٣٤٢، (كشكش)، ويُنظر: لهجة قبيلة أسد: ص ١٠٥.
- ٧٥- الأصوات: ص ١٠٩، ١٢١.
- ٧٦- لهجة البحرين: ص ٤٩.
- ٧٧- التوزيع اللّغوي الجغرافي: ص ٢٢٥.
- ٧٨- لهجة البحرين: ص ٤٦.
- ٧٩- اللّسان: ١١/٥٦٧، ٥٠٥ (غلل)، (قلل).
- ٨٠- الكتاب: ٤٣٣/٤-٤٣٤.
- ٨١- نفسه، والصّفحة نفسها.
- ٨٢- الأصوات: ص ١٢١.
- ٨٣- نفسه: ص ١١٢.
- ٨٤- التّهذيب: ١/١١٢ (عنن)، اللّسان: ١٣/٢٩٥ (عنن).
- ٨٥- ديوانه: ص ٢٣ (خبع).
- ٨٦- العين: ١/١٢٣ (ضبع).
- ٨٧- التّهذيب: ٣/٣ (عنن).
- ٨٨- الجمهرة: ٣/٧٦-٧٧.
- ٨٩- في اللهجات العربيّة: ص ١١١، فصول في فقه اللّغة: ص ١٢٧.
- ٩٠- من أصول اللهجات العربيّة في السّودان: ص ٤٠.
- ٩١- سرّ صناعة: ١/٢٤٠-٢٤١.
- ٩٢- يُنظر: الإبدال والمعاقبة والنظائر: ص ٣٥.
- ٩٣- الإبدال، للزّجاجي: ص ٣٣.
- ٩٤- بقايا اللهجات العربيّة في الأدب العربيّ: ص ٢٤.
- ٩٥- الأصوات: ص ١١٢.
- ٩٦- فقه اللّغات السّامية، بروكلمان: ص ٤١.
- ٩٧- الكتاب: ٤/١٧٩.
- ٩٨- القلب والإبدال: ص ٥٦.
- ٩٩- إعراب القرآن، للنّحاس: ١/٦٣٠.

- ١٠٠- في اللهجات العربية: ص ٧٧.
- ١٠١- أدب الكاتب: ص ٣٩١.
- ١٠٢- حدث نظير ذلك في اللهجة الصنعانية؛ إذ مالت إلى تسهيل الهمزة. يُنظر: في اللهجة الصنعانية: ص ٤٩.
- ١٠٣- اللسان: ٢٤٩/٤ (خضر).
- ١٠٤- القلب والإبدال: ص ٥٦.
- ١٠٥- نفسه: ص ٥٧.
- ١٠٦- أمالي القالي: ١٦٦/٢.
- ١٠٧- الإبدال والمعاقبة والنظائر: ص ١٠، ويُنظر: لهجة هذيل: ص ١٩٧.

المصادر والمراجع

- ١- الإبدال، لأبي الطيّب اللّغويّ، تحقيق: عزّ الدين التّنوخيّ، دمشق، ١٩٦٠-١٩٦١ م.
- ٢- الإبدال والمعاقبة والنظائر، لأبي القاسم الرّجّاجيّ، تحقيق: عزّ الدين التّنوخيّ، دمشق، ١٩٦٢ م.
- ٣- أبو الطيّب اللّغويّ وآثاره في اللّغة، عادل أحمد زيدان، الطبعة الأولى، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٠ م.
- ٤- أدب الكاتب، ابن قتيبة، لندن، ١٩٠٠ (أوفيست).
- ٥- الأصوات اللّغويّة، الدّكتور إبراهيم أنيس، الطبعة الرّابعة، مطبعة الإنجلو المصريّة، ١٩٧١ م.
- ٦- إعراب القرآن، لأبي جعفر النّحاس، تحقيق: الدّكتور زهير غازي زاهد، الطبعة الأولى، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٩ م.
- ٧- الأمالي لأبي عليّ القالي، طبعة مصوّرة، بيروت، ١٩٨٠ م.
- ٨- بقايا اللّهجات العربيّة في الأدب العربي، أنو ليمتان، مجلّة كليّة الآداب بجامعة فؤاد الأوّل، مج ١٠، ج ١، سنة ١٩٨٤ م.
- ٩- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، الطبعة الثالثة، دار الكتب المصريّة، ١٩٦٧ م.
- ١٠- التكملة والذيل والصّلة، للصّعّاني، تحقيق: عبد الحليم الطحاوي، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠ م.
- ١١- تهذيب اللّغة، للأزهريّ، تحقيق: عبد السّلام هارون وآخرين، الدّار المصريّة للتأليف والترجمة، ١٩٦٤ م.
- ١٢- التوزيع اللّغويّ الجغرافي في العراق، الدّكتور إبراهيم السّامرائيّ، مصر، ١٩٦٨ م.
- ١٣- جمهرة اللّغة، ابن دريد، مُصوّرة عن طبعة حيدر آباد - الدّكن، ١٣٤٥ هـ.
- ١٤- الخصائص، لابن جني، تحقيق: محمّد علي النّجّار، الطبعة الثّانية (أوفيست)، دار الهدى للطباعة والنشر-بيروت.
- ١٥- خصائص اللّهجة الكويتيّة، الدّكتور عبد العزيز مطر، الكويت، ١٩٨٥ م.
- ١٦- دراسات في لهجات شرق الجزيرة، ت. م جونستون، ترجمة: الدّكتور أحمد محمّد الضبيّ، الرّياض، ١٩٧٥ م.
- ١٧- دراسة صوتيّة في لهجة البحرين، الدّكتور عبد العزيز مطر، مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٨٠ م.
- ١٨- دروس في علم أصوات العربيّة، جان كانتينو، ترجمة: صالح القرمادي، تونس، ١٩٦٦ م.
- ١٩- ديوان أبي الأسود الدؤلي، تحقيق: الشّيخ محمّد حسن آل ياسين، الطبعة الثّانية، مطبعة بغداد، ١٩٦٤ م.
- ٢٠- ديوان جران العود، الطبعة الأولى، دار الكتب المصريّة، ١٩٣١ م.

- ٢١- سرّ صناعة الإعراب، لابن جني، تحقيق: مصطفى السّقا وآخرين (الجزء الأوّل)، مصر، ١٩٥٤م.
- ٢٢- شرح المفصّل، لابن يعيش، المطبعة المنيريّة، بمصر، (د.ت).
- ٢٣- الصّاحبيّ في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها، ابن فارس، تحقيق: مصطفى الشّويمي، بيروت، ١٩٦٣م.
- ٢٤- الصّحاح، للجوهريّ، تحقيق: أحمد عبد الغفّار عطّار، دار الكتاب العربيّ بمصر، ١٣٧٧هـ.
- ٢٥- علم اللّغة العامّ - الأصوات، الدّكتور كمال بشر، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.
- ٢٦- العين، للخليل بن أحمد الفراهيديّ، تحقيق: الدّكتور مهدي المخزوميّ، والدّكتور إبراهيم السّامرائيّ، دار الرّشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.
- ٢٧- فصول في فقه العربيّة، الدّكتور رمضان عبد التّوّاب، الطبعة الثّانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠م.
- ٢٨- فقه اللّغات السّامية، كارل بروكلمان، ترجمة: الدّكتور رمضان عبد التّوّاب، الرّياض، ١٩٧٧م.
- ٢٩- في اللّهجات العربيّة، الدّكتور إبراهيم أنيس، الطبعة الرّابعة، القاهرة، ١٩٧٣م.
- ٣٠- في اللّهجة الصّنعانيّة، الدّكتور خليل إبراهيم العطية، مجلّة الخليج العربيّ، مركز دراسات الخليج العربيّ، جامعة البصرة، مج ١٦، ع ١، ١٩٨٤م.
- ٣١- القراءات القرآنيّة في ضوء علم اللّغة الحديث، الدّكتور عبد الصّبور شاهين، دار الكتاب العربيّ، القاهرة، ١٩٦٦م.
- ٣٢- القلب والإبدال، لابن السّكّيت (الكنز اللّغوي)، تحقيق: أوغست هفتر، بيروت، ١٩٠٣م.
- ٣٣- الكتاب، لسيّويه، تحقيق: عبد السّلام هارون، الهيئة المصريّة العامّة للتّأليف والنّشر، القاهرة، ١٩٧١م.
- ٣٤- لسان العرب، لابن منظور، طبعة دار صادر، بيروت، ١٩٥٥-١٩٥٦م.
- ٣٥- لهجة تميم وأثرها في العربيّة الموحّدة، الدّكتور غالب المطلبي، دار الحرّيّة للطباعة، بغداد، ١٩٧٨م.
- ٣٦- لهجة قبيلة أسد، علي ناصر غالب، رسالة مكتوبة على الآلة الكاتبة، جامعة البصرة، كليّة الآداب، ١٩٨٥م.
- ٣٧- لهجة هذيل، الدّكتور خليل إبراهيم العطية، مجلّة الخليج العربيّ، مركز دراسات الخليج العربيّ، جامعة البصرة، العدد الثّاني، ١٩٧٥م.
- ٣٨- مختصر شواذ القراءات، لابن خالويه، تحقيق: برغشتراسر، القاهرة، ١٩٣٤م (أوفسيت).

٣٩- المزهري في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (د.ت).

٤٠- من أصول اللهجات العربية في السودان، عبد المجيد عابدين، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٦٦ م.

لهجة أبي الخصيب

م.م. حسام أحمد هاشم

الخلاصة

يتضمّن هذا البحث بعض الخصائص التي يتعامل بها أبناء منطقة أبي الخصيب وبعض المناطق المحيطة بها.

ومن هذه الخصائص وأهمّها: الإبدال، أي: إبدال حرفٍ مكانَ حرفٍ آخر، فهي ظاهرة شائعة عندهم، ومنها -أيضاً- زيادة بعض الحروف ونقصانها في بعض الكلمات المُستعملة عندهم.

ومن هذه الخصائص -كذلك- التّصغير، فقد وجدناهم يستعملون التّصغير في بعض أسمائهم وأطعمتهم والأدوات التي يستعملونها.

وآخر خصيصة ذُكرت هي استعمالهم بعض الألفاظ الغريبة جداً، بحيث تجعلهم متميّزين عن بقيّة المناطق.

وقد ربط البحث بين هذه اللهجة وبين بعض اللهجات المحليّة والخليجيّة والدّول العربيّة الأخرى، وبَيّن البحث أنّ هناك امتداداً بين بعض هذه الكلمات وبين بعض اللهجات العربيّة القديمة جداً.

توطئة

يَتَصَمَّنُ البحث بعض خصائص لهجة (أبي الخصب)، التي يُعامل بها في مجال الحديث فيما بينهم. وسبب اختياري هذا الموضوع هو أنني أحد أبناء هذه المنطقة، وأعيش فيها منذ عشرات السنين، ما يُسهِّل عليّ تتبُّع هذه الخصائص وهذه اللهجة، واستخراج بعضها قدر المُستطاع، وفضلاً عن ذلك، فإنّ هذه المنطقة فيها الكثير من الخصائص التي تميّز بها مع ما فيها من اختلاف كثير عن باقي لهجات العراق.

إنّ دراستنا هذه تتناول لهجة أبي الخصب ملاحظةً وتجربةً واستقراءً واستنباطاً، ثمّ وصفاً وتحليلاً. جُمِعَتْ من أفواه عشرة أشخاص من أبي الخصب يمثلون مناطق شتّى، ويمثّلون الرّجال والنساء والكبار والشباب. والمنهج الذي سلكناه في هذا البحث منهج وصفيّ، يقوم على وصف ظواهر اللهجة وتحديد خصائصها.

ولله درُّ العربيّ (الفرزدق)، الذي وَجَّهَ إلى أحد اللّغويين -وهو عبدالله بن أبي إسحق- كلمته المشهورة: (علينا أن نقول، وعليكم أن تتأولوا).

وقبل البدء بدراسة لهجة أبي الخصب لابدّ من تعريف اللهجة في الاصطلاح العلميّ الحديث، وخير مَنْ عرّف اللهجة الدكتور إبراهيم أنيس؛ إذ يقول: «هي مجموعة من الصفات اللّغويّة، تنتمي إلى بيئة خاصّة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللهجة هي جزءٌ من بيئةٍ أوسع وأشمل تضمّ عدّة لهجات لكلّ منها خصائصها، ولكنّها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللّغويّة التي تُيسّر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث، فهماً يتوقّف على قدر الرابطة التي بين هذه اللهجات»^(١).

وقد فرّق الدكتور إبراهيم أنيس بين اللهجة واللّغة؛ إذ يقول: «وتلك البيئة الشّاملة التي تتألّف من عدّة لهجات، وهي التي اصطلح على تسميتها باللّغة، فالعلاقة بين اللّغة

واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص، فاللغة تشمل عادةً على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التي تؤلف لغةً مستقلةً عن غيرها من اللغات»^(٢).

فاللغة -إذن- أشمل من اللهجة، فهي مجموعة من اللهجات التي تجتمع فيما بينها فتكون لغةً اللهجة.

«أما الصفات التي تتميز بها اللهجة، فتكاد تنحصر بالأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها، فالذي يُفَرِّق بين لهجةٍ وأخرى، هو بعض الاختلاف الصوتي في غالب الأحيان»^(٣).

وأريد باللهجة مجموعة الصفات اللغوية المتمثلة في لغة الخطاب الشائعة بين أفراد البيئة الجغرافية والاجتماعية معاً، أي إنها تشمل كل مَنْ يُقيم في هذه المنطقة متمتعاً بصفة قضاء أبي الخصب.

وقد جمعت لهجة أبي الخصب الواقعة جنوب البصرة الكثير من هذه الخصائص الصوتية والصرفية والألفاظ الغريبة، مع العلم أنني اعتمدت في بعض الخصائص التي سأوردها في طيات البحث على السماع. وهناك بعض المسميات التي يسمون بها أبناءهم أو قراهم، وغير ذلك، وهذه تُعد من الخصائص التي تتميز بها هذه اللهجة.

وقد قُسم البحث حسب المادة العلمية على ثلاثة مباحث، الأول منها: تناول الخصائص الصوتية لهذه اللهجة، والثاني: تناول الخصائص الصرفية للهجة أبي الخصب، والثالث: تطرقت فيه إلى بعض الألفاظ الغريبة التي تتميز بها هذه اللهجة.

الخصائص الصوتية للهجة أبي الخصب

- الإبدال أو القلب: الإبدال لغة: «أبدل الشيء من الشيء وبَدَلَه: تخذ منه بدلاً، وأبدلت الشيء بغيره، وبَدَلَه اللهُ من الخوف أمناً، وتبدل الشيء: تغيره، وإن لم تأتِ ببديل. واستبدل الشيء بغيره وتبدل به، إذا أخذه مكانه»^(٤).

أمّا في الاصطلاح، يقول أحمد بن فارس: أنه «من سنن العرب: إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، يقولون: (مدحة مدهة)،... وهو كثير مشهور»^(٥).

وهذه الظاهرة من أهم الخصائص التي تتميز بها هذه اللهجة؛ إذ إنّنا نرى أنّ أهل هذه البلدة يقلّبون الكثير من الحروف والأصوات ويبدّلونها بحروفٍ أخرى.

وقد تكلم الدكتور (علي ناصر) عن هذه الظاهرة في بحث أفرده وسماه (الإبدال في الصّوامت في لهجة جنوب البصرة)، وسوف أتدرّج في هذا الموضوع حسب شيوع هذه الظاهرة في إبدال الحرف مكان الحرف الآخر، وتتميّز هذه اللهجة به.

إبدال الجيم ياءً

الجيم «صوتٌ مجهورٌ يتكوّن بأنّ يندفع الهواء إلى الحنجرة، فيحرّك الوترين الصوتيين، ثمّ يتخذ مجراه في الحلق والفم حتّى يصل إلى المخرج. وهو عند التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى التقاءً يكاد ينحبس معه مجرى الهواء، فإذا انفصل العضوان انفصلاً بطيئاً سُمِعَ صوتٌ يكاد يكون انفجارياً هو الجيم العربيّة الفصيحة»^(٦).

أمّا الياء، فهي «من حروف الجهر...، وتخرج من جوف الفم والحلق»^(٧). ولقد تميّزت لهجة جنوب البصرة بقلب الجيم ياءً في الكثير من الكلمات، وأصبحت سمةً بارزةً لها، فإذا وجدت شخصاً يقلّب الجيم ياءً عرفت أنّ أصله من هذه المنطقة وما يحاذيها من المناطق، وهذه طائفة من الألفاظ التي أبدلت فيها الجيم ياءً:

جاهل	يَاهِل
جسر	يِسِر
مسجد	مَسِيد
منجل	مَنِيل
رَجَال	رِيَال
حجرة	حِيرة
وجه	وَيِه
جبل	يِيل
سجّادة	سَيّادة

وهذا الإبدال في الجيم والياء ينطبق على الكثير من الألفاظ التي يستعملونها^(٨)، فتجد أنهم يقولون لـ (الجاهل): ياهل، أي: جاهل، وجمعه: يهال، ويُطْلَق في اللهجة على الأطفال، يُقال: أليهال يلعبون، و (واجد): وايد، وأصلها: واجد، أي: كثير. وهناك كلمات أُخر سمعُهم ينطقون الجيم فيها جيماً عربيّة فصحي، وهي قليلة، منها: جامع - فإنّما يعنون (المسجد)، ويُنطق الجيم العربيّة كذلك (جيد جداً). وقد يُفسّر هذا الإبدال الصّوتيّ في نطق الجيم العربيّة ياءً «أنّ الجيم والياء من مخرج واحد، هو وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى»^(٩).

أمّا التفسير التاريخي، فإنّ نطق الجيم ياءً ظاهرة مسموعة عن العرب، ومنسوبة إلى قبائل بني تميم^(١٠)، فقد روى أبو الطيّب اللّغويّ (ت ٣٥١هـ)، وابن سيده الأندلسيّ (ت ٤٥٨هـ) في معجمه، أنّ بني تميم يقولون: شيرة في شجرة^(١١)، وعلى هذه اللّغة جاء قول الشّاعر: إذا لم يكنْ فيكنْ ظلٌ ولا جنّى فأبعدكُنْ الله من شيرات^(١٢)

ونجد هذه الظاهرة قد أثّرت في بعض لهجات دول الخليج العربي، ومنها: الكويت^(١٣). وفي المثل الكويتي عن الجار: (كود حيار ولا هاليار)، نلاحظ أنّ الياء التي في (حيار-اليار) تُقابل الجيم العربية الفصحى، أي: (حجار-الجار). وهذا التمايز والتشابه بين لهجة جنوب البصرة والكويت متأتّ من قرب الموقع الجغرافي، والاختلاط الحاصل بينهما من نَسَبٍ وتعامل تجاريّ، وما شابه ذلك. ومن اللهجات المتأثرة بهذه الظاهرة لهجة الإمارات العربية^(١٤).

إبدال القاف والغين

الغين «صوتٌ رخوٌ مجهورٌ، مخرجهُ أدنى الحلق إلى الفم»^(١٥)، أمّا القاف، فهو «صوتٌ شديدٌ مهموسٌ»^(١٦). أمّا مخرجه، ف«لنطق بالقاف كما نعهدها في قراءتنا يندفع الهواء في الرّيتين ماراً بالحنجرة، فلا يحرّك الوترين الصّوتيين، ثمّ يتخذ مجراه في الحلق، حتّى يصل إلى أدنى الحلق من الفم، وهناك ينحبس الهواء باتّصال أدنى الحلق -بما في ذلك اللّهاة- بأقصى اللّسان، ثمّ يفصل انفصلاً مفاجئاً، فيحدث الهواء صوتاً انفجارياً شديداً»^(١٧). فمن الخصائص الصّوتية في لهجة أبي الخصيب، نطق القاف الفصحى أقرب إلى الغين، ونطق الغين إلى القاف، وهي سمة بارزة عندهم. وإليك طائفة من الأمثلة:

قدير	غدير
سقر	سغر
قريب	غريب
مقادير	مغادير
قنينة	غنينة

مقبرة	مغبرة
قالب	غالب
قبيلة	غبيلة
قلم	غلم
لقمان	لغمان

ونجد ذلك في الألفاظ الأخر التي لا مجال لذكرها هنا من إبدال القاف غيناً^(١٨).
ومن اللهجات التي تميّزت بهذه الظاهرة لهجة الكويت؛ إذ نسمعهم يقولون: «الشَّكر
في الغندور، وأصل هذه الكلمة الأخيرة المعرّبة قديماً: القندور بالقاف لا بالغين»^(١٩).
ومن اللهجات الأخر التي تُشارك في هذه الصّفة، هي لهجة الموصل؛ إذ كانوا يُبدلون
القاف غيناً والغين قافاً، نحو قولهم: «غشع وأصلها قشع، وقشمر-غشمر»^(٢٠).
وكذلك، نجد أنّ اللهجة الإماراتيّة تُبدل حرف القاف إلى الغين، نحو قولهم:
«القضاة-الغضاة، المقرّرات - المقرّرات، عيد الاستقلال-عيد الاستغلال»^(٢١).
وهناك بعض القبائل السّودانيّة التي تُسمّى بقبائل الغواني تشترك مع لهجة أبي
الخصيب في هذه الخصيصة^(٢٢).

وسمعتهم -أيضاً- يعكسون هذه الحالة، أي: يُبدلون الغين قافاً، وإليكم أمثلة على
ذلك الإبدال:

غالب	قالب
غادة	قادة
غزال	قزال

قنينة	غنينة
أغنية	أقنية
غفور	قفور
غروب	قروب
لغة	لقة
مغناطيس	مقاناطيس
بغداد	بقداد

وهناك الكثير من الألفاظ التي اشتملت على حرف الغين، فأبدلت إلى القاف في هذه اللهجة.

ومن اللهجات التي تأثرت بهذه الخاصة لهجة الكويت؛ إذ يقولون: «اليهال يقنّون، والزّيال يتقشمر - أي: يمزح»^(٢٣)، والأصل (يُغنّون، يتغشمر).

ونشاهد هذا الإبدال -أيضاً- واقعاً في بعض لهجات القبائل السودانية -الغين قافاً- نحو قولهم: «يستقفر في يستغفر»^(٢٤).

ومن اللهجات التي تتميز بهذه الخاصية -أيضاً- لهجة الإمارات العربية المتحدة نحو قولهم: «أغاني - أقاني، يتقشمر - يتغشمر، مشغول - مشقول»^(٢٥).

ونستطيع في ضوء علم الأصوات الحديث أن نُفسّر الصلة بين هذين الصوتين (القاف والغين)، فهما عند المعاصرين من مخرج واحد (أقصى الحنك عند اللهامة)^(٢٦)، وهما عند القدماء متقاربان مخرجاً، «الغين أدنى الحلق إلى الفم، والقاف من أقصى الحنك»^(٢٧).

وبهذا يمكن القول: إن التقارب في المخرج الصوتي بين الصوتين (القاف والغين)

أدّى إلى قلب القاف غيناً والغين قافاً.

إبدالُ القافِ كافاً

قد تطرّقنا إلى صوت القاف من حيث الصّيغة والمخرج سابقاً، فهو: «صوتٌ شديدٌ مهموسٌ»^(٢٨)، ومخرجه من أدنى الحلق إلى الفم^(٢٩).

أمّا الكاف، فلها «نظيرٌ مجهورٌ هو الجيم القاهريّة، التي نسمّعها -أيضاً- في اللّغة العبريّة والسّريانيّة، فهو صوتٌ ساميٌّ شائعٌ في معظم اللّهجات السّاميّة. وهذا الصّوت لا يفترق من الكاف في شيء سوى أنّ الجيم مجهورة والكاف مهموسة، ولكن انفصال العضوين في الجيم القاهريّة فجائيٌّ، وهي لهذا أكثر شدّة من الكاف»^(٣٠).

ولقد تميّزت لهجة جنوب البصرة بنطق القاف كافاً -كالجيم القاهريّة-؛ إذ هو الأصل في هذه اللّهجة، ولأنّي أثبتُ أنّ هذا النّطق بالكاف مروّيٌّ عن بني تميم الذين كانوا يُقيمون في وسط شبه الجزيرة العربيّة وشرقها.. وفيما يلي طائفة من الأمثلة التي تُنطق فيها القاف كافاً، كالجيم القاهريّة:

قال	غال
قعد	گعد
قلب	گلب
سقى	سگی
مسقوف	مسگوف
حقه	حگه
قريب	گريب

قِسْم	گسم
مرق	مرگ

وحرف (گ) من الحروف الفارسيّة، والعراقيّون - وبخاصّة في محافظات الوسط والجنوب - يقلبون القاف (گ)، وهذا مظهر من مظاهر تأثير اللّغة الفارسيّة في اللّهجة العراقيّة.

والتفسير الصّوتيّ لنطق القاف كافاً - أنّها من مخرج القاف نفسه، أي: اللّهاة، وأنّ القاف كانت تُشبهه الجيم القاهريّة، ولكنّها أعمق منها في أقصى الفم، وأكثر استعلاءً، وهذا الوصف نفسه يصدق على القاف العربيّة الفُصحى - كما وصفها سيويّه وابن جني^(٣١).

الكاف والجيم

الكاف «صوتٌ شديدٌ مهموسٌ، يتكوّن بأنْ يندفع الهواء من الرّتين ماراً بالحنجرة، فلا يحركّ الوترين الصّوتين، ثمّ يتخذ مجراه في الحلق أولاً، فإذا وصل إلى أقصى الفم قرب اللّهاة انحبس الهواء انحباساً كاملاً؛ لا تتّصلّ أقصى اللّسان بأقصى الحنك الأعلى، فلا يُسمَح بمرور الهواء، فإذا انفصل العضوان انفصلاً مفاجئاً انبعث الهواء إلى خارج الفم محدثاً صوتاً انفجارياً هو ما تُسمّيه بالكاف»^(٣٢).

أمّا الجيم، فهي «صوتٌ مجهورٌ، يتكوّن بأنْ يندفع الهواء إلى الحنجرة فيحرّكّ الوترين الصّوتين، ثمّ يتخذ مجراه في الحلق والفم حتّى يصل إلى المخرج، وهو عند التقاء وسط اللّسان بوسط الحنك الأعلى التقاءً يكاد ينحبس معه مجرى الهواء، فإذا انفصل العضوان انفصلاً بطيئاً سُمِعَ صوتٌ يكاد يكون انفجارياً، هو الجيم العربيّة الفصيحة»^(٣٣).

ومن الخصائص اللّهجيّة في هذه المنطقة قلب الكاف (چ)، وهي ظاهرة مُميّزة فيها،

ومن أمثلة ذلك، قولهم:

كان	چان
سكين	سچين
كريم	چريم
كلب	چلب
كذب	چذب
كعب	چعب
كلام	چلام
مكان	مچان
مسكين	مسچين
بكر	بچر

وحرف (چ) من الحروف الفارسيّة، وقد أخذ البصريّون -أو أغلب العراقيّين- هذا الحرف من هذه اللّغة؛ نتيجة للجوار الجغرافيّ بين العراق وإيران.

ويُعزى سبب هذا الإبدال الحاصل بين الكاف والجيم إلى كون «الكاف في اللّغة العربيّة من أصوات أقصى الحنك واللّهاة، وهو صوتٌ -شديدٌ مهموسٌ- ويُنطق في لهجة أبي الخصب محافظاً على هذه الصّفة إلّا في حالاتٍ محدّدة - وهي مجاورة الكاف لحركة أُماميّة مكسّرة أو ياء، أو فتحة أو ألف، في غير حالة التّفخيم. وهذه الحركات الأُماميّة تجذب مخرج الكاف إلى الأمام، فتخرج من وسط الحنك بدلاً من الخروج من أقصاه، ووسط الحنك هو مخرج الجيم والشّين والياء، فتُنطق الكاف في هذه الحالة صوتاً

بين الأصوات الثلاثة.

ومن اللهجات التي وافقت لهجة أبي الخصيب في هذه الخاصية لهجة أهل الكويت، نحو قولهم «في خطاب المؤنث: لوناك، أبوك، أخوانج، يسلمج، أيامج، عليج، فيج»^(٣٤). ومن اللهجات الأخر التي تأثرت بهذا الإبدال لهجة الإمارات العربية المتحدة؛ إذ يقولون في «بيتك: بيتج- كيف حالك؟: كيف حالج؟»^(٣٥)، وهذا الإبدال هو من مظاهر تأثير اللغة الفارسية في هذه اللهجات.

الخصائص الصرفية للهجة أبي الخصيب

أولاً: التصغير

التصغير لغة: التقليل. وفي الاصطلاح الصرفي: تغيير في بناء الكلمة بتحويل الاسم إلى صيغ التصغير المعروفة^(٣٦).

ويأتي التصغير على ثلاث صيغ رئيسة، هي «فُعَيْل، فُعَيْل، فُعَيْل». وقد امتازت هذه اللهجة بتصغير بعض أسماء أبنائها وبعض المناطق والقرى الموجودة عندهم، وغيرها من الألفاظ التي اعتادوا على تصغيرها، وأصبح هذا التصغير سمة أو خاصية بارزة في هذه اللهجة.

أمّا التصغير في الأسماء، فقد جاءت على صيغة (فُعَيْل) بضم الفاء وفتح العين وسكون الياء، نحو:

نُويره	في نور
سجيوه	في سجي
سمير	في سمير

حميد	في أحمد ومحمد
مجيد	في مجيد
حنين	في حنان وحنين

أما التّصغير في الأطعمة والأشربة، فقد جاء على صيغة (فَعِيل) أيضاً، نحو قولهم:

خُبِيزَة	في خبزة
تُمِيرَة	في تمرة
لَحِيمَة	في لحمة
أُمَيَّة	في ماء
سَمِيجَة	في سمكة

ومن أمثلة التّصغير في المناطق والقرى، الذي جاء على صيغة (فَعِيل) أيضاً، نحو قولهم:

كرية السّادة	في قرية السّادة
محيّلة الخطب	في محلة الخطب
كنطرة نويدر	في قنطرة نادر
عويسيان	في عيسى بإضافة الألف والتّون الأخيرتين

ومن الأمثلة الأخر في تصغيرهم بعض الألفاظ، نحو:

دربونة	في درب أو طريق. وهي على وزن (فعلونة)، وهي صيغة غير قياسية أو رئيسة.
حَوَاطَة	في حوطة. وهي الفُسحة الموجودة داخل البيت، أو ما يُسمّى بالحوش. وهي على وزن (فُعالة)، وهي ليست من صيغ التّصغير الرئيسة، أو القياسية.
زُويّة	في زاوية. وهي على وزن (فُعليّة)، وهي -أيضاً- ليست من الصّيغ القياسية في التّصغير

ثانياً: الزّيادة والحذف

من الخصائص اللّغويّة الصّرفيّة التي تميّز بها لهجة (أبي الخصيب)، الزّيادة في الحروف التي تتبع بعض الألفاظ التي يستعملونها، ومن أمثلة هذه الزّيادة، قولهم في:

أَكَلْتُ	إِكَلِيتْ
شَرَبْتُ	شَرِبِيتْ
نِمْتُ	نِمِيتْ
عَطَشْتُ	عَطَشِيتْ
أَخَذْتُ	أَخَذِيتْ
نَسِيتُ	نَسِيتْ
قُلْتُ	گَلِيتْ

ومن خلال عرض الأمثلة، نلاحظ أنّ الزّيادة الحاصلة في هذه الألفاظ هي حرف المدّ (الياء)، وهو حرف لين، ومن عادة أهل هذه اللّهجة مدُّ بعض الكلمات ومطّؤها؛ وذلك

لبساطة معيشتهم وعدم تكلفهم في الكلام؛ إذ ينطقون هذه الألفاظ على سجيّتهم. ويرى بعض الباحثين أنّ هذه الزيادة هي زيادة صوتيّة لا صرفيّة، والمُلاحظ من خلال الأمثلة أنّ هذه الزيادة قد تدخل في الخصائص الصرفيّة والصّوتيّة؛ إذ إنّ زيادة الحروف في اللفظة هي من باب تغيير البنية الصرفيّة، وفي الوقت نفسه يكون هنالك تغيير في نطق هذه اللفظة من الناحية الصّوتيّة.

أمّا الحذف في هذه اللهجة، فهو -أيضاً- ميزة من المميّزات التي اختصّت به، فقد وردت بعض الألفاظ التي حُذِفَ منها حرف أو حرفان أو أكثر من ثلاثة أحرف، ومن أمثلة ذلك الحذف، قولهم في:

مَسَّاك الله بالخير	ساك الله بالخير
---------------------	-----------------

فنجذ أنّ الحذف وقع على حرف الميم، وفكّ التضعيف في السين، فهناك حرفان قد حُذِفَا من اللفظة.

جزاك الله خيراً	زاك الله خير
-----------------	--------------

والحذف هنا وقع على أوّل حرفٍ من أوّل كلمة، وهو (الجيم) في لفظة (جزاك)، ويقولون كذلك: (يزاك الله خير)، فيقلّبون الجيم ياءً.

كلّ ساعة	كسّاعة
كلّ سنة	كسّنة
على الشّمة	عَشْمَة
على الشّارع	عَشَّارِع
على القدر	عَجْدَر

فقد وقع الحذف في اللفظتين الأولىّتين على (اللام) وتضعيف السين، أمّا في الألفاظ

الثلاثة الأخيرة، فقد وقع الحذف على الألف في حرف الجر (على)، و (الألف واللام) في الكلمة التي تليها (الشَّمعة، الشَّارع، القدر)، وتضعيف حرفا (الشَّين، والقاف).

أبو الخصب	بلخصيب
-----------	--------

فوقع الحذف في (الهمزة والواو) من (أبو) و (ألف) لفظة (الخصيب). وقد يُعزى الحذف في هذه الألفاظ إلى التخفيف، وسهولة النطق بها، فنراهم يحذفون أكثر من حرف في بعض الألفاظ، والسَّامع لهذه الكلمات لأوّل وهلة يستغربها ولا يفهم معناها، إلّا بعد الشَّرح والإيضاح.

غرابة بعض الألفاظ وغموضها

تتميّز هذه اللهجة ببعض الألفاظ الغريبة والغامضة على الكثير ممّن يسمّعها، ويبدو أنّ أكثر هذه المفردات وأغلبها هي ألفاظ أعجميّة غير عربيّة، قد تأثّر بها أهالي هذه المنطقة، ومن أمثلة هذه الألفاظ على سبيل المثال لا الحصر - إذ إنّني لم أتمكّن من إحصاء جميع هذه المفردات الغريبة لتعذّر ذلك عليّ - ما يأتي:

ت	الكلمة	معناها
١-	شاخه	وهي لفظة تُطلق على النّهر الأصغر من الشّطّ
٢-	شيب	وهي لفظة تُطلق على النّهر الأصغر من الشّاخة
٣-	دِش ودش	هي لفظة بمعنى أدخُل، أو دَخَلَ بفتح الدّال
٤-	إتزهب	بمعنى تحضّر
٥-	مزويّه	وهي كلمة بمعنى العباءة التي يلبسها الرّجل

٦-	مشاتيش	وهي لفظة بمعنى (لأَيِّ شيء)
٧-	نفنوف	وهو الثوب الذي تلبسه المرأة
٨-	يتحنحن	أي إصدار صوتاً عند دخوله لمكانٍ ما
٩-	چينكوه	وهو القارب المصنوع من (البليت)
١٠-	چلابتين	وهي آلة (البلايس) التي تُستعمل في الحدادة والنجارة
١١-	زردوم	بمعنى: الخلقوم
١٢-	درام	وهي لفظة بمعنى: البرميل
١٣-	طرنبة	بمعنى: حنفية الماء
١٤-	الوارش	السياج الذي يُحيط سطح البيت
١٥-	خارور	مجرى الماء الصغير
١٦-	دحرويه	أي: دحروجة، أبدلت الجيم ياءً، وهي: البيضة
١٧-	درب	بمعنى الطريق
١٨-	روشنه	وهي الفُسحة الموجودة في حائط الغرفة، تُوضع الأشياء عليها
١٩-	حوطه	فُسحة في وسط القرية تُحيطُ بها البيوت
٢٠-	خُمَره	هو الطين المُستعمل فوق سطح البيت
٢١-	شِلّه	وهو التراب، أو الطين الذي يُقَطَّع عند الحراثة أو الكري بالمسحاة
٢٢-	مگونش	وهو الشخص المريض

وهناك بعض الألفاظ الخاصّة بمهنة الفلاحة والزّراعة وبعض الأشياء التي تُصنّع من جريد النّخل وسعفه، ومنها:

بَلَّه	وهي الحَصِيرَةُ الْمَصْنُوعَةُ من ورق السَّعْفَةِ في النّخِيل
طَبْكَ	وهو الشَّيْء الذي يُوضَع فيه الخَبِزُ خاصّةً، وهو مصنوع من جريد السَّعْفِ وورقه
يَلَّه	وفي الأصل (جِلَّه) وهي الشَّيْء الذي يُوضَع فيه التمر أو الحشيش، وهو مصنوع من أوراق النّخيل
چمري	وهو ثمر النّخيل إذا كان أخضر غير ناضج
شرموخ	جمعه شرامِيخ. عِثْق التّمر الموجود في النّخلة، متكوّن من عدّة شرامِيخ، واحده شرموخ حسب لهجتهم
حبابوك	وهو ثمر النّخيل في بداية تكوينه

وأخيراً، فإنّ هذه الخصائص التي امتازت بها هذه اللهجة قد نجدُ بعضها موجوداً في لهجات الأقضية والنّواحي المجاورة لأبي الخصيب، كقضاء الفاو وشطّ العرب ومنطقة السّيبية، وبعض المناطق والمدن الأخر، كالقُرنة والهارثة وكرمة علي، والمناطق الرّيفيّة.

نتائج البحث

إنَّ لهجة (أبي الخصيب) -وهي منطقة تقع جنوب محافظة البصرة- عدَّة خصائص تميَّزها عن باقي اللهجات، منها:

١. اختصَّت هذه اللهجة بخاصيَّة الإبدال أو القلب، وهذه خصيصة تميَّزت بها هذه اللهجة، وكانت واضحةً في الكثير من ألفاظها.

٢. اختصَّصها بزيادة بعض الحروف في الألفاظ المُستعملة لديهم، ويُقابل هذه الزيادة حذفٌ في ألفاظٍ أُخر -كما هو واضحٌ في متن البحث-.

٣. وقد امتازت -أيضاً- بخاصيَّة التصغير، فتراهم يستعملون التصغير في بعض أسماء الأعلام والمدن، وبعض الأطعمة، وغيرها.

٤. يُلاحظ أنَّ هناك الكثير من الألفاظ الغريبة والغامضة جدًّا، بحيث لا يفهمها السَّامع لأوَّل مرَّة، وهذه خاصيَّة قد امتازت بها لهجة جنوب البصرة.

٥. تشابه بعض اللهجات المحليَّة، مثل: لهجة الموصل، والعربيَّة، مثل: لهجة أهل الكويت والإمارات وغيرها، مع لهجة أبي الخصيب، وهذا التشابه في اللهجة قد يُعزى إلى اختلاط أبناء هذه البلدة (أبي الخصيب) مع هؤلاء، وتأثيرهم وتأثرهم ببعض هذه الألفاظ.

٦. وجود بعض هذه الألفاظ التي اختصَّت بها هذه اللهجة عند العرب القدماء، مثل: بني تميم، القبيلة العربيَّة المعروفة بعروبتها، وهذا التشابه بين الحديث والقديم دليلٌ على عربيَّة هذه الألفاظ.

وأخيراً، فإنَّ الخصائص التي عرضتها وبيَّنتُ حدودها توضَّح أنَّ اللهجة في أبي الخصيب في نظامها المفرد ومسلكها المنسجم لهجة عربيَّة السَّمت تميميَّة القسَّات.

الهوامشُ

- ١- في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس: ص ١٦.
- ٢- في اللهجات العربية: ص ١٦.
- ٣- المصدر نفسه: ص ١٧.
- ٤- لسان العرب، ابن منظور، مادة (بدل).
- ٥- الصّاحبيّ، لأبي الحسن، أحمد بن فارس بن زكريّا: ص ٣٣٣.
- ٦- الأصوات اللّغويّة، إبراهيم أنيس: ص ٦٩.
- ٧- البسيط في علوم التجويد، وليد محمّد عبدالعزيز الحمد: ص ٦٦، ٧١.
- ٨- يُنظر: الإبدال في الصّوامت في لهجة جنوب البصرة، د. علي غالب: ص ٣٦.
- ٩- كتاب سيبويه: ٢ / ٤٠٥؛ والأصوات اللّغويّة: ص ٦٩.
- ١٠- يُنظر: لهجة تميم وأثرها في العربيّة الموحّدة، غالب فاضل المطليبي: ص ٩٨-٩٩.
- ١١- يُنظر: الإبدال، أبو الطيّب اللّغويّ: ١ / ٢٦١، والمُخصّص، ابن سيده الأندلسيّ: ١٤ / ٣٤.
- ١٢- البيت في الإبدال: ١ / ٢٦١، والمزهر: ١ / ١٤٦.
- ١٣- يُنظر: خصائص اللهجة الكويتيّة، عبدالعزيز مطر: ص ٣٧٢.
- ١٤- يُنظر: الخصائص الصّوتيّة في لهجة الإمارات العربيّة، أحمد عبدالرحمن حمّاد: ص ١٧.
- ١٥- الأصوات اللّغويّة: ص ٧٦.
- ١٦- المصدر نفسه: ص ٧٣.
- ١٧- المصدر نفسه: ص ٧٥.
- ١٨- يُنظر: الإبدال في الصّوامت في لهجة جنوب البصرة: ص ٣٧٦.
- ١٩- خصائص اللهجة الكويتيّة: ص ٢٧٩.
- ٢٠- اللهجة الموصلية، محمود الجرمود: ص ٦١.
- ٢١- الخصائص الصّوتيّة في لهجة الإمارات العربيّة: ص ٣٣.
- ٢٢- يُنظر: ظواهر صوتيّة ونحويّة في عربيّة بعض قبائل الفولانيّ في السّودان: ص ١٩.
- ٢٣- خصائص اللهجة الكويتيّة: ص ٧٦.
- ٢٤- يُنظر: ظواهر صوتيّة ونحويّة في عربيّة بعض قبائل الفولانيّ في السّودان: ص ١٩.

- ٢٥- الخصائص الصوتية في لهجة الإمارات العربية: ص ٣٤.
- ٢٦- يُنظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان: ص ١٠١-١٠٣، والأصوات اللغوية: ص ٧٦.
- ٢٧- كتاب سيويه: ٢/ ٤٠٥.
- ٢٨- خصائص اللهجة الكويتية: ص ٢٩٢.
- ٢٩- المصدر نفسه: ص ٢٨٩.
- ٣٠- الخصائص الصوتية في لهجة الإمارات العربية: ص ٣٤.
- ٣١- الأصوات اللغوية: ص ٧٣.
- ٣٢- يُنظر: المصدر نفسه: ص ٧٦.
- ٣٣- المصدر نفسه: ص ٧٣.
- ٣٤- يُنظر: كتاب سيويه: ٢/ ٤٠٥، سرّ صناعة الإعراب، ابن جني: ١/ ٢٧٨، والأصوات اللغوية: ص ٧٤.
- ٣٥- الأصوات اللغوية: ص ٧٣.
- ٣٦- المصدر نفسه: ص ٦٩.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ١- الإبدال، لأبي يوسف، يعقوب بن السُّكَّيت، تقديم وتحقيق: د. حسين محمد شرف، مراجعة: علي النجدي ناصف، القاهرة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- ٢- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الإنجلو المصرية، (د.ت).
- ٣- البسيط في علوم التجويد، د. وليد محمد عبدالعزيز الحمد، ط٣، الكويت، ٢٠٠٣م.
- ٤- الخصائص الصوتية في لهجة الإمارات العربية، دراسة لغوية ميدانية، د. أحمد عبدالرحمن حماد، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٦م.
- ٥- الصّاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، لابن فارس، مطبعة المؤيد، القاهرة، ١٩١٠م.
- ٦- ظواهر صوتية ونحوية في عربية بعض قبائل الفولاني في السودان، عبدالعزيز حمزة عبدالسلام، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، (د.ت).
- ٧- عمدة الصرف، كمال بشر، مطبعة النجّاح، بغداد، (د.ت).
- ٨- في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الإنجلو المصرية، ط٤، ١٩٧٣م.
- ٩- كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، المعروف بسيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبدالسلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.
- ١٠- لسان العرب، الإمام العلامة أبي الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، الأفرقي المصري، ط٤، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥م.
- ١١- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، غالب فاضل المطلبي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨م.
- ١٢- اللهجة الموصلية دراسة وصفية ومعجم ما فيها من الكلمات الفصيحة، محمود الجرمود، منشورات مركز البحوث الأثرية والحضارية، جامعة الموصل، ١٩٨٧م.
- ١٣- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، عيسى البابي الحلبي بمصر، (د.ت).

البحوث:

- ١- الإبدال في الصّوامت في لهجة جنوب البصرة، د. علي ناصر غالب، بحث منشور في مجلّة كليّة الآداب، جامعة البصرة، العدد (٢)، ١٩٩١م.
- ٢- خصائص اللهجة الكويتيّة، الدّكتور عبدالعزيز السيّد رشوان مطر، بحث منشور ضمن كتاب بعنوان (الموسم الثّقافيّ بجامعة الكويت)، المطبعة العصريّة، الكويت، العام الدّراسيّ ١٩٦٨-١٩٦٩م.

ملاحُ من لهجات الخليج العربي (لهجة الزُّبير)*

الدّكتورة خولة تقيّ الدين الهلاليّ

موقعُ مدينةِ الزُّبير وسكانها

يقع قضاء الزُّبير على بعد ستّة عشر كيلو متراً من مركز مدينة البصرة من الجهة الجنوبيّة الغربيّة، وهو متّصل عبر ناحية سفوان، التي هي جزءٌ من الزُّبير -إدارياً- ويُقسّم سكّان المدينة إلى فئتين، الأولى: تنحدر من أصولٍ نجديةٍ قريبة العهد بالبلد الأمّ، وهم الذين ننوي دراسة لهجتهم، على أنّ هذه اللهجة، وإن احتفظت بالشيء الكثير من سمات اللهجة النجدية، إلا أنّها اكتسبت من لهجة جنوب العراق سماتٍ صوتيّة واضحةً، وكان نتيجة هذا الامتزاج بين اللهجتين، لهجة متميّزة عن لهجات العراق طرّاً، وتبتعد في بعض مظاهرها عن لهجة نجد، وعليه، فهي لهجة خليجية لها أغلب سمات لهجات الخليج العربيّ، كالكويت والبحرين والإمارات.

أمّا الفئة الثّانية من سكّان الزُّبير، فهم العراقيّون أصلاً، النّازحون من المدن المجاورة، كالتّاصرية والعمارة، ويُمكن للسامع أن يميّز لهجتهم لدى السّمع للوهلة الأولى، والاختلاف بين لهجتي الفئتين كبيرٌ واضحٌ.

لم يتطرّق أحدٌ إلى دراسة هذه اللهجة على ما أعلم؛ لكونها تبتعد في كثير من خصائصها عن اللهجات العراقيّة، في حين تعرّض كثيرٌ من الباحثين إلى دراسة لهجاتٍ

عراقية مختلفة لا يسعُ المقام ذكرها.

تنحدر هذه اللهجة - كما ذكرنا - عن لهجات نجدية لها طابع اللهجات البدوية في البلاد العربية حالياً؛ إذ الشبه كبيرٌ بين لهجات سكّان البادية في كلّ من الأنبار والجزيرة (جنوب الموصل)، وهذه اللهجة، لا سيّما في الخصائص الصوتية، التي هي العمود الفقري للهجة واللغة، وبها ينماز فرد من منطقة ما من غيره من منطقة أخرى؛ لهذا عُنيَتْ بالظواهر الصوتية لهذه اللهجة مع بعض الملاحظات في الصيغ، وقد جعلتُ مصدري الأمثال الشعبية؛ لما لاحظته من قواعد، إلا أنّ المؤسف أنّ الخطّ لا يمكن أن ينقل الصورة الصوتية الدقيقة، وهذه مسألة معروفة، ولا حيلة لنا فيها. ورجعتُ في معالجة الظواهر إلى مراجع تثبت أصالة هذه اللهجة وعروبة جذورها.

المظاهر الصوتية

تشتمل هذه الدراسة على الحروف التي تتكوّن منها اللهجة والحركات، أمّا الحروف، فهي: (ء) ب، ت، ث، (ج) (چ) ح، خ، د، ذ، ر، ز، س ش ص ط (ظ) ع (ف) ف ك، (گ)، م، ن، هـ، و، أ، ي.

الحروف المذكورة آنفاً هي الأصوات التي تتكوّن منها هذه اللهجة، ويلاحظ تقوّس بعضها بأقواس، في حين تُركّ أكثرها من دون أقواس، فأما المقوّسة، فهي التي تختصّ بها اللهجة من دون سائر اللهجات، وسنفصل القول فيها، أمّا غير المقوّسة، فهي في هذه اللهجة كما هي في العربية الفصحى، وسنجعل المقياس الصوتي الفصيح قراءة القرآن الكريم حالياً من قراء مصر ومنطقة الخليج العربي، وعلى هذا، فإنّ الباء والتاء والثاء في اللهجة هي أنفسها التي نسمعها في قراءة القرآن الكريم، وكذا الأمر في بقية الأصوات غير المقوّسة.

صَوْتُ الهمزة

الهمزة حرفٌ من حروفِ الحلق، تناوله الباحثون قديماً وحديثاً، ولا يعنينا هنا إلاّ ما يخصّ هذا الصّوت في هذه اللّـهجة، ومدى اتّفاق وضعه فيها ووضعه في العربيّة الفصيحة.

يُلاحظ أنّ صوت الهمزة غير مُستحب في اللّـهجة المدروسة، ومذهب التخلّص منه واضحٌ يتّخذ مسالك متعدّدة، هي:

١ - الإبدال:

تُبدل الهمزة من أحد حروف اللّين في المواضع الآتية:

أ- الهمزة المتوسّطة الساكنة المتحرّك ما قبلها، تُقلّب حرفاً من جنس حركة الحرف الذي قبلها باطّراد، وهو إبدال^(١) في العربيّة، بل هو شائعٌ في معظم اللّـهجات الدّارجة حديثاً، ومن أمثلة ذلك:

(ذيب في ذئب، وراس في رأس، وشوم في شؤم، وياتيك في يأتيك، ويستاهل في يستاهل، ويستأنس في يستأنس).

ب- الهمزة المتطرّفة المسبوقة بحرف لين ساكن غير الألف، تُبدل من حرف مماثل لحرف اللّين، ثمّ يدغم الحرفان، ومثال ذلك:

(سوّ في سوء، وشيّ في شيء، وتوّ في نوء، وضوّ في ضوء).

وهذا وجهٌ جائزٌ في العربيّة، إلّا أنّه مشروط بأن يكون حرف اللّين الذي يسبق الهمزة زائداً في خطيّة ودنيّة، إذ يُقال فيها خطيّة ودنيّة، على أنّ بعض القراءات جاءت مطابقة لما في هذه اللّـهجة من دون شرط الزّيادة، مثال ذلك: سَوَاتِهَا في (سَوَاتِهَا)^(٢)، والجيّة في (الجيّة)^(٣)، ومن أمثلة ذلك في غير قراءات القرآن الكريم كلمة (النّبيّ)، التي هي (النّبيّء).

ج- الهمزة المتطرّفة المسبوقة بحرفٍ صحيحٍ متحرّكٍ تبدل من حرفٍ من جنس حركة الحرف الذي قبلها، مثال ذلك: (كَرَا) في: (قَرَأَ)، و (تَدَقَّى) في: (تَدَفَأَ)، و (الْحَطَأَ)، أي: (الْحَطَأَ).

وقد جاءت في قراءة الزّهرّي^(٤) في قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾.

د- تُبدل الهمزة الثّانية ألفاً عند التقاء همزتين في أوّل الكلمة^(٥):

(أمر) في: (أأمر) في فعلي المضارع والطلب، و(أكل) في: (أأكل) في الفعل المضارع، أمّا في فعل الطلب، فتُحذف الهمزة الثّانية، فيصبح الفعل (إكل)، خلافاً للمشهور في العربيّة الفصيحة، وقد عدّ نادراً^(٦).

٢- الحذف:

يُتخلّص من الهمزة بحذفها في مواضع، هي:

أ- إذا جاءت بعد الألف، مثال ذلك: (سما) في: (ساء)، و(سمانا) في: (سما)، ومن أمثلتهم: «يا سمانا لا تطيح»^(٧)، و(حمرأ) في: (حمرأ)، وهو من باب قصر الممدود غير أنّه يطرد في هذه اللهجة في الأسماء والأفعال، والمعوّل عليه في ذلك وجود الألف قبل الهمزة، ومثال ذلك في الأفعال: (ما رُوح، ما خاف، ما جي، في: ما أروح، وما أخاف، وما أجي)، وشبيه بهذا ما جاء في قراءة^(٨) للزّمل بن جروم: (فَلَثَمَ عَلَيْهِ) في قوله تعالى^(٩): ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، وهو وجهٌ مخالف لما ذكره اللّغويّون من قواعد حذف الهمزة، وقد عدّه ابن جني^(١٠) من باب حذف الهمزة اعتباطاً وتعجرفاً، وربما أبدلوا الهمزة في هذا الموضع ياءً في كلماتٍ نادرة، منها: (سايه) في (ساءة)، كقولهم: «ربي لا تلحجني سايه»^(١١).

هـ- تُحذف الهمزة بعد أل التعريف، وتلقى حركتها على اللام التي قبلها، مثال ذلك:

(الهل) في: (الأهل)، و(النسان) في: (الإنسان)، و(المور) في: (الأمر)، و(الولاد) في:

(الأولاد) ..، ومن هذا الباب الهمزة المسبوقة بحرف ساكن في كلمة ما، أو في كلمتين، مثال ذلك: (المَرَه) في: (المرأة)، وهذا وجه^(١٢) قياسي في العربية؛ إذ يقولون: (الكمة)، في: (الكمأة)، و(المرء)، في: (المرأة)، ومثالها في كلمتين، قولهم: (بيت حمد)، في: (بيت أحمد)، و(بيت مِّي)، في: (بيت أمِّي).

ح- الهمزة المتحرّكة المتحرّك ما قبلها:

تُحذف هذه الهمزة، فيقولون: (روس) في: (رؤوس)، ويُلاحظ ندرة الأمثلة، حتّى أنّهم يفرّون من الكلمات المهموزة إلى ما يُرادفها، فيقولون: (يَنشد) بدلاً من: (سأل)، ومن أقوالهم: «ما نَشِد إلاّ عنكم»، أي: (ما نسأل إلاّ عنكم).

ومما يجدر ذكره في باب الهمزة، أنّها ترد للاستناد عليها عند البدء بالسّاكن بشكل ملحوظ لا يُخالف القواعد الصّوتيّة في العربيّة الفصيحة، غير أنّه يردّ في صيغٍ محرّفة عن الصّيغ المعروفة، يقولون: (أَبَيْتِاسِر) في: (بَيْتِاسِر)، و (إِنْتَعَاون) في: (نَتَعَاون)، فإسكان الحرف الأوّل من هذه الصّيغ يضطرّ المتحدث إلى الاستناد على همزة وصل تسقط في درج الكلام.

صوت الجيم

تخرج الجيم من وسط اللّسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، وهي من الأصوات المجهورة الشّديدة^(١٣)، ونطقها في هذه اللهجة يُشبه إلى حدّ كبير نطق قراء القرآن بها، إلّا أنّه يجيء بدلاً من صوت القاف في الغالب، ونادراً ما تجيء في موضعها من العربيّة في ألفاظٍ منقولة عن الفصيحة، كالجامعة والجريدة.

ولمجيء هذه الجيم بدلاً من القاف نظام صوتيّ شبه مُطرّد يتلخّص في ما يأتي:
أ- تكون القاف مكسورة، مثال ذلك: (جِدِر) في: (قِدِر)، و(جِرْبه) في: (قِرْبه)، و(جَمِين) في: (قَمِين).

ب- إذا أُتْبِعَتْ القاف بياء أو سُبِقَتْ بياء، مثال ذلك: (جَلِيل) في: (قَلِيل)، (جَرِيب) في: (قَرِيب)، و(يَجْفَي) في: (يُقْفِي)، أي: يجعل قفاه بوجه الحاضرين، ويُريدون به الإِدْبَار.

ومثلها (مَجْلِي)، أي: (مَقْلِي)، وكثيرٌ غير هذا، واكتناف صوت الياء أو أجزاء هذا الصَّوْت بصوت القاف يُبدله جيماً. وممَّا يُسْتَشْنَى من هذه القاعدة كلمة (حَقِّي)؛ إذ لا تُبدل القاف جيماً خشية التباسها بكلمة (حَجِّي)، التي يُراد بها الحاج من الرِّجال. أمَّا الجِمْ^(١٤) الفصيحة في هذه اللهجة، فتُبدل ياءً إلَّا في ألفاظٍ يسيرة تَسَرَّبَتْ من حديث المثقَّفين، كالجامعة والجمهورية والجنود... إلخ.

صَوْتُ الـج (CH):

هذا الصَّوْت لا نجدُه في قراءات القرآن الكريم، بل إن كثيراً من لهجات البلاد العربيَّة الحديثة تفتقده، ويبدو أنَّه من الأصوات المزدوجة، ويُنطَق به كما يُنطَق بـ (ch) في الإنجليزِيَّة من كلمة (church)، وقد نَسَبَهُ ابنُ سينا^(١٥) في رسالته الموسومة بـ (أسباب حدوث الحروف) إلى الفارسيَّة. هذا الصَّوْت موجود في بعض اللهجات العربيَّة القديمة، منها: قبيلة ربيعة، التي عُرِفَتْ (الكشكشة) في لهجتها، وهي قلب الكاف المكسورة (ch)، ويرى الدُّكتور أنيس^(١٦) أنَّ تفسير هذه الظاهرة يكمن في الرَّجوع إلى (قانون الأصوات الحنكيَّة)؛ إذ قد لُوْظ أنَّ أصوات أقصى الحنك (كالكاف) و(الجِمْ) الخالية من التعطيش، تميل بمخرجها إلى نظائرها من أصوات أماميَّة؛ إذ يليها صوت لين أُمَامِيٍّ (كالكسرة)؛ لأنَّ صوت اللِّين الأُمَامِيٍّ في مثل هذه الحالة يجتذب إلى الأمام قليلاً أصوات أقصى الحنك، فتقلب إلى نظائرها من أصوات وسط الحنك، أو أصول الثَّنَايا العليا، والأمثلة التي بين أيدينا من هذه اللهجة تؤيِّد ما ذهب إليه ذلك القانون، ويرد هذا الصَّوْت في ثلاثة مواضع من هذه اللهجة، هي:

الأوّل: يجيء بدلاً من كاف خطاب المؤنث مُطلقاً، مثال ذلك:

المثل: «البيت بيتج والعبي به»^(١٧)، ففي كلمة (بيتج) يُلاحَظ أنّ التاء قبل (ج) الذي هو (ch) مكسورة، وتطرّد هذه القاعدة في جميع الأمثلة، إلّا إذا سبق ذلك الصّوت بحركة طويلة (حرف مدّ)، مثال ذلك^(١٨): (أبوّج الصّايق وطوگج من ذهب)، ويُلاحَظ في الكلمة الأولى أنّ صوت (ch) مسبوق بالواو، وقد ترد بعض الأمثلة خارج نطاق هذه القاعدة.

الثاني: يرد صوت (ch) بدلاً من الكاف أوّل الكلمة ووسطها وآخرها بغالبية من دون اطراد، ومن الملاحظ أنّ الكسرة أو الياء إذا اكتفتا الكاف أُبدِلَ (ch)، أمّا إذا اكتنفه الضّمّ أو الأصوات المُفخّمة، فإنّه يحتفظ بوضعه من دون تغيير، مثال ذلك:

چير = كبير (چ مكسورة).

چوي = كَي (كوى دون إعلال) (چ متبوعة بكسرة وياء).

فچره = فِكرة (چ مسبقة بكسرة).

اچباب = كباب (الباء مرقّقة).

يُلاحظ في الأمثلة السابقة أنّ الكسرة والتّريق يُصاحبان الـ(ج)، وأمّا الضّمّ والتّفخيم، فتُلاحظ في:

أكبر = أكبر (يُلاحظ تفخيم الباء).

كُبره = كُبر (يُلاحظ ضمّ الكاف).

كبّه = كُبه (يُلاحظ تفخيم الباء)

رُكب = رُكب (يُلاحظ أنّ الكاف مسبقة بالضّم).

ومّا يُثبت ما جاء به القانون المذكور أنّ الكلمة في مادّة ما تُبدَل كافها (چ ch) في صيغة، وتحتفظ بوضعها من دون إبدال في صيغة أخرى، مثال ذلك قولهم: «رِجب

الرَّذِيفُ وراعي الكُور حَوَّلَ^(١٩)، يُلاحظ كلمة (رَجِب) المكسورة الرَّاءِ، وهي بـ(ج) مراعاة لهذه الكسرة، في حين يقولون: (مركب) بالكاف في مَثَلٍ لهم، وهو: «أما هالمركب وإلا ما أركب»^(٢٠)، ويُلاحظ تفخيم الباء في مثل هذا المثل، وترقيقها في المثل السابق، وهناك أمثلة كثيرة لا يسعنا ذكرها.

الثالث: يرد هذا الصَّوت في كلماتٍ غير عريَّةٍ مستعارة من لغاتٍ شرقيةٍ محيطيةٍ بالمنطقة، مثال ذلك:

الچَرچَف = الشَّرشف، أو غطاء الفراش.

الچُولَة = طبَّاخ صغير.

الچرباية = السَّرير.

القنچة = صحن بيضوي الشكل واسع.

ولا يُلاحظ في هذه الأمثلة ما لاحظناه في الأمثلة السابقة من اكتناف الكسر والترقيق.

صوتُ الظَّاءِ

وهو الصَّوت الذي نسمعه من قراء القرآن الكريم، ولا فرق بينه في لهجة الزَّبير وبين الضَّاد؛ إذ ليس في هذه اللهجة ضاد، ومن أمثلتهم: «أفسد من البيظ بالكيظ»^(٢١)، ويرى د. أنيس^(٢٢) أنَّ العراقيين وبعض البدو ينطقون بنوعٍ من (الضَّاد) يُشبه إلى حدٍّ ما (الظاء).

صوتُ القافِ

يُلفظ هذا الصَّوت كما يلفظه القراء بقلقلة واضحة، إلاَّ أنَّه يرد بدلاً من الغين، فيقولون: (قرفة)، أي: (غرفة)، و(قازي)، أي: (غازي)، و(قرايل الزَّمان)، أي: (غرايل الدَّهر)، ويُريدون بذلك مصائب الدَّهر من الغربال، وهو استعمال مجازيٍّ للفظه، كما يقولون: (قَصَب عَلَيَّ)، بمعنى: (غصب). ومن النَّادر مجيء القاف الفصيحة

في موضعها في لهجتنا، فقد ترد في ألفاظ للمثقفين، مثال ذلك: (القانون)، وبعضهم يبدل هذه، ومن أمثالهم: «قَبَّاك على من ربَّاك»^(٢٣).

قَبَّاك: هي غَبَّاك، وهي الفعل (غَبَّى)، بمعنى (أخفى) مع كاف الخطاب.

وقول بعضهم: «قدا اعتج من يفليج بالحية الخطأ»^(٢٤).

قدا: هي (عدا) بمعنى: (بعد)، وتأتي بمعنى: (ضاع).

صوتُ الكاف

تطَرَّق كثير من الباحثين القدامى والمحدثين إلى وصف هذا الصَّوت، وهو وصف خاصُّ بالقاف لدى جماعة من العرب، فقد ذكر ابن خلدون^(٢٥): أنَّ البدو في عصره يجعلونه صوتاً بين القاف والكاف، وهو يشبه الجيم القاهرية، أو القاف اليمانية الحديثة، وهذه الكاف هي صورة قديمة للقاف^(٢٦)، وفي لهجتنا يُستعمل هذا الصَّوت بدلاً من القاف الفصيحة المعروفة حديثاً، ومن ذلك قولهم: «گول وفعل»، أي: قولٌ وفعلٌ.

ولإبدال القاف الفصيحة (گ) نظام صوتي يكاد يكون مُطَرِّداً، ويتَّضح هذا النظام

في المواضع الآتية:

١- إذا سُبقت القاف أو أُتْبِعَتْ بأحد الأصوات (ص، ظ، ط، ح، م، و)، تُقَلَّب

(گ) مع صرف النَّظر عن الصَّوائت المصاحبة لها، مثال ذلك:

الكلمة باللهجة	الكلمة الفصيحة
گِصر	قصر
گِصير	قصير
گِطَّا	قطا
گِطيعه	قطيعة

قَضَى	كَظَى
قَاضِي (بمعنى منته)	كَاضِي
قَحَطَ	كَحَطَ
قَيْحَ	كَيْحَ
حَاقِر (محقر)	كَحَاغِرَ
قُمَ	كُمَ
قَوَّةَ	كَوَّهَ
قُوَّامَ	كَوَّامَ

٢- إِذَا سُبِقَتْ الْقَافُ أَوْ أُتْبِعَتْ بِالْفَتْحِ، أَوْ الضَّمِّ، أَوْ أَحَدِ الْحُرُوفِ الْمَفْخَمَةِ فِي هَذِهِ
اللَّهْجَةِ، تُبَدَّلُ (كَ)، مِثَالُ ذَلِكَ:

عَقَلَ (الْلَامُ مَغْلَظَةٌ وَالْكَ مَسْبُوقَةٌ بِفَتْحَةٍ)	عُكَلَ
ثَقُلَ (الْلَامُ مَغْلَظَةٌ وَالْكَ مَسْبُوقَةٌ بِضَمَّةٍ)	تُكُلَ
رَزَّاقَ (الْكَ مَسْبُوقَةٌ بِفَتْحَةٍ طَوِيلَةٍ)	رُزَّاكَ
قَبَلَ (الْلَامُ مَغْلَظَةٌ وَكَذَا الْبَاءُ)	كُبَلَ
قَفَّكَ (الْكَ مَضْمُومَةٌ وَمَتْبُوعَةٌ بِفَاءٍ مُفْخَمَةٍ)	كُفَّاكَ
قَلِيلَ (الْلَامَانِ مَغْلَظَتَانِ)	كُلِيلَ
أَقْرَبَاؤَكُمْ (الْكَ مَسْبُوقَةٌ بِفَتْحَةٍ مَتْلُوءَةٌ بِضَمَّةٍ)	أَكْرَبَاكُمْ
قَفَّةَ (الْكَ مَتْبُوعَةٌ مُفْخَمَةٌ، كَمَا أَنَّهَا مَضْمُومَةٌ)	كُفَّهُ

٣- وَتُبَدَّلُ الْقَافُ فِي لَهْجَتِنَا جِيماً فَصِيحَةً فِي الْمَوْضِعِينَ التَّالِيَيْنِ إِذَا كُسِرَتْ الْقَافُ،
أَوْ سُبِقَتْ أَوْ أُتْبِعَتْ بِكُسْرَةٍ قَصِيرَةٍ أَوْ طَوِيلَةٍ، مِثَالُ ذَلِكَ:

عاجِل	عاجِل
ثَجِيل	ثَجِيل
رَزَق	رَزَق
يُقبِل	يُقبِل
يُقفِي (يُعلِّك قفاه)	يُقفِي
جَلِيل	جَلِيل
قَرِيب	جَرِيب

ويُلاحظ أنَّنا اخترنا الأمثلة في هذه الفقرة من موادَّ لغويَّة ذُكِرت في الفقرة السَّابقة لنُبيِّن الأثر الصَّوتيَّ الذي جعل القاف تكون مرَّة (ك) ومرَّة (ج)، فكلمة (عگل) هي من مادَّة (عاجل)، وكذا ما بعدها من الألفاظ، وهذا يوضِّح أثر الكسرة والضَّمة والتَّفخيم والتَّغليظ في هذا الإبدال، وتفسيره أنَّ أصوات اللين الأماميَّة تجذب مخرج القاف إلى مخرج الجيم التي تناظر القاف في الجهر والشَّدة، في حين تؤثر أصوات الضَّم والفتح في القاف فتجعلها كَافاً.

ب- تُبدل القاف جيماً إذا جاورت السِّين أو التَّاء، من ذلك:

الكلمة بالعاميَّة	الكلمة بالفصيحة
جاسم	قاسم
جاسي	قاس
جِساوة	قسوة
جِسَم	جسم
الجَت	القت
ساجية، سواجي	ساقية وسواق

وقد تُبدل القاف كافاً فصيحة في بضع كلمات، هي: (الكتل / القتل)، و(الكفخ / القفخ)، و(أوكات / أوقات)، وفي هذه الكلمات في لهجات وسط العراق وجنوبه تُبدل القاف كافاً فصيحة، كما ذكر الرُّصافي^(٢٧).

ولا تخلو الألفاظ المذكورة في الفرع (ب) المذكور آنفاً من الكسرة إلا نادراً، فصوت الكسرة إذن مؤثر واضح، وهو يُثبت صحة قانون الأصوات الحنكيّة المذكور قبل صفحات قلائل.

صوت الياء

وترد الياء صوتاً صامتاً بدلاً من الجيم باطّراد مطلق، فالجيم في هذه اللهجة ترد بدلاً من القاف في مواضع - كما ذكرنا -، وإبدال الجيم ياءً ظاهرة قديمة، قال ابن جني: «حكى أبو الفضل الرّياشيّ، قال كنّا عند أبي زيد، وعندنا أعرابيٌّ، فقلتُ له: إنّه يقول الشّيرة، فسأله فقالها»^(٢٨)، وأنشد الأصمعيّ لبعض الرُّجّاز، قوله: (تحسبه بين الآكام شيرة)، ومن القراءات القرآنيّة، قراءة يحيى بن وثّاب، لقوله تعالى: «وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّيْءَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ»^(٢٩).

الصّوائتُ

سمّى القدامى الصّوائت بالحركات إذا كانت قصيرة، وسمّوها حروف اللّين أو المدّ إذا كانت طويلة. ذكر الفخر الرّازي^(٣٠): أن مجموع الحركات في العربيّة تسع عشرة حركة، غير أن الباقي منها في الفصيحة ستّة أصوات، هي: الفتحة، والألف، والضّمة، والواو، والكسرة، والياء، وفي القراءات تُلاحظ حركة سابعة هي حركة إمالة نحو الكسرة. وفي هذه اللهجة عشرة أصوات، هي:

١ - الضّمة الجزئيّة، وقد أطلق عليها الرُّصافي^(٣١): عُشر الضّمة، أو الحركة الضّئيلة، وتظهر في أوائل بعض صيغ الفعل الماضي، كالأفعال:

(دُمر، طَفَح، صَبَر)، ويبدو لي أنّ حروف الشّفة التي تلي الصّوت الأوّل في الكلمات المذكورة وفي غيرها تؤثر في المصوّت الذي قبلها، وإنّ لأصوات الإطباق هذا الأثر في الأغلب الأعمّ.

٢- الضّمة الممالّة نحو الفتح، وهي صوت يُشبه (oo) من الكلمة الإنجليزيّة (Door)، وتبدو هذه الضّمة صوتاً مركّباً من الضّمة والفتحة، وموضعها في أيّ كلمة تتكوّن من صامتٍ مفتوحٍ بفتحةٍ قصيرةٍ يليها واو ساكنة، ككلمة (صوم)، فإنها تُنطق (Soom)، أي: تتكوّن من: (صامت + الضّمة الممالّة نحو الفتح + صامت)، وأمثالها كثير في أغلب اللهجات العربيّة الحديثة.

٣- الضّمة القصيرة الخالصة، وتظهر في صيغ المضارع إذا كان أجوف واوياً، مثال ذلك: (يُروح، يَغوّل)، وفي بعض الصّيغ الاسميّة إذا تضمّنت واو المدّ كما في أوّل (صُموت)، يريدونَ به (صَموت)، أي: كثير الصّمت، والواضح أنّ هذه الضّمة تبيء اتّباعاً للصّوت المجاور المتبوع بواو المدّ.

٤- الكسرة الجزئيّة، أو الضّئيلة، وهي كثيرة، ويغلب ورودها في أوّل صيغ الأسماء والأفعال، ومن الأسماء قولهم: (دِگم)^(٣٢)، و (رِيب)^(٣٣)، و (سِكر)^(٣٤). ومن الأفعال الماضية، قولهم: (سِمَع) و(شَبَع).

٥- الكسرة القصيرة الخالصة، وترد في موضعين واضحين، هما:
أوائل الأفعال المضارعة إن لم تكن من الأجوف الواوي، مثال ذلك: (يَفْهم)، (يَسْمَع)، (تَرْفَع)، (نَشْهد)، عدا المبدوء بالهمزة بفتح، وهذه الظاهرة الصّوتيّة قديمة^(٣٥)، وقد سُمّيت (تلته بهراء)، وقد كانت بهراء تكسر حروف المضارعة الأربعة، في حين اقتصرت لهجات أسد وقيس وتميم وربيعه على كسر النّون والهمزة والتّاء، أمّا الياء، فلم يُعرف كسرُها إلّا عن بهراء، وفي لهجتنا تُكسر الهمزة، وتُكسر الحروف الثلاثة، إلّا إذا كانت فاء الكلمة من حروف الحلق، فإنّهم يُسكّنون حرف المضارعة ويفتحون

حرف الحلق، وبما أنّ الهمزة من حروف الحلق، فإنّهم يسكّنون حرف المضارعة ويفتحون حرف الحلق؛ لذا لم يلحقها الكسر. ومبدأ فتح حروف الحلق مُطَرَّد اطراداً بيناً في هذه اللهجة، ومن ذلك قولهم: (يَعْرِفُ)، و(نَعْرِفُ)، و(تَعْرِفُ)، و(أَعْرِفُ)، و(يُحْسِلُ)^(٣٦). وقد أقرّ الكوفيّون تحريك حرف الحلق الساكن بالفتح، كالشَّعْر والشَّعْر، والنَّهْر والنَّهْر. ويرى ابن جني^(٣٧): أنّ الكوفيّين على صواب؛ إذ إنّهم سمع بني عقيل يفعلون ذلك في الأسماء والأفعال.

أمّا الموضع الثّاني، فهو قبل ياء المدّ في كلمتي: (جبير)^(٣٨)، و(عميل)^(٣٩)، فالباء والميم مكسورتان بكسرةٍ خالصةٍ.

٦- الفتحة الخالصة، وأوضح مواضعها همزة المضارعة، فيقولون: (أبي)، و(أنشد)، على أنّها كثيرة، وأغلب حروف الحلق المتوسطة مفتوحة بهذه الفتحة، مثال^(٤٠) ذلك: (يَجْرُبُ)، و(يَعْكُبُ)، و(يَهْلِلُ).

٧- الفتحة المائلة نحو الكسرة: وهي تعادل حركة الضّمة المائلة نحو الفتحة، وتبدو مركّبة من فتحة وكسرة، وترد في موضع واحد في كلمة (بيت) وأشباهها في الفصيحة؛ إذ يُمال بفتحة الباء نحو الياء، فيتكوّن صوتٌ مدّ غير معروف في الفصيحة يُشبه الصّوت (a) في كلمة (Name). وهذا الصّوت موجود في جميع اللهجات العربيّة الحديثة، وهو صوت طويل نسبياً.

٨- حركة مركّبة قصيرة هي جزء من الصّوت المذكور قبل هذه الفقرة، أي: في الفقرة (٧)، ويرد هذا الصّوت الصّغير المكوّن من فتحةٍ قصيرةٍ مائلة نحو الكسرة قبل تاء التّأنيث المربوطة مطلقاً، كما في اللّام من (دَلَّه) و(نَهَلَه) فاللّام مُحَرَّك بفتحةٍ مشوبة بالكسرة.

٩- الكسرة الطويلة، وهي ياء المدّ المعروفة بالفصيحة، وهي مصاحبة للحركة المذكورة في الفقرة الخامسة، ومثالها: (نَشِيطُ)، و(رَفِيعُ)^(٤١).

١٠ الضَّمة الطويلة، وهي واو المدّ، وترد حيث ترد الحركة في الفقرة الثالثة، ومثال ذلك: (يطول) و(هدوم)^(٤٢)، فقد أُتْبِعَت الطَّاء والدَّال بحركة طويلة، وهي المقصودة.

التَّرْقِيقُ والتَّفْخِيمُ

التَّرْقِيقُ في العربيّة هو من الرِّقَّة، وهو -مصطلحاً- «إنحافُ ذاتِ الحرف ونحوه»^(٤٣)، أمّا التَّفْخِيمُ، فهو نقيض ذلك؛ إذ هو الفخامة والعظمة والكبر، وهو عبارة عن ربو الحرف وتسمينه، فهو والتَّغْلِيظُ سَيَّان، إلّا إنَّ التَّفْخِيمَ للرَّاء والتَّغْلِيظَ للَّام.

وقد شمل التَّفْخِيمُ والتَّغْلِيظُ أصوات (الباء، والميم، والفاء)، فضلاً عن اللَّام والرَّاء. ولتحديد ما نحن بصدد الحديث عنه نتناول تلك الأصوات واحداً بعد الآخر.

الْبَاءُ:

صوتٌ لا يُفْخَمُ في العربيّة الفصيحة، ولم يرد في علم القراءات ما يُشير إلى جواز ذلك، أمّا في لهجتنا -بل ومعظم اللهجات العربيّة-، فَيُفْخَمُ وَيُرَقَّقُ بالنَّظر إلى ما يجاوره من الأصوات.

وقد اتَّضح لي أنّ الباء تُرَقَّقُ في ثلاثة مواضع، وتُفْخَمُ فيما عداها، وهذه المواضع هي:

١ - مجيؤها قبل حروف الحلق أو بعدها، عدا الخاء، مثال ذلك^(٤٤): (عبد، حب، حبل، هبال، بحل، باهس).

٢ - مجيؤها قبل أصوات: (الثَّاء، الجيم، الح، السَّين، الدَّال)، مثال ذلك^(٤٥): (تبي، تَبَرُّوح، باجي، يجبل، ييجي، يسبي، ينخل، يذب).

٣ - إذا كَسِرَتْ، أو سُبِقَتْ بكسر، مثال ذلك: (أصبر)، و(سبب).
وتُفْخَمُ غالباً مع حركة الضَّمِّ، كما تُفْخَمُ إذا فُتِحَتْ وتُلِيت براء، مع صرف النَّظر عما قبلها من الأصوات، مثال ذلك: (عَبَر، صَبَر، هَبُر)^(٤٦).

الفاء:

لا تُفخَمُ الفاء في العربية الفصيحة، فهي كالباء مرَقَّعة، أمّا في لهجتنا، فترَقَّق وتُفخَم، وتكاد تلتزم أحكاماً محدّدة في حالتَي التّريق والتّفخيم، وهي:

١- تُرَقَّق مطلقاً إذا كُسِرَتْ، أو سُبِقَتْ بالكسر، أو ثَلِثَ بأيّ نوع من أنواع الكسر.

٢- تُغَلَّظ مطلقاً إذا سُبِقَتْ بأحد أصوات الإطباق، أو اكتنفها الضّم، أو الفتح.

ومثال ذلك:

الكلمة بتفخيم الفاء	الفصيحة	الكلمة بترقيق الفاء	الفصيحة
صُفَاء	صفا	صافي	
طُفَا	(انطفأ)	طا في	
يُظَفِّه	(يلمّه)	ظا في	(فضفاض)
كُفِّه	(قُفِّه)	كِف	جمع قُفَّة
الخوف	(الخَوْف)	خا في	خا في

وتُرَقَّق الفاء غالباً في المواضع الأخر.

اللام:

عُرِفَ تغليظ اللّام في قراءات القرآن الكريم، وهناك مذاهب لقراء القرآن في هذا الشأن، فقد ذهب (ورش) إلى تغليظ اللّام المفتوحة بعد حروف الإطباق على أن تُحرَّك هذه الحروف بالفتح أو تُسَكَّن، كما في: (الصّلاة)، و(مصلّي) في جميع مواضعها من القرآن الكريم، وهذا الاتجاه وارد في لهجتنا مع إضافة صوتيّ (الخاء والكاف)، ومن أمثلة ذلك^(٤٧): (كَلَى)، و(كَلِيل)، و(الطَّلَاك)، و(الحَلَل)، و(سَلاح)، وتُرَقَّق اللّام إذا

كُسِرَتْ في جميع الأحوال، مثال^(٤٨): (طلي)، و(طليحة)، (جليل)، وكذا عندما تُسَبَق بكسر أو كانت ساكنة، كقولهم:
«يَمِينُكَ طَلَجٌ وَيَسَارُكَ طَلَجٌ»^(٤٩).

الميم:

لا تُفَخَّم الميم في العربية الفصيحة، لكنها في لهجتنا تُفَخَّم في موضع واحد فقط، وهو عند توسّطها وتحركها بالفتح أو الضمّ، مثال ذلك قولهم:
«عطيناه ما صُمى وما رُمى»^(٥٠)، وكذا قولهم: «الحَيْرُ وايد والتّمُر بالعمّاره»^(٥١)؛ إذ يُلاحظ تفخيم الميم، على أن الفرق هيّن بين ما ينطق به القارئ للقرآن وبين المتحدّث بهذه اللهجة، خلافاً لما عليه الحال في لهجات الشام؛ إذ تُرَقِّق الميم في هذا الموضع بصورة ملحوظة، وتُرَقِّق الميم في ما عدا ذلك.

الراء:

تُرَقِّق الراء مطلقاً إذا سُكِّنَتْ، أو كُسِرَتْ، أو سُبِقَتْ بكسرة، أو ثَلِيت بها، كقول أحد شعرائهم:

انشدوا كَصْرَ عَنِ الدَّيْرِهِ مُبَعَّدَ هَلْهَلْتُ بِهِ مِنْ خُشُومِ المَارْتِنِيِّ^(٥٢)

وتُلاحَظ الراء في ثلاث كلمات مرفّقة بسبب كسرها.

وتُفَخَّم الراء إذا جاءت قبل أصوات الشّفة، كالباء في قولهم^(٥٣):

«قَبَاكَ عَلَى مَنْ رَبَّاكَ»، وقولهم: «رمية من قَبَرِ رامي»^(٥٤).

أمّا الفاء، فأثرها ضعيف، والمعوّل في هذا على حركة الراء، فقد يَرَقِّق كلا الصّوتين من أثر الكسر، كما في قول أحدهم:

عَيْنِي تَرِفُ مُبْشِرَاتِي بُقَايِبَ عَسَايَ يَاعَيْنِي مِنَ اللَّيِّ تَوْدِينِ^(٥٥)

ففي كلمة (تريف) اجتمع الراء والفاء، وقد رَقِّقا لكسر التاء والراء.

الإدغام:

الإدغام ظاهرةٌ صوتيةٌ تحدث من تجاوز صوتين متجانسين أو متقاربين؛ إذ يُغني أحدهما عن الآخر، وهو نوعان^(٥٦) لدى القراء، الأول الصَّغير، وهو ما كان الحرف الأول من الحرفين ساكنًا، كإدغام الدال في التاء من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ...﴾؛ إذ تُدغم دال (يُرد) في ثاء (ثواب)، فتُنطق تاء مشددة. والثاني الكبير، وهو ما كان الحرف الأول من الحرفين فيه متحرِّكًا، كالحاء المُشدَّدة من قوله تعالى: ﴿لَا أBRُحُ حَتَّى...﴾، التي تكوَّنت من إدغام الحاء الأولى في (أبرح) في الحاء الثانية في (حتى).

ولهذه الظاهرة نظام وقواعد لا يسعنا ذكرها، وإنَّ ما يلفت النظر في هذا الموضع إدغام صوتين مختلفين في المخرج، بل متباعدين، وهما: إدغام الهاء في التاء مع أنَّ التاء ترد قبل الهاء، وتَغلب عليها لشدتها ورخاوة الهاء، مثال ذلك:

(بيتٌ) في: (بيتها)، (عطيتُم) في: (أعطيتُهم)، وهذا إدغام مطَّرد لا استثناء فيه. ولم يُذكر إدغام الهاء في أيِّ صوتٍ من الأصوات في القرآن الكريم، وهو إدغامٌ غريبٌ، ومثله كذلك، فناء الهاء في الفاء؛ إذ يقولون: (أشوفٌ) مع تضخيم الفاء المشددة، يريدون (أشوفها)، وكذا (أعرِّفم)، أي: أعرِّفهم، وكذا إدغام الهاء في صوتي الحلق (الحاء، والخاء) باطراد، فيقولون: (ياملَح)، أي: يا مِلَحها، ويريدون: ما أملَحها، وكذا (ملحاً)، أي: ملحها، على أنَّ الهاء من حروف الحلق، فلا غرابة في إبدالها منها، إلَّا مخالفتها لما في القراءات. ومن هذا الباب كذلك إدغام الهاء في الكاف؛ إذ يقولون: (أترَكًا) في: (تَرَكَها)، و (تَرَكَم) في: (تَرَكَهُم)، وكذا إدغام الهاء في الشين، كقولهم: (وشو) في: (ويش هو)، يريدون: أيُّ شيء هو؟ والملاحظ في هذه الهاء أنَّها تكون للغائب المؤنثة أو للغائبين، أي: إنَّ الهاء مصحوبة بصوتٍ آخر (هم، أو ها، أو هُنَّ، أو هو)، أمَّا هاء الغائب المفرد، فلا تُدغم. أمَّا صور الإدغام المعروفة في القراءات، فكثيرة، لا أرى

موجباً لذكرها، وإنّا اقتصرْتُ في هذا الباب على ما هو غريب أو نادر.

ومن أمثلة ذلك في أشعارهم، قول أحدهم:

(حَلَيْت) يا مَنْ بَقَاها فَهِيَ لَهُ يَزُنَا وَخَلَيْنَا الْهُوَى لِلْمِشَافِيحِ^(٥٧)

ومن أمثالهم:

إِنْ (عَلَيْت) لِلشَّارِبِ، وَإِنْ (طَمَنْت) لِلْحِيَةِ^(٥٨).

أحكامٌ صوتيّةٌ تطرّدُ خلافاً للفصيحة

ذكرنا في أوّل حديثنا أنّ الأصوات قصيرها وطويلها هي السّمة التي تنماز بها لهجة عن أخرى، ولقد لاحظتُ في لهجتنا جملةً من القوانين الصوتيّة تكاد تطرّد، وهي:

– يُسكّن المتحرّك الأوّل من الصّيغ الآتية:

١ – فعول: جمع تكسير، يقال فيها: (جُفوف، هُدُوم، بُيوت، صُفوف)^(٥٩)، وترد هذه الصّيغة مصدرّاً، ويُسكّن أوّلها كذلك، كقولهم: (يُنون عمرة على الثّمرة)^(٦٠)، (رُكُوف، گعود)^(٦١).

٢ – فِعال: ترد بالكسر جمعاً من جموع التّكسير، فيقولون: (چُعاب، زُقار، كُبار، طُوّال، گُصار)^(٦٢).

أمّا المضموم، وهو غالباً ما يكون مصدرّاً، فيُسكّن كذلك، كقولهم: (صُراخ، صُيام)، وقد ترد هذه الصّيغة لاسمٍ من الأسماء، كقولهم: (شلاف)^(٦٣).

٣ – فَعَلان: وهي صيغة من صيغ المصدر، فيقال: (دُوران، رُكطان، فُوران، شُهگان)^(٦٤).

٤ – فَعِيل: إذا كان ثانيه حرف حلق، مثال ذلك: (صُخيف، شُعير، زُقير، سَعيد، وبُصير)^(٦٥).

- ٥- فُعُولَةٌ: وغالباً ما تَجِيءُ مصدرًا، كقولهم: (مُحَوَّظَةٌ، حُرُورَةٌ، بُرُودَةٌ، مُرُورَةٌ).
- ٦- فَعْلَةٌ: وغالباً ما ترد مصدرًا، كقولهم (شَفْكَه، عَيْلَه) ^(٦٦).
- ٧- في جميع صيغ اسم الفاعل والمفعول المبدوءة بميم مضمومة؛ إذ تُسَكِّنُ الميم منعاً لتوالي الحركات.

مِمَّا تَقْدَمُ يَتَّضِحُ ميل اللهجة إلى التخفيف من توالي الحركات في مواضع عديدة، خلافاً لما عليه كثير من اللهجات العامية الأخرى، كالمصرية مثلاً، التي تميل إلى تتابع الحركات. كسر الميم الزائدة المضمومة في الفصيحة باطِّراد، ولا يشوبه استثناء، فيقول: (مُنْسِرِح، مُسْتَعْلَف، مُسْتَوِي) ^(٦٧).

ويمكن أن تُرَدَّ هذه الظاهرة إلى ما جاء عن بعض العرب في إتباع ^(٦٨) حركة الميم حركة العين من الكلمة: كقولهم: (مُتْنِن) في: (مُتْنِن).

- فَتْحُ مَا قَبْلَ الْيَاءِ الْمُنْطَرِّفَةِ:

من الظواهر الصوتية الغربية فتح ما قبل الياء، سواء كانت ياء المتكلم أم ياء الاسم المنقوص؛ إذ يقولون: (بَيْتِي) بفتح التاء، و(النَّادِي) و(العَوَارِي) ^(٦٩)، حَتَّى أَنْ تَاءَ ضَمِيرِ الْمُخَاطَبَةِ تُفْتَحَ وَتُوصَلَ بِيَاءٍ، فيقولون: (أَنْتِي، عَرَفْتِي)، بدلاً من: (أَنْتِ عَرَفْتِ).

- فَتْحُ مَا قَبْلَ الْوَاوِ الْمُنْطَرِّفَةِ:

إِذَا تَطَرَّفَتْ وَاوِ جَمَاعَةِ الذِّكُورِ الْمُتَّصِلَةِ بِالْفِعْلِ، فَتَحَ مَا قَبْلَهَا فَتْحَةً وَاضِحَةً، لَا سِيَّامَا مَعَ تَاءِ الْمُخَاطَبِ، فيقولون: (سَمِعْتُوا، وَعَرَفْتُوا، رَاحُوا، وَنَامُوا... إلخ)، فالواو في سَمِعْتُوا تُقَابِلُ الميم في الفصيحة.

ملاحظات أُخَر:

١- نون الوقاية:

تُدْغَمُ نون الوقاية في نون الأفعال الخمسة، وتُفْتَحُ ياء المتكلم، فيقولون: (تَعْرِفُونِي،

تعرفنيّ)، وتُدغم كذلك بنون الجمع المذكر السّالم، فيقولون: (ظالمينيّ، كارهينيّ)، ويُعامل الاسم هنا معاملة الأفعال الخمسة؛ بسبب إضافته إلى ياء المتكلّم، أمّا في غير الإضافة إلى ياء المتكلّم فلا أثر لنون الوقاية.

٢- نون التثنية وجمع المذكر السّالم:

لا تُحدَف نون التثنية والجمع في هذه اللهجة مُطلقاً حتّى في الإضافة، فيُقال: (رليني)، أي: (رجليّ).

٣- ظاهرة التّنوين:

يلزم التّنوين أواخر النّكرات إلّا أنّه تنوين الكسرة فقط، ومن الطّريف أنّ هذا التّنوين - أحياناً- يلحق بنون الجمع المذكر السّالم، كما في قول أحدهم^(٧٠):

كُنْتُ لَهُ رَوْحٌ تَعَشَّى طابخين لَكَ مُحَشَّى

ذابحين لَكَ يزور

وترى (طابخين) قد ثَوَّنَتْ، ثمّ أدغمتْ نون التّنوين في لام (لك)، وضَعَفَتْ اللّام جرياً على نظام الإدغام الواجب، وكذا (ذابحين لك).

٤- إعلال الواو وقبلها ألفاً إذا سُبِقَتْ بفتحة، وكانت فاءً لكلمة، كقولهم: (عسى وصلك ياصل بعمرِكَ)^(٧١)، فكلمة (ياصل) في: (يصل)، قُلِبَتْ الواو ألفاً، وكذلك (ياگا) في قولهم: (زرع الميادين يأكاه ربّ العالمين)^(٧٢)، أي: (يقيه) من الفعل (وقى)، وكذا (ياكاه، والماسطة، والمالد، والمايود)، فهي: (الموسطة، والمولد، والموجود)، وهي قاعدة مُطرّدة. وقد ذكر ابن جني^(٧٣) شيئاً من هذا القبيل في حديثه عن الواو في الفعل المثال المصوغ على يفتعل، فقال ما معناه: إنّ هذه الواو لو تُرِكَتْ دون أن تُقَلَّبَ تاءً لكان من المُحتمل أن تكون ألفاً إذا سُبِقَتْ بفتحة نحو: (ياتعد) في: (يتعد)، و(يا تزن) في: (يتّزن)، و(يا تلج) في: (يتلج)، وهي في هذه اللهجة وردتْ في المضارع واسم المفعول

واسمي المكان والزمان؛ لسبقها بالفتح. وقد ذكر ابن جني^(٧٤) في موضع آخر: أنه جاء عن العرب: (ياجل) في: (يوجل).

٥- حذف حرف العلة من الفعل الأجوف الدال على الطلب^(٧٥)، كما هو الشأن في العربية الفصيحة، غير أن حركة الفاء تكون فتحة أو كسرة ولا تكون ضمة مطلقاً، وهذه الظاهرة تكاد تنعدم في كثير من اللهجات العامية الأخرى، ومثال ذلك قولهم:

گم يا الي ما في مكانك قيرك^(٧٦)

گل خير يگوله الله^(٧٧)

٦- حذف حرف العلة من الفعل الناقص في حالة الأمر كما يسكن حرفان من الفعل فيلتقي ساكنان، والتقاء الساكنين أمر طبيعي في هذه اللهجة، وقد جاء عن يونس^(٧٨) النحوي إلحاقه نون التوكيد الخفيفة في التثنية وجماعة النساء، وجمعه بين ساكنين في الوصل، نحو قوله: اضربان زيدا، واضربنا عمرأ، وليس ذلك بالممتنع في الحس. وقد قرأ نافع^(٧٩): (محيائي ومماتي) بسكون الياء من (محيائي)، ومن أمثالهم: (امش دهر ولا تعب مەر)^(٨٠).

وهذه القاعدة مطردة، وقد يكتفى بتسكين الحرف الأخير بعد حذف حرف العلة، مثال ذلك: (عط)، أي: (أعط)، وقولهم: (توگد يا عبدي وأنا گاك)، أي: (توق يا عبدي وأنا أفیک).

٧- القصر: ليس في هذه اللهجة مدّ، فكلّ ممدود مقصور، وهي ظاهرة معروفة.

٨ - مجيء كثير من الأفعال الناقصة من باب (فتح يفتح)، كقولهم: (يعصى) في (يعلننا ما نعصاه)^(٨١)، والفعل (تهتدي) في قولهم: (الله يهداك)^(٨٢)، وقد جاءت أفعال من هذا الباب في لهجتي طي وبلحارث^(٨٣).

٩- إسكان الياء والواو من الضميرين (هي، هو)، وتعرف هذه الظاهرة لبني أسد

وقيس^(٨٤).

١٠ - كسر لام الملكيّة، فيقولون: (له، ولك)، وهي في لهجة قضاعة^(٨٥).

١١ - تسكين ضمير الغائب المتّصل بالاسم، وهي ظاهرة منسوبة إلى أزد السّراة^(٨٦)؛ إذ يقولون: بيته.

١٢ - وجود صيغ غريبة كصيغة (يتفاعل)، يريدون بها: (يتفاعل) المبنية للمجهول، كقولهم: فلان (ما يتتّگارب)، أي: (لا يقارب)، أو قولهم: (ما يتتّهابط)، أي: (لا يحتمل، ولا يقترب منه)، والهباط في الفصيحة^(٨٧) هو الدنوّ، وتبدو هذه الصّيغة، وكأنّها منحوتة من (انفعل، وتفاعل)، التي للمطاوعة، علماً أنّ اللهجة تحتفظ بصورة الفعل المبني للمجهول، فيقولون: (والليّ عيدٌ ماشيف)، أي: (والذي عيدٌ ولم يُر)، ويلاحظ أنّ (عيدٌ) بكسرتين، والكسر لغة ضعيفة، وقد جَوَزَ الكوفيّون^(٨٨) صورة الكسر هذه اعتماداً على شواهد، منها قراءة الحسن بن جرول، لقوله تعالى: «هذه بضاعتنا ردت إلينا» بكسر الراء من الفعل (رُدّت).

والصّيغة الأخرى (فعل)، وهي صورة ثمالة من (فُوعِل) في الفصيحة، وهي من صيغ الأفعال المبنية للمجهول، فيقولون: (ما كيعد)، أي: (ما قُوعِد)، ومثلها: (ريفج)، أي: (رُوفِق)، ويلاحظ ميل اللهجة إلى الكسر وفراها من الضّم.

الخاتمة

يُمكننا أن نختم موضوعنا بملاحظاتٍ يُمكن أن تُعدّ نتائج:

١- لا تميل اللهجة إلى الضمّ، وهذه سمة مخالفة لما عليه لهجات البادية؛ إذ نسمع في قولهم: (بيته، حاجته)، ضمّ التاء، على حين تُكسر التاء هنا، وهذه هي السمة الوحيدة التي تُخالف فيها لهجات البادية، وأريد بها ما تسمعه في برامج خاصّة من الإذاعات العربيّة، ومن كثير من البدو مشافهة.

٢- الميل إلى الكسر أو الفتح، وقد لا حظنا ذلك في كسر الميم المضمومة في المشتقات، وفتح ما قبل الياء المتطرّفة لا سيّما ياء المتكلّم.

٣- لا تميل إلى تنابع الحركات في أوّل الكلام؛ لذا فصيغة (مُتفاعل) وأشباهها غير موجودة على ما هي عليه، بل يُسكّن الحرف الأوّل منها.

٤- تميل إلى التخلص من الهمز بالإبدال أو الحذف، أو بين يين، وأكثر هذه الوجوه موافق لما جاء عن العرب.

٥- احتفاظها بظواهر فصيحة قلّما نجدها في اللهجات العاميّة المعاصرة، كالتنوين والبناء للمجهول، وحذف حرف العلة في فعلي الأمر الناقص والأجوف.

٦- الميل إلى فتح حروف الحلق، بحيث تُغيّر الصيغة مراعاة لذلك، كقولهم: (يَعْرِف، مُحَسود)، في حين تحتفظ الصيغة غالباً بالوجه الفصح إذا لم يكن ثانيها حرف حلق، كالفعل (يَكْنس)، واسم المفعول (مصروف) وأشباههما.

٧- تميّز اللهجة بثروة لفظيّة جُلّها من عصر الاستشهاد، يُمكن أن تُدرّس منفردة في فصلٍ آخر.

الهوامشُ

- ١- شرح المُفَصَّل: ١٠٧/٩.
- ٢- المحتسب: ٣٩٣/١، الأعراف، الآية (٢).
- ٣ و٤- ابن جني، ١/١٩٤. النساء، الآية (٩٢).
- ٥- يُنظر: شرح المُفَصَّل: ١١٦/٩. نجد موافقة هذا لقواعد العربية الفصيحة.
- ٦- تصريف الأفعال، محيي الدّين عبد الحميد مع شرح ابن عقيل: ٦١٦/٢.
- ٧- يُقال عند استنكار فعلٍ يُغضبُ الله، ومعناه: يأسئنا لاتسقطي غضباً لما حدث.
- ٨- المُحتسب: ١٢٠/١.
- ٩- البقرة، الآية (٢٠٢).
- ١٠- المُحتسب: ١٢٠/١.
- ١١- يُريدونَ من الله أن لا يلحقَ بهم إساءة من باب الاستغفار.
- ١٢- شرح المُفَصَّل: ١٠٩/٩.
- ١٣- الكتاب، طبعة عبد السّلام هارون: ٤٣٣/٤.
- ١٤- سيردُ الحديث مفصّلاً في موضعه.
- ١٥- ص ٧.
- ١٦- في اللّهجات، ط ٢: ص ١١١.
- ١٧- هذا البيت بيتك فاصنعي به ما شئت، يُضربَ لمن يُمسك زمام الأمر فيتصرّف دون مشورة أحد.
- ١٨- أبوك الصّائغ فطوقك من الذهب بلا شكّ، يُضربَ لمن يكون مظهره متناسباً مع وضعه الاجتماعيّ، ولا غرابة حينئذٍ.
- ١٩- شطّر في بيتٍ، ومعناه: أنّ الرّديف قد أُرْكِبَ، أمّا صاحبُ النّاقة -وهي (الكور)-، فقد نزل.
- يُضربُ في مَنْ يستولي على أمرٍ ليس له، في حين ينحى صاحبه عنه.
- ٢٠- المعنى الحرفي (أمّا هذا المركب، وإلا فلن أركب)، يُضربَ لمن يُصرُّ على أمرٍ ولا يقبل بغيره.
- ٢١- هو أفسدُ من البيض في زمن القيظ، وهو شدّة حرّ الصّيف.
- ٢٢- الأصوات اللّغويّة، طبعة ١٩٧١ م: ص ٥٥.
- ٢٣- يُضربَ هذا المثل لمن يُخفي أمراً على أقرب النّاس له، وقد ربّاه وعرف عنه كلّ شيء.

- ٢٤- بَعْدَ عَنكَ مَنْ يَغْلِبُكَ بِالْحَيَّةِ الْخَطِيئَةِ. [بالْحَجَّةِ الْخَطَأُ] (النَّاشِر)
- ٢٥- المَقْدَمَةُ: ص ٥٢٥.
- ٢٦- الْأَصْوَاتُ اللَّغَوِيَّةُ: ص ٦٨.
- ٢٧- مَجَلَّةُ لُغَةِ الْعَرَبِ، مَجْلَد ٤، جُزء ٤، سَنَةِ ١٩٢٦ م: ص ١٤٢.
- ٢٨- الْمُحْتَسَبُ: ٧٣/٣، ٧٤.
- ٢٩- ابْنُ خَالَوَيْهِ، الْمُخْتَصَرُ فِي شَوَاطِئِ الْقُرْآنِ: ص ٤. الْبَقْرَةُ، الْآيَةُ (٣٥).
- ٣٠- التفسير الكبير: ٤٥/١.
- ٣١- مَجَلَّةُ لُغَةِ الْعَرَبِ: جُزء ٣، ص ١٤٢، سَنَةِ ١٩٢٦ م.
- ٣٢- الْأَزْزَارُ.
- ٣٣- رَجَب، بِإِبْدَالِ الْجِيمِ يَاءً.
- ٣٤- سَكْر.
- ٣٥- الْكِتَابُ، سَبْيُوِيه: ٢٥٦/٢. وَيُنْظَرُ: فِي اللَّهْجَاتِ، إِبْرَاهِيمُ أَنْيس: ص ١٢٧.
- ٣٦- يَحْسِلُ، بِمَعْنَى: يَنْحَسِرُ، بِإِبْدَالِ الرَّاءِ لَامًا.
- ٣٧- الْمُحْتَسَبُ فِي شَوَاطِئِ الْقُرَاءَاتِ: ٨٤-٨٥.
- ٣٨- كَبِيرٌ، بِإِبْدَالِ الْكَافِ جِيمًا.
- ٣٩- الزَّبُونُ.
- ٤٠- يَحْرُبُ، وَيَعْجَبُ، وَيَهْمِلُ.
- ٤١- رَفِيعٌ، بِمَعْنَى: مُرْتَفِعٌ وَنَشِيطٌ.
- ٤٢- مَلَابِسٌ، وَفِي اللَّسَانِ (هَدَمٌ)، الْهَدَمُ: الثَّوبُ الْبَالِي.
- ٤٣- الْبِنَاءُ، إِتْحَافُ فَضْلَاءِ الْبَشَرِ: ص ٥٩.
- ٤٤- هَبَالٌ = الْهَبَلُ، قَبَالٌ: حَبَلٌ، بَحَلٌ: تَوَرَّطٌ، بَاهَسٌ: الْجَرِيءُ الْيَقِظُ يَسْتَوِي فِيهِ الْمَذْكَرُ وَالْمُؤَنَّثُ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْقَامُوسِ، الْبَهْسُ الْجُرْأَةُ.
- ٤٥- تَبَغِي، تُرِيدُ أَنْ تَرْوَحَ - تَذْهَبُ - بَاقِي، يَقْبَلُ، يَبْكِي،
- ٤٦- الْهَبَرُ اللَّحْمُ الْأَحْمَرُ.
- ٤٧- كَلِيٌّ: كَلِيلٌ، قُلِيلٌ. الطَّلَاغُ: الْحَلْلُ، الْحَلْلُ.
- ٤٨- طَلِيٌّ: الْخُرُوفُ الصَّغِيرُ، طَلِيحَةٌ: مَذْكَرُهُ يُفَصَّلُ فِيهَا الْقَوْلُ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْقَامُوسِ الطَّلِيحَةُ: الْوَرَقَةُ مِنَ الْقُرْطَاسِ، مَوْلَدُهُ، جَلِيلٌ: قَلِيلٌ.
- ٤٩- مِثْلُ يَضْرِبُ لَمْ يُمْنَحِ الْحَرِيَّةَ الْكَامِلَةَ، طَلَحَ، هِيَ: طَلَقَ أَوْ طَلِيقَ.

٥٠- يُضْرَب لَمَنْ يحصل على كل شيء (وُصِمى)، بمعنى: قتل الصيد في مكانه، فكأنه قد حصل على جميع الصيد ماقتل وما أُصيب. القاموس المحيط، مادة (صمى).

٥١- العمر في اللسان نوعٌ من النخل، أو هو الثمر السَّكَّرِيّ الجيّد. (وايد) معناها واجد، أي: كثير جدّاً.

٥٢- كَصُر، قصر. هلهلْتُ: زغرَدْتُ. خَشُوم: أفواه. المارتين: نوع من البنادق.

٥٣- تقدّم شرح هذا المثل في موضوع (القاف).

٥٤- قير: غير المثل المعروف.

٥٥- قايب: غائب. عساج: عسك.

٥٦- النُشْر في القراءات العشر، ابن الجزريّ، تصحيح: علي محمّد الضَّبَّاع: ١/ ٢٧٤.

٥٧- الأصوات اللّغويّة، أنيس: ص ١٣٥، وما بعدها.

خلّيت تركتها، بقاها: أرادها. يزنا (جزنا): جزان مالقيناه. المشافيح: الفضوليّون، وترد (ياز)، بمعنى تاب وانتهى.

٥٨- إِنْ عَلَيَّتْهَا وصلت الشَّارب، وإِنْ خَفَضْتُهَا (طمنت) وَصَلْتُ إلى اللّحية، يُضْرَب هذا المثل لَمَنْ يقع في ورطة بين اثنين يخشى إغضاها.

٥٩- كفوف، وكفّ، الهدوم: الملابس، بيت وبيوت، صف وصفوف.

٦٠- ينون: جنون، عمرة اسم لامرأة كانت تحبُّ أكل التمر، وهو مثل يُضْرَب لَمَنْ يُشَعَف بشيءٍ لا أهميّة له لو فرّته.

٦١- وگوف: وُقُوف، گعود: قعود.

٦٢- كعاب وهي كعاب الخراف يلعبُ الصّبيان بها، زقار: صغار، بإبدال الصّاد زايّاً والغين قافاً، كما مرَّ بنا في أوّل البحث.

٦٣- شلاف: خضاب أسود تُخَضَّب المرأة به كَفَّيْها وقدميها في المناسبات.

٦٤- كلّها مصادر معروفة، أمّا شهكان، فهي: شهقان، من الفعل (شهق)، بمعنى: (النّشيج).

٦٥- صخيف: رقيق، هزيل، زقير، صغير.

٦٦- شفقة، عجلة.

٦٧- الأوّل بمعنى: (منبطح)، عربيّة فصيحّة (القاموس) مادة (س رح)، (مستعلف)، (مُتلَهَّف على الشّيء لا يصبر عنه)، فكأنّه يطلب العلف بالحمّمة (القاموس).

٦٨- الخصائص، ابن جني: ٢/ ١٤٣.

٦٩- العواري جمع عاريّة، ويلاحظ تخفيف الياء لتطرّفها، وهو ما يُستعار من الحاجات، ومن أمثالهم

- قولهم: (العواري ماتدوم)، أي: لا يدوم إلا ما هو لك، أمّا ما تَسْتَعِيرُهُ فلا دوام له.
- ٧٠- قلت له رح لتتعثّى، فنحن طابخون لك مُحَشَّى، ذابحون جزوراً.
- ٧١- عسى وصلك (صلتك بالرحم) تصل بعمرك فتطيله.
- ٧٢- زرع المجانين يقيه رب العالمين.
- ٧٣- سرّ صناعة الإعراب: ١/ ٢٦٤.
- ٧٤- الخصائص: ١/ ١٥٥.
- ٧٥- فعل الأمر فقط.
- ٧٦- قم أيها الذي ما في مكان غيرك، أي: لا بدّ من أداء الواجب الذي لن يُؤدّيه غيرك.
- ٧٧- قلّ خيراً يقل الله ذلك.
- ٧٨- الخصائص: ١/ ٩٢.
- ٧٩- تقريب النّثر: ص ١١٤، في سورة الأعراف الآية (١).
- ٨٠- المعنى واضح.
- ٨١- يعلننا، هي: (جعلنا)، وهي كلمة للدّعاء، المعنى: جعلنا الله ممّن لا يعصيه.
- ٨٢- دعاء بالمضارع، أي: يهديك الله، أو ليهدك الله، ويُلاحَظ فتح حرف الحلق (الماء).
- ٨٣- تأثّر العربيّة باللّغات اليمنيّة القديمة، هاشم الطّعان: ص ٢١. وكذلك كتاب (ليس في كلام العرب)، لابن خالويه، تحقيق: أحمد عبد الغفور: ص ٢٩.
- ٨٤- الأدب الجاهليّ بين لهجات القبائل، هاشم الطّعان: ص ٢٣٩.
- ٨٥- الخصائص: ١/ ٣٩٠.
- ٨٦- نفسه: ١/ ١٣٤.
- ٨٧- القاموس المحيط، مادّة (هى ظ)، ويُلاحَظ فتح التّاء لقرّبها من أحدِ حروف الحلق.
- ٨٨- المُحتسب: ١/ ٣٤٥، سورة يوسف، الآية (٦٥).

مصادرُ البحثِ

- إتحافُ فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد البَناء، مصر، ١٣١٧هـ.
- الأدب الجاهليّ بين القبائل واللغة الموحّدة، هاشم الطَّعان، دار الحرّيّة للطباعة، بغداد، ١٩٧٨م.
- الأصوات اللّغويّة، إبراهيم أنيس، القاهرة، ١٩٧١م.
- تأثّر العربيّة باللّغات اليمنيّة، د. هاشم الطَّعان، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٨م.
- تصريف الأفعال، مُلحقُ بشرح ابن عقيل، محمّد محيي الدّين عبد الحميد القاهرة، ١٩٨٠م.
- التفسير الكبير، عبدالله بن محمّد الرّازي، مصر، ١٩٣٧م.
- تقريب النّشر، ابن الجزريّ، تحقيق: إبراهيم عطوة، القاهرة، ١٩٦١م.
- الخصائص، ابن جنّي، تحقيق: محمّد علي النّجار، دار الكتب القاهرة، ١٩٥٢م.
- سرّ صناعة الإعراب، ابن جنّي، تحقيق: مصطفى السّقا وآخرين، مطبعة الحلبيّ، القاهرة، ١٩٥٤م.
- شرح المُفَصّل، ابن يعيش، طبعة قديمة، القاهرة.
- في اللّهجات، إبراهيم أنيس، القاهرة، ١٩٥٢م.
- القاموس المحيط، الفيروز آباديّ.
- الكتاب، سيبويه، القاهرة، ١٣١٦هـ.
- لسان العرب، ابن منظور.
- ليس في كلام العرب، ابن خالويه، تحقيق: أحمد عبد الغفور، مكّة المكرّمة، ١٩٧٩م.
- المُحتسب في تبين شواذّ القراءات، ابن جنّي، تحقيق: النّجار وآخرين، القاهرة، ١٩٦٦م.
- المختصر في شواذّ القرآن من كتاب البديع، تحقيق: برجستراسر، القاهرة، ١٩٣٤م.
- مقدّمة ابن خلدون، مطابع دار الشّعب.
- النّشر في القراءات العشر، لابن الجزريّ، تصحيح: عليّ محمّد الضّبّاع، مطبعة مصطفى محمّد، مصر.

الدوريات

- مجلّة لغة العرب، ج ٣، و٤، ١٩٢٦م.

الَّحْنُ فِي الْأَصْوَاتِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْعَجَمِ الْقَدَامِي

دراسة تحليلية في ضوء إشارات عن اختلاط السُّكَّانِ بالبصرة

عبد الحميد الأقطش

محوّر البحث هو:

الَّحْنُ فِي الْأَصْوَاتِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْعَجَمِ الْقَدَامِي، ومادّته مُسْتَمَدّة من الإثارات التي دوّنها علماء السَّلَف عن الاختلاط اللّغويّ، في البيئة العراقيّة، وبيئة البصرة خاصّة. والسّعي في البحث مركّوز في مجالات رصد الأمثلة الموافقة، وتوصيف استعمالها، وتقنين قواعدها، ومن ثمّ تحليل المشكل التخطيئي فيها. وجميع ذلك يمضي النقاش فيه على اهتداءٍ من الثقافة اللّغويّة وتأريخيّاتها، ولاسيّما ثقافة الألسنيّة المعاصرة. وبالإجمال، فقد تبدّى اللَّحْن عند العجم في مظهرين، هما: لحن اللَّكْنَة، ولحن الخاصيّة الفرديّة، واللّحن الأوّل، قد اختصّ به العجم، وكان ملّمحاً شائعاً فيهم، وكان مطّرداً ومحكوماً بقوانين ثابتة في ثمانية أصوات، فأما ستّة منها، فمن تلك التي ليس لنغمتها ولا لأبجديّتها مقابل في لغتهم، وهي: (ح، ع، ق، ض، ط، ظ)، وهذه كان يتمّ تغييرها إلى (هـ، أ، ك، د، ت، ز)، وأما صوتان، فلهما مقابل، ولكنّها بلا نظيرٍ مستقلٍّ على المستوى الأبجديّ (ج، ذ)، وكان يتمّ تغييرهما إلى (ز، د).

وأما لحن الخاصيّة الفرديّة، فكان فيما هو مشترك بين العجم والعرب، وظهر في

عيوب لسانية خلقية، وفي بضعة إبدالات صوتية عفوية، وعادية بين الأصوات المتجاورة (غ > ق، ش < س، ز < س)، وفي الجميع قد رُصدَ اللَّحْنُ ضمن أخطاء النطق، ولم يُرصد على مستوى الكتابة.

تداخل السَّكَّانِ فِي مَجْتَمَعِ الْبَصْرَةِ

في نهاية سهلِ رسوبيٍّ، وعلى تخوم صحراء العرب، أذنَ عمر بن الخطاب سنة (١٤هـ)، لقائده عتبة بن غزوان أن يختط بالآجر والقصب (محلة بسيطة)، قريبة من الماء والرعي، فتكون نقطة تموين، ومعسكر نجدة، لحملا فتوح الشرق. ولكن سرعان ما جاوزت تلك المحلة حياة المعسكر إلى حياة المدينة، المدينة التي مُصِّرَتْ وقتئذٍ عُرِفَتْ بـ(البصرة). وقد ساعدت على تلك النقلة عوامل متنوعة، من أبرزها حسن الموقع الممتاز، بمقربة من خطوط التجارة القديمة، فكان أن تغلَّبت طبيعة الموقع على أهداف التأسيس، ومن ثمَّ تهيأت فجاج البصرة لدورها الجديد، نواة لأقدم مدينة يبتنيها المسلمون، ولا تزال إلى الآن باقية محروسة. وقد تشكَّلت عناصرها الأولى من أفرادٍ من الصحابة، ومن التابعين، فذكر (ابن سعد): أن خمسينَ ومائة صحابيٍّ، استوطنوها منذُ تمصيرها. وحسبما تُظهره الخطط الأولى للبصرة، فقد استمرت بضعة عقود، وهي عربية التَّمصير والتَّزُّل، والعيش البدويٍّ، وكان معظم سكَّانها عرباً من القبائل العدنانية المستوطنة من قبل بأرباض العراق، ومن (ربيعه، ومضر) مخصوصتين، فأما القبائل القحطانية، فكانت قليلة^(١)، ثم نمت البصرة في الأزمن اللاحقة، وتغيَّرت كثيراً من حيث الظرف والنَّاس، فَتَسَلَّلَتْ إليها لواداً جاليات من غير العرب، ثم تقاطرت الهجرات في حركاتٍ بطيئة، لكنها متصلة الوقوع، وأغرى بها طبيعة الدين الإسلامي نفسه، حيث لا سوء ولا مظلمة، وإنَّها سواسية كأسنان المشط، فضلاً عما توفَّره أجواء المدن بعامة، من منافع

وأرزاق وحرّيات.

وكذلك غدت البصرة مجتمعاً طليقاً يتسع النَّاسُ أيّاً كانت نِحْلُهُمْ ومِلْلُهُمْ، وضاعت في وسط الرّحام صرخات أخي بني تميم عن أمس البصرة وحاضرها:

مَا أَنَا بِالْبَصْرَةِ بِالْبَصْرِيِّ وَلَا شَبِيهُ زَيْهِمْ بِزَيْي^(٢)

وبالإجمال، فقد صار مجتمع البصرة بأخيرة يكتظُّ بكتلتين اثنتين من البشر، فأماً واحدة، فهي كتلة قبائل العرب، التي تمازجت بعضها إلى بعضها الآخر، وصارت - على الرّغم من أنّها جماع من أعاريب مختلفين - تُشكّل قوميّةً واحدةً، هم: (العرب)، وبرزت فيهم قوّة عرب مكّة، وقريش بخاصّة، وأمّا الكتلة الثّانية، فهي الجاليات غير العربيّة، وهؤلاء تقاربوا - أيضاً - فيما بينهم، على شاكلة تقارب قبائل العرب فيما بينها، وصاروا يشكّلون قوميّةً أخرى، هم: (العجم)، وبرزت فيهم قوّة الفرس بخاصّة، وآية ما سبق أن يُقال بأنّ مجتمع البصرة قد تلاقّت فيه أطراف من الأعراق، والعادات، والديّانات، واللّغات. وحاجة البحث أن يمتدّ الحديث إلى الطّيف اللّغويّ ليس إلّا، وتالياً فضل بيان عن هذا الموضوع.

مسيرة الاختلاط اللّغويّ في البصرة

اللّغة كائنٌ حيٌّ، ليس اجتماعيّاً فحسب، بل كونيّاً كذلك، وهي انعكاساتٌ للواقع؛ ولهذا فهي من أهلها دائماً في علاقة متحرّكة لا سكونيّة. وهذا التّغلغل الذي قام به العرب فيما وراء جزيرتهم، قد أدّى إلى تأثير وتأثر - وإنّ اختلفت درجته بين طرفي المعادلة - وقد تداخلت في البصرة الأجناس المختلفة بعضها مع بعض، واقتضتْها ضرورة الحياة الاجتماعيّة المختلفة أن تعمل جنباً إلى جنبٍ، فكانت النتيجة أن عمَلَ الاختلاط عمله في الحياة اللّغويّة لدى العرب أنفسهم من نحوٍ، وفي الحياة اللّغويّة لدى العجم من نحوٍ

آخر، وجرى تأثير، وجرى تأثر، وانفتحت على مصراعيها بوابة التقارض اللغوي بين الجميع، واختلفت بعض الاختلاف العربية الإسلام عن عربية الجاهلية، سواء من جهة الكيف أم من جهة الكم.

وموجز المسيرة هنا: أنه كانت للعرب منذ حقب سابقة على العصر الإسلامي لغة موحدة للفنون القولية الرفيعة، ولمواضع الكلام الجاد، وخزانة الأدب الجاهلي التي بأيدينا، هي قسمة حية من إرث تلك العربية الموحدة، وفي جداول أنساب الشعراء الجاهليين ما يدل على توزع تلك اللغة الموحدة على امتداد سطح الجزيرة جميعه، والانتشار الأوسع كان في قبائل قيس، فريضة، فمضر، فتميم، فاليمانية، فقريش^(٢). وبأثر ظهور الإسلام، مجدت تلك العربية، ولقبت بالفصحى، وتوسعت صفحة استعمالها، وغدت اللغة المركزية الرسمية في كل مخاطبات، أو مكاتبات الدولة الإسلامية الناشئة.

على أن الملاحظة مازالت بعد قائمة في أمر تأريخيات العربية ولهجاتها، فأما فريق من اللغويين، فعلى الاقتناع وعلى التمسك بأن العرب الأول لا يخطئون في الألفاظ، وإنها في المعاني، فألستهم لا تطاوعهم على اللحن في تأليف الكلام، ولو تعمده، وقد نقل عن سيبويه أنه قال في حديث مناكفته مع الكسائي: «مرهم أن ينطقوا بذلك، فإن ألستهم لا تطاوعهم عليه»^(٤). والعربية الأولى كانت في الغالب من عرف هؤلاء اللغويين، مستوى واحداً لكل شرائح الناس في الجزيرة، وكانت لغة سليقية، تسكن العرب بالقوة، وتسيل فيهم مجرى الدم في العروق، ولها صفحة واحدة، بلاعامية وفصحى، واللهجات العربية القديمة، لا تناظرها العاميات الحديثة، وهي مجرد اختلافات صوتية في نطق الفصحى نفسها.

وتبعاً لهذا التصور عن مسيرة العربية، لا تكون ثمة انحرافات لغوية مهمة، قد طرأت على عربية القبائل العربية بالبصرة، اللهم إلا تصفية لبعض الرطانات اللسانية

المذمومة، والانحراف والفساد إنّما دبَّ إلى العربيّة جرّاء تداخل السّكّان العرب مع السّكّان العجم. وللمرء أن يستذكر في هذا المقام حكاية أمّ الهيثم العُقيليّة مع أبي عبيد، وجوابها له: «أَوَ لِلنَّاسِ كَلَامَانِ؟ وَاللّٰهِ مَا كَلَّمْتُكُمَا إِلَّا بِالْعَرَبِيِّ الْفَصِيحِ»^(٥).

ومثله -أيضاً- ما قاله أبو بكر الزبيديّ: «ولم تزل العرب في جاهليّتها وصدر إسلامها تَبَرَّعَ في نُطْقِهَا بِالسَّجِيَّةِ، وَتَتَكَلَّمُ بِالسَّلِيْقَةِ، حَتَّى فُتِحَتْ الْمَدَائِنُ، وَمُضِرَّتْ الْأَمْصَارُ، وَدَوَّنَتْ الدَّوَاوِينُ، فَاخْتَلَطَ الْعَرَبِيُّ بِالنَّبْطِيِّ، وَالتَّقَى الْحِجَازِيُّ بِالْفَارِسِيِّ، وَدَخَلَ الدِّينُ أَخْلَاطَ الْأُمَمِ، وَسَوَاقِطَ الْبُلْدَانِ، فَوَقَعَ الْخَلْلُ فِي الْكَلَامِ، وَبَدَأَ اللَّحْنُ فِي أَلْسِنَةِ الْعَوَامِّ»^(٦).

وأما فريق آخر من اللّغويين -وجلّهم من تيّار الدّرس اللّغويّ المقارن^(٧)-، فيقولون بوجود فُصْحَى وعاميّة ابتداءً، ولكنّ نزول القرآن الكريم على وفاق العربيّة الموحّدة التي عليها الشّعْر الجاهليّ، كان وراء اختيار تلك العربيّة (الفُصْحَى) لغة رسميّة للمسلمين، ومن ثمّ إخفاق أيّة دعوة نحو الإعلاء من شأن ما عداها، وقد كانت السّياسة التّعليميّة جدّ حازمة في شأن الفُصْحَى، فكانت تأخذ النّاس بلونٍ من الإكراه، ولاسيّما حين يتّصل الأمر ببلغة الإدارة والدّواوين، وبلغة القرآن خاصّة، وكانت تأخذ شكل الإغراء والتّشجيع على التّكلّم بها في الحياة اليوميّة العاديّة، حتّى لقد غدت عدميّة السّيطرة على الفُصْحَى مسألة اجتماعيّة تُحِلُّ بالمروءة، وقد تُزري بصاحبها، ولاسيّما طبقة الخواصّ، وذوي الرّياسات والجاه^(٨).

ومن المعلوم أنّ رعاية الفُصْحَى صارت -لاحقاً- جزءاً من السّياسة العامّة للدّولة، كما هو شأن الحال مع العطاء، والقضاء، والجُنْد والحسبة، وعلم الشّريعة. ومسألة السّياسة اللّغويّة الواضحة تجاه اللّغة الرّسميّة لا تزال إلى اليوم تحظى بأكبر قدرٍ من العناية عند جميع العرب.

على أنّ هذا الفريق من اللّغويّين يفترض وجود كلامين للعرب القدامى (فُصحى ولهجة، أي: عاميّة)، وبينهما مفارقات في صفات جوهرية على مستوى الأصوات، والمباني والتراكيب، والدلالات، ولكلّ منهما استعماله الخاصّ به، فواحدة للفكر المنظّم وللتفاهم المشترك، وأخرى محلّية ولشؤون الحياة اليومية، ومع ذلك فالبونّ بين المستويين لم يكن شاسعاً، فيمنع التفاهم. ومن المقطوع به أنّ العامّة كانت تفهم الفُصحى، وإنّ لم تراسل بها، ثمّ أنّها معاً من نتاج بيئة تكاد تنعدم فيها فروق ما بين اللّغة والجنس، فأعراق القبائل من دم عربيّ، وأصول الكلام من أرومة عربيّة (عربّ في عربّ)، حتّى لقد عُرفت أرضهم منذُ مبدأ تأريخها الاجتماعيّ بـ(بلاد العرب).

وقد كان في تمازج القبائل العربيّة بعضها ببعض، أنّ تلاقت في آنٍ واحدٍ لهجات مع لهجات، ولهجات مع فُصحى، فكانت النتيجة أنّ طراً تغيير على اللّهجات وعلى الفُصحى معاً.

فأمّا اللّهجات، فكان من تفاعلها اليوميّ مع نفسها، ومع الفُصحى - فضلاً عن ألسنة العجم المختلفة - أنّ تولّدت من هذا كلّ لهجة خليط، وهي التي صار إليها أمر التفاهم اليوميّ بين النّاس، لكنّها كانت لهجة تؤخذ بالتّهاون، وبعدم الرّعاية من أهل الحلّ والعقد، وذلك مخافة أنّ تُنافس (الفُصحى) لغة التّوحيد، والتّفاهم المشترك، فآل ذلك إلى أنّها عاشت، ولا صفحة مهمّة لها في أيّ من مجالات الحياة الرّسميّة، بل حياتها محكومة فقط للوراثة والعادة، وليس لتعليم مُوجّه ومبرمج، وطالما هي غير مُحصّنة لارسمياً ولا شعبياً، فليس ثمة حائل -إذن- ليكبح من جماح التطوّر والتغيير فيها.

وأمّا الفُصحى، فليس ثمة من شكّ في أنّ صورتها بالبيئة الجديدة قد استمرت كسابق عهدها بالجزيرة لغة موحّدة ومرسومة على الثّبات، فلم يُصبها إلّا القليل من التّغيير، ومكتوبات القدامى الماثلة بأيدينا، تكاد تخلو كليّة من أيّة أخبار عن الأخطاء في

الكلام المكتوب. وعلى شدة اهتمامنا بهذه النقطة منذ سنوات، فلم نعر على الأخطاء إلا في أخباريات عن التّخاطب الشّفاهيّ بالفصحى، فهي أخطاء ألسنة لا أخطاء أقلام، وبعضها كان من العرب أنفسهم، وبعضها الآخر كان من العجم، وبعضها كان من الصّفوة المهذّبة، وبعضها كان من سواد النّاس. ولنا حول هذه المسألة إسهاماً قيد التحقيق بعنوان: (اللّحون الأولى، مادّتها وتحليلها)، وحسبنا في هذا المقام أن نخلص إلى أن توسيع دائرة استعمال الفصحى قد أدّى إلى ضارّة نافعة، فكان انحراف عن بعض عاداتها الكلاميّة، وهو ماشاع في ظاهرة كبرى هي: (اللّحن)، ونتيجة اللّحن كانت حافزاً من جملة حوافز نحو تحصين اللّغة، بوضع (النّحو)، وكان مجتمع البصرة عصرئذٍ مؤهلاً أكثر من غيره لكي يسجّل سبقاً في مضمار العلوم الفكرية المحضة، ومنها علم النّحو خاصّة. وفي الفقرة أسفله يرد الحديث عمّا وقع للعربية على ألسنة العجم.

العربية وعجم البصرة

العربية بحرٌ، وماء البحر لا تُغالبه السيول، وإنْ تكاثرت عليه. وكذلك كان المدى فسيحاً بين لغات عجم العراق ومغالبة لغة العرب، بل قد كان من شأن تلك اللّغات، أنّها أخلت السبيل أمام العربية، كليّاً في كلّ نواحي التّقدّم والرّقيّ العقليّين، وجزئياً في سائر مناشط الحياة، وقد رتّ العربية على ما لم تقدر عليه لغة من قبل في العراق، فالإغريق والرومان والفرس جميع هؤلاء حكموا البلاد لفترات من الزّمن، ومع ذلك بقيت لغاتهم غير لغات الأهالي، وكانت لغة للحاكم، وكانت لغة للمحكوم، حتّى إذا بسط الإسلام نفوذه، وراقت للعجم طبيعته، وأحسّوا من العرب الأخوة لا الاستعمار، وقع التّأثير من العرب عليهم، وانعكس ذلك في متغيّرين، هما: متغيّر الدّين، ومتغيّر اللّغة، وامتزج العجم مع العرب ديانةً ولغة. والعناية في هذا المقام مخصوصة بمتغيّر

اللغة حسب، والظاهرة اللغوية - كما هو مُسلّم به اليوم^(٩) - هي ظاهرة إنسانية مكتسبة، وليست من الفرد بأبٍ أو أمٍّ، ولا بمكانٍ أو معتقدٍ. والكائن البشري مبرمج عضوياً منذ الطفولة على اكتساب ملكة اللغة تماماً مثلما يكتسب باقي الملكات في مجالات الحياة المتنوعة، واكتساب الملكة في اللغة اللازمة للحياة اليومية يتم تلقائياً بمجرد الاستماع المباشر للغة، ومن خلال الوسط الاجتماعي المحلي، وبقدر محدود من الدربة والمران، على حين أنّ اكتساب الملكة في اللغة الرسمية (الفصحى) يحتاج إلى أكثر من مجرد التعرّض المباشر للغة، إلى معاناة قاسية وإلى مرجعية تحصيل تُؤخذ بالتعليم الجادّ، ومن خلال حفظ النصوص الموافقة، ولقاء الفصحاء. وبعض الكلام الرسمي محتاج بعداً إلى مواهب خاصّة، و[لا] سيّما في الكلام الأدبي، وفي كلّ الأحوال يقتضي أن تختلف ملكة الكتابة عن ملكة النطق. والأمر في هذا سواء لدى العرب والعجم، ونحن نتوقّف تالياً إلى ما كان من شأن العجم في هذا المنحى، وبداية على مستوى العربية الكتابية، ومن ثمّ على مستوى العربية الشفاهية.

العجم ونُفْعُ الْكِتَابَةِ

الإسماح أو المشقة، اللذان يرتبطان بقدرة الفرد على التعلّم، هما من أهمّ الأسباب وراء توارّد صفحات المكتوبات صافية بلا خطأ، أو مخلوطة بخطأ. ومعلوم بالبدهة أنّ التعلّم إنّما يناله أهل الثقافة والعلم، ومن خلال الدربة، والاعتصام بالأصول المرعية حفظاً وتطبيقاً. والمنشئ الكاتب في هذا المقام لديه الوقت، وعنده حريّة التصرف، فيمحو ويثبت ويقايس المنفوث بالمصدور إلى أن يصل به التعبير حدّ المواضعات السليمة، والعرب والعجم في هذا المقام سواء بسواء، وللفرّاء عبارة موفقة: «إذا حفظت أو كتبت لم ألحن، وإذا رجعت إلى الطبع لحنْتُ»^(١٠).

والوقوف المتأني عند المأثورات التي زوّدنا بها مؤرّخون، تكشف لنا أنّ العجم قد جدّوا في تعلّم العربيّة، وحرصوا على أن يستووا منها، على مثل مايتوافر للعربيّ أن يستوي عليه، وما لبثت أوساطهم المثقفة إلّا قليلاً، حتّى صاروا من أولى الرّياسات في اتّخاذ العربيّة وسيلة للتأليف، وفي مختلف العلوم، من نقلية وعقلية.

ومن أولئك العلماء الأول: حمّاد الرّواية جامع المعلّقات، وابن إسحاق، أول من بعج النحو ومدّ القياس، ومثله من أعلام الدّرس النحويّ: عيسى بن عمر، ويونس بن حبيب، وسيبويه، والكسائيّ، والفراء..، وهناك أبو عبيدة معمر بن المثنى، عالم الغريب من العربيّة، ناهيك عن طبقة الشعراء، والقراء، والفقهاء، والمؤرّخين. وبحسب المقام، تأتي هنا إجابة بشار بن برد؛ إذ قيل له مرّة: « ليس لأحدٍ من شعراء العرب شعر إلّا وقد قال فيه شيئاً استنكرته العرب، وشكّ فيه، وإنّه ليس في شعرك ما يُشكّ فيه، قال: ومن أين يأتيني الخطأ؟! ولدت هاهنا، ونشأت في حِجور ثمانين شيخاً من فصحاء بني عُقيل، ما فيهم أحدٌ يعرف كلمةً من الخطأ...»^(١١). وفي هذا ما يؤكّد أنّ ملكة التّأليف بالعربيّة لا علاقة لها بجنس، ولا بوراثية، وإنّا بالتعلّم، وبالتّفاعل مع اللّغة حتّى الإتيان.

العجم ولغة التّفاهم

بوسع المؤرّخ اللّغويّ أن يقتفي بنحوٍ من التّدقيق خطّ التسلسل في علم العربيّة المكتوبة، وليس بوسعه فعل ذلك مع العربيّة المحكيّة، والأمر في الحالين ليس على السّواء. وقد أسلفنا في الفقرة قبل الفقرة أعلاه، أنّ طبائع الأشياء هنا وهناك مختلفتان. وقد كان من معتاد الأقلام العربيّة في عهودها الأولى، أنّها تحامت تسجيل لغة التّفاهم بواقعيتها المحضة، وليس بأيدينا البتّة (نصّ مطوّل) في هذا الباب، وإنّا مفردات من الألفاظ، أو جمل ذات سلاسل صرفيّة بسيطة جدّاً، بل ليس في كلّ تراث لحون العامّة

القديمة سوى نماذج من مفردات معزولة عن تراكيبها، أو تراكيب معزولة عن سياقاتها. وعلى أية حال، فلئن تُعوز الشواهد الحية على لغة المشافهة الحية على لغة المشافهة بين العرب أنفسهم، ولئن تكن بين العرب والعجم أشدَّ عوزاً، فإنَّ طبائع الأشياء في هذا المجال، ليست عصية في نطاق التَّصوُّر العقليِّ. ومقتضاها بمقايضة الماضي بالحاضر، أنَّ التفاهم بين العرب والعجم قد كان بلهجة عربية، بيد أنَّها - في جوهرها - خليطٌ من لهجاتٍ شتى، سواء من حيث المستوى الصَّوتي، أو الصَّرفي، أو النَّحوي، أو الدَّلاليِّ. وتبعاً لما يتصوَّره (يوهان فك)^(١٢)، فقد استعانت تلك اللهجة «بأبسط وسائل التعبير اللُّغويِّ، فبسَّطت المحصول الصَّوتي، وصوغت القوالب اللُّغوية، ونظام تركيب الجملة، ومحيط المفردات، وتنازلت عن التصرُّف الإعرابيِّ، واستغنت بذلك عن مراعاة أحوال الكلمة وتصريفها، كما ضحَّت بالفرق بين الأجناس النَّحوية، واكتفت ببعض القواعد القليلة الثَّابتة عن مواقع الكلمات في الجملة».

وفي الحقِّ، أنَّ لا شيء يبقى على حاله، وبعيدٌ كلُّ البعد أن يظلَّ النِّظام اللُّغويُّ ثابتاً طول حياة لغة من اللُّغات، ومن شأن لغة التفاهم أن تكون أكثر من غيرها عُرضة للزيادات أو الانتقاصات. ولا جدلية في الفكر اللُّغويِّ العامِّ حول صحَّة هذا التوصيف، والجدلية إنما هي في الحكم على الظاهرة وفي تقييمها، وربَّما وصلت الاتجاهات في هذا المقام إلى نتائج متعاكسة، مابين التَّخطئة ووجوب التَّطهير، إلى القبولية والترخيص بالاعتراف^(١٣). وعموماً، فقد عدَّ الفكر اللُّغويُّ العربيُّ القديم كلَّ خروج عن قواعد لغة الكتابة (الفصحى) من خور الطباع، و(لحناً) «أقبح من الجدري في الوجه، والتفتيق في الثوب»^(١٤)، وحاجة البحث من هذا (اللحن) أن يتسلَّط الصَّوء على اللحن في المحصول الصَّوتي، وتحديدًا على ماهية وكيفية ما صنعه العجم هاهنا، ونحن نراسل الحديث عن هذا الجانب تحت مظلة لحن (اللُّكنة).

لَحْنُ اللَّكْنَةِ مَرْكُوزٌ بِأَسْنَةِ الْعَجَمِ

اللُّكْنَةُ: (اسم مصدر) من قالب (فُعْلة)، وهو قالب تستحبّه الذّاكرة العربيّة، كيما تولّد أسماء معانٍ للألوان وللعيوب، فمن الألوان: الحُمْرة، والصُّفْرة، والزَّرْقَة، ومن العيوب: الحُبْسة، والعُقْلة، واللُّثْغَة، والعُجْمة والرُّثَّة، والعُجْلة، والقُطْعة، والغُنَّة، وبضمنها (اللُّكْنَةُ). وكلّها من عَيِّ اللِّسان لدى المشافهة بالكلام، ثمّ أنّها بعدُ من المصطلحات المهمّة في هذا الشّأن، ولا يمتنع أن يكون بعضها قد جرت عليه مناقلة ما، من لدن كونه مجرد كلمة عاديّة، إلى أن استعمل مصطلحاً عند أهل الوعي بالتصنيف اللّغويّ العقليّ. ونذكر هنا أنّنا اعتسفنا حول (اللُّكْنَةُ) خصيصي أوثق مظانّها اللّغويّة، فترجّح لدينا أنّها عتبت إلى الاستعمال -مصطلحاً- منذُ مبتدأ أمرها، والفاثحة كانت من (الجاحظ) حين ابتغى الحديث عن عيوب النّطق والنّاطقين، فاستعمل الكلمة على أنّها (لقبٌ مذمومٌ) لمنّ ساء لسانه من العجم، فأخطأ في نطق الوحدات الصّوتيّة العربيّة حصراً. واطّرد الاستعمال على هذه الشّاكلة عند الجاحظ، ولم نره خلّعه على غير العجم، ولا خارَج الإقامة الخاطئة للأصوات، ومّا ذكره في حدّ اللُّكْنَةِ: «ويقال: في لسانه (لُكْنَة)، إذا أدخل بعض حروف (أصوات) العجم في حروف (أصوات) العرب، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأوّل، فإذا قالوا: في لسانه (حُكْلَة)، فإنّها يذهبون إلى نقصان آلة المنطق، وعجز أداة اللفظ، حتّى لا تعرف معانيه إلّا بالاستدلال»^(١٥)، ومن بعدُ بقي استعمال الجاحظ هو مرجعيّة التّحصيل في (اللُّكْنَةُ)، بيد أنّ المفهوم منها توسّع، فضلاً عن الخطأ الصّوتيّ، صارت اللُّكْنَةُ تعني: مجموع الأخطاء اللّغويّة بعامة، شريطة أن تكون من العجم.

ونرجّح أنّ محمّد بن يزيد المبرّد النّحويّ هو الذي نظّر لذلك، وقد قاله مجملاً، ثمّ فصله لدى فلسفته سلامة النّطق وعيوبه، ومّا قاله: «التمتمة: التّردّد في التّاء، والفأفأة:

التردد في الفاء، والعقله: التواء اللسان عند إرادة الكلام، والحبسة: تعذر الكلام عند إرادته، واللفف: إدخال حرف في حرف، والرثة: كالرتج، تمنع أول الكلام، فإذا جاء منه شيء اتصل، والغمغة: أن تسمع الصوت، ولا يتبين لك تقطيع الحروف، والطمطمه: أن يكون الكلام مشبهاً بكلام العجم، واللكنة: أن تعترض على الكلام اللغة الأعجمية...، واللثة: أن يعدل بحرف إلى حرف، والغنة: أن يشرب الحرف صوت الخيشوم، والحنة: أشد منها، والترخيم: حذف الكلام...»^(١٦).

وفي الاستعمال الحي لم ترنا عشرين مادة (ل ك ن) على غير قالبى (فعله، وأفعل - فعلاء)، ويبدو أن الصفة تزامنت في توليدها مع اسم المعنى، فقد أوردتها المبرّد نفسه ضمن مقالة في مدح العربية مروية عن «إسحاق بن خلف البهراني»، والمقالة مسبوكة في قوالب من النظم الموجه نحو أغراض تربوية محضة:

النحو يسط من لسان الألكن والمرء تكررُهُ إذا لم يلحن
وإذا طلبت من العلوم أجلها فأجلها منها مُقيمُ الألسن

وأعقب المبرّد البيتين بأحدوثة الأصمعي التي فيها «ثلاثة يحكم عليهم بالاستصغار حتى يُدرى مَنْ هُم، أحدهم رجل سمعته في مصر عربي يتكلم بالفارسية»^(١٧)، فقوى بذلك أن الألكن واحد العجم لا العرب، وأن الخطأ أعم من حصره في الأصوات وحدها. وفي المحصلة فاللكنة من أخطاء لغة الحديث لا الكتابة، وأنها خاصة لسانية بالعجم كجنس لا كأفراد، وكأننا لقف المعجميون رؤية المبرّد، فإذا بها تتكرر في المعاجم المتعاقبة، وحتى يوم الناس هذا، ثم وسعت المعاجم مادة الكلمة بالأوجه القياسية التالية: (لكنَ فلان، يلكن، لكناً، ولكنة، ولكونة، ولكونة، وهو ألكن، وهي لكناء، والجمع لُكنَ)، وإخال أن لفظ (اللكنة) هو أساس الاشتقاق لكل هذه التصريفات، وليس العكس، وفي المظنون أن يرتد تأصيل (اللكنة) إلى مادة أخرى قريبة منها أصواتياً،

ومتعاكسةٍ معها في الدلالة، وهي مادة (لَقِنَ - يَلْقَنَ على معنى عَقَلَ الشَّيْءَ بِتَمَاهِهِ).

تطبيقاتُ لَحْنِ اللَّكْنَةِ عَلَى الْمَسْتَوَى الصَّوْتِيِّ

لو بين أيدينا اليوم كل ماوددنا لو حصلنا عليه من (لُكْنَاتِ عَجَمِ الْبَصْرَةِ)، لكننا نفيد من تلك في تعليم القواعد العربية لغير الناطقين بها. على أننا مع ذلك ماعدمنا من الغيض فيضاً، وثمة إثارات مساعفة، وشذرات مفيدة، قد تَجَمَّعَتْ لدينا بهذا الصَّدَد. ومعظمها إخباريات من نوع الفكاهات اللغوية، التي تَلَفَتْ الفكر إلى شيوع ظاهرة نُطْقِيَّةٍ ما، فضلاً عما تؤدِّيه من دعابة ومرح، والفضل كل الفضل يعود للجاحظ، الذي كان (سابقة) ونابعة في هذا المقام، فما سجَّله من أحاديث اللُّكْنَةِ، قد صار يتكرَّر نصّاً أو روحاً في المؤلَّفات بعده.

وتالياً نسوق الأمثلة الموافقة، وفي مستهلّها كُشِّفَ عامٌ بتجليلات ما وقعنا عليه منها:

حِزُّ اللَّكْنَةِ	قانون الإبدال	المثال	جنس العجم
			فُرس وما إليهم من شعوب غير سامية
بلعوميّ	ح < هـ	مرحباً < مرهباً	X
	ع < أ	عسل < أسل	X
لهويّ	ق < ك	قمر < كمر	X

--	X	جرادة < زرادة	ج < ز	لثويّ غاري
+	X	أبيض < أبيض	ض < د	لثويّ أسنانيّ
X	+	سلطان < سلتان	ط < ت	أسنانيّ لثويّ
X	+	أظن < أزن	ظ < ز	بين أسنانيّ
X	X	جرد < جرد	ذ < د	

أ- فئة الأصوات (ح، ع، ق، ض، ط، ظ)، وهذه ليس لنغمتها ولا لأبجديتها مقابل عند العجم.

١- الحاء: ح < هـ

بلعوميّ احتكاكيّ، مهموس < حنجريّ، احتكاكيّ، مهموس
اللكنة: فرس، روم، ذوو قرابة سامية.

الأمثلة: (مَرَحَباً < مرهباً، حَيَّاكُمْ < هيّاكم، حَسَن < هسن، حُرُوي < هروي، حِمَار < همار، وحش < وهش، حائن < هائن، أَحْسَن < أهسن، حاصل < هاصل، تُحْسَن < تُهسن).

فرس: فئة مثقفة: أبو عطاء السّنديّ، وعبيد الله بن زياد، والفقير مكحول، وفئة عوام: فيل مولى زياد.

* «اجتمع يوماً في مجلسٍ بالكوفة، فيه حمّاد الراوية، وحمّاد عجرد، وحمّاد بن الزّبرقان،

وبكر بن مصعب، فنظر بعضهم إلى بعض، وقالوا: ما بقي شيء إلا وقد تهيأ في مجلسنا هذا، فلو بعثنا إلى أبي عطاء السَّنْدِي! فأرسلوا إليه، فأقبل يقول: مرهبا مرهبا هياكم الله! وقد كان أحدهم من يحتال لأبي عطاء حتى يقول: جرادة، وزُج، وشيطان، فقال حماد الراوية: أنا، وجاء، فقلنا: أتعشى؟ فقال: تأسيتُ، فقال حماد: كيف علمك باللُّغز؟ فقال: هسن، فقال له:

فَمَا صَفَرَاءُ تُكْنَى أُمَّ عَوْفٍ كَأَنَّ سُوقَتَيْهَا مِنْجَلَانِ

فقال: زrada.

فَمَا اسْمُ حَديدَةٍ فِي الرُّمَحِ تُرْسِي دُوَيْنَ الصَّدْرِ لَيْسَتْ بِالسَّانِ

فقال: زَز.

أَتَعْرِفُ مَسْجِدًا لِبْنِي تَمِيمٍ فُوقَ الْمِيلِ دُونَ بَنِي أَبَانِ

فقال: بني سبتان.

فقال حماد: أصبتَ، وضحكنا»^(١٨).

* عبيد الله بن زياد والي العراق، وكان يرتضخ لكنةً فارسيَّةً، وإنما أتته من قبل زوج أمه شيرويه الأسواري وأمّه (مرجريت)، وصارت (مرجانة)، وقد قال لرجل ظنه من الخوارج: (أهروي منذ اليوم؟) يريد أحروري؟ وهذه الهاء تشترك في قلبها من الحاء أصنافٌ من العجم^(١٩).

* الفقيه (محكول) من أسارى كابول، وكان يستعوض بالحاء هاءً، والقاف كافاً^(٢٠).

* فيل مولى (زياد) والي العراق، قال لزياد: «أهدوا لنا همار وهش، قال: أي شيء تقول ويلك؟»^(٢١).

* روم: فئة مثقفة، صُهب الروميّ.

* صُهب الروميّ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونسبه في النور

ابن قاسط، ولكن وقع عليه سبي، فصار يرتضخ لكنة روميّة، «كان يقول: إنك لهائن، يريد: إنك لحائن (هالك)»^(٢٢).

* ذوو قرابة سامية: (نبط، حبش، سريان).

فئة مثقفة: أزدانقازار، وسحيم الشاعر. وفئة عوام: برصوما الزامر.

* أزدانقازار، ولكنته لكنة نبطيّة، وأملى على كاتب له، فقال: «أكتب الهاصل ألف كُر، فكتبها الكاتب بالهاء كاللفظ بها، فأعاد عليه الكلام، فأعاد، فلما فطن لاجتماعهما على الجهل، قال: أنت لا تهسن أن تكتب، وأنا لأهسن أن أُملي»^(٢٣).

* وكان سُحيم، عبد بني الحسحاس حبشيّاً، وفي لسانه لُكنة «إذا أنشد قال: أهسنك والله)، يريد أحسنت»^(٢٤).

* برصوما الزامر، وكانت فيه لُكنة، وسأله الرّشيد: «ما تقول في حسين بن محرز، قال: ما أهسن خضابه! يُريد: ما أحسن خضابه!»^(٢٥).

٢- العين: ع > أ

بلعوميّ، احتكاكيّ، مجهور > حنجريّ، انفجاريّ، لامجهور ولا مهموس.

اللُكنة: فرس، روم، ذوو قرابة سامية.

الأمثلة: (تَعَشَّيت > تَأَسَّيت، نَاعِمَة > نَائِمَة، دَعَوْتُك > دَاوْتُك، تَصْنَع > تَصْنَأ، مُشْمِعِل > مُشْمِئِل، عَسَل > أَسَل).

فرس: فئة مثقفة: أبو عطاء السّنديّ، وفئة عوام: فيل مولى زياد.

* أبو عطاء السّنديّ، وكان جيّد الشعر، وقال له حمّاد الراوية: «أتعشّي؟ فقال: تَأَسَّيت»^(٢٦).

روم: فئة عوام. جارية روميّة^(٢٧).

* «والنّحاس يمتحن لسان الجارية إذا ظنّ أنّها روميّة، وأهلها يزعمون أنّها مولّدة،

بأن تقول: ناعمة، ثلاث مرّات»^(٢٨).

نبط، فئة مثقفة: زياد الشاعر، وفئة عوام: النبطيّ القحّ، وبرصوما الزّامر.

* زياد النّبطيّ، أخو حسان النّبطيّ، والمعروف بزياد الأعجم، «وكان نحوياً، ودعا غلامه ثلاثاً، فلما أجابه قال له: فَمِنْ لَدُنْ دَاوُتَكَ إِلَى أَنْ قُلْتَ: لَبَّيْ، مَا كُنْتَ تَصْنَأُ؟»^(٢٩).

* والنبطيّ القحّ، الذي نشأ في بلاد النّبط، يجعل العين همزة، «فإذا أراد أن يقول: مُشْمَعْل، قال: مُشْمَل»^(٣٠).

* الرّشيد، قال لبرصوما الزّامر، وكانت فيه لكنة، ما تقول في ابن جامع، قال: زُقْ مِنْ أَسْل، يُريد: مِنْ عَسَل»^(٣١).

٣- القاف: ق > ك

لهويّ، انفجاريّ، مهموس، مُفَحَّم > طبقيّ، انفجاريّ، مهموس، غير مُفَحَّم.

اللّكنة: فرس > نبط

الأمثلة: (قُلْتُ > كَلْتُ، قَمَر > كَمَر، > قَوْسِي > كَوْسِي، أَنْعَع > أَنْكَع)

فرس: فئة مثقفة، أبو مسلم الخراسانيّ.

* «أبو مسلم الخراسانيّ، صاحب الدّعوة ... وكان إذا أراد أن يقول: قُلْتُ لك، قال: كُلْتُ لك، فشارك في تحويل القاف كافاً عبید الله بن زياد»^(٣٢).

* نبط: فئة مثقفة: زياد الأعجم، ومن العوام: أمّ بلال.

* قال الحباب بن الحسحاس: سَمِعْتُ زِيَاداً الْأَعْجَمَ يُنْشِد:

أَلَمْ تَرَ أَنَّنِي وَتَرْتُ كَوْسِي لَأَنْكَعَ مِنْ كَلَابِ بَنِي تَيْمِ

* قال شاعر في جارية له لكناء- هي أمّ بلال ونوح ابني جرير:

أَكْثَرُ مَا أَسْمَعُ مِنْهَا بِالسَّحَرِ تَذَكِيرُهَا الْأَنْثَى وَتَأْنِيثُ الذَّكَرِ

وَالسَّوَاءُ السَّوَاءُ فِي ذِكْرِ (القَمَرِ)^(٣٤).

٤- الضَّاد، ض > د.

لثويّ أسنانيّ، انفجاريّ، مجهور، مُطَبَّق > لثويّ أسنانيّ، انفجاريّ، مجهور، غير مُطَبَّق.

اللّكّنة: فرس، روم، نبط

الأمثلة: (فَضْل > فدل، أبيض > أبيض).

فرس: فئة مثقّفة أبو عطاء السّنديّ.

* عن عليّ بن محمّد النّوفليّ، عن أبيه، قال: كُنْتُ جالِساَ مع سليمان بن مجالد، وعنده أبو عطاء السّنديّ؛ إذ قام راوية لأبي عطاء السّنديّ يُنشِدُ مديحاً لأبي عطاء، وأبو عطاء جالس لا يتكلّم؛ إذ قال الراوية:

فَمَا فَضَلْتُ يَمِينُكَ مِنْ يَمِينٍ وَلَا فَضَلْتُ شِمَالَكَ مِنْ شِمَالٍ

فغضب أبو عطاء، قال: ويلك! ثمّ أنشد:

فَمَا فَدَلْتُ يَمِينُكَ مِنْ يَمِينٍ وَلَا فَدَلْتُ شِمَالَكَ مِنْ شِمَالٍ

فكدتُ أضحكُ، ولم أجسر؛ لأنّي رأيتُ القومَ بهم مثل ما بي، وهم لا يضحكون خوفاً منه^(٣٥).

روم: عوامّ وخواصّ.

* وقال الأصمعيّ: ليس للروم ضاد، ولا للفرس ثاء، ولا للسريان ذال^(٣٦).

نبط: فئة عوام، برصوما الزّامر.

* عن عمر بن شبّة، عن إسحاق أنّ الرّشيد، قال لبرصوما الزّامر، وكانت فيه لكّنة، ما تقول في يزيد، قال: ما أبيد أسنانه! يريد ما أبيض^(٣٧).

٥- الطّاء: ط > ت.

لسنانيّ لثويّ، انفجاريّ، مهموس، مُطَبَّق < أسنانيّ لثويّ، انفجاريّ، مهموس، غير مُطَبَّق.

اللُّكْنَةُ: نبط.

الأمثلة: (سلطان < سلتان)

نبط: فئة مثقفة: زياد

* زياد الأعجم، وأنشد المهلب بن أبي صفرة، في مدحه إيّاه:

فَتَى زَادَهُ السُّلْطَانُ فِي الْمَدْحِ رَغْبَةً إِذَا غَيَّرَ السُّلْطَانُ كُلَّ خَلِيلٍ

يريد: السُّلْطَانُ، وذلك أَنَّ بَيْنَ الطَّاءِ وَالتَّاءِ نَسْبًا؛ فَلِذَلِكَ قَلَبَهَا تَاءً؛ لِأَنَّ التَّاءَ مِنْ مَخْرَجِ الطَّاءِ^(٣٨).

٦- الطَّاءُ: ظ > ز.

بَيْنَ أَسْنَانِيٍّ، احْتِكَائِيٍّ، مَجْهُورٍ، مُطَبَّقٍ > لَثَوِيٍّ، احْتِكَائِيٍّ، مَجْهُورٍ، غَيْرِ مُطَبَّقٍ.

اللُّكْنَةُ: فُرس، نبط.

الأمثلة: (أظنَّ > أزنَّ).

نبط: فئة مثقفة: أبو عطاء السَّنْدِيّ.

*: «أَبُو عَطَاءِ السَّنْدِيّ فِي لِسَانِهِ لُكْنَةٌ شَدِيدَةٌ، وَلُثْغَةٌ، كَانَ يَقُولُ فِي أَظُنَّ > أَزُنَّ»^(٣٩).

*: وَذَكَرَ ابْنُ جَنِيٍّ: «وَلَا تَكُونُ الطَّاءُ فِي كَلَامِ النَّبْطِ»^(٤٠).

ب- فئة الأصوات (ج، ذ) وهذه لها نظير على المستوى النغمي، ولكنها بلا نظير في أبجديتهم.

١- الجيم ج > ز.

لَثَوِيٍّ، غَارِيٍّ، مَجْهُورٍ مُرَكَّبٍ (بَيْنَ الْاِحْتِكَاءِ وَالْاِنْفِجَارِ) > لَثَوِيٍّ، احْتِكَائِيٍّ،

مَجْهُورٍ، صَفِيرِيٍّ.

اللُّكْنَةُ: فُرس

الأمثلة: (جَرَادَةٌ > زَرَادَةٌ، زُجٌّ > زَزٌّ، هَجَوْتُهُ > هَزَوْتُهُ، جَمَلٌ > زَمَلٌ).

فرس: فئة مثقفة: أبو عطاء السّنديّ، وفئة عوام: سنديّ عجوز.
 * أبو عطاء السّنديّ وقوله في جرادة > زرادة، وفي زُج > زَز، وفي هجوته هزوته^(٤١).
 * قال الجاحظ: «السّنديّ إذا جلب كبيراً، فإنّه لا يستطيعُ إلّا أن يجعل الجيم زياً، ولو أقام في عليا تميم وسُفلى قيس وبين عجز هوازن خمسين عاماً»^(٤٢).

٢- الدّال: ذ > د.

بين أسنانيّ، احتكاكيّ، مجهور > أسنانيّ، لثويّ، انفجاريّ، مجهور.
 اللّكنة: نبط، سريان، روم.
 الأمثلة: (جرذان > جردان).
 نبط: عوام: أمّ نوح وبلال، ابني جرير.
 «وكانت أمّ نوح وبلال جرير الخطفّيّ جارية أعجميّة، فقالا لها: لا تتكلّمي إذا كان عندنا رجال، فقالت يوماً: يا نُوح، جُرْذانُ دخل في عِجانِ أمك؟»^(٤٣). قال الأصمعيّ: «ليس للرّوم ضادٌّ، ولا للفرس ثاء، ولا للسّريان ذال»^(٤٤)، «والصّقلبيّ يجعل الدّالّ المعجّمة دالّاً في الحروف»^(٤٥).

تحليل لُحْنِ الْلُكْنَةِ فِي ضَوْءِ مَفْهُومِ التَّدَاخُلِ بَيْنَ الْعَادَاتِ اللَّغَوِيَّةِ

بدايةً، يلزم التّنويه هنا إلى أنّ عدميّة السّيطرة على النّطق، لا تعني بالضرورة عدميّة إتقان اللّغة بشكل عامّ، فالنّطق واحد من عدّة معايير في مرجعيّة الحكم على إتقان اللّغات، وكثيراً ما تطلّعنّا وسائل الإعلام المرئيّة بأناس يُتقنون لغات مختلفة كتابةً وحديثاً، لكنهم يقيمون الأصوات إقامة مخالفة للمعهود من أمرها عند أهلها الأصليين. والتمثيل حاضر فيما بأيدينا من الأمثلة، وبالذات في شخصيّة (زياد الأعجم)، وقد كانت الشّخصيّة المحوريّة الأساسيّة في معظم أمثلة اللّكنة، على حين إنّها تُعدّ من جهة

إسهاماتها في الأدب المكتوب من فئة البلغاء والشعراء الرؤساء، ومثلها أيضاً شخصية (أبي عطاء السندي)، وأمثلة اللكنة تظهرها على أنها ألحن الناس وكل الناس قاطبة، مع أنها في أدبها الكتابي لا تقوي ولا تلحن؛ ولأن لسان (أبي عطاء) في الكلام الشفاهي كان يخونه، فقد اضطر إلى أن يتخذ مُشيداً لشعره، فهو القائل:

أَعُوَزَتْنِي الرُّوَاةُ يَابْنَ سُلَيْمٍ	وَأَبَى أَنْ يُقِيمَ شِعْرِي لِسَانِي
وَعَلَا بِالَّذِي أُجْجِمُ صَدْرِي	وَجَفَانِي لِعُجْمَتِي سُلْطَانِي
فَضَرَبْتُ الْأُمُورَ ظَهراً لِبَطْنٍ	كَيْفَ أَحْتَالُ حِيلَةً لِلْسَانِي
فَاكْفَنِي مَا يَضِيقُ عِنْدَ رَوَاتِي	بِفَصِيحٍ مِنْ صَالِحِ الْغِلْمَانِ ^(٤٦)

وقد تكلم الجاحظ في هذه النقطة كلاماً جيداً؛ إذ فَرَّقَ بجلاء بين إتقان قواعد الصِّرف والنحو، وإتقان مهارة النطق، فذكر: «وقد يتكلم المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة، ويكون لفظه متخيراً فاخراً، ومعناه شريفاً كريماً، ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطي، وكذلك إذا تكلم الخراساني على هذه الصفة، فإنك تعلم مع إعرابه وتخيُّر ألفاظه في مخرج كلامه، أنه خراساني»^(٤٧).

ومغزى كلام الجاحظ هو أن اللكنة تنم عن أجناس الناس، أو أماكن توطنهم، وقد أصبح هذا الشأن من اهتمامات علم حديث، هو: علم (الجغرافيا اللغوية).

وإذ نحن رجعنا إلى أمثلة اللكنة الأنفة، وتوقفنا ملياً عندها، فسنجدها أشبه ما تكون بالرطانات اللهجية داخل اللغة الواحدة، ومقتضى اللهجات أن تعكس خاصّة لسانية عامّة وغير مخصوصة بالإنسان الفرد على حدة، وحيثما وجدت فينبغي أن تسري أحكامها على الجميع وباطّراد، وعن غير تمييز، فيستوى فيها الخاصّة والعامّة، وكذلك كان منطوق الأمثلة، وقد أبرزنا هذا الملمح من خلال التابع في سرد كلام المثقّف فالعامي، حول اللكنة الواحدة، فالظاهرة خاصّة بالعجم ككل، والخطأ هنا خطأ

جماعي لا فردي، وعليه، فوجودها لابد من أن يعني قصوراً، أو ضعفاً في سيطرة العجم على المهارات السلوكية الخاصة بنطق هذه الفئة من الأصوات الكلامية، لاسيما وأنها قد رُصدت عند أناسٍ قد جاوزوا مرحلة اللدانة اللغوية الأولى، وحيث تكمن علة اللُكنة الحقيقية.

وتجليةً للأمر نشير إلى أن الإنسان يُولّد جهاز نطقه قادر على إنتاج أي صوت، وفي أي نظام لغوي، كائن ما كان، وثمة في جهاز نطقه عدد معيّن من العضلات، التي لكل منها عملٌ معيّن على أنها تتحرّك دفعةً واحدةً في تناسب وتوافق بعضها مع بعضها الآخر، بما يؤدي في النهاية إلى نطق الصوت المراد نطقه. وفي العادة أن يبدأ المرء منذ مرحلة الطفولة بترويض جهازه على وضعيّة من الحركات بعينها، وهي الوضعيّة اللازمة لإنتاج الأصوات في لغته الأم، فيشبّ المرء، وقد اكتسب ملكته في النطق بنحو ماتدرّب عليه منذ الصغر. وقليل ما هم أولئك الذين يقدرّون بعد البلوغ على إعادة التشكيل لوظائف جهازهم النطقي، فتصير إليهم الملكة بعد الملكة، وترسخ فيهم السليقة بعد السليقة. ولا براح أن المرء لا يستغل استغلالاً كاملاً جميع مالهيه من مقدرة نطقية، وإنّما يستغل من ناحية الكمّ بعضاً من كلّ، ومن ناحية الكيف شكلاً من متعدّد، وبالمحصلة يكون لديه من جهاز نطقه ماهو مهجور، وما هو معمور. وفي ضوء هذا الوضع، يكون طبيعياً أن تجبّ المرء مشكلةً نطقيةً مع المهجور، ولا تحبّه مع المعمور، وتنشأ المشكلة عندما يتعرّض المرء بعد مرحلة (اللدانة اللغوية) إلى محصول صوتي لا عهد له به في لغته الأم. وإزاء هذا المشكل النطقي -وقد يُقال: (التعليمي)- يكون المرء مضطراً إلى تعديل فيما لديه من مهارات سلوكية نطقية.

وجري الحال هنا يكون بتوظيف خبرات اللغة الأولى في اكتساب الثانية، ويسيطر في هذا المقام قانونان، هما: أ- قانون النّقل، ب- قانون التّعميم؛ إذ تنتقل وحدات صوتية

معينة من لغة المتكلم الأولى إلى الثانية، ثم يعمم المنقول، فيكون هو الجاري على اللسان، وجرأ هذا السلوك لا يكون المتكلم قد نطق بالصوت الأجنبي أجنياً، وإنما يكون قد نطق أصواته المحضة وكفى، بيد أنه جعل صوتاً ما في اللغة الأم يقوم بمهمتين: مهمته الأساسية، ومهمة الإحلال مكان الصوت الأصلي في اللغة الثانية.

وفي العادة أن تكون نبرة الصوت في مهمته الإحلالية أوضح سمعياً منها في مهمته الأساسية، حتى ليتمكن أن يكون الوضوح السمعي في هذا المقام من أبرز السمات الدالة على لُكنة اللّكن، وربما عرفت - أيضاً - بجنسه وموطنه.

إمكانية اجتناب لحن اللُكنة

سلف كلام في أن اللُكنة من الناحية الاجتماعية مدموغة بالعيب، وأن الإجماع قائم على عدم الاعتراف بشرعيتها، ويتضح العيب من الأثر النفسي لها على المتكلم والمستمع على السواء، ونسوق لذلك ما كان من ردّ (زياد) في المثال الخاص بمولى زياد؛ إذ نجد زياداً يقول له: «ما تقول، ويلك!»، لما سمعه يقول: «همار وهش، بدل: حمار وحش...». على أن العيب هنا ليس من العيوب التي لا تعالج، كالخرس والحبسة، وبإمكان علم الأصوات العلاجي أن يقدم للشخص تدريبات معينة، تُعينه على التحكم في حركات لسانه في أوضاع مختلفة داخل الفم وخارجه، حتى يصل به إلى الغاية المنشودة أو قريب منها.

وثمة مخرج آخر؛ إذ يمكن للمرء أن يتحاشى استعمال الأصوات الغريبة، فيسقطها من حديثه كما يسقط الألفاظ الصعبة، إلا إنه من العسير أن يجري المرء حديثاً بحيث يُجانب فيه استعمال وحدات صوتية أساسية من أجل تحاشي اللُكنة، وندر أن تُساعف مترادفات اللغة في تقديم حلول مرضية هنا، كأن يقول من لُكنته في: (ع، ح، ق، ش،

ض، ج) عوضاً عن جملة:

أ- يَرعى الحَمَلُ البَقْلَ المُتَشَرِّ بالحوض المجاور.

ب- «يَأْكُلُ الخُرُوفُ النَّبْتَ المتزايد بالمارسِ المِلَاصِقِ».

نظام الإبدالِ الصَوْتِيّ فِي لَحْنِ اللَّكْنَةِ

والمعالجة هنا مخصوصة بالإبدال الصَوْتِيّ الذي يقع بين الصَّوامت، بعضها مع بعض، وليس الذي يقع بين الحركات، أو بين الصَّوامت وصورها النُّطْقِيَّة الفرعية، فتلك تبدلات قلما تؤثر في المعاني، ولم تكن محطَّ عناية عند القدامى، ولم تَرْنَا وقفنا على إرثٍ لهم في هذا الجانب من نطق العجم، فتسجيلاتهم كانت للأخطاء اللِّسَانِيَّة التي كانت تؤدي إلى تغييرٍ في المعاني وحسب.

ونظرةً عَجَلَى على الجدول المرقوم بصدر الأمثلة المدونة آنفاً نرى أنَّ عملية الإبدال إنّما تمت بين الوحدات الصوتية، من تلك التي فيها تقارب أو تشارك في المخارج الصوتية، فضلاً عن الصفات التمييزية، ثم إنّها واقعة في مستوى لغويٍّ موحدٍ، وهذه شروط أساسية لكل عملية إبدال صوتية^(٤٨)، ومقتضى تحقق هذه الشروط أن تؤدي إلى إبدالات صوتية مطردة، حتى لتصبح بالنسبة إلى أهلها عرفاً لغوياً ثابتاً (لهجة)، ولا تُعدّ عندهم من أخطاء اللسان، وإنّما غيرهم هو الذي يُحِطُّهُمْ في كلامهم.

وقد كان من شأن العجم أن يُجروا إبدالاً صوتياً في مجموعة من الأصوات حيثما وقعت، وتحديدًا يمكن أن يقال إنَّ عملية الإبدال كانت تجري لديهم في فصيلة معينة من الأصوات، وتلك هي المتميزة بأنَّ مركز الجاذبية منها، إمّا واقع بمؤخرة جهاز النطق، في منطقتي الحلق والحنك القصي، وإمّا واقع بمقدمته في منطقة ما بين الأسنان، وفي هذا ما يكشف جلياً عن وجود مناطق من جهاز النطق مُستَغَلَّة لدى العرب، بينما هي غير

مُسْتَغَلَّةٌ عِنْدَ أَنْاسٍ سِوَاهُمْ.

وبالأحرى أَنْ نَشِيرُ هُنَا إِلَى أَنَّ خَاصِّيَّةَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ بَاقِيَةٌ إِلَى الْيَوْمِ عَلَى إِنْتَاجِ الْأَصْوَاتِ مِنْ مَخْتَلَفِ مَنَاطِقِ الْفَمِّ، مِنْ الشَّفَةِ إِلَى الْحَنَجْرَةِ، عَلَى حِينِ تَرْكَزِ الْأَلْسِنَةِ الْآخَرِ - أَعْنِي أَلْسِنَةَ الْعَجَمِ - عَلَى إِنْتَاجِ الْأَصْوَاتِ مِنْ وَسْطِ الْفَمِّ وَمَقْدَمَتِهِ، وَمِنْ ثَمَّ تَتَوَافَرُ لِلْعَرَبِيِّ سَهُولَةٌ تَعْلِيمِيَّةٌ فِي نَطْقِ الْأَصْوَاتِ الْخَاصَّةِ بِالْآخَرِينَ، وَلَا تَتَوَافَرُ لِلْآخَرِينَ سَهُولَةٌ تَعْلِيمِيَّةٌ فِي نَطْقِ الْأَصْوَاتِ الْخَاصَّةِ بِالْعَرَبِ.

وَمِنْ الْخَصَائِصِ الْبَارِزَةِ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ أَنْ يُنْتِجَ مِنْ وَسْطِ الْحَلْقِ صَوْتَيْ (ح، ع)، وَهَذِهِ مَنَاطِقَةٌ تَكَادُ تَكُونُ مَقْصُورَةً عَلَيْهِمْ، وَلَا يَشْرِكُهُمْ سِوَاهُمْ فِيهَا، مِنْ حَيْثُ إِنَّ غَيْرَهُمْ قَدْ يَسْتَغْلِلُ الْمَنَاطِقَ فِي أَسْفَلِ الْبَلْعُومِ أَوْ أَعْلَاهُ، أَمَّا الْوَسْطُ، فَلَا.

وَمِنْ خَصَائِصِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ - أَيْضًا -، أَنْ تَرْتَفِعَ مُؤَخَّرَةُ اللِّسَانِ فِي شَكْلِ مُقَعَّرٍ نَحْوَ أَقْصَى الْحَنَكِ الْعُلُويِّ عَلَى هَيْئَةٍ مَعْلَقَةٍ، بَيْنَمَا يَتَلَامَسُ أَوْ يَتَقَارِبُ جِزْوُهُ الْأَمَامِيُّ مَعَ جِزْءٍ آخَرَ مِنَ الْفَمِّ، وَهُوَ سَلُوكٌ عَضْوِيٌّ يُوَدِّي إِلَى حَدُوثِ الْأَصْوَاتِ الْمُسْتَعْلِيَةِ فِي نَاطِقِهَا، وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ بِأَصْوَاتِ الْإِطْبَاقِ وَالتَّفْخِيمِ: (ص، ض، ط، ظ، ق، غ، خ). وَعَمَلِيَّةُ الْإِطْبَاقِ مَرْكَزَةٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، أَمَّا غَيْرُهُمْ، فَلَا يَسْتَغْلِلُ لِسَانَهُ بِهَذِهِ الشَّكْلَةِ مِنَ التَّصْعِيدِ نَحْوَ الْحَنَكِ الْأَعْلَى، وَمِثْلُ ذَلِكَ يُمْكِنُ الْقَوْلُ عَنْ مَنَاطِقِ مَا بَيْنَ الْأَسْنَانِ، فَالْعَجَمُ لَا يَدْلَعُونَ لِسَانَهُمْ، وَإِنَّمَا يَجْبِسُونَهُ فِي مَنَاطِقِ اللَّثَّةِ، وَبِدَاخِلِ الْفَمِّ؛ وَلِذَا لَا يَكُونُ مِنْهُمْ أَصْوَاتٌ مِثْلُ: (ظ، ذ، ث).

قَوَانِينُ الْإِبْدَالِ بَيْنَ الْأَصْوَاتِ

وَتَحْلِيلُ الْمَقَابَلَةِ بَيْنَ الْأَصْوَاتِ الْمُبْدَلَةِ وَالْمُبْدَلِ مِنْهَا، لَا تُظْهِرُ فِي مَجْمَلِهَا تَمَازِجًا بَيْنَ إِبْدَالَاتِ صَوْتِيَّةٍ لَدَى جَالِيَةٍ مِنَ الْعَجَمِ عَنْ أُخْرَى، وَلَا سِيَّمَا بَيْنَ الْجَالِيَتَيْنِ الْكَبْرِيَّيْنِ

بالبصرة، وهما: جالية الفُرس، وجالية ذوي القرابة السّامية. وتكاد القوانين الصّوتيّة العاملة لدى الفئتين تكونُ واحدة بالتّمام، على الرّغم من أنّ هؤلاء من فصيلةٍ عرقيّة (طورانيّة)، وهؤلاء من فصيلةٍ عرقيّة (ساميّة).

وبنحو ما سجّله العلماء القدامى، فإنّ عمليّتي (النّقل والتّعميم) من لسان العرب إلى ألسنة العجم قد كانت على وفق القوانين الصّوتيّة العامّة التّالية:

أ- الجالية الفارسيّة:	المُشكِل الصّوتيّ	ح	ع	ق	ج	ض	ط	ظ	ذ
		٧	٧	٧	٧	٧	٧	٧	٧
	الأداء الصّوتيّ	هـ	أ	ك	ز	د	ت	ز	د
ب- الجالية السّامية	المُشكِل الصّوتيّ	ح	ع	ق	-	ض	ط	ظ	ذ
		٧	٧	٧	-	٧	٧	٧	٧
	الأداء الصّوتيّ	هـ	أ	ك	-	د	ت	ظ	د

* لسان الفرس: ونعرف من قصّة هؤلاء أنّهم في العصر السّامانيّ تأثّروا باللّغة الآراميّة، وكتبوا (الزّوارش) فارسيّ، بخطّ آراميّ، وبعد إسلامهم هجروا الآراميّة وتعلّموا العربيّة، وكتبوا بها، ولما عاودوا إحياء (الزّوارش) في القرن الثّاني الهجريّ، كان في هذه المرّة، لفظ فارسيّ، ولكن بالأبجدية العربيّة، وقد اضطرّهم الوضع الجديد إلى

تطوير رموز إملائية مناسبة لأربعة أصوات الخاصة بهم، وعليه صارت عدّة أصواتهم اثنين وثلاثين صوتاً صامتاً، وهي الأصوات العربية الثمانية والعشرون، مضافاً إليها أربعة أصوات الخاصة بهم (پ، چ، گ، ژ)^(٤٩)، وعليه، فإنّ تُنَحَّى جانباً الأصوات المشتركة بين العربية والفارسيّة، والأصوات الخاصة بهم، فإنّ مشكلتهم مع اللسان العربيّ وجب أن تكون في تسعة أصوات، هي: (ح، ع، ق، ض، ص، ط، ظ، ذ، ث). والمشكل النّطقيّ في هذه الأصوات هو عينه ما رصده علماء السّلف، إلّا من المشكل النّطقيّ في صوتي (الصّاد، والثّاء)، فلم يَتيسَّر لنا تسجيل ملاحظات للقدماء حولهما، ولا بأس في ذلك، من جهة أنّ اللّكنة لئن وقعت في نطقهما، فهي لا تُثير مشكلةً على المستوى الاجتماعيّ بين النّاس، بل لعلّ اللّكنة كانت في هذين الصّوتين محمودة أصلاً، فالأثر السّمعّي في إبداهما (ص > س، ث > س) كثيراً ما يُفهم كما لو أنّه يحمل معاني النّعومة والتّحضّر، وتلك ظاهرة لا تزال تُنمّيها وتستحبّها فئات السّكّان في المدن، بخلاف ما هو الحال في بقيّة الأصوات المُشكّلة. ثمّ أنّ العلماء الذين اهتمّوا بهذه الظّواهر هم في الأساس فئة من العلماء الأخباريّين لا اللّغويّين، وتوقّفهم إلى لكنة العجم لم يكن قصداً مباشراً نحوها، وإنّما استملاحاً لروح الطّرفة فيها، أي: خلطاً للجدّ بالهزل، فلا يضجر منهم مستمعون ولا قُرّاء.

على أنّه قد طرأ اختلاف في حلّ مشكل الصّعوبة النّطقيّة بين قدامى الفرس ومعاصريهم، فحركيّة اللّكنة قد تغيّرت، وصارت تُسمع الآن بنحوٍ آخر، وذلك في الأصوات (ق، ض، ذ، ج)، فإلى الغين لا الكاف صارت القاف، وإلى الزّاي صار كلّ من (الصّاد، والدّال)، وأمّا الجيم، فعدها مشكلة لدى الفرس كأنّها هو توهم؛ لأنّها وحدة صوتيّة مشتركة، وموجودة بأصل الوضع في الأبجدية الفارسيّة، وإنّما تُعدّ الجيم مشكلة في نطق ذوي القرابة بالفرس، من شعوب الهند والسّند، ولليوم هي مشكلة عند أولئك النّاس، وتراهم يلحنون بها جهة الزّاي.

* لِسَانُ ذَوِي الْقَرَابَةِ السَّامِيَةِ

والجالية البارزة في هؤلاء الأقرباء هي التي تتردّد في المورث العربيّ تحت تسمية (نبط)، وقد كانت تسمية أكثر العرب من استعمالها في وسم الجماعات العرقية من سكّان الشّام والعراق الأصليين، وتميّزاً لهم عن الفرس والروم، وفي العادة أنّها تسمية أطلقها العرب على (بني أرام)، وهم السّريان تحديداً.

وبدورهم، عرف هؤلاء نظاماً صوتياً مقتبساً من النظام الفينيقيّ القديم، وهو نظام مرتّب على نسق «أبجد، هوّز، حطّي، كلمن، سعفص، قرشت»، في اثنين وعشرين رمزاً صوتياً، وستّة من هذه الأصوات لها صورتان مختلفتان في النطق، وهي مجموعة «بجد كفت»^(٥٠)، فيُصبح مجموع الأصوات عند هؤلاء، كما الأصوات العربية، مؤلّفاً من ثمانية وعشرين صوتاً، وفيما عدا الأصوات الأربعة (ض، ظ، پ، ف)، فالباقي يكون موروثاً مشتركاً بين العرب والنّبط (السّريان). وعلى حين اختصّ العرب بصوتي (ض، ظ)، فقد اختصّ الآخر بصوتي (پ، ف).

وتبعاً للقاعدة اللّغويّة التي تقضي بوجود «صفر مشكلة» فيما هو مشترك من الأصوات، فإنّ لكنة النّبط (السّريان) يلزمها، من النّاحية النّظريّة، أن تكون في حيّز صوتي (ض، ظ) وحدهما. ولكنّ علماء السّلف رصدوا للنّبط لكنة في هذين الصّوتين وفي غيرهما، على نحو ما ورد في مسرد الأمثلة الآنفه، ونحن نميل إلى تصديق روايتهم، ونعتقّد بأنّها كانت تصويراً واقعياً لحالة أولئك النّاس في القرن الثّامن الميلاديّ، وما بعده، ومن ثمّ يلزمنا التسليم بمقولة التّطوّر الصّوتيّ الذي جرى لهم، من حيث إنّهم عصرئذ كانوا نبطاً من جهة العرق، فأما اللّسان، فبعيدٌ كلّ البعد أن يكون لسانهم قد بقي لساناً ذا طابع ساميّ؛ لأنّنا نجد هؤلاء قد فقدوا أهمّ خاصيّة صوتيّة من خواصّ اللّغات السّامية، ونعني بها: أصوات الحلق، وأصوات الاستعلاء المطبّقة.

ونحن على الاعتقاد بأنّ النّبط قد قلدوا الأقوام الذي نزلوا عليهم في عدميّة نطق هذه الأصوات، ومعلوم أنّ هذه البقعة الجغرافيّة من أرض الشّام والعراق، قد كانت تتغالبها الأمم بعد الأمم، فمن يونان إلى رومان إلى فرس، وجميع هؤلاء تخلو أبجديّاتهم من مثل هذه الأصوات.

ولاعجب فهذه حالة اعتياديّة في التّاريخ البشريّ، وثمة فروق بين اللّغة والعرق، فاللّغة تتبدّل ويبقى العرق محافظاً على أصله، وفي زماننا الذي به نحيا نرى الظاهرة محسوسة لدى بقايا النّبط (السّريان) ببلاد العرب، ولدى اليهود بأرض فلسطين.

فالسّريان في (المعلولة) قرب دمشق يلفظون أصواتهم في معظمها على وفق الأبجديّة العاميّة السّوريّة، وعبريّة (العبران) الحاليّة قد بعُدَتْ في بعض أصواتها، عن أصولها السّامية القديمة، وهي متأثرة بوضوح بعادات حياتهم في السّتات، ولاسيّما بعادات يهود أوروبا، وعليه، يلحظ المرء اختلافاً بين المنطوق والرّمز الإملائيّ لبعض الأصوات، فمثلاً: صارت لفظاً لا خطأً (الحاء > هاء أو خاء)، و(العين > همزة)، و(القاف > كافاً)، و(الرّاء > غيناً)، و(الطاء > تاءً)، و(الواو > ثاءً).

على أنّه تلزم الإشارة إلى أنّ بعضاً من اللّحن الصّوتيّ الذي سجّله القدامى عند ذوي القرابة السّامية له صلة بالتغيّرات الصّوتيّة في اللّغات السّامية بعامّة، ويضيق المجال هنا عن مناقشة هذا الجانب من البحث الصّوتيّ، ثمّ أنّه ليس من مواضيع الاهتمام المباشرة فيما بأيدينا من مبحث، وغاية ما يخدمنا هنا أنّ نوجز القول فنشير إلى أنّ اللّغات السّامية قد تطوّرت فيها أصوات الصّفير والأصوات بين الأسنان، ومالت أكثر اللّغات السّامية عدا العربيّة الفصحى إلى التّخفيف من الجهد العضليّ في نطق هذه الأصوات، إلى أصوات أقلّ منها عناءً في النّطق. ومن القوانين المطّردة هنا الإبدال الصّوتيّ بين (الشّين، والسّين)، فما يوجد بالشّين في العربيّة يُناظره بالسّين في السّريانيّة

(النَّبْطِيَّة): (شعر - سَعَر)، والإبدال بين (الظَّاء، والطَّاء)، فما يوجد بالظَّاء في العربيَّة يُناظره بالطَّاء في السُّريانيَّة أيضاً: (ظِل - طِل)^(٥١).

وبختم قوانين اللُّكنة وجب التوقُّف إلى ظاهرة اللَّحْن الصَّوْتِيَّ بين (الكاف، والتَّاء) في قول سحيم الحبشي لَمَنْ كَانَ يُنْشِدُ شِعْراً: (أَحْسَنَكَ وَالله، أَي: أَحْسَنَتَ وَالله)؛ وذلك أَنَّ صَوْتِي (الكاف، والتَّاء) بعيدان في المخرج، فواحد من أَقْصَى اللِّسَان، وواحد من بين طرف اللِّسَان مع اللَّثَّة، وَلَا تُعْرَفُ اللُّغَاتُ السَّامِيَّةُ وَلَا الْعَرَبِيَّةُ أَمْثَلَةً عَلَى التَّبَادُلِ بَيْنَهُمَا، وَهُمَا مَعاً مِنْ حَظِيرَةِ الْأَصْوَاتِ الْمَشْتَرَكَةِ فِي كُلِّ الْأَلْسِنَةِ، مَا يَعْنِي أَنَّهَا مُمِيزَانِ عِنْدَ الْجَمِيعِ عَلَى مَسْتَوِيِي الْمَخْرَجِ وَالصَّفَةِ، فَلَا مَشْكَلَةَ فِي أَدَائِهِمَا، وَعَلَيْهِ، فَالْمَسْأَلَةُ هُنَا لَيْسَتْ مِنْ قَبِيلِ التَّبَادُلِ الصَّوْتِيَّ، وَإِنَّمَا مِنْ قَبِيلِ الْعَادَةِ اللَّغَوِيَّةِ الْمَتْرُسِّبَةِ عِنْدَ صَاحِبِهَا.

ويعرف مَنْ لَهُ صِلَةٌ بِالدَّرْسِ السَّامِيِّ الْمُقَارَنِ أَنَّ الْمَوْضُوعَ هُنَا لَا دَخَلَ لَهُ بِالتَّاءِ كَصَوْتِ صَامَتٍ، وَلَا بِالْكَافِ كَصَوْتِ صَامَتٍ، وَإِنَّمَا هِيَ مَسْأَلَةُ الْإِبْدَالِ اللَّغَوِيِّ الصَّرْفِيِّ الْخَاصِّ بِضَمِيرِي التَّكَلُّمِ وَالْمَخَاطَبِ، وَمَوْجُزُهَا أَنَّ بَعْضَ السَّامِيَّاتِ كَانَتْ تَوْظَفُ التَّاءَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّكَلُّمِ وَالْمَخَاطَبِ، وَبَعْضُهَا تَوْظَفُ (الْكَافِ) لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهِمَا، وَهُنَا تَفَرَّقُ فِي الْجِنْسِ بَيْنَهُمَا بِالْحَرَكَاتِ. وَالْحَبَشِيَّةُ كَانَتْ تَجَانِسُ بَيْنَ التَّكَلُّمِ وَالْمَخَاطَبِ (بِالْكَافِ)، وَظَلَّتْ هَذِهِ الْحَالَةُ تَعْلُقُ بِلِسَانِ سَحِيمٍ، وَإِلَى الْيَوْمِ هِيَ مَسْمُوعَةٌ فِي لَهْجَاتِ الْيَمَنِ وَبَعْضِ لَهْجَاتِ السُّودَانِ، فَاسْتِعْمَالُ الْكَافِ (لِلْمَخَاطَبِ وَلِلتَّكَلُّمِ) خَاضِعٌ هُنَا لِقَانُونٍ ثَابِتٍ، لَهُ سُنَّةُ الْإِطْرَادِ^(٥٢).

وصفوة الكلام في اللُّكنة أَنَّهَا وَإِنْ صُنِّفَتْ اجْتِمَاعِيًّا بِالْخَطَأِ، إِلَّا أَنَّهَا فِي نَشْأَتِهَا خَاضِعَةٌ لِقَانُونٍ ثَابِتٍ، وَتَقِفُ وَرَاءَهَا عِلَّةٌ مَنْطِقِيَّةٌ، وَهِيَ عِلَّةُ التَّدَاخُلِ بَيْنَ اللُّغَاتِ وَعَنْ طَرِيقِ النُّقْلِ السَّلْبِيِّ مِنَ اللُّغَةِ الْأُولَى إِلَى الثَّانِيَةِ، وَتَالِيًا نَجْرِي النِّقَاشَ فِي نَمَطٍ آخَرَ مِنْ لَحْنِ الْمَخَاطَبَاتِ الشَّفَاهِيَّةِ مِمَّا كَانَ مِنَ الْعَجْمِ، وَذَاكَ هُوَ لَحْنُ الْخَاصِّيَّاتِ الْفَرْدِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْإِنْسَانِ الْفَرْدِ، دُونَ مُحِيطِهِ الْجَمَاعِيِّ.

اللَّحْنُ الصَّوْتِيَّ خَاصِيَّةً لِسَانِيَّةً فَرْدِيَّةً

لحن الخاصِّيات الفردية متروك للسليقة اللغوية عند كل فرد على حده، ومن غير عدوى من الفرد إلى محيطه الاجتماعي، وهو احتمالية جوازية الوقوع لا واجبه، والعرب والعجم على قدم سواء في هذا المنحى، وأصوات اللغة الأم واللغة الدخيلة على قدم سواء أيضاً؛ وذلك لأن التلبس باللحن هنا لا يكون مقصوداً، ولا اختيارياً، كما أنه بعيد كل البعد أن يساوى باللحون الناجمة عن (اللكنة)، فما هو باللكنة ولا بقريب منها، وهو في موجزه لحن لساني فردي يخطُّ على المرء من دون استئذان منه، وفي الغالب يُسبَّب له إخراجات شتى، تهون حيناً، وتصعب أحياناً.

وثمة مظهران أساسيان للحن الخاصية الفردية، وهما: عوج اللسان وزلته، فأما عوج اللسان، فهو الملحوظ عند أصحاب العيوب النطقية الناجمة عن أسباب خلقية، أو عن نقص في النمو الإدراكي، كما هي الحال في إعاقة (الخرس، واللثغة، والحنن، والفلج)، وأما زلة اللسان، فهي الملحوظة في زيغ الكلام الشفهي، أثناء استخدام اللغة المستعملة، ويكون عادة في الأصوات والمفردات والجمل، حيث يكون المتكلم أراد شيئاً، ولكن لسانه يبك شيئاً غيره. ونحن نتوقف إلى هذين المظهرين على سبيل الإشمام، وبالقدر الذي يكشف عما كان للعجم القدامى من إسهام فيهما؛ وذلك لأنَّ المشكل في المظهرين متعلق بقضية كبرى عامة، وهي قضية الحياذ بنطق الصوت عن صورته الصحيحة، أو تبعاً لمفاهيم علم النفس اللغوي، هي قضية خروج التنفيذ عن مرحلة التخطيط، واختلاف لغة الحس عن لغة العقل^(٥٣).

* عوج اللسان: والخطأ اللساني في حالة عوج اللسان يبقى في معظم حالاته ملازماً للمتكلم، وصورة أصلية في معجمه الصوتي، ولا يستطيع علم الأصوات العلاجي أن يُقدِّم حلاً لهذه الحالات، ولا سيما في الإصابات المرضية المعطلة لبعض مراكز العملية

الكلامية، كما هو في اللّثغة والخرس واللّجلجة. وقد كان الجاحظ قد تَوَقَّفَ مَلِيًّا عند اللّثغة، ولعلّه فاتحة الحديث فيها، على الرُّغم من أن حديثه لم يكن من منطلق لغوي أو صوتي، بل من منطلق فكاهي اجتماعي، وكان قد حصر أنماطها في أربعة أصوات (القاف، والسّين، واللام، والرّاء)، وفيها يتحوّل كلّ صوت من هذه الأصوات بصورة ثابتة إلى صوتٍ بديلٍ عند اللّاثغ عريباً كان أم أعجمياً.

* القاف: وتُبَدَّلُ في اللّثغة إلى (طاء).

ومثاله: بدل أن يقول: قُلْتُ له، يقول: طُلْتُ له.

* السّين: وتُبَدَّلُ إلى (ثاء).

ومثاله: إذا أراد، بسم الله، قال: بثم الله.

* اللّام: وتُبَدَّلُ إلى (ياء).

ومثاله: بدل قوله: اعتَلَّكت: اعتَيَّيت.

* الرّاء: وتبدل إلى أربعة أصوات: (ياء، وغين، وذال، وطاء).

ومثاله: أن ينشد كلمة (مَرَّة) على (مِيَّة، مَعَّة، مَدَّة، مَطَّة) في قول الشاعر:

وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ.

وإذا نحنُ رددنا مخرجات اللّثغة إلى مبادئ علم اللّغة الحديث، فنلاحظ أن اللّثغة مظنّة مؤكدة للبس في المعاني، من حيث إنَّ استبدال صوت مكان صوت يكون بصفة دائمة، فمن كانت لثغته في (القاف)، فهو لا ينطقها مرّةً قافاً ومرّةً طاء، وإنَّما طاء على الدّوام، بل القاف غير موجودة أصلاً في معجمه الصّوتي الخاصّ به نفسه، وإنَّ كانت موجودة في محيطه الاجتماعي؛ ولذا وسمنا هذا النوع بلحن الخاصّيات الفرديّة، وبالمحصّلة، فالصّوت الواحد (الطاء) مثلاً، يقوم بوظيفة صوتين، هما: (القاف، والطاء)، ما يؤدي بالضرورة إلى تداخلٍ بينهما، وإلى لحن يُفسد المعنى، أو على الأقلّ

يُحْرَجُ صَاحِبُهُ، وَالْحَرْجُ يَكُونُ أَشَدَّ عِنْدَمَا تَجْتَمِعُ فِي الشَّخْصِ الْوَاحِدِ لثَغْتَانِ، فَيَسْتَخْدَمُ الْوَحْدَةَ الصَّوْتِيَّةَ الْوَاحِدَةَ مَكَانَ وَحْدَتَيْنِ صَوْتِيَّتَيْنِ (ل/ر > ي).

* كَنَحُو لُثْغَةَ الْأَعْجَمِيِّ شَوْشِي، صَاحِبُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ الْأُمَوِيِّ، فَإِنَّهُ كَانَ يَجْعَلُ اللَّامَ يَاءً، وَالرَّاءَ يَاءً، قَالَ مَرَّةً: «مَوْيَايَ وَيِّي أَيِّي، يَرِيدُ: مَوْلَايَ وَلِي الرَّيِّ»^(٥٤).

* زَلَّةُ اللِّسَانِ: وَتَقَعُ نَتِيجَةً لِعَوَامِلَ مُخْتَلِفَةٍ وَصَوْتِيَّةٍ^(٥٥)، مِنْ تِلْكَ الَّتِي يَتَعَرَّضُ لَهَا الْمَرْءُ فِي حَيَاتِهِ: اجْتِمَاعِيَّةً، وَتَبَرُّزَ جَرَاءِ الْانْفِعَالَاتِ وَالسَّرْعَةِ فِي الْكَلَامِ، وَعَدَمَ الْوُضُوحِ السَّمْعِيِّ، وَصَوْتِيَّةً، جَرَاءَ مِثْلِ: تَجَاوُرِ الْأَصْوَاتِ الْمُتَمَاثِلَةِ، فَيَتَغَيَّرُ الصَّوْتُ لِيَتَنَاسَبَ فِي وَضْعِيَّتِهِ مَعَ الْمَوْقِعِيَّةِ الْجَدِيدَةِ، وَقَدْ يَتَنَبَّهُ الْمُتَكَلِّمُ ذَاتَهُ إِلَى التَّغْيِيرِ، وَرَبَّمَا جَاءَهُ التَّنْبِيهُ مِنْ غَيْرِهِ.

وَالْعَمَلِيَّاتُ الصَّوْتِيَّةُ هُنَا، قَدْ مَارَسَتْ تَأْثِيرَهَا عَلَى النَّاسِ مِنْذُ كَانَ النَّاسُ، وَهِيَ تَمَارَسُ تَأْثِيرَهَا الْيَوْمَ عَلَيْنَا فِي كَثِيرٍ مِنْ مَخَاطِبَاتِنَا الشَّفَاهِيَّةِ، عَلَى أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ تُشَاعِرَ بَعْضُ زَلَّاتِ اللِّسَانِ حَتَّى لَتَصِيرَ عَرَفًا اجْتِمَاعِيًّا، وَتَنْقَلِبَ إِلَى لَهْجَةٍ مِنَ اللَّهْجَاتِ، أَوْ لُكْنَةٍ مِنَ اللَّكْنَاتِ، وَنَسُوقُ -تَالِيًا- أَمْثَلَةً مُوَافِقَةً عَمَّا كَانَ مِنَ الْعَجَمِ فِي هَذَا الْمَنْحَى مِنْ الْخَاصِّيَّاتِ الْفَرْدِيَّةِ.

* ظ > د، > ل.

* قَالَ الْجَاحِظُ: أَتَيْتُ مَنْزَلَ صَدِيقِي لِي، فَطَرَقْتُ الْبَابَ، فَخَرَجْتُ إِلَيَّ جَارِيَةً سَنَدِيَّةً، فَقُلْتُ لَهَا: قُولِي لِسَيِّدِكَ: الْجَاحِظُ بِالْبَابِ، فَقَالَتْ: أَقُولُ: الْجَاحِظُ بِالْبَابِ؟ قُلْتُ: لَا، بَلْ قُولِي: الْحَدَقِيُّ بِالْبَابِ، فَقَالَتْ: أَقُولُ: الْحَلْقِيُّ بِالْبَابِ؟ فَقُلْتُ: لَا تَقُولِي شَيْئًا، وَانصرفت^(٥٦).

* غ > ق

* كَانَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ السَّنْدِيُّ يَعْتَرِي لِسَانَهُ شَيْءٌ مِنَ اللَّحْنِ، فَيَقُولُ: أَسْتَقْفَرُ

الله! يُريد: (أستغفر الله)، فِقِيلَ له فيه، فقال: مَنْ أخطأ فيها، فقد كَذَبَ على الرَّبِّ^(٥٧).

* ش < س.

* أنشد سحيم أمام عمر بن الخطاب:

عُمَيْرَةٌ وَدَّعْ إِنْ تَجَهَّزَتْ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبَ وَالْإِسْلَامَ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

فقال له عمر: لو كُنْتَ قَدَّمْتَ الشَّيْبَ على الإسلام لأَجَزْتُكَ، فقال سحيم: مَا سَعَرْتُ، يُريد: مَا شَعَرْتُ^(٥٨).

* وَالنَّخَاسَ يَمْتَحِنُ الْجَارِيَةَ إِذَا ظَنَّ أَنَّهَا رُومِيَّةٌ، وَأَهْلُهَا يَزْعُمُونَ أَنَّهَا مُوَلَّدَةٌ بِأَنْ تَقُولَ: شَمْسٌ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مُتَوَالِيَاتٍ، يُريد: أَنَّهَا سَتُسْتَبَدَلُ بِالشَّيْنِ سِينًا^(٥٩).

* ز > س.

* وَالنَّبْطِيُّ الَّذِي نَشَأَ فِي بِلَادِ النَّبْطِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ: زُورِقٌ، قَالَ: سُورِقُ^(٦٠).

صَفْوَةُ الْبَحْثِ

وبعد ما بسطناه من حديثٍ عن لحن العجم المتعرِّين في المستوى الصَّوْتِيّ، بما في الحديث من عرض لمقدّماته، ولظواهره المادّيّة، وَلَمَنْ وَرَدَ على ألسنتهم من أصناف العجم، نُوجِزُ أبرز ما قد عمّقه البحث من ملحوظات، ومنها: أَنَّ ثَمَّةَ مبالغة قد وقع فيها معظم اللّغويين القدامى في تفخيمهم للحنونات العجم، وفي تصويرهم لأثرها على نقاء العربيّة، وأغلب الظنّ أنّ منهجيّة الفكر المعياريّ، التي تفترض واقعاً لغويّاً مثاليّاً ليُحاكى ويُقاس عليه، قد جنحت بهم كثيراً، فعلى حين نراهم طهّروا العِرق العربيّ من أذى اللّحن بالكلّيّة، و[لا] سيّما العِرق الذي نبت في فترتي الجاهليّة وصدر الإسلام، فذاك «عِرْقٌ يبرُعُ في نطقه بالسّجّية، ويَتكلّم على السّليقة»^(٦١)، نراهم في مقابل ذلك، قد دَمَعُوا بالأذى اللّغويّ العِرق العجميّ، حتّى لا رتَهنت -في الغالب منْ عرفهم- نشأة

علمٍ دقيقٍ ومهمٍّ جدًّا-مثل (علم النّحو)- بما أوقعه العجم وحدهم في لغة العرب من إفسادات، في (المستوى الصّوتيّ والصّرفيّ والنّحويّ).

ونحنُ، وفي ضوء ما أوقفنا عليه منهجيّة التوصيف المباشرة، على الأقلّ في المستوى الصّوتيّ، لآثرانا وجدنا عربيّة العجم بذلك السّوء الكبير، فما وقعوا فيه من لحنٍ صوتيّ يُعدُّ مظاهر عاديّة، وطبيعيّة جدًّا، وقد طرأت جرّاء التّدريب والتّعلّم على لغةٍ غير لغتهم الأمّ، وعلى أصواتٍ لم يتعودوا عليها في لغتهم، فهي صعبة عليهم، والتّدريب عادة مَظَنَّة لبعض الانحرافات. وحتى لو عمل العجم على ظهور اللّحن الصّوتيّ، فهم لم يُدخلوا في جسم اللّغة إلّا جزءاً يسيراً من المتغيّرات هنا، وإلّا فعربٌ كثيرون كانوا يَجْرُونَ في غير مستوى الفُصحى (في لهجاتهم) على الإبدال، حتّى لَقَلَّ صوتٌ في عربيّة العرب بلا نظيرٍ إحلائيّ يتبادل معه الموقعيّة، ولعلّ ثقافة التّبادلات الصّوتيّة هي أظهر نقطة قد توقّفت إليها كتب لحن العامّة.

وعلى صعيد الملحوظات المباشرة، فنحنُ إنّما وقعتْ بأيدينا أمثلةٌ قليلةٌ عن لحن العجم في أصوات العرب، وهذا على الرّغم من أنّ النّظام الصّوتيّ يُعدّ أبين وأسرع نظام في اللّغة يُمكن أن تُرصد فيه أمثلة اللّحن على الإطلاق، وكان حظّ الفكاهة هو اللّون السّائد في معظم الأمثلة، ثمّ إنّ نصيب فئة الخواصّ منها كان أوسع منه لدى فئة العوامّ. وفي المنطق أن يكون أمر الخواصّ له سُنّة الاطراد، وسُنّة الخضوع للقانون الثّابت؛ ولذا حقّ لنا أن نقدّر أنّ بعضاً من الأمثلة مصنوع، ومن فكاهات العلماء أنفسهم، ولاسيّما الجاحظ.

ولعلّ أبرز ما نطقت به الأمثلة التي وقعتْ لنا، هو أنّها ندرٌ أنْ جاوزتْ لغة المشافهة إلى لغة الكتابة، واللّغة اليوميّة إلى اللّغة الأدبيّة، وقد كانتْ مركوزة فقط في فئة الأصوات غير المشتركة، وهذه الفئة من الأصوات من ديدنها أنْ لا تتجاوز بضعة أصوات، وقد

انحصرت في البحث في: (ح، ع، ق، ض، ط، ظ، ج، ذ).
وبالمحصلة، فحريٌّ عند معالجة مسألة اللّحن -بعامة- أن تكون بدراسة الملاحن،
ثمّ تحليلها وعرضها؛ لكي يعرفها أهل السّياسات اللّغويّة المختصّة، فتكون منطلقاً لهم
في تقييم الظّاهرة، وأيضاً في تقويمها، وهذا ما فعلناه، وعسانا قد وُفّقنا.

الهوامشُ

- ١- يُنْظَرُ فِي تَمْصِيرِ الْبَصْرَةِ وَتَشْكِيلِهَا الْقِبَالِيِّ، فَتُوحُ الْبُلْدَانِ، الْبِلَاذِرِيِّ: ص ٤٢٥، وَالطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى، ابْنِ سَعْدٍ: ٦٣/٧، وَمَعْجَمُ الْبُلْدَانِ، يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ: ١/٤٢٩، وَتَأْرِيخُ التَّمَدُنِ الْإِسْلَامِيِّ، جَرَجِي زِيدَان: ١٧٦/٢، وَمَعْجَمُ قِبَائِلِ الْعَرَبِ، عَمْرُ رِضَا كَحَالَةٍ: ١/٢٤.
- ٢- ذِيلُ الْأَمَالِيِّ وَالتَّوَادِرِ: ص ٢١.
- ٣- يُنْظَرُ فِي تَوْزِيعِ الشَّعْرَاءِ عَلَى الْقِبَائِلِ، تَأْرِيخُ آدَابِ اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، جَرَجِي زِيدَان: ١/٦٩.
- ٤- يُنْظَرُ: مَجْمَلُ النَّصِّ فِي الْمَسْأَلَةِ الزَّنْبُورِيَّةِ فِي: مَغْنِي اللَّيْبِ، ابْنُ هِشَامٍ: ص ١٢٢.
- ٥- ذِيلُ الْأَمَالِيِّ وَالتَّوَادِرِ: ص ٦٩.
- ٦- لَحْنُ الْعَامَّةِ، أَبُو بَكْرٍ الزَّيْدِيُّ: ص ٣٤، وَيُنْظَرُ فِي مَوْضُوعِ هَذَا الْفَرِيقِ مِنَ اللَّغَوِيِّينَ: فِي أَصُولِ النَّحْوِ، سَعِيدُ الْأَفْغَانِيِّ: ص ٦٢، وَنَحْوُ وَعِي لَغَوِيٍّ، مَازِنُ الْمُبَارَكِ: ص ٣١، وَتَأْرِيخُ آدَابِ اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، الرَّافِعِيُّ: ١/٢٥١، وَنَشْأَةُ النَّحْوِ، مُحَمَّدُ الطَّنْطَاوِيُّ: ص ٨، وَيُنْظَرُ مِنَ الْقُدَمَاءِ: الصَّاحِبِيُّ، ابْنُ فَارَسٍ: ص ٥٢، وَمَقْدَمَةُ ابْنِ خُلْدُونٍ: ص ٤٣.
- ٧- يُنْظَرُ فِي هَؤُلَاءِ اللَّغَوِيِّينَ: فِي اللَّهْجَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، إِبْرَاهِيمُ أَنْسٍ: ص ٣٢، وَالْعَرَبِيَّةُ وَلَهْجَاتُهَا، عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَيُّوبُ: ص ٤١، وَالتَّطَوُّرُ اللَّغَوِيُّ التَّأْرِيخِيُّ، إِبْرَاهِيمُ السَّامِرَائِيُّ: ص ١٥٦، وَفَقَهُ اللَّغَةِ، عَلِيُّ عَبْدُ الْوَاحِدِ وَافِي: ص ١٠٣، وَالْعَرَبِيَّةُ، يُوْهَانُ فُكْ: ص ١٨، وَدِرَاسَاتُ فِي اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، خَلِيلُ يَحْيَى نَامِي: ص ١٦، وَدِرَاسَاتُ فِي اللَّغَةِ وَالنَّحْوِ، حَسَنُ عَوْنٍ: ص ٨٠.
- ٨- يُنْظَرُ فِي الْمَوْضُوعِ: الْجَامِعُ لِأَخْلَاقِ الرَّاوي، الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ: ٢/٢٥، وَالْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ: ١٦٧/٢، وَعَيُونُ الْأَخْبَارِ، ابْنُ قَتَيْبَةَ: ٢/١٧٢، وَالْكَامِلُ، الْمُبَرِّدُ: ٢/٥٠١، وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ، ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ: ٢/٢٧٧، وَأَخْبَارُ النَّحْوِيِّينَ الْبَصْرِيِّينَ، السَّيْرَاقِيُّ: ص ٤٦.
- ٩- يُنْظَرُ فِي الْمَوْضُوعِ: أَسْأَسُ تَعَلَّمَ اللَّغَةَ وَتَعْلِيمُهَا، دُوجَلَّاسُ بَرَاوْنٍ، تَرْجَمَةُ: الرَّاجِحِيِّ وَآخَرِينَ: ص ٤٨.
- ١٠- صَبِيحُ الْأَعْشَى: ١/٤٨.
- ١١- الْأَغَانِي: ٣/١٤٩.
- ١٢- الْعَرَبِيَّةُ: ص ٢٠.
- ١٣- يُنْظَرُ فِي الْمَوْضُوعِ: حَرَكَةُ التَّصْحِيحِ اللَّغَوِيِّ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ، مُحَمَّدُ ضَارِي هَمَادِي: ص ١٧٧.

- ١٤- البيان والتبيين: ٢/٢١٦، والجامع لأخلاق الرّواي: ٢/٢٨.
- ١٥- البيان والتبيين: ١/٤٠.
- ١٦- الكامل، المبرّد: ١/٣٦٩، ويُنظر: عيون الأخبار: ٢/١٥٧، والعقد الفريد: ٢/٣٠٦، ودُرّة الغوّاص، الحريري: ص ٢٥٠، ونهاية الأرب في فنون الأدب، النّويري: ٣/٣٨٢، ومعجم لسان العرب، مادة (ل ك ن).
- ١٧- الكامل: ١/٢٤٨، وعيون الأخبار: ٢/١٥٧.
- ١٨- العقد الفريد: ٨/١٦٨، وخزانة الأدب: ٩/٥٤٦.
- ١٩- الكامل: ١/٣٧٢، والبيان والتبيين: ١/٧٢، والعقد الفريد: ٢/٣٠٧، وعيون الأخبار: ٢/١٦٤.
- ٢٠- العربيّة: ص ٣٣.
- ٢١- البيان والتبيين: ١/٧٢، والكامل: ١/٣٧٢، والعقد الفريد: ٢/٣٠٧.
- ٢٢- البيان والتبيين: ١/٧٢.
- ٢٣- خزانة الأدب: ٤/٤٢٩.
- ٢٤- الأغاني: ٦/١٢.
- ٢٥- خزانة الأدب: ٩/٥٤٦، والعقد الفريد: ٨/١٦٨.
- ٢٦- البيان والتبيين: ١/٧١.
- ٢٧- البيان والتبيين: ٢/٢١٣، وخزانة الأدب: ١٠/٧.
- ٢٨- البيان والتبيين: ١/٧٠.
- ٢٩- الأغاني: ٦/١٢.
- ٣٠- البيان والتبيين: ١/٧٣.
- ٣١- البصائر والذّخائر: ٣/٢٦٨.
- ٣٢- البيان والتبيين: ١/١٦٥، وعيون الأخبار: ٢/١٥٩.
- ٣٣- الأغاني: ١٧/٣٣٣.
- ٣٤- البيان والتبيين: ١/٦٥.
- ٣٥- الأغاني: ٦/١٢.
- ٣٦- البيان والتبيين: ١/٧١، والكامل: ١/٣٧٢، وعيون الأخبار: ١/١٤٦، والعقد الفريد: ٢/٣٠٧.
- ٣٧- الشّعْر والشّعراء: ٢/٧٦٦.

- ٣٨- سرّ صناعة الإعراب: ١/ ٢٣٢، ومعجم لسان العرب، مادّة (ن ط ر).
- ٣٩- البيان والتبيين: ٢/ ٢١٣.
- ٤٠- البيان والتبيين: ١/ ٦٥.
- ٤١- البيان والتبيين: ١/ ٧٤.
- ٤٢- الشّعْر والشّعراء: ٢/ ٧٦٦.
- ٤٣- البيان والتبيين: ١/ ٦٩.
- ٤٤- البيان والتبيين: ٢/ ٢١٣.
- ٤٥- البيان والتبيين: ١/ ٢١.
- ٤٦- يُنظر في الموضوع: الأصوات اللّغويّة، إبراهيم أنيس: ص ١٧٨، دراسة الصّوت اللّغويّ، أحمد مختار عمر: ص ٣١٩، ولحن العامّة والتطوّر اللّغويّ، رمضان عبد التّوّاب: ص ٣١، والتطوّر النّحويّ للغة العربيّة، برجستراسر: ص ٣٣، وقضايا لغويّة في ضوء الألسنيّة، عبد الفتّاح الزّين: ص ٧٢، ولحن العامّة في ضوء الدّراسات اللّغويّة الحديثة، عبد العزيز مطر: ص ٢٧٤.
- ٤٧- يُنظر: الخطّ الفارسيّ في الفهرست، ابن النّديم: ص ١٨، واللّغة الفارسيّة، عفاف زيدان وآخرون: ص ٥.
- ٤٨- يُنظر: بحوث في اللّغة والاستشراق، ظاهرة (بجد كفت)، إسماعيل عمارة: ص ١٧١.
- ٤٩- يُنظر في موضوع أصوات اللّغات السّامية وقوانين التطوّر فيها: أسس علم اللّغة، محمود حجازي: ص ١٥٨، والمدخل إلى اللّغة السّريانيّة، هبو: ص ٧٧، والعبريّة قواعد ونصوص ومقارنات سامية، رمضان عبد التّوّاب: ص ١٣، والتطوّر النّحويّ، برجستراسر: ص ٢١، ودراسات في اللّغة العربيّة، خليل نامي: ص ٨٦، ومقالة مساهمات علمائنا الأوائل في حقل الدّراسات السّامية، الأقطش، مجلّة أبحاث اليرموك: ص ١٢٩.
- ٥٠- يُنظر: دراسات في اللّغة العربيّة، خليل يحيي نامي: ص ٨٦.
- ٥١- يُنظر في الموضوع: دراسات في علم اللّغة النّفسيّ، داود عبده: ص ٤٦.
- ٥٢- يُنظر هذه العيوب وغيرها في: البيان والتبيين: ١/ ٣٧.
- ٥٣- يُنظر في الموضوع: قضايا لغويّة في ضوء الألسنيّة، عبد الفتّاح الزّين: ص ٧٢، ولحن العامّة في ضوء التطوّر اللّغويّ، عبد العزيز مطر: ص ٢٠١، والأخطاء الشّائعة وأثرها في اللّغة، عفيف دمشقيّة: ص ٥٤.
- ٥٤- نقلاً عن: الفكاهة في الأدب، أحمد الحوفي: ص ٦٥.
- ٥٥- إرشاد الأريب: ١/ ٦٨.

٥٦- البيان والتبيين: ١ / ٧١، والكامل: ١ / ٣٧٢، والخزانة: ٤ / ٤٢٩.

٥٧- البيان والتبيين: ١ / ٧١.

٥٨- البيان والتبيين: ١ / ٧٠.

٥٩- لحن العامة، الزبيدي: ص ٣٤.

المصادر والمراجع

- ١- ابن جنِّي، أبو الفتح، سر صناعة الإعراب. تحقيق: مصطفى السَّقا وآخرين، القاهرة، عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٤ م.
- ٢- ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدّمة ابن خلدون. بيروت، دار إحياء التّراث، بيروت، (د. ت.).
- ٣- ابن سعد، محمّد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، (د. ت.).
- ٤- ابن فارس، أحمد الصّاحبيّ في فقه اللّغة، تحقيق: الشّويميّ، بيروت، بدران، ١٩٦٣ م.
- ٥- ابن قتيبة، عبد الرحمن، عيون الأخبار، القاهرة، المؤسّسة المصريّة العامّة، (د. ت.).
- ٦- ---- الشعر والشّعراء. ت أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، (د. ت.).
- ٧- ابن عبد ربّه، أحمد، العقد الفريد، تحقيق: عبد المجيد التّرجينيّ، بيروت، دار الكتب العلميّة، ط ٣، ١٩٨٧ م.
- ٨- ابن هشام، جمال الدّين، مغني اللّبيب، تحقيق: مازن المبارك وآخرين، بيروت، دار الفكر، (د. ت.).
- ٩- ابن النّديم، الفهرست، طبعة بيروت، دار المعرفة، (د. ت.).
- ١٠- الأصفهانيّ، أبو الفرج، الأغانيّ، بيروت، إحياء التّراث، (د. ت.).
- ١١- الأفغانيّ، سعيد، في أصول النّحو، بيروت، دار الفكر، (د. ت.).
- ١٢- الأقطش، عبد الحميد، مساهمات علمائنا الأوائل في حقل الدّراسات السّامية، مجلّة مؤتة، عدد (٤)، سنة ١٩٩٥ م.
- ١٣- أنيس إبراهيم، في اللّهجات العربيّة، القاهرة، لجنة البيان العربيّ، ١٩٥٢ م.
- ١٤- ----، الأصوات العربيّة، الإنجلو المصريّة، ١٩٧٩ م.
- ١٥- أيّوب، عبد الرحمن، العربيّة ولهجاتها، القاهرة، دار التّأليف.
- ١٦- برجستراسر، التّطوّر النّحويّ للّغة العربيّة، تحقيق: رمضان عبد التّوّاب، القاهرة، ١٩٨٢ م.
- ١٧- براون، دوغلاس، أسس تعلّم اللّغة وتعليمها، تحقيق: الرّاجحي وشعبان، بيروت.
- ١٨- الخطيب البغداديّ، أبو بكر، الجامع لأخلاق الرّاوي، تحقيق: الطّحّان، الرّياض، المعارف، ١٩٨٣ م.
- ١٩- البغداديّ، عبد القادر، خزانة الأدب، تحقيق: هارون، القاهرة، ١٩٨٦ م.
- ٢٠- البلاذريّ، فتوح البلدان، تحقيق: صلاح الدّين المنجد، القاهرة، مكتبة النّهضة، ١٩٧٥ م.

- ٢٠- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، (د.ت).
- ٢١- حجازي محمود، أسس علم اللغة، دار الثقافة، ١٩٧٨ م.
- ٢٢- الحريري، دُرّة الغوّاص في أوّهام الخواصّ، تحقيق: محمّد أبو الفضل، القاهرة، ١٩٧٥ م.
- ٢٣- حمادي، محمّد ضاري، حركة التصحيح اللّغويّ في العصر الحديث، بغداد، دار الرّشيد، ١٩٨٠ م.
- ٢٤- الحوفيّ، أحمد، الفكاهة في الأدب، أصولها وأنواعها، القاهرة، دار النهضة، مصر، ١٩٦٦ م.
- ٢٥- دمشقيّة، عفيف، الأخطاء الشائعة وأثرها في تطوّر اللغة العربيّة، إعداد: ماجد الصّايغ، وإشراف: عفيف دمشقيّة، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٠ م.
- ٢٦- الرّافعيّ، مصطفى، تاريخ آداب العربيّة، القاهرة، مطبعة الاستقامة، (د.ت).
- ٢٧- الزّبيديّ، أبو بكر، لحن العامّة، تحقيق: عبد العزيز مطر، دار المعارف، ١٩٨١ م.
- ٢٨- زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربيّة، تعليق: شوقي ضيف، القاهرة.
- ٢٩- -----، تاريخ التمدّن الإسلاميّ، تعليق: حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة الهلال.
- ٣٠- زيدان عفاف، اللغة الفارسيّة، عفاف زيدان وآخرون، القاهرة، مكتبة الإنجلو.
- ٣١- الزّين، عبد الفتّاح، قضايا لغويّة في ضوء الألسنيّة، بيروت، دار الكتاب، ١٩٨٧ م.
- ٣٢- السّامرائيّ، إبراهيم، التطوّر اللّغويّ التّاريخيّ، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨١ م.
- ٣٣- السّيرافيّ، أخبار النّحويّين البصريّين، تحقيق: خفاجي، القاهرة، ١٩٥٥ م.
- ٣٤- الصّوليّ، أبو بكر، أدب الكاتب، تحقيق: الأثري، بيروت، دار الكتب العلميّة.
- ٣٦- الطنطاويّ، محمّد، نشأة النّحو، تعليق: الشّناوي والكروي، القاهرة، (د.ت).
- ٣٧- عبد التّوّاب رمضان، اللغة العربيّة قواعد ونصوص ومقارنات سامية، القاهرة، ١٩٧٧ م.
- ٣٨- -----، لحن العامّة والتطوّر اللّغويّ، القاهرة، ط ١، ١٩٦٧ م.
- ٣٩- عبده، داوود. دارسات في علم اللغة النّفسيّ، الكويت، ١٩٨٤ م.
- ٤٠- عمر، أحمد مختار، دراسة الصّوت اللّغويّ، القاهرة، ١٩٧٦ م.
- ٤١- عمارة، إسماعيل، بحوث في الاستشراق واللّغة، عمّان، دار البشير، ١٩٩٦ م.
- ٤٢- عون، حسن، دراسات في اللغة والنّحو العربيّ، القاهرة، معهد الدّراسات، ١٩٦٩ م.
- ٤٣- فك، يوهان، العربيّة، ترجمة: رمضان عبد التّوّاب، القاهرة، الخانجيّ، ١٩٨٠ م.
- ٤٤- القالي، إسماعيل، ذيل الأمالي والنّوادر. القاهرة، ١٩٢٦ م.
- ٤٥- القلقشنديّ، أبو العبّاس، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسّسة المصريّة العامّة.
- ٤٦- كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، بيروت، ١٩٦٨ م.
- ٤٧- المبارك، مازن، نحو وعي لغويّ، بيروت، مؤسّسة الرّسالة، ١٩٨٥ م.

- ٤٨- المبرّد، الكامل في اللّغة والأدب، مصر، المكتبة التّجاريّة، (د.ت).
- ٤٩- مطر، عبد العزيز، لحن العامّة في ضوء الدّراسات الحديثة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠ م.
- ٥٠- نامي، خليل يحيى، دراسات في اللّغة العربيّة. القاهرة، دار المعارف، (د.ت).
- ٥١- النّويري، شهاب الدّين، نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسّسة المصريّة العامّة، (د.ت).
- ٥٢- هبو، أحمد، المدخل إلى اللّغة السّريانيّة، طبعة جامعة حلب، ١٩٧٦ م.
- ٥٣- وافي، علي عبد الواحد، فقه اللّغة، القاهرة، دار النّهضة، مصر، (د.ت).
- ٥٤- ياقوت الحمويّ، شهاب الدّين، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٩٩٣ م.

اللهجات العربية القديمة في اللسان البصري (دراسة صوتية)

د. حسين مزهر حمادي

المقدمة

كانت البلاد العربية قديماً تضم قبائل متعددة، قسم منها كان يسكن متجاوراً بعضه لبعض وبشكل متمازج، والقسم الآخر كان شبه منعزل؛ إذ لكل قبيلة مكانها المستقل والمنعزل عن القبيلة الأخرى.

وقد سكن القسم الأول شمال الجزيرة العربية في (مكة والطائف)، فلقّبوا بـ (الحضر)؛ نسبةً إلى الموقع الجغرافي الذي استوطنوه، والقسم الآخر سكنوا في جنوب وشرق الجزيرة العربية في (بوادي نجد وتهامة)، فلقّبوا بـ (البدو)؛ لاستيطانهم في البادية. وكانت قبيلة (قريش) من أشهر قبائل (الحضر)، أمّا أشهر قبائل البدو، فهي (تميم). ونظراً إلى لموقع الذي كانت تقطنه البدو، وإن بعضها كان بعيداً عن القبائل الأخرى ومنعزلاً، ظهرت بعض السمات النطقية التي اختلفت قليلاً عن اللغة الأم، ثم بدأت تكثر حتى أصبحت ظاهرة لهجية اعتادها أهل هذه القبيلة وألفوها بينهم، فامتازوا بها عن القبائل الأخرى، ثم شيئاً فشيئاً أصبحت ملمحاً من ملامح الانتماء القبلي، وجزءاً من هوية القبيلة التي تُعرف بها وتتعصب لها، ولا ترضى بتغييرها، هذا من جهة، ومن

جهةٍ أخرى، فإنَّ البيئةَ الجغرافيَّةَ تفرض على بعض القبائل صفاتَ نُطْقِيَّةٍ معيَّنة، فالبادية -مثلاً- حياة قاسية وصعبة وغير مستقرَّة أو آمنة، وهذا كلُّه ينعكس على طبيعة ساكنيها؛ إذ إنَّ الشَّدة والخشونة قد أثَّرت حتَّى في أصواتهم وألفاظهم، فنجدُهم يُفَضِّلُونَ الأصوات المجهورة الشَّديدة ذات الجرس الضَّخم لِيُسمع أحدهم الآخر بسبب تباعد المساكن وانفتاح الصَّحراء، أمَّا مَنْ يسكن البيئة الحضرية التي تميل نحو الهدوء والسَّكون والاستقرار، فإنَّ طبيعته العضويَّة ستُصقل بهذه العوامل البيئية، فترى أهلها يتعدَّون عن الأصوات الصَّاخبة والألفاظ الخشنة، ويُفَضِّلُونَ الخفيفة منها والمهموسة والرَّخوة، وهذا خَلَقَ بيئَةً لغويَّةً اختلفت في سماتها النُّطْقِيَّة عن بيئة البدو، فظهر التعدُّد اللِّهجيّ، وهناك عامل آخر أدَّى إلى ظهور اللِّهجة، وهو أنَّ بعض القبائل العربيَّة كانت تجاور أقواماً غير عربيَّة، وبعضها كانت تتاجر مع أقوام غير عربيَّة فتختلط بها وتمتزج معها، فيحصل التَّلَاقح اللُّغويّ، فيدخل في قاموس تلك القبيلة بعض أصوات ومفردات تلك الأقوام الأعجميَّة، فتعتادها وتألَّفها حتَّى تُصبح جزءاً من قاموسها وتجري على ألسنة أبنائها، فتصير ظاهرة لهجيَّة تُعرف بها القبيلة، وهناك عوامل أُخر لا مجال لذكرها، أسهمت بشكلٍ أو بآخر في خلق اللِّهجات، ومن هنا تميَّزت كلُّ قبيلة بصفةٍ أو مجموعة صفاتٍ نطقيَّة تختلف عن اللُّغة الأمّ، وكوَّنت ظاهرة تُعرف بها تلك القبيلة، ك (عننة تميم)، و (كشكشة ربيعة)، و (تلتلة بهراء)، و (فحفحة هذيل)، وهكذا نقرأ في الكتب القديمة: لغة طيء، ولغة هوازن، ولغة تميم...، وهم يعنون بـ (اللُّغة) اللِّهجة التي تعارف عليها أهل هذه القبيلة، والسَّماة النُّطْقِيَّة التي اشتهروا بها.

وتذكر المصادر أنَّه على الرُّغم من هذا الاختلاف اللِّهجيّ بين القبائل العربيَّة إلَّا إنَّ هناك لغة فُصحى موحَّدة هي لغة المثقَّفين من الكُتَّاب والأدباء والشَّعراء، يتواصلون عبرها ويتَّصلون، وهي لغة قريش؛ إذ إنَّ قريشاً -كما تروي المصادر- كانت لهجتها

أوضح اللّهجات وأفضلها وأفصحها: «فقد ارتفعت قريش في الفصاحة عن عننة تميم، و كشكشة ربيعة، وكشكشة هوازن، وتضجّع قيس، وعجرفيّة ضبّة، وتلتلة بهراء»^(١)؛ ولأئّها - وبسبب موقعها الجغرافيّ - كانت محطّاً للقوافل، وملتقىً للقبائل، ثمّ موقعها السّياسيّ والدّينيّ والاقتصاديّ جعلها تحتلّ قلب الجزيرة العربيّة، وأصبح أهلها سادة العرب، فاشتهرت لهجتهم بين القبائل، وأضحّت اللّغة الرّسميّة للبلاد العربيّة قاطبة، وقد أشار إلى ذلك الفرّاء، بقوله: «كانت العرب تحضر الموسم في كلّ عام، وتحجّ البيت في الجاهليّة، وقريش يسمعون لغات العرب، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به، فصاروا أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللّغات ومستقيح الألفاظ»^(٢)، ومن هنا اختارها الله - عزّ وجلّ - فأنزل بها القرآن الكريم، وإنّ أنزلت بعض الآيات على غير لهجة قريش.

وكما أشرنا آنفاً، فإنّه بسبب التعصّب القبليّ تجاه هذه اللّهجات، وتمسّكهم بها، واستعمالهم إيّاها تفاخراً، كثرت على ألسنة شعرائهم وأدبائهم، فدوّنت في تأريخ كلّ قبيلة، واشتهرت بين مثقفي العرب وعلمائهم، فدوّنت - أيضاً - في كتبهم، ومفاخرهم وطفق أبناء كلّ قبيلة يتوارثون لهجة آبائهم، جيلاً بعد جيل، فبقيت حتّى وصلتنا اليوم، ولئن اندثر قسمٌ منها، فإنّ قسماً كبيراً مازال موجوداً ومُستعملاً بشكلٍ يوميٍّ في معظم أنحاء الوطن العربيّ، وما هذه الدّراسة إلّا إسهامة متواضعة للكشف عن ذلك الموروث اللّهجيّ الذي ظهر على ألسنة أهل البصرة، إحدى أهمّ محافظات العراق.

ولم تقتصر الدّراسة على الكشف فحسب، وإنّما تتبّع الظّاهرة اللّهجيّة، ومعرفة مصدرها، والقبيلة التي عُرِفَتْ بها، ثمّ دراسة الظّاهرة دراسة وصفيةً أولاً وتحليلها تحليلاً صوتيّاً - في ضوء علم اللّغة والأصوات الحديث ثانياً، للوقوف على أبرز سمات تلك الظّاهرة والأسباب التي كانت وراء نشوئها، والدّواعي التي دعّت إلى النّطق بها،

وميل اللسان نحوها، مع ذكر بعض آراء العلماء القدامى والمحدثين عن هذه الظواهر اللّهجيّة ومناقشتها.

ولم يشمل البحث جميع الظواهر اللّهجيّة الموجودة في اللسان البصريّ، بل اقتصر على طائفة محدّدة مثّلت أبرزها.

أولاً/ الإبدالُ

من الظواهر اللّهجيّة العربيّة المهمّة التي مازالت موجودةً ومنتشرةً في اللسان البصريّ إلى يومنا هذا (ظاهرة الإبدال)، التي تعني: إبدال حرفٍ مكان حرفٍ آخر لدواعٍ وأسبابٍ سنحاول الوقوف عندها واستبيانها من خلال هذا البحث، وقد كثرت هذه الظاهرة؛ وذلك بسبب تعدّد القبائل العربيّة وكثرة لهجاتها واستعمالها اللّغويّة، وفيما يأتي نماذج من هذا الإبدال.

- إبدالُ السّينِ صاداً

يُروى عن الفراء أنّه قال: «ونفراً من بلعبر يصيرون السّين إذا كانت مقدّمةً، ثمّ جاءت بعدها طاء أو قاف أو غين أو خاء صاداً»^(٣)، وقُريء (الصّراط) بالصاد معزّوّاً إلى قريش، وغيرها (السّراط) بالسّين^(٤).

ومازال هذا الإبدال موجوداً اليوم في أغلب مناطق العراق، ولاسيّما البصرة، يقولون: (صطر) بدلاً من (سطر)، و(صلخ) بدلاً من (سلخ)، و(صخي) بدلاً من (سخي)، و(صبخة) بدلاً من (سبخة)، وغيرها من المفردات، وما ذلك إلّا أثر من آثار اللّهجة العربيّة القديمة مازالت متمثّلة في لساننا الحديث.

التّحليلُ الصّوتيُّ

السّين في العربيّة صوتٌ مهموسٌ رخوٌ مخرجه بين طرف اللسان وأطراف الثّنايا

العليا، أمّا الصّاد، فيشترك مع السّين صفةً ومخرجا^(٥)، إلّا إنّ للصّاد صفة تفرّقه عن السّين وهي (الإطباق)، الذي يُعرّفه ابن جني بقوله: «أن ترفعَ ظهرَ لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له»^(٦)، وهو مايقابل مصطلح (التّفخيم) في علم اللّغة الحديث، الذي يُعرّفه (جاكوبسن) بأنّه: «تقلّص (Contraction) الجزء العلويّ للبلعوم»^(٧)، وفيه يكون اللّسان «مقعراً منطبقاً على الحنك الأعلى مع تصعّد أقصى اللّسان وطرفه نحو الحنك، ومع رجوع اللّسان إلى الوراء قليلاً»^(٨)، صفة الإطباق (التّفخيم) إذن هي الصّفة التي تمتاز بها الصّاد عن السّين ولولاها لصارت الصّاد سينا - كما يرى ابن جني^(٩).

أمّا كيف حدث هذا الإبدال من النّاحية الصّوتيّة، فيفسّره ابن جني نفسه بقوله: «لأنّ حروف القاف والطّاء والخاء حروف استعلاء، والسّين غير مُستعلٍ، أي: من حروف الاستفال، فكرهوا الخروج منه إلى المستعلي؛ لأنّ ذلك ممّا يثقل، فأبدلوا من السّين صاداً؛ لأنّ الصّاد توافق السّين في الهمس والصّفير، وتوافق هذه الأحرف في الاستعلاء، فيتجانس الصّوت»^(١٠)، ومعنى كلامه: أنّه حينما تجاوز السّين حرفاً من هذه الحروف، وهي: (القاف، والطّاء، والغين، والخاء) تحصل حالة من عدم الانسجام والتّجانس الصّوتيّ، فيثقل ذلك على اللّسان بسبب التّنقل من الصّوت المستفل (غير المُفخّم) إلى الصّوت المُستعلي (المُفخّم أو شبه المُفخّم)، ولكي يتخلّص اللّسان من ذلك الثّقل يميل نحو صوتٍ شبيهٍ بالسّين صفةً ومخرجا؛ لأنّ الإبدال يحدث في الأعمّ الأغلب بين الأصوات المتجاورة والمتقاربة^(١١)، وشبيه بحروف (القاف والطّاء والغين والخاء) من ناحية التّفخيم، ليحصل الانسجام والتّجانس الصّوتيّ في حال النّطق، وليس هناك إلّا (الصّاد) الذي يحمل هذا الشّبه وتلك الصّفات، فاختر بديلاً عن السّين، فالعامل الأساس في هذا الإبدال هو قوّة تأثير هذه الحروف حينما يأتي أحدها بعد السّين؛ إذ يؤثّر فيها فيحوّلها صاداً، ويُدعى هذا التأثير بـ(التّأثير الرّجعيّ)^(١٢)، بمعنى أنّ الحرف اللاحق يُؤثّر في الحرف السّابق.

- إبدالُ الهمزة عينا، أو ما يُعرف بـ (العننة)

تروي المصادر أنها لغة «تيمم وقيس وأسد ومن جاورهم، يجعلون الألف إذا كانت مفتوحة عينا، يقولون: أشهد عنك رسول الله، فإذا كسروا رجعوا إلى الألف»^(١٣)، وقد وردت شواهد شعرية عديدة على هذا الإبدال، منها قول الشاعر:

إِنَّ الْفَوَادَ عَلَى الدَّلْفَاءِ قَدْ كَمَدَا وَحُبَّهَا مَوْشِكُ (عَنْ) يَصْدَعُ الْكَبْدَا^(١٤)
وقول الآخر:

فَلَا تُلْهِكَ الدُّنْيَا عَنْ الدِّينِ وَاعْتَمِلْ لِآخِرَةٍ لِأَبَدٍ (عَنْ) سَتَصِيرُهَا^(١٥)
والملاحظ على هذا الإبدال أنه لم يكن مقتصرًا على همزة (أَنْ المفتوحة) - كما في النصّ المذكور آنفًا -، بل تعدّاه إلى كلماتٍ أُخَرِ شملت الهمزة عموماً؛ إذ روي عن تميم أنهم كانوا يقولون: جبع وخباع، بدل: جبء وجباء، ومن العرب من يقول: زعاف، ومنهم من يقول: زؤاف، وعباب وأباب^(١٦)، وهذا يعني أَنَّ المسألة ليست مقتصرة على همزة (أَنْ) المفتوحة.

هذا النوع من الإبدال ما زال مُسْتَعْمَلًا فِي اللِّسَانِ الْبَصْرِيِّ الْحَدِيثِ، فإِلى الْيَوْمِ نَسْمَعُ بَعْضَهُمْ يَقُولُ: قُرْعَان، بدل قرآن، ويقول: جرعة، بدل: جرأة، وفجعة، بدل: فجأة، ويكثرُ هذا في الأرياف.

التَّحْلِيلُ الصَّوْتِيُّ

وَصُفِّتِ الْهَمْزَةُ قَدِيمًا بِأَنَّهَا صَوْتُ مَجْهُورٌ شَدِيدٌ، مَخْرَجُهُ مِنْ أَقْصَى الْحَلْقِ، أَمَّا الْعَيْنُ، فَهُوَ صَوْتُ مَجْهُورٌ بَيْنَ الشَّدَةِ وَالرَّخَاوَةِ، مَخْرَجُهُ مِنْ أَوْسَطِ الْحَلْقِ^(١٧)، أَيْ: إِنَّهُ مَجَاوِرٌ لِمَخْرَجِ الْهَمْزَةِ.

وَوَصِّفَتْ الْهَمْزَةُ حَدِيثًا بِأَنَّهَا صَوْتُ بَيْنَ الْجَهْرِ وَالْهَمْسِ^(١٨)، وَبَعْضُهُمْ وَصَفَهَا بِأَنَّهَا صَوْتُ مَهْمُوسٍ مَخْرَجُهُ الْحَنْجَرَةُ^(١٩)، فَالْصَّوْتَانِ -إِذْن- مُتَجَاوِرَانِ مَخْرَجًا،

وشديدان، ولكنّ الهمزة مهموسة أو بين الهمس والجر، والعين مجهورة، وهذا التّجاور هو الذي سَوَّغَ الإبدال بين الحرفين. وعلّل الكثير من الباحثين هذا الإبدال على أنّه نوعٌ من تحقيق الهمز، أي: إنّ الهمزة إذا بُوْلِغَ في تحقيقها قُلِبَتْ عيناً، وقد أشار إلى ذلك الأمر العلامة (الأزهري) - كما يذكر الدكتور إبراهيم أنيس - في قوله: «ومن تحقيق الهمزة قولك: يازيد مَنْ أنت؟ كقولك: مَنْ عنت؟»^(٢٠)، وكذلك ابن دُرَيْد حينما عزا لبني تميم أنّهم يحقّقون الهمزة فيجعلونها عيناً^(٢١).

ويرى الدكتور عبد الصّبور شاهين أنّ هذا النّوع من الإبدال إنّما حدث بسبب وقوع النّبر على مقطعٍ واحدٍ، «فلما بُوْلِغَ إلى الضّغط تحوّلت الهمزة إلى عين أو شبه عين، أي: إلى صوتٍ قريبٍ من الهمزة يمتاز عنها بالجر ويتقارب معها في المخرج»^(٢٢).

- إبدال العين نوناً أو ما يُعرف بـ(الاستنطاء)

نحو قولنا: أنطى في (أعطى)، وهي لغة سعد بن بكر، وهذيل، والأزد، وقيس، والأنصار^(٢٣)، وبها قرأ الحسن البصريّ وابن محيصن: ﴿إِنَّا أَنْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^(٢٤) (سورة الكوثر: ١)، وما زالت جذور هذه اللّهجة باقية في اللسان البصريّ حتّى يومنا هذا، بل وفي أغلب مناطق العراق، يُبدلون النّون مكان العين في (أعطى) وتقلّباته، فيقولون: أنطيك، أنطيتك، منطيتك، أي: أعطيك، أعطيتك، مُعطيك.

ولم تذكر المصادر - عن هذه الظّاهرة - سوى مثال واحد، وهو (أعطى)، يكون: (أنطى)، أي: إنّ هذا الإبدال بين العين والنّون يكون في فعلٍ واحدٍ هو الفعل (أعطى)؛ لذا نجد الكثير من الأفعال وردت فيها العين بعد الطّاء فلم تُقلّب (نوناً)، نحو: (عطف، عطش، عطس، عطل)، وغيرها من الأفعال، وقد اختلفت الآراء في تفسير هذه الظّاهرة، فكيف قُلِبَتْ العين نوناً وليس بينهما تجاور أو تقارب مخرجيّ؟ إذا ما عرفنا أنّ الإبدال يحدث في أغلب الأحيان بين الأصوات المتجاورة والمتقاربة؟، كما

يَبَيِّنُ ذَلِكَ ابْنُ جَنِي بِقَوْلِهِ: «إِنَّ أَصْلَ الْقَلْبِ فِي الْحُرُوفِ، إِنَّهَا هُوَ فِيهَا تَقَارِبٌ مِنْهَا...»^(٢٥)،
وَأَيُّ سَبَبٍ وَرَاءَ هَذَا الْإِبْدَالِ، وَفِي هَذَا الْفِعْلِ بِالذَّاتِ؟

فبَعْضُهُمْ عَلَّلَ هَذَا الْإِبْدَالَ بِأَنَّهُ إِنَّهَا حَصَلَ بِسَبَبِ (خَطَأٍ نَطْقِيٍّ)؛ إِذْ يُحْتَمَلُ أَنَّ بَعْضَ الْقَبَائِلِ قَدْ نَطَقَتْ صَوْتَ (الْعَيْنِ) بِإِخْرَاجِ مَجْرَى النَّفْسِ بَيْنَ الْأَنْفِ وَالْفَمِ (أَنْفَمِيًّا)، وَلَعَلَّ الرِّوَاةَ سَمِعُوا نَطْقَ الْعَيْنِ فِي هَذَا الْفِعْلِ، فَتَوَهَّمُوا فِي وَصْفِهِ وَصِفًا دَقِيقًا^(٢٦). وَبَعْضُهُمْ يَرَى أَنَّ (أَنْطَى) لَا دَخَلَ لَهُ بِالْفِعْلِ (أَعْطَى)، وَإِنَّهَا هُوَ فِعْلٌ سَامٍ مَوْجُودٌ فِي الْعَبْرِيَّةِ، وَهُوَ (نَطَا)، وَمَعْنَاهُ: (مَدَّ يَدَهُ إِلَى)، أَيْ: إِنَّهُ مُقَارِبٌ لِمَعْنَى (أَعْطَى)، ثُمَّ زِيدَتْ عَلَيْهِ (الْهَمْزَةُ)، فَصَارَتْ: (أَنْطَى)^(٢٧).

فِي حِينٍ يَرَى آخَرُونَ «أَنَّ الْفِعْلَ فِي الْأَصْلِ كَانَ (آتَى)، ثُمَّ ضَعُفَتْ فَصَارَ (آتَى)، وَلَمَّا كَانَ مُقْتَضًى فَكَّ الْإِدْغَامَ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَعَمُومَ اللَّغَاتِ السَّامِيَةِ إِبْدَالَ النَّونِ بِأَحَدِ الْحَرْفَيْنِ الْمُتَجَانِسَيْنِ، أُبْدِلَتْ النَّونُ مِنَ التَّاءِ الْأُولَى، فَصَارَ (أَنْتَى)، ثُمَّ أُبْدِلَتْ (التَّاءُ) بَعْدَ ذَلِكَ (طَاءً)، فَصَارَ (أَنْطَى)^(٢٨). وَيَبْدُو أَنَّ السَّبَبَ وَرَاءَ هَذَا الْإِبْدَالِ يَكْمُنُ فِي صَوْتِ (الْهَمْزَةُ وَالْعَيْنِ) مِنْ هَذَا الْفِعْلِ؛ إِذْ إِنَّ تَقَارُبَهُمَا فِي الْمَخْرَجِ وَاشْتِرَاكَهُمَا فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ جَعَلَ نُطْقَ أَحَدِهِمَا يَطْغَى عَلَى نَطْقِ الْآخَرِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، وَخُصُوصًا فِي حَالِ السَّرْعَةِ عِنْدَ النَّطْقِ؛ لِأَنَّ تَحْقِيقَ نَطْقِ هَذَيْنِ الصَّوْتَيْنِ الْوَاحِدِ تَلَوَ الْآخَرَ يَتَطَلَّبُ تَوَقُّفَاتٍ لِلْهَوَاءِ وَانْجِبَاسًا لَهُ تَارَةً عِنْدَ الْهَمْزَةِ، وَآخَرَى عِنْدَ (الْعَيْنِ)، وَفِي هَذَا جَهْدٌ عَضَلِيٌّ كَبِيرٌ، أَمَّا التَّخْفِيفُ وَالسَّرْعَةُ، فَإِنَّهُمَا يُحَقِّقَانِ الْأَوَّلَ، وَهُوَ: (الْهَمْزَةُ)، وَيُهْمَلَانِ الثَّانِي، وَهُوَ: (الْعَيْنِ)، وَلَمَّا أُهْمِلَتْ (الْعَيْنِ)، وَقَعَ ثَقُلُ اللِّسَانِ عَلَى مَا بَعْدَ الْعَيْنِ وَهُوَ (الطَّاءُ)، فَشُدِّدَتْ لَتَعَرَّضَ النِّقْصُ الصَّوْتِيُّ الَّذِي حَصَلَ مِنْ جَرَاءِ حَذْفِ الْعَيْنِ، أَيْ: حَصَلَ فِيهِ نَبْرٌ مُقْطَعِيٌّ؛ لِأَنَّ الْوَقْفَ صَارَ عَلَيْهَا، وَأَنَّ مَا بَعْدَهَا حَرْفٌ مَدٌّ وَهُوَ (الْأَلْفُ)، فَصَارَ الْفِعْلُ (أَطَى)، وَلَمَّا كَانَ مُقْتَضًى فَكَّ الْإِدْغَامِ - كَمَا ذُكِرَ آنفًا - إِبْدَالَ النَّونِ مَكَانَ

أحد الحرفين المتجانسين وهو (الطاء المشدّدة)، صار الفعل (أنطى). ومما يُرجّح هذا الاحتمال أنّ في اللهجة البصريّة يُستعمل الفعل (أعطى) بحذف العين وتشديد (الطاء)، نحو: إطّى، أطيك، إطاك، أطيتك، أطوا في: أعطى، أعطيك، أعطاك، أعطيتك، أعطوا.

- إبدال الكاف شيئاً، أو ما يُسمّى بـ (الكشكشة)

وهي لهجة تنسبها المصادر إلى قبائل ربيعة ومضر، وبكر، وناس من تميم وأسد، يُبدّلون كاف المخاطبة شيئاً، فيقولون: عليش، بدلاً من: عليك، ولش، بدلاً من: لك، أو في حال الوقف عند الكاف، نحو: عليك، عليش^(٢٩)، يقول مجنون ليلي:

فعيناش عيناها وجيدش جيدها سوى أنّ عظم السّاق منش دقيق^(٣٠)
وقريء قوله تعالى ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ (مريم: ٢٤): ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّش تَحْتَش سَرِيًّا﴾^(٣١).

التّحليلُ الصوتيُّ

أمّا تفسير هذه الظّاهرة في ضوء علم الأصوات الحديث، فهي إنّما حصلت بناءً على (قانون الأصوات الحنكيّة)، الذي توّصل إليه العلماء في أواخر القرن التاسع عشر، حينما قارنوا اللّغة السنسكريتيّة باللّغتين اليونانيّة واللاتينيّة، ف«لاحظوا أنّ أصوات أقصى الحنك (كالكاف) و(الجيم) الخالية من التّعطيش، تميل بمخرجها إلى نظائرها من أصوات أماميّة حين يليها صوت لينٍ أماميّ (كالكسرة)؛ لأنّ صوت اللّين الأماميّ في مثل هذه الحالة يجذب إلى الأمام قليلاً أصوات أقصى الحنك، فنقلب إلى نظائرها من أصوات الحنك أو أصول الثّنايا العليا، ولهذا وجّدت بعض الكلمات الهنديّة - الأوربيّة التي كانت تشتمل على (الكاف)، وقد تطوّرت فيها هذه الكاف فيما بعد إلى صوت وسط الحنك الذي يُنطق به، كما يُنطق الصّوت الأوّل في الكلمة الإنجليزيّة (Chicken)، أي: (تش)، وهو الصّوت الذي قد يُخيّل إلى بعض السّامعين أنّه مُكوّن من صوتين، وليس

في الحقيقة إلا صوتاً واحداً، كما برهنتُ التجارب الحديثة في علم الأصوات، ويُسمَّى المحدثون هذا الصَّوت وأمثاله (Affricative)، ويتكوَّن هذا الصَّوت الواحد من عنصرين: أولهما ينتمي إلى الأصوات الشديدة، وهو ما يُشبه التَّاء، وثانيهما إلى الأصوات الرَّخوة وهو ما يُشبه الشَّين»^(٣٢).

ولما لم يكن في العربيَّة حرف يعبر عن ذلك الصَّوت الذي يُشبه صوت (ch) في الإنجليزيَّة لم يستطع أئمة اللُّغة القدماء أن يصفوه أو يكتبوه حرفياً بشكلٍ دقيقٍ^(٣٣)، فوصفوه بـ(الشَّين)؛ لقربها من الصَّوت؛ ولأنَّها تمثِّل إحدى عنصريه -كما تبيَّن آنفاً-. ويرى الدُّكتور إبراهيم أنيس أن مَنْ قَصَرَ هذه الظَّاهرة على قلب (كاف) المخاطبة المؤنَّثة إلى (شين) هو الأصوب؛ لأنَّ كسرة الكاف الدَّالة على خطاب المؤنَّثة كان هو العامل الأساس الذي حوَّل الكاف شيناً، أمَّا من قصر هذا الإبدال على كاف الخطاب في حال الوقف، فأمرٌ ليس له مبررٌ صوتيٌّ^(٣٤).

ولكنَّا نجد في لهجتنا الحديثة (في البصرة وأغلب مدن العراق) أنَّهم قد تخلَّوا عن الكسرة، وسكَّنوا آخر كاف المؤنَّثة، التي تحوَّلت (چ) أو (ch)، فقالوا: عليچ، كتابچ، بيتچ، في: عليك، كتابك، بيتك، وهذا يتلاءم مع مذهب (كاف الخطاب في حال الوقف)، وورد -أيضاً- في اللهجة البصريَّة ما يتلاءم مع تبرير قلب الكاف (چ) أو (ch) إذا وليتها كسرة أو فتحة، فقالوا في كبير: جبير، وفي كلب: چلب، وفي كذاب: چذاب. وهناك الأمثلة الكثيرة في اللسان البصريِّ لهذه اللهجة العربيَّة القديمة.

- إبدالُ القاف جيماً قاهريَّة (گ) أو (G) بالإنكليزيَّة

وهي لهجة تميم وأسد^(٣٥). نَقَلَ الفراء أنَّه سمع أعرابياً من بني أسد يقرأ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (الصَّحى: ٩)، (فلا تكهر)، أي: بإبدال القاف (گ)^(٣٦)، ويروى أيضاً أنَّها لغة أهل اليمن (وما زالت موجودة)، يقولون في الجمل: (گمل)، ومنها قول

أبي الأسود الدؤلي:

ولا أگول لگدر الگوم گد نضجت ولا أگول لباب الدار: مگفول^(٣٧)
أما اليوم، فإن هذه اللهجة طافحة على السنة العراقيين عموماً، والبصريين بوجه خاص، والأمثلة كثيرة، نكتفي بذكر بعضها:
(صدق- صدگ)، (أقول- أگول)، (رقي- رگي)، (رقعة- رگعه).

التحليل الصوتي

القاف صوتٌ شديدٌ مجهورٌ خرج من أقصى اللسان من الحنك الأعلى^(٣٨). أما ال (ك)، فلم يُحدّد العلماء القدامى حرفاً يرمز له من حروف العربية، وإنما جعلوه بين الجيم والكاف، ووصفوه بأنّه غير مُستحسن وضعيف في لغة العرب^(٣٩).
أما حديثاً، فوصف ال (ك) بأنّه صوتٌ شديدٌ مجهورٌ خرج من أقصى الحنك^(٤٠)، أي: إنّهُ يشترك مع ال (قاف) في معظم الصفات، ولكنّه يختلف معه في المخرج فقط؛ إذ (القاف) من أعلى الحنك، وال (ك) من أقصاه، فهما إذن متجاوران، وهناك فرقٌ آخر يبدو أنّه كان السبب وراء ذلك الإبدال بين الصّوتين، وهو أنّ (القاف) من أصوات الاستعلاء - عند القدماء - «ومعنى الاستعلاء: تتصعّد في الحنك الأعلى»^(٤١)، أي: إنّهُ بحسب تعريف علم الأصوات الحديث: «صفة لبعض الأصوات الخلفيّة، وهي القاف والغين والخاء، وفيها يرتفع اللسان بجزئه الخلفي نحو اللّهاة ليخرج الصّوت غليظاً مُفخّماً، ولكن من دون مبالغة في تغليظ النّطق»^(٤٢).

وهو يُقابل مصطلح (شبه التّفخيم) (Semi-emphatic) عند (فيرجسن) (Ferguson)^(٤٣)، فصفة (الاستعلاء) أو (شبه التّفخيم) الموجودة في (القاف) تعني أنّ النّطق بهذا الصّوت يحتاج جهداً عضلياً أكبر من النّطق بصوت ال (گ)، ومن هنا كان الميل إلى (گ) من باب التّخفيف والسهولة والتّخلّص من شبه التّفخيم في ال (قاف)، وبما

أَنَّهُمَا متجاوران سَوَّغَ لهما ذلك الإبدال.

ونلاحظ -أيضاً- أنَّ في اللهجة البصريَّة -وخصوصاً في مناطق الأرياف-، منهم من يُبدِّل القاف جيماً مع كسر الحرف الأوَّل من الكلمة، فيقولون في صديق: صديج، وفي قليل: جليل، وفي يقسم: يحسم.

- إبدال القاف غيناً وبالعكس

يقول أبو الطيّب اللّغويّ: «ويُقال: غلغل يُغلغل غلغلةً وغلغلاً، وقلقل يُقلقل قلقلَةً وقلقلًا، إذا ذَهَبَ في الأرض»^(٤٤)، معنى قوله: إنَّ العرب تَسَعِمِل (قلقل) بالقاف أو بالغين بمعنى واحدٍ، أي: إنَّهم قد يُبدّلون (القاف) مكان (الغين) أو بالعكس، والمعنى واحد عندهم.

هذا الاستعمال الصّوتيّ الذي أثّر عن العرب القدماء مازلنا نسمعه في اللّسان البصريّ حتّى يومنا هذا، وفي الأقضية والنّواحي بالذّات، (كالزّير، والدّير، والفاو، وأبي الخصيب، وشطّ العرب، والهارثة، والقرنة، والمدّينة)؛ إذ يقولون في: (غنم-قنم)، وفي: (غيم-قيم)، وفي: (قفص-غفص)، وفي: (قرد-غرد)، فيبدّلون (القاف غيناً).

التّحليل الصّوتيّ

صوتُ القاف عند القدماء صوتٌ مجهورٌ شديدٌ مخرجه من أقصى اللّسان وما فوقه من الحنك الأعلى^(٤٥)، أمّا عند المحدثين، فهو صوتٌ مهموسٌ؛ إذ إنّه كان مجهوراً، ثمّ تطوّر فصار مهموساً^(٤٦)، وهو من الحروف (شبه المُفخّمة)، أي: المُستعلية عند القدماء^(٤٧). أمّا صوت (الغين)، فصوتٌ مجهورٌ رخوٌ مخرجه أدنى الحلق إلى الفم^(٤٨)، وهو -أيضاً- من حروف الاستعلاء^(٤٩)، (أو شبه المُفخّمة).

ويبدو أنّ الذي سَوَّغَ هذا الإبدال المتبادل بين الصّوتين هو التّجاور في المخرج، ف(القاف) حنكيّ، و(الغين) حلقّيّ، ثمّ اشتراكهما في صفة (الاستعلاء) أو(شبه

التفخيم)، ولكن الفرق بينهما أن صوت الغين أخفّ في النطق وأسهل من صوت (القاف)؛ لأن القاف صوت انفجاريّ (شديد) يُحبس معه الهواء الخارج من الرئتين حبساً تاماً، ثم يُطلق سراحه دفعةً واحدة، فينفجر، أمّا (الغين)، فصوت احتكاكيّ (رخو) يضيق عند مخرجه مجرى الهواء الخارج من الرئتين، ولا يُحبس حبساً، بل يحتكّ به احتكاكاً، مؤلّداً صوت الغين؛ لذا كان الجهد العضليّ معه قليلاً، خلافاً لصوت (القاف). ومع هذا الفارق في الجهد العضليّ بين الصّوتين إلّا إن أهل البصرة يُبدلون القاف غيناً والغين قافاً، ولم يقتصروا على الأثقل أو الأسهل.

- إبدال العين حاء

فتقول في بعثر: بحثر. يروي السيوطي أن ابن مسعود قرأ قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾ (الأعراف: ٤٤) بالحاء، أي: (قالوا نعم)، وقرأ -أيضاً-: ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ (العاديات: ٩) (بحثر) بالحاء^(٥٠). وهذا الإبدال من الظواهر الصوتية القديمة التي مازالت موجودة في اللسان البصري -وفي مناطق كثيرة من العراق- وخصوصاً في الفعل (بعثر)؛ إذ يُبدلون العين حاء، فيقولون في بعثر: بحثر.

التحليل الصوتي

العين صوت مجهورٌ رخوٌ مخرجه من أوسط الحلق، أمّا الحاء، فهو النظير المهموس للعين^(٥١)، وإذا عرفنا هذا أمكننا أن نفسر سبب إبدال (العين حاء)، كما في: بعثر وبعثر. ونلاحظ -أيضاً- أن للحاء دوراً في ذلك الإبدال، فصفة الهمس التي تحملها أثرت في العين حتى صيرتها مهموسة -أيضاً-، وهو يُعرف بـ (التأثير الرجعي)، الذي يعني: تأثر المتقدم بالتأخر^(٥٢)، وإذا هُمِسَت العين صارت حاء^(٥٣).

- إبدال اللّام نوناً

رُوي أنّ بني أسد يُبدلون اللّام نوناً، فيقولون: إسماعين بدل إسماعيل، وجبرين بدل جبرائيل^(٥٤).

وهو -أيضاً- موجود اليوم في لهجة البصرة، وإن كان قليلاً؛ إذ يقولون في إسماعيل: إسماعين، وفي عزرائيل: عزرايين، تماماً كما كان يفعل بنو أسد قديماً.

أمّا التحليل الصوتي لهذه الظاهرة، فهو -أيضاً- مشابهٌ لسابقتها (إبدال العين حاء)، وهو التقارب المخرجي والاتفاق في الصّفة؛ إذ إنّ صوت اللّام صوتٌ مجهورٌ شديدٌ منحرفٌ^(٥٥)، وعدّه ابن جني صوتاً بين الشدّة والرّخاوة^(٥٦)، ومخرجه «من حافة اللّسان أدناها إلى منتهى طرف اللّسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى ممّا فوق الضّاحك والنّاب والرّباعيّة والثّنايا»^(٥٧)، أمّا النّون، فصوتٌ مجهورٌ شديدٌ ذو غنّة، مخرجه «من طرف اللّسان، بينه وبين ما فوق الثّنايا»^(٥٨)، فالصّوتان إذن مجهوران ومتقاربان مخرجاً.

- إبدال الجيم شيناً

ونجد في اللهجات العربيّة أنّ من العرب من يُبدل الجيم شيناً، وهو ماورد عن بني تميم، يقولون: «جمع بأنفه وشمخ بأنفه، إذا تاه وتكبر»^(٥٩). أمّا في اللهجة العراقيّة الحديثة - والبصريّة منها على وجه الخصوص -، فإنّ هذا الإبدال الذي عزيّ إلى تميم ما يزال موجوداً على الألسنة؛ إذ يقولون: اشتمع، واشتماع، بدل: اجتمع واجتماع.

التحليل الصوتي

الجيم -عند القدماء- صوتٌ مجهورٌ شديدٌ مخرجه من وسط اللّسان بينه وبين وسط الحنك، أمّا الشّين، فصوتٌ مهموسٌ رخوٌ مخرجه من مخرج الجيم نفسه^(٦٠). والجيم -عند المحدثين- محلّ خلاف في طبيعة النطق بها وصفاتها وتأريخ تطوّرها، فالمستشرق

الألمانيّ (برجستراسر) يرى أنّ أكثر العرب تنطقها مُعْطَشة، وأنّها في الأصل كانت تُنطق مثل الكاف التّركيّة في كلمة (كاه)، ولم تكن كالجيم المصريّة^(٦١). في حين يرى الدّكتور رمضان عبد التّوّاب - مُترجم كتاب برجستراسر - أنّ هذا الرّأي الذي قال به المستشرق الألمانيّ غير سليم، ويرى أنّه من خلال الدّراسة المقارنة للغات السّامية تبين أنّ النّطق الأصليّ للجيم القاهريّة (ك)، ولم يكن مُعْطَشا، ثمّ تطوّر الصّوت في العربيّة، فَتحوّل من الطّبق إلى الغار، وَغَيَّرَ مخرجه من أقصى الحنك إلى أوسطه، وَتحوّل من صوتٍ بسيطٍ إلى صوتٍ مزدوجٍ يبدأ بدالٍ وينتهي بشينٍ مجهورة، ويرى -أيضاً- أنّ هذا الصّوت كان مقتصرّاً على الجيم المكسورة، ثمّ عُمِّم بعد ذلك على كلّ جيم، وأنّ النّحاة العرب لم يكونوا دقيقين في وصفهم لهذا الصّوت^(٦٢).

أمّا الدّكتور إبراهيم أنيس، فيرى أنّ صوت الجيم كان سبباً في تفريق العرب حديثاً؛ لتنوّع النّطق بهذا الصّوت، فهناك الجيم القاهريّة والسّاميّة والفصيحة^(٦٣)، وبعضهم أورد الصّنعانيّة والخليجيّة والمغربيّة، وغيرها، ولكلّ جيم صفتها الصّوتيّة ومخرجها^(٦٤). أمّا تفسير هذا الإبدال من النّاحية الصّوتيّة، فهو أنّه حينما يلتقي صوت مجهور مع آخر مهموس يُؤثّر أحدهما بالآخر، فأما أن يُصبحا مجهورين أو مهموسين، فإذا أثر المتأخّر بالمتقدّم وكان المتأخّر مهموساً صار كلاهما مهموساً، وهو ما يُطلق عليه (التّأثير الرّجعيّ) - الذي بيّناه سابقاً-، وهذا الأمر هو الذي حصّل في هذا الإبدال؛ إذ تأثر صوت الجيم المجهور المتقدّم بصوت (التّاء) المتأخّر المهموس، فَتحوّل إلى صوتٍ مهموسٍ، وهو (الشّين)؛ لأنّها النّظير الرّخو المهموس لد(الجيم)، فصار اللفظ (اشتمع)^(٦٥).

وهناك ظاهرتان صوتيتان ترتبطان بهذا الإبدال أشار إليهما القدماء، وذكر وأنّ إحداها مُستَحْسَنة عند العرب، والآخرى غير مُستَحْسَنة، فأما المُستَحْسَنة، فهي: (الشّين التي كالجيم)، وأما غير المُستَحْسَنة، فهي: (الجيم التي كالشّين)^(٦٦)، فالظّاهرتان -إذن- عبارة عن مزج الصّوتين ودمجهما معاً، أو إمالة أحدهما نحو الآخر، فإذا كان اللفظ بالجيم، فإنّها

لَا تُنْطَقُ جِيماً خالصةً وَإِنَّمَا مُشْرِبَةٌ بِالشَّيْنِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ اللَّفْظُ بِالشَّيْنِ، فَإِنَّهَا لَا تُنْطَقُ شَيْناً خالصةً - أيضاً -، وَإِنَّمَا فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْجِيمِ، أَي: إِنَّ الصَّوْتِ الصَّادِرَ مِنْ ذَلِكَ النَّطْقِ سَيَكُونُ صَوْتاً بَيْنَ (الْجِيمِ وَالشَّيْنِ). وَقَدْ فَسَّرَ ابْنُ جَنِي (الشَّيْنُ الَّتِي كَالْجِيمِ) الْمُسْتَحْسَنَةَ بِقَوْلِهِ: «وَأَمَّا الشَّيْنُ الَّتِي كَالْجِيمِ، فَهِيَ الشَّيْنُ الَّتِي يَقْلُ تَفْشِيهَا وَاسْتَطَالَتْهَا، وَتَرَجَعَ قَلِيلاً مُتَصَعِّدَةً نَحْوَ الْجِيمِ»^(٦٧).

وَيَبْدُو أَنَّ اشْتِرَاكَ الصَّوْتَيْنِ فِي الْمَخْرَجِ هُوَ الَّذِي سَوَّغَ هَذَا التَّدَاخُلَ بَيْنَ الصَّوْتَيْنِ، فَتَارَةً نَجِدُ الشَّيْنَ تَمِيلُ نَحْوَ الْجِيمِ فِي الْكَلِمَاتِ الَّتِي فِيهَا شَيْنٌ، فِي مُحَاوَلَةٍ لِلْجَهْرِ بِالصَّوْتِ؛ إِذْ الْجِيمُ مَجْهُورَةٌ. وَتَارَةً تَمِيلُ الْجِيمُ نَحْوَ الشَّيْنِ فِي الْكَلِمَاتِ الَّتِي يَوْجَدُ فِيهَا الْجِيمُ؛ لِلتَّخْلُصِ مِنَ الْجَهْرِ وَاكْتِسَابِ صِفَةِ الْهَمْسِ؛ إِذْ الشَّيْنُ مَهْمُوسَةٌ.

وَلَوْ تَأَمَّلْنَا فِي اللَّهْجَاتِ الْحَدِيثَةِ لِلْعَرَبِ لَوَجَدْنَا أَنَّ اللَّهْجَةَ الشَّامِيَّةَ (سُورِيَّةً، وَلُبْنَانً، وَفِلَسْطِينَ، وَالْأُرْدُنَّ) تَغْلِبُ عَلَيْهَا ظَاهِرَةٌ (الْجِيمِ الَّتِي كَالشَّيْنِ)، وَهِيَ أَنْ تُنْطَقَ (الْجِيمُ) كَمَا تُنْطَقُ الْجِيمُ الْفَرَنْسِيَّةُ، أَوْ نِهَآيَةَ كَلِمَةِ (garage) الْإِنْجِلِيزِيَّةُ. وَقَدْ سُمِّيَتْ (الْجِيمُ الشَّامِيَّةُ) نِسْبَةً إِلَى الْمَنْطَقَةِ الَّتِي تُنْطَقُ فِيهَا^(٦٨). أَمَّا فِي اللَّهْجَةِ الْبَصْرِيَّةِ الْحَدِيثَةِ، فَهَنَّاكَ بَعْضُ مَنْ يَنْطَقُ بِهَذِهِ الْجِيمِ الشَّامِيَّةِ (الَّتِي كَالشَّيْنِ)، وَخُصُوصاً فِي قِصَاصِ الْقُرْنَةِ وَالْهُوَيْرِ، يَقُولُونَ: جَفَّ النَّهْرُ، فَيَنْطَقُونَ الْجِيمَ مَمْزُوجَةً بِالشَّيْنِ، وَكَذَا فِي قَوْلِهِمْ: جَامُوسٌ، وَجَلْدٌ، وَمَاجِدٌ، وَدَجَاجٌ.

- إِبْدَالُ الْجِيمِ يَاءً -

رَوَى أَنَّ أَبَا حَاتِمٍ السَّجِسْتَانِيَّ، قَالَ: «قُلْتُ لَأُمِّ الْهَيْثَمِ: هَلْ تُبْدِلُ الْعَرَبُ الْجِيمَ (يَاءً) فِي شَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، ثُمَّ أَنْشَدَتْنِي:

إِذَا لَمْ يَكُنْ فَيَكُنْ طَلٌّ وَلَا جَنِي فَأَبْعِدْكَ اللَّهُ مِنْ شَيْرَاتٍ»^(٦٩).

فَأَبْدَلْتُ (الْجِيمَ) (يَاءً) فِي (شَيْرَاتٍ)، وَالْأَصْلُ (شَجَرَاتٍ)^(٧٠).

ونسب هذا الإبدال إلى بني تميم؛ إذ يقولون في (الصّهرج): (الصّهرّي). أمّا في اللهجة البصريّة الحديثة، فنجد هذه الظاهرة منتشرة في العديد من الأقضية والنواحي، ك(الهارثة، وكّرمة علي، والدّير، وشطّ العرب، والفاو، والسّيبة، وأبي الخصيب)، فيقولون في حجرة: (حيرة)، وفي دجاجة: (دياية)، وفي رجل: (رِل)، وهكذا.

التحليل الصوتي

يبدو أنّ هذا الإبدال الذي حصل بين هذين الحرفين أو الصّوتين إنّما هو من أجل التّخفيف في التّطق؛ إذ إنّ صوت الجيم أشدّ من صوت (الياء)، وإن كان كلاهما مجهورين، إلّا إنّ الجيم صوت شديد، أمّا الياء، فصوت رخو، فمال اللسان نحو (الياء) للتخلّص من شدة (الجيم)، والذي سوّغ هذا الإبدال هو التقارب المخرجي بين الصّوتين، وأنّهما من الأحرف الشّجرية (نسبة إلى شجر الفم)^(٧١). ومّا يدلّ على أنّ هذا الإبدال نوع من أنواع التّخفيف أنّ هناك ظاهرة لهجيّة قديمة سُمّيت بـ (العجعة)، تُنسب إلى قبيلة أسد؛ إذ يُبدّلون الياء جيماً، فيقولون في تميمي: تميمج^(٧٢)، أي: إنّهم أثروا الجيم على الياء؛ لأنّها أشدّ من الياء، فلاءمت بيئتهم البدويّة التي تُؤثّر الأصوات الشّديدة ذات الجهد العضليّ الكبير^(٧٣).

- الصّاد التي كالزّاي

وهو أنّ تُلَفّظ الصّاد وفيها شيء من الزّاي، فلا تكون صاداً خالصةً، وإنّما مشوبة بالزّاي. وقد عدّ ابن جني هذا الصّوت من الأصوات الحسنة التي يؤخذ بها في القرآن الكريم وفصيح الكلام^(٧٤)، ثمّ أنّه فسّر هذه الظاهرة الصّوتية بقوله: «وأمّا الصّاد التي كالزّاي، فهي التي يقلّ همسها قليلاً، ويحدث فيها ضرب من الجهر؛ لمضارعتها الزّاي، وذلك قولك في: يصدر، صدر، ويقصد: قصد، ومن العرب من يُخلّصها زايّاً، فيقول: يزدر، وقزد»^(٧٥).

هذا الاستعمال اللّهجيّ عند العرب والمُستَحَسَن عندهم مازال استعماله موجوداً في اللّسان البصريّ اليوم - وكذا في اللّهجة العراقيّة عموماً-؛ إذ مازالت هذه الظّاهرة موجودة في كثيرٍ من الألفاظ، وهي أن تميلَ بالصّاد نحو الزّاي، فيُسمَع صوتٌ بين الصّاد والزّاي في كلماتٍ مثل: أصدقاء، إصدّار، قُصد، يصدع، يصدق. وأمّا ما أشار إليه ابن جني من أن بعض العرب من يُخلص الصّاد زايّاً - أي: يُبدل الصّاد زايّاً-، فهذا -أيضاً- موجود في اللّهجة العراقيّة -والبصريّة بوجهٍ خاصّ -، وبالذّات في كلمة (لصق)، وتقابلها: (يلصق، لاصق، لصقة، ملصوق، لصاق)؛ إذ تُبدل الصّاد في هذه الكلمات (زايّاً) خالصة، ولكن مع إبدال (القاف) جيماً قاهريّة، أي: (ك)، فتُلَفّظ هكذا: (يلزك، لازك، لزكة، ملزوك، لزّاك).

التّحليل الصّوتيّ

أمّا تفسير هذه الظّاهرة من النّاحية الصّوتيّة، فهو خاضعٌ لما يُسمّى (التّأثير الرّجعيّ)^(٧٦)، أي: إنّ الصّوت المتأخّر يؤثّر في الصّوت المتقدّم ليحقّق نوعاً من الانسجام الصّوتيّ؛ إذ يميل الصّوت المتأثّر نحو الصّوت المؤثّر ليأخذ بعضاً من صفاته، فيتحوّل إلى الصّوت الأقرب لذلك الصّوت المؤثّر، وهذا ما حصل بين الدّال (المؤثّر) والصّاد (المتأثّر)؛ إذ اضطرّ (الصّاد) أن يترك (الهمس) ويتحوّل إلى (الجهر) بآثرٍ من الدّال المجهورة، فتتحوّل الصّاد زايّاً، ولكنها ليست زايّاً خالصة، بل مازالت تحمل صفة الاستعلاء أو (شبه التّفخيم)، فلم تتحوّل (سيناً)، بل صارت زايّاً مُفخّمة، ولولا شبه التّفخيم لصارَتْ سيناً^(٧٧)، أمّا إذا بُولِغَ في الجهر وتُرِكَ شبه التّفخيم صارَتْ زايّاً، وهو ما حصل في بعض كلام العرب واللّهجة البصريّة الحديثة.

ثانياً: تخفيف الهمزة

يُعدّ تخفيف الهمزة أحد السمات اللّهجيّة لقبيلة قريش وأكثر أهل الحجاز؛ إذ يقولون: (يوسف، وفاس، وبير)، أمّا تحقيق الهمزة، فيكثر في البيئة البدويّة؛ لذا نجده عند تميم وقيس وأسد؛ إذ يقولون: يؤسف، وفأس، وبئر، ولكن المصادر تروي أنّ بعضاً من تميم وأسد قد أثّر عنهم الميل نحو تخفيف الهمز، كقولهم: راس، وبير، ولوم، وارجيت، والشري بدلاً من: الشراء^(٧٨). وقريء على لهجة أهل الحجاز قوله تعالى: ﴿فَاَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ (يوسف: ١٧)، بدل: (الذئب)^(٧٩).

ولهذه الظاهرة القرشيّة آثار في اللسان البصريّ الحديث؛ إذ نجد البصريين يستعملون هذا التخفيف في كثير من كلماتهم، كما في: ماي، بدل: ماء، ويقر، بدل: يقرأ، يجي، بدل: يجيء، بير، بدل: بئر، وراس، بدل: رأس، والقليل منهم من يُبدل الهمزة واواً، فيقول: (وذان)، بدلاً من: (أذان)، و(ودن)، بدلاً من (أذن)، وبعضهم يُبدلها عينا، فيقول في جرأة: (جرعة).

التحليل الصوتي

يمكن أن يُعدّ تخفيف الهمزة من عوامل التيسير والسهولة في النطق؛ لأنّ الهمزة صوت انفجاريّ يُحبس معه الهواء الخارج من الرئتين حبساً تاماً؛ نتيجة انطباق الوترين الصوتيين في الحنجرة، ثم يُطلق سراحه فجأة، فيحدث صوت انفجاريّ هو الهمزة^(٨٠). وهذا بدوره يحتاج جهداً عضلياً كبيراً؛ لذا عُدّت عملية نطق الهمزة من أصعب العمليات الصوتيّة وأشقّها^(٨١)، في حين أنّ تخفيف الهمزة والميل بها نحو أصوات اللين كالألّف والياء والواو- التي يكون معها الهواء حرّاً طليقاً لا يحبسه شيء أو يصدّه- لا يحتاج جهداً عضلياً كبيراً كما هو حال الهمزة، ومن هنا عمّد أهل الحضرة إلى ذلك التخفيف

ليتلأَم مع بِيْتَهُم، واختار أهل البدو الهمز ليتلأَم مع بِيْتَهُم^(٨٢)، وإن كان بعض مَنْ ينتمي إليهم قد اختار التّخفيف كما ذكرت المصادر.

ثالثاً: التّلتلة، أو (كسر تاء الفعل المضارع)

تروي المصادر أنّ قبائل قيس وتميم وأسد وربيعة يكسرون تاء الفعل المضارع أو (نونه)، فيقولون: تَعْلَم، ونَعْلَم^(٨٣). أمّا قبيلة بهراء -وهي من قُضاعة-، فيكسرون الفعل حتّى مع (الياء)، فيقولون: يَعْلَم^(٨٤)، وقد اشتهروا بهذه الظّاهرة حتّى سُمّيَتْ باسمهم، يقول ابن جني: «وأمّا تلتلة بهراء، فإنّها تقول: تَعْلَمُونَ وتصنعون بكسر أوائل الحروف»^(٨٥). وقبل ابن جني كان سيبويه يرى أنّ هذه الظّاهرة صفة كلّ العرب إلّا أهل الحجاز ينطقون الفعل بالفتح^(٨٦). أمّا آثارُ هذه الظّاهرة فما زالت باقية في اللهجة البصريّة -والعراقية عموماً، بل وفي أغلب اللهجات العربيّة-؛ إذ تُستعمل الكثير من الأفعال المضارعة مكسورة التّاء، نحو: تَدْرُس، وتَلْعَب، وتَضْحَك، ونَفْرَح، ونَنْجَح، ويرْكُض، ويسْبَح، ولم يقتصر الأمر على المضارع، بل تعدّاه إلى الماضي، نحو: كَتَب، دَرَس، مَسَح، رَجَعَ، وهكذا ولكن مع فتح الحرف الثاني.

التّحليل الصّوتي

يرى الدّكتور رمضان عبد التّوّاب أنّ كسر أحرف المضارعة إنّما هو أصلٌ في اللّغات السّامية، فيوجدُ في العبريّة والسّريانيّة والحبشيّة، أمّا الفتحُ، فأمرٌ «حادثٌ في العربيّة القديمة، بدليل عدم وجوده في اللّغات السّامية الأخرى، وبدليل ما بقي من الكسر في بعض اللهجات العربيّة القديمة»^(٨٧)، في حين يرى كلّ من الدّكتور إبراهيم أنيس والمستشرق بروكلمان أنّ الأصل هو الفتح - في السّامية الأولى -، «ثمّ تطوّر إلى الكسر في معظم اللّغات السّامية»^(٨٨). أمّا سببُ التّحوّل من الفتح إلى الكسر، فخضوعه لقانون

صوتيّ يجعل لـ (فاء الكلمة) أثراً فيه، فإذا كانت (فاء الكلمة) من حروف الحلق مال حرف المضارعة نحو الفتح، وإن لم تكن من حروف الحلق بقي حرف المضارعة ملتزماً الكسر^(٨٩).

رابعاً: الاتباع الحركيّ

ويعني تأثر بعض الحروف بحركات الحروف المجاورة لها، فتتبع حركتها وتنسجم معها، وقد روي عن أسد وقيس وتميم أنهم يقولون: (بعير، وزئير، شهيق، ونحيف)، فيكسرون الحرف الأوّل من الكلمة التي تأتي على وزن (فعليل)، إذا جاء بعده حرف مكسور تتلوه (الياء) -إحدى حروف الحلق^(٩٠)-، يقول ابن جني: «سمعتُ الشّجريّ غير مرّة، يقول: زئير الأسد، يُريد: الزّئير»^(٩١)، ولهذه الظّاهرة آثارٌ عديدةٌ في اللّسان البصريّ الحديث، وإن كان هناك تفاوتٌ مناطقيّ في استعمالها، ولكنّها -على العموم- موجودةٌ في المناطق الرّيفيّة والمناطق الشّعبيّة ذات النّزعة العشائريّة، فيقولون: غليظ، فريضة، دليل، وصديق في: (صديق)، وچثير في: (كثير) وجليل في: (قليل).

التّحليل الصّوتيّ

يُمكن تفسير هذه الظّاهرة بناءً على قانونٍ صوتيّ عامّ يُسمّى (انسجام أصوات اللّين في الكلمة الواحدة Vowel-Harmony)، «الكلمة التي تشتملُ على حركاتٍ متباينةٍ تميلُ في تطوُّرها إلى الانسجام بين هذه الحركات؛ حتّى لا ينتقل اللّسان من ضمٍّ إلى كسرٍ إلى فتحٍ في الحركات المتوالية، وقد برهنتُ الملاحظة الحديثة على أنّ النّاطق حين يقتصد في الجهد العضويّ يميل دون شعورٍ منه أو تعمّدٍ إلى الانسجام بين حركات الكلمات»^(٩٢)؛ لأنّ توالي كسرتين في كلمةٍ أيسر على اللّسان من توالي فتحة، ثمّ كسرة أو ضمٍّ، فكسر أو فتح، وهكذا؛ لذا عدّت هذه الظّاهرة من مظاهر التّخفيف، والميل

نحو التيسير والسهولة في النطق، والاقتصاد في الجهد العضلي. ويمكن أن نعدّ هذا الانسجام الحركي من باب السرعة في النطق - الناتج من التأثير البيئي - الذي يسهم -أيضاً- في تقليل الجهد العضلي؛ لأنّ التنقل بين الحركات المتباينة يؤدي إلى ثقل اللسان وبطء عملية النطق في الكلمة الواحدة، أمّا تنقل اللسان بين الحركات المتجانسة، فيكون أخفّ وأسرع، ومن هنا كثُر هذا الانسجام على ألسنة أهل القرى والأرياف، والبدو الرُحّل؛ لأنّ حياتهم فيها حركة دؤوبة وقاسية وغير مستقرّة، فلاءمتها سرعة النطق، أمّا حياة الحضر أو المدن، فأكثر هدوءاً واستقراراً وسكوناً، تجعل من المتكلم أقلّ سرعة في نطقه، وأكثر تأنيلاً، بشكل يُمكنه الانتقال بين الحركات المتباينة وتحقيق أكثرها، وقد عكس الدكتور إبراهيم أنيس هذا الأمر، فجعل السرعة في النطق ناتجاً من حياة السكينة والهدوء الذي تمتعت به حياة البدو، وأنّ هذا الاقتصاد في الجهد العضلي هو أشبه بالكسل في النطق الذي أُصيب به أهل البدو^(٩٣). ولعمري، أين هذه السكينة، وليس هناك استقرارٌ نفسيّ أو مكانيّ؟ وأين ذلك الهدوء من تلك الحياة المليئة بالمخاطر وقساوة العيش والعمل الدؤوب وانعدام وسائل الراحة والاسترخاء؟

خامساً: تشديد الواو والياء في (هو، هي)

يُروى عن قبيلة همدان أنّها كانت تشدّد واو الضمير (هو)، وياء الضمير (هي)، فتقول: هوّ، وهيّ^(٩٤).

فهذا التشديد -إذن- ما هو إلّا مظهرٌ لهجيّ اتّسمت به قبيلة همدان، وقد بقيت آثار هذه الظاهرة اللهجية حتّى يومنا هذا متمثلة باللهجة العراقية عموماً- والبصرية على وجه الخصوص-؛ إذ ينطقون الضميرين (هو وهي) كما كانت تنطقه همدان من قبل، فيقولون: (هوّ وهيّ)، والقليل منهم ينطقهما: (أهوّ، وإهيّ)، كما هي في بعض مناطق القرنة وناحية الهوير والمدينة، وفي بعض مناطق الزبير.

سادساً: القبضُ

القبضُ يعني: «طيَّ حرف أو أكثر من أحرف الكلمة، وهذا يقع في الأسماء والأفعال والضّمائر والحروف، يعرضُ لأوّل الكلمة كما يعرض لآخرها»^(٩٥)، ومثاله: طيَّ حرف (الذال) في الاسم الموصول (الذي)، و(التاء) في (التي)، فيُصبح اللفظ (الّي) للمذكر والمؤنث^(٩٦).

تقول: جاء الّي أعرفه، أي: الّذي أعرفه، وجاءت الّي أعرفها، أي: التي أعرفها. ومن القبض -أيضاً- طيَّ حرف (الألف المقصورة) من حرف الجرّ (على)، فيُصبح (علّ)، فتقول: علّارض، أي: على الأرض^(٩٧)، وهو منسوب إلى قبيلة (بلحارث)^(٩٨). وكلتا الحالتين من القبض موجودتان اليوم في اللهجة البصرية؛ إذ يُطلقون على (الذي، والتي) لفظاً واحداً، وهو (الّي)، فيقولون: الرّجل الّي في السيّارة، والمرأة الّي في السيّارة. وكذا الحال في الحرف (على)؛ إذ يحذفون (ألفه المقصورة) وتسكّن اللّام، فيقولون: علّ كرسي، أي: على الكرسيّ، وعلّ مكتب، أي: (على المكتب)، وعلّ رف، أي: على الرّف. والقبضُ نوعٌ من أنواع الاختزال الصوتيّ، غرضه تقليل الجهد العضليّ من أجل السّهولة والتّخفيف في النّطق، ثمّ السّرعة في نطق الكلمة مع الاسم الموصول أو مع حرف الجرّ، فكلّما قلّت المقاطع الصوتيّة، ازدادت سرعة النّطق وقلّ الجهد على اللّسان، ولما كان القبض يؤدّي إلى حذف مقطعٍ صوتيّ كان ذلك مدعاة إلى التّخفيف والسّرعة في النّطق.

سابعاً: النّحتُ اللّغويّ

يرى الدّكتور إبراهيم السّامرائيّ أنّ البدو يميلون نحو «الإيجاز والحذف والخرم، ويُركّبون الكلمة الواحدة من كلمتين على سبيل النّحت اللّغويّ، نحو: هسه، ويُريدون

بها: هذه السّاعة، وهالحين، ويُريدونَ بها: هذا الحين»^(٩٩).
وهذه الظّاهرة من النّحت اللّغويّ مازالت موجودة، فالكثير من البصريّين يقولون:
هّسه، بمعنى: هذه السّاعة، والبعض منهم -وخصوصاً في قضاء الزّبير- يقولون:
هالحين، بمعنى: هذا الحين.

- استعمالُ (ياهياه) للنّداء

تذكر المصادر أنّ بني أسد إذا نادوا أحداً يقولون: (ياهياه أقبل)، ويُطلقون صيغة
(ياهياه) لنداء المفرد والمثنّى والجمع (المذكّر المؤنث)^(١٠٠)، ولوتتبّعنا اللهجة البصريّة
الحديثة لوجدنا أنّ هناك استعمالاً شبيهاً باستعمال بني أسد ولهجتهم في النّداء وهو اللفظ
(هَيّ)، فالبصريّون يستعملون هذا اللفظ لنداء مَنْ يجهلونه من المفرد أو المثنّى أو الجمع،
وأحياناً يُنادون به مَنْ يحتقرونه، فيقولون: هَيّ يا ولد، وربّما كان هذا اللفظ (هَيّ) هو
نفسه صيغة بني أسد (ياهياه)، ولكن تطوّرت، فحُذِفَتْ منه (يا) النّداء والألف والهاء،
فصار (هَيّ) بعد تسكين (الياء).

- استعمالُ (هءك) بمعنى (خُذْ)

ذَكَرَ الخليل بن أحمد الفراهيديّ أنّ (ها) تأتي بمعنى (خُذْ)، وأنّ للعرب فيها
لغات^(١٠١)، وذكر سيبويه أنّ هذه اللّغات هي: (هء، وهءك، وهأ، وهاك)^(١٠٢)، ويُذكر
عن بني دبير من أسد أنّهم يقولون: هءك يا رجل، وهء كما يا رجلان، وهءكم يا رجال،
وهءك يا امرأة، وهءكُنّ يانساء، فيدخلون كاف الخطاب على اسم الفعل^(١٠٣).
أمّا في اللهجة البصريّة الحديثة، فنجد أنّ استعمال (ها) بمعنى (خُذْ) كثير جداً،
ولكن بحذف الهمزة والإبقاء على كاف الخطاب للمفرد والجمع المذكّر فقط، فيقولون:
هءك (للمفرد)، و(هءكم) للجمع.

أمّا في المفردة المؤنّثة، فيقلّبون (الكاف)، (ج)، أي: مثل صوت (ch) الإنجليزيّة،

فيقولون: هاج، وجمع الإناث: هاجن، أي: بتسكين النون وفتح ما قبلها، وأحياناً يحذفون (الآلف) في (ها)، فيقولون: (هك، وهك، وهك، وهك)، ولا يوجد للمثنى (المذكر والمؤنث) صيغة مستقبلية، بل يُعاملونها معاملة الجمع.

- استعمال (أل) التعريف بمعنى (الذي)، وإدخالها على الفعل

هناك ظاهرة لغوية وردت عند العرب، وذكرها النحاة، وذكرها لها بعض الأمثلة، وهي استعمال (أل) التعريف بمعنى (الذي) الموصولة، وإدخالها على الفعل، وإن كان هذا نادراً وقليلًا، ولكنه ورد عن العرب، ومن ذلك قول الفرزدق:

ما أنت بالحكم الرضى حكومته ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل

إذ استعمل (أل) التعريف بمعنى (الذي)، وأدخله على الفعل المضارع (ترضى)، وهو عند جمهور النحاة البصريين لا يجوز إلا في الشعر^(١٠٤)، ولهذا الاستعمال أمثلة كثيرة في اللسان البصري الحديث؛ إذ يقولون: اليقرا، أي: الذي يقرأ، واليكتب، أي: الذي يكتب، واليشرب، أي: يشرب،... وأمثلة كثيرة على هذا الاستعمال الوارد عن العرب القدماء.

الهوامش

- ١- الخصائص، ابن جني: ١/ ٤١١.
- ٢- المزهر، السيوطي: ١/ ٢٢١.
- ٣- لسان العرب، ابن منظور، مادة (سرط)، ويُنظر: الإبدال، أبو الطيّب اللّغوي: ١٨٦/ ٢ (في الهامش).
- ٤- يُنظر: في اللّهجات العربيّة، إبراهيم أنيس: ص ١٢٨، اللّهجات العربيّة في التّراث، أحمد علم الدّين الجندبي: ٢/ ٤٤٣.
- ٥- يُنظر: الكتاب: ٤/ ٤٣٤.
- ٦- سرّ صناعة الأعراب: ١/ ٦١.
- ٧- نقلاً عن: (الوحدات الصّوتيّة- الفونيّات- المُفخّمة في لهجة البصرة، دراسة في علم الأصوات- قاسم راضي البريسم: ص ١٢٨، مجلّة الخليج العربيّ - مج ٢١، ع (٣-٤)، س: ١٩٨٩ م.
- ٨- في الأصوات اللّغويّة، إبراهيم أنيس: ص ٧٧.
- ٩- يُنظر: سرّ صناعة الأعراب: ١/ ٦١.
- ١٠- المصدر نفسه: ١/ ٢٠١ (طبعة السّقا).
- ١١- يُنظر: أثر القراءات في الأصوات والنّحو العربيّ، عبد الصّبور شاهين: ص ٢٧١.
- ١٢- يُنظر: في اللّهجات العربيّة، إبراهيم أنيس: ص ١٣٣.
- ١٣- يُنظر: التّهذيب، الأزهريّ: ١/ ١١٢ (مادّة عنن)، لهجة قبيلة أسد، علي ناصر غالب: ص ١٠٥.
- ١٤- يُنظر: العين، الفراهيديّ: ١/ ٩١.
- ١٥- يُنظر: اللّسان، ابن منظور، مادّة (عنن).
- ١٦- يُنظر: العين: ١/ ١٢٣، الجمهرة، ابن دريد: ١/ ٢٣٧-٢٣٨، والإبدال، أبو الطيّب: ٢/ ٥٥٥-٥٥٦.
- ١٧- يُنظر: الكتاب: ٤/ ٤٣٣-٤٣٥، والمقتضب، المبرّد: ١/ ١٩٢، ١٩٥.
- ١٨- يُنظر: في الأصوات اللّغويّة، إبراهيم أنيس: ص ٩١.
- ١٩- يُنظر: أثر القراءات في الأصوات والنّحو العربيّ، عبد الصّبور شاهين: ص ٢٤-٢٥.

- ٢٠- التّهذيب: ١٨/ ١٤٣، ويُنظر: في اللّهجات العربيّة، إبراهيم أنيس: ص ١١١.
- ٢١- يُنظر: الجمهرة: ١/ ٢٣٧، وفي اللّهجات العربيّة: ص ١١١.
- ٢٢- القراءات القرآنيّة في ضوء علم اللّغة الحديث: ص ٣١-٣٢.
- ٢٣- يُنظر: لهجات العرب، أحمد تيمور: ص ١١٣، والتوزيع الجغرافيّ اللّغويّ في العراق، إبراهيم السّامرائيّ: ص ١٠٥.
- ٢٤- يُنظر: البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسيّ: ٨/ ٥١٩.
- ٢٥- سرّ صناعة الإعراب: ١/ ١٩٧.
- ٢٦- يُنظر: في اللّهجات العربيّة، إبراهيم أنيس: ص ١٤٢.
- ٢٧- يُنظر: المصدر نفسه، (والرأي لرابين): ص ١٤٢.
- ٢٨- يُنظر: ملامح من تأريخ اللّغة العربيّة، أحمد نصيف الجنابيّ: ص ٢٦-٢٧.
- ٢٩- يُنظر: الكتاب: ٤/ ١٩٩، والصّحاح، للجواهريّ: ٣/ ١٠١٨، مادّة (كشكش)، وفي اللّهجات العربيّة، إبراهيم أنيس: ص ١٢١.
- ٣٠- يُنظر: الإبدال: ٢/ ٢٣١.
- ٣١- يُنظر: ملامح من تأريخ اللّغة العربيّة، أحمد نصيف الجنابيّ: ص ٤١.
- ٣٢- في اللّهجات العربيّة: ص ١٢٣.
- ٣٣- يُنظر: فصول في فقه العربيّة، رمضان عبد التّوّاب: ص ١٢٥.
- ٣٤- يُنظر: في اللّهجات العربيّة: ص ١٢٤.
- ٣٥- يُنظر: الجمهرة، لابن دريد: ١/ ٥، والقلب والإبدال، لابن السّكّيت: ص ٣٧.
- ٣٦- يُنظر: معاني القرآن: ٢/ ٢٧٤، ولهجة قبيلة أسد، علي ناصر غالب: ص ٩٧.
- ٣٧- يُنظر: الصّاحبيّ في فقه اللّغة، لابن فارس: ص ٥٥.
- ٣٨- يُنظر: الكتاب: ٤/ ٤٣٣- ٤٣٤، وسرّ صناعة الإعراب، ابن جني: ١/ ٥٢، ٦٩.
- ٣٩- يُنظر: المصدران نفسيهما: ٤/ ٤٣٢، ١/ ٥١.
- ٤٠- يُنظر: في اللّهجات العربيّة، إبراهيم أنيس: ص ١٠٦.
- ٤١- سرّ صناعة الإعراب: ١/ ٦١.
- ٤٢- علم الأصوات، برتيل مالبرج، ترجمة: عبد الصّبور شاهين: ص ١١٧، وما بعدها.
- ٤٣- يُنظر: الوحدات الصّوتيّة (الفونيمات) المُفخّمة في لهجة البصرة، قاسم راضي البريسم: ص ١٢٥، مجلّة دراسات الخليج - مج: ٢١، ع: ٣-٤، س: ١٩٨٩م.
- ٤٤- الإبدال: ٢/ ٣٢٩.

- ٤٥- يُنظر: الكتاب: ٤/ ٤٣٤.
- ٤٦- يُنظر: في الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: ص ٨٨.
- ٤٧- يُنظر: الكتاب: ٤/ ١٢٨، وسر صناعة الإعراب: ١/ ٦٢.
- ٤٨- يُنظر: الكتاب: ٤/ ٤٣٤.
- ٤٩- يُنظر: الكتاب: ٤/ ١٢٨، وسر صناعة الإعراب: ١/ ٦٢.
- ٥٠- يُنظر: همع الهوامع: ٢/ ٧٦، وفي اللهجات العربية: ص ١٠٩.
- ٥١- يُنظر: الكتاب: ٤/ ٤٣٤.
- ٥٢- يُنظر: في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس: ص ١٣٣.
- ٥٣- يُنظر: المصدر نفسه: ص ١٠٩.
- ٥٤- يُنظر: معاني القرآن، الفراء: ٢/ ٣٩١، وتفسير القرطبي: ٢/ ٣٧.
- ٥٥- يُنظر: الكتاب: ٤/ ٤٣٤-٤٣٥.
- ٥٦- يُنظر: سر صناعة الإعراب: ١/ ٦١.
- ٥٧- ٥٨- المصدر نفسه: ١/ ٤٧.
- ٥٩- يُنظر الإبدال، أبو الطيب اللغوي: ١/ ٢٢٦، واللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندبي: ٢/ ٤٥٧.
- ٦٠- يُنظر: الكتاب: ٤/ ٤٤٣-٤٣٤.
- ٦١- يُنظر: التطور النحوي، ترجمة: رمضان عبد التّوّاب: ص ١٧.
- ٦٢- يُنظر: التطور النحوي، برجستراسر: ص ١٨ (في الهامش).
- ٦٣- يُنظر: في الأصوات اللغوية: ص ٧٩.
- ٦٤- للمزيد من التفاصيل، يُنظر: حوار اللغات، نادر سراج: ص ٤٦، وما بعدها.
- ٦٥- يُنظر: في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس: ص ١٣٢-١٣٣.
- ٦٦- يُنظر: الكتاب: ٤/ ٤٣٢، سر صناعة الإعراب: ١/ ٤٦.
- ٦٧- سر صناعة الإعراب: ١/ ٥٠.
- ٦٨- يُنظر: في الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: ص ٧٧-٧٨، وحوار اللغات، نادر سراج: ص ٤٧- ٤٨.
- ٦٩- المزهر، السيوطي: ١/ ٢٢٢.
- ٧٠- يُنظر الإبدال، أبو الطيب اللغوي: ص ٢٦١.
- ٧١- يُنظر: دراسات في فقه اللغة، صبحي الصّالح: ص ٢٧٩.

- ٧٢- يُنظر: لهجة قبيلة أسد، علي ناصر غالب: ص ١٠٠.
- ٧٣- يُنظر: في اللّهجات العربيّة، إبراهيم أنيس: ص ١٢٥.
- ٧٤- يُنظر: سرّ صناعة الإعراب: ٤٦/١.
- ٧٥- يُنظر: المصدر نفسه: ٥٠/١.
- ٧٦- يُنظر: في اللّهجات العربيّة: إبراهيم أنيس: ١٣٢- ١٣٣.
- ٧٧- يُنظر: المنهج الصوّقيّ للبنية العربيّة، عبد الصّبور شاهين: ص ٢٠٩.
- ٧٨- يُنظر: الأضداد في كلام العرب، أبو الطيّب اللّغويّ: ٣٩٣/١، ولهجة قبيلة أسد، علي ناصر: ص ١٠٩، وما بعدها.
- ٧٩- يُنظر: تفسير الطبريّ: ١٦/٩.
- ٨٠- يُنظر: القراءات القرآنيّة في ضوء علم اللّغة الحديث، عبد الصّبور شاهين: ص ٢٤.
- ٨١- يُنظر: المصدر نفسه: ص ٧٧.
- ٨٢- يُنظر: في اللّهجات العربيّة، إبراهيم أنيس: ص ٧٦.
- ٨٣- يُنظر: البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسيّ: ٢٣/١- ٢٤.
- ٨٤- يُنظر: في اللّهجات العربيّة، إبراهيم أنيس: ص ١٣٩.
- ٨٥- سرّ صناعة الإعراب: ٢٣٥/١.
- ٨٦- يُنظر: الكتاب: ١١٠/٤.
- ٨٧- فصول في فقه اللّغة: ص ١٢٥.
- ٨٨- في اللّهجات العربيّة: ص ١٤٠، ويُنظر: فقه اللّغات السّامية، كارل بروكلمان: ص ١١٦.
- ٨٩- يُنظر المصدر نفسه: ص ١٤٠.
- ٩٠- يُنظر: لسان العرب، مادّة (منخض)، ولهجة قبيلة أسد، علي ناصر غالب: ص ١٢٢.
- ٩١- الخصائص: ١٤٣/٢.
- ٩٢- في اللّهجات العربيّة، إبراهيم أنيس: ص ٩٦- ٩٧.
- ٩٣- يُنظر: في اللّهجات العربيّة: ص ١٣٢.
- ٩٤- يُنظر: البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسيّ: ١٣٣/١، وهمع الهوامع، السيوطيّ: ٦١/١.
- ٩٥- التوزيع الجغرافيّ اللّغويّ في العراق، إبراهيم السّامرائيّ: ص ١٠٧.
- ٩٦- ٩٧- يُنظر: المصدر نفسه: ص ١٠٧.
- ٩٨- يُنظر: في اللّهجات العربيّة، إبراهيم أنيس: ص ١٣٦.
- ٩٩- التوزيع الجغرافيّ اللّغويّ في العراق: ص ١٠٨.
- ١٠٠- يُنظر: لهجة قبيلة أسد، علي ناصر غالب: ص ٢١٥.
- ١٠١- يُنظر: العين: ١٠٢/٤.

٣٩٠ دِرَاسَاتُ فِي لَهْجَاتِ الْبَصْرَةِ وَجَنُوبِ الْعِرَاقِ

١٠٢- يُنظر: الكتاب: ١ / ٢٤٤.

١٠٣- يُنظر: لهجة قبيلة أسد، علي ناصر غالب: ص ٢١٤.

١٠٤- يُنظر: شرح ابن عقيل: ١ / ٧٥.

مصادر البحث ومراجعهُ

- القرآن الكريم.
- ١- الإبدال، لأبي الطيّب اللّغويّ، تحقيق: عزّ الدين التّنوخيّ، دمشق، ١٩٦٠ م.
- ٢- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربيّ، عبد الصّبور شاهين، مكتبة الخانجيّ، مصر، ١٩٨٧ م.
- ٣- الأضداد في كلام العرب، لأبي الطيّب اللّغويّ، تحقيق: عزّة حسن، مطبعة التّرقّي، دمشق، ١٩٦٣ م.
- ٤- البحر المحيط، لأبي حيّان الأندلسيّ النّحويّ، مطبعة السّعادة، مصر، ١٣٢٩ هـ.
- ٥- التّطوّر النّحويّ للغة العربيّة، المستشرق الألمانيّ برجستراسر، ترجمة: رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٣ م.
- ٦- التّوزيع الجغرافيّ اللّغويّ في العراق، إبراهيم السّامرائيّ، معهد البحوث والدراسات العربيّة، جامعة الدّول العربيّة، ١٩٦٨ م.
- ٧- تهذيب اللّغة، لأبي منصور، محمّد بن أحمد الأزهرّيّ، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون وآخرين، الدّار المصريّة، ١٩٦٤ م.
- ٨- الجامع لإحكام القرآن، للقرطبيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط٢، ١٩٦٧ م.
- ٩- جوهرة اللّغة، لأبي بكر، محمّد بن الحسن بن دريد، مصوّر بالأوفسيّت عن مطبعة حيدر آباد - الدّكن، مؤسّسة الحلبيّ وشركاه، ١٣٤٤ هـ.
- ١٠- حوار اللّغات، نادر سراج، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ليبيا، ٢٠٠٧ م.
- ١١- الخصائص، لأبي الفتح، عثمان بن جني، تحقيق: محمّد عليّ النّجار، دار الشّؤون الثّقافيّة، بغداد، ط٤، ١٩٩٠ م.
- ١٢- دراسات في فقه اللّغة، صبحي الصّالح، دار العلم للملايين، لبنان، ط٩، (د.ت).
- ١٣- سرّ صناعة الإعراب، لأبي الفتح، عثمان بن جني، تحقيق: حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥ م.
- ١٤- شرح ابن عقيل، بهاء الدّين بن عقيل المصريّ، تحقيق وشرح: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، مكتبة الهداية، العراق، أربيل، (د.ت).

- ١٥- الصّاحبيّ في فقه اللّغة، لأبي الحسن، أحمد بن فارس، حقّقه وقَدّم له: مصطفى الشّوميّ، مؤسّسة بدران للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ١٩٦٤ م.
- ١٦- الصّحاح، لإسماعيل بن حمّاد الجوهريّ، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧ م.
- ١٧- علم الأصوات، برتيل مالبرج، ترجمة: عبد الصّبور شاهين، مكتبة الشّباب، ١٩٨٥ م.
- ١٨- العين، للخليل بن أحمد الفراهيديّ، تحقيق: مهدي المخزوميّ وإبراهيم السّامرائيّ، دار الرّشيد، بغداد ١٩٨٠ م.
- ١٩- فصول في فقه العربيّة، رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ١٩٧٣ م.
- ٢٠- فقه اللّغات السّامية، المستشرق الألمانيّ كارل بروكلمان، ترجمة: رمضان عبد التّوّاب، منشورات جامعة الرّياض، ١٩٧٧ م.
- ٢١- في الأصوات اللّغويّة، إبراهيم أنيس، ط٣، ١٩٦١ م.
- ٢٢- في الأصوات اللّغويّة، إبراهيم أنيس، مكتبة الإنجلو المصريّة، ط٤، ١٩٧٣ م.
- ٢٣- القراءات القرآنيّة في ضوء علم اللّغة الحديث، عبد الصّبور شاهين، دار الكتاب العربيّ، القاهرة، ١٩٦٦ م.
- ٢٤- القلب والإبدال، لأبي يوسف، يعقوب بن إسحاق بن السّكّيت (ضمن الكنز اللّغويّ)، تحقيق: أوغست هفتر، المطبعة الكاثوليكيّة للأباء اليسوعيّين، بيروت، ١٩٠٣ م.
- ٢٥- الكتاب، لأبي بشر، سيبويه، تحقيق وشرح: عبد السّلام محمّد هارون، عالم الكتاب، بيروت، ط٣، ١٩٨٣ م.
- ٢٦- لسان العرب، لابن منظور، تقديم: الشّيخ عبد الله العلايليّ، دار لسان العرب، بيروت، (د.ت).
- ٢٧- لهجات العرب، أحمد تيمور باشا، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٧٣ م.
- ٢٨- اللّهجات العربيّة في التّراث، أحمد علم الدّين الجنديّ، الدّار العربيّة للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٧٨ م.
- ٢٩- لهجة قبيلة أسد، علي ناصر غالب، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، ١٩٨٩ م.
- ٣٠- المُزهر في علوم اللّغة وأنواعها، لجلال الدّين السيوطيّ، تحقيق: محمّد أحمد جاد المولى وآخرين، عيسى البابي الحلبيّ وشركاه، مصر، (د.ت).
- ٣١- معاني القرآن، لأبي زكريّا الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي وآخرين، دار الكتاب المصريّة، ١٩٥٥-١٩٧٢ م.
- ٣٢- ملامح من تاريخ اللّغة العربيّة، أحمد نصيف الجنابيّ، دار الرّشيد للنّشر، ١٩٨١ م.

٣٣- المنهج الصوتيّ للبنية العربيّة، عبد الصّبور شاهين، مؤسّسة الرّسالة بيروت، ١٩٨٠م.

٣٤- همع الهوامع في شرح الجوامع، لجلال الدّين السيوطيّ، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلميّة، الكويت، ١٩٧٥م.

الألفاظُ الفارسيّةُ في اللهجةِ البصريّةِ

الدكتور فاضل عبد علي عباس

المقدمة

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه الغرّ
الميامين..

أمّا بعدُ:

لقد شكّل هذا البحث الموسوم (الألفاظ الفارسيّة في اللهجة البصريّة) هاجساً قوياً
يزداد يوماً بعد يوم، كلما طرق سمعي لفظ دخيل على لغتنا العربيّة. وكنتُ أسجّل هذه
الألفاظ من أفواه البصريّين، وهم يتعاملون بها في حياتهم اليوميّة، فكانت أغلب هذه
الألفاظ فارسيّة الأصل بحكم عامل التّجاور والتّزاور والتّصاهر والتّزاوج والتّجارة
والحروب. هذا وقد راجعتُ قواميس اللّغة العربيّة والفارسيّة بشأن كلّ كلمةٍ ورّبتّها
- مع شيءٍ من الشّرح والتّوضيح - على ترتيب الحروف الهجائيّة، ونوّهتُ ببعض
الألفاظ الفارسيّة المستعملة في اللهجة البصريّة، وهي ليست فارسيّة الأصل؛ وذلك
نتيجة للعوامل نفسها، فكانت أمّا تركيّة، أو هنديّة، أو إنجليزيّة.

إنّ من الأهداف الأساسيّة التي يرمي إليها البحث، زيادة الوعي الثقافي لدى
المثقّفين والأكاديميّين البصريّين بشكلٍ خاصّ، والعرب بشكلٍ عامّ، ورغد المكتبة

البصريّة بما تحمل مدينة البصرة من إرث حضاريّ كبير، وتنوير الشارع البصريّ المثقّف على اختلاف مستوياتهم بما يهمّ ثقافتهم ولغتهم العريقة، وهم أصحاب أوّل مدرسة لغويّة في العراق والوطن العربيّ.

في الختام، أرجو من المثقّفين والمهتمّين بتراث مدينة البصرة واللّغة الثّقافيّة العربيّة أن يرفدوا هذا المبحث بما يمتلكون؛ لأنّي لا أدّعيّ تمامه وكماله، والله وليّ التوفيق.

«حرفُ الهمزة»

(آلين): وتعني: المرأة والجمال والسلوك^(١)، يلفظها البصريّون (آيين)، ونقصد بها المرأة أو الطّريقة أو السلوك، وهي من الألفاظ التي أخذها الفرس عن العرب. و(الآيين) هي العادة أو العرف المتّبّع عند جماعةٍ من النّاس^(٢).

(أبدان): وتعني: بالفارسيّة خزّان الماء، أو غدير، أو حوض^(٣)، يلفظها أهل البصرة (مدانة)، ويعنون بها خزّان الماء الصّغير المعروف، ليبرّد الماء في فصل الصّيف.

(أبرو): وتعني: الحياء، الشّرف، الاعتبار^(٤)، وقد استعملها البصريّون في لهجتهم بهذا المعنى أيضاً.

(إبريز): وتعني: بالفارسيّة مبرز، مbole المكان الذي ينصبّ فيه الماء الفاسد^(٥)، وقد استعملت بعد تعريبها إلى لفظة (أبريق)^(٦)، ليُسْتَعْمَلَ للغرض نفسه.

(أبشغور): وتعني: النّهر، أو النّبع، أو المنهل، أو المشرب^(٧)، وقد استعملت عند أهل البصرة بعد تصحيفها بـ (شاخور)، لتؤدّي إلى معنى النّهر الصّغير.

(آخور): وتعني: حظيرة للحيوانات، تُبنى في طرف الجدار^(٨)، ويلفظها البصريّون بعد تصحيفها بـ (ياخور)، لتؤدّي الغرض نفسه.

(آدمكش): وتعني بالفارسيّة: قاتل الإنسان^(٩)، وهي تتكوّن من مقطعين (آدم): وهي كلمة عربيّة معروفة، و(كش): وهي مادّة المصدر الفارسيّ (كشتن)، أي: القتل،

وقد استعملها البصريون وغيرهم، وخاصة في لعبة النرد، فيقول على سبيل المثال: (كش ملك)، أي: قُتل الملك.

(أشكارا): وتعني: واضح، مكشوف، ظاهر^(١١)، وتُلفظ عند أهل البصرة (إشكارا)، لتؤدّي غرض التوضيح والعلانية والصراحة.

(آفرين): وهي كلمة فارسية تعني: الاستحسان، أو الشكر، أو السعادة، أو اليمن^(١٢)، وقد استعملها البصريون وغيرهم من العراقيين، لتؤدّي هذه المعاني أيضاً. (آقا): وهي كلمة مغولية بمعنى: كبير، وسيد، وفاضل، وعظيم، وإذا جاءت في أول الاسم أُضيف إليها (ي) مكسورة، مثل: آقاي علي^(١٣)، وهي متداولة في: إيران، وأفغانستان، والهند، وباكستان، ووسط وجنوب العراق.

(آكور): وهي فارسية عُرِبَتْ إلى الآجر، وهو اللبن المحروق المُعدّ للبناء^(١٤). (آلو): وهو الأجاص، أو الخوخ^(١٥)، ويُستعمل في البصرة ليؤدّي المعنى نفسه. (آلو بالو): وهو الكرز الأحمر^(١٦)، وقد يُطلق أهل البصرة هذا اللفظ على مخلوط من الكرزات والفاكهة المجففة.

آيا: وهي أداة استفهام بمعنى: هل، وتُلفظ عند البصريين بعد حذف الهمزة (يا)، لتؤدّي غرض الاستفهام أيضاً.

«حرف الألف»

(أخروش): وتعني: صياح، ضجّة^(١٧)، وقد استعملها البصريون بلفظة (خرش) عندما يصرخ أحدهما على الآخر بصوت عالٍ فجأة، فيُرعبه.

(أربيان): وهو سرطان بحريّ، يأكله معظم أهل البصرة، ويُلفظ عندهم (ربيان). (أرغوان): وهو الورد الجوري^(١٨)، وعُرِبَتْ إلى (أرجوان) لتدلّ على الشيء الأحمر، يُقال: أحمر أرجواني، أي: قانٍ^(١٩).

(أريش): وتعني بالفارسيّة الدّكيّ، النّبيه، صاحب الشّعور والإدراك^(١٩)، وقد استعمل أهل البصرة هذه اللفظة بشيء من التصحيف، فقلّبوا الألف ميماً، فصارت (مريش) بالتّصغير، وتعني عندهم: المرّفة والنّاجح بذكائه، والفائز بشعوره وإدراكه أيضاً.

(أستا)^(٢٠): وهي مخفّفة من أستاذ، وتعني: المعلّم، وصاحب الحرفة^(٢١)، وقد استعملت في البصرة وغيرها، وذلك بتغيير السّين إلى صاد لتؤدّي المعنى نفسه.

(أندام): وتعني: هيكل، جسم، قامه^(٢٢)، وقد استعملها البصريّون في المعنى نفسه بعد تعريبها إلى (هندام)، وهو حُسْن القَدِّ، وتنظيم الملابس^(٢٣).

(أوطو): وتعني: المكوّاة، وقد تُلفظ الطّاء بالفارسيّة تاءً، فيكون لفظها بالفارسيّة: أوتو أو أوتي، وقد استعملها البصريّون وغيرهم بلفظها الفارسيّ من دون تغيير.

(إيوان): وتعني: الشّرفة، أو قسم من المنزل مسقوف مفتوح الواجهة، وليس له باب يُشرف على صحن الدّار^(٢٤)، وقد عُرِّبَت باللّهجة العاميّة إلى (ليوان) لتؤدّي المعنى نفسه.

«حرف الباء»

(باج): وتعني بالفارسيّة: ضريبة الملك على تابعيه، أو الجزية، أو اللّون من الطّعام^(٢٥)، وقد استعملها البصريّون بمعنى البطاقة، وجمعها باجات.

(بادية): وتعني: الوعاء النّحاسيّ أو الطّاس^(٢٦)، وهي متداولة في البصرة بشكل يوميّ؛ لكثرة استخدامها.

(باورت): وهو البارودة^(٢٧)، المعروف.

(باقلواه باقلوا): نوع من الحلوى المعروفة^(٢٨)، وهي من الألفاظ الدّخيلة على العربيّة، التي فرضت نفسها في قواميس العربيّة^(٢٩)، وتُعرّف عندنا بالبقلاوة.

- بالكانه، وتعني: الشُّرفة^(٣٠)، وتُلَفَّظ عند أهل البصرة (بلكونه).
- (باهوش): وتعني: بالفارسيّة الذّكيّ والعاقل^(٣١)، ويُطلَق البصريّون على الرّجل الذي لا يستعمل عقله (بدون هوش)؛ وذلك لأنّ (با) الفارسيّة تعني (مع)، و(هوش) تعني (العقل)، فاستبدلوا المعية بكلمة (بدون) العربيّة للدلالة على ذلك.
- (برش): وتعني: القطع مضاء السّكين أو السّيف^(٣٢)، وتُلَفَّظ عند أهل البصرة على طريقتهم بشيء مع التّغيير، فيقال للرّجل، المعتدي: (نبرشك برش)، أي: نقطّعتك تقطيعاً، أمّا (البرش) بتسكين الرّاء، فهي كلمة دخيلة أيضاً، وتعني: الحصير الصّغير من سعف النّخيل^(٣٣).
- (بريان): وهو المشوي من اللّحم المفروم مع البصل^(٣٤)، وهو مستخدم لدى البصريّين للدلالة على الأكلة المعروفة بالبرياني.
- (بُسْ): أي: القبلّة^(٣٥)، وهي مُستعملة في اللهجة البصريّة في المعنى نفسه، وهي مختصرة من الكلمة الفارسيّة (بوسه)، أي: القبلّة، ومصدرها (بوسیدن)، أي: التّقبيل.
- (بَسْ): أي: كاف فقط^(٣٦)، وهي مستعملة في اللهجة البصريّة في المعنى نفسه (بلغور): وهو كلّ شيء مسحوق ومجروش^(٣٧)، وقد عُرِبَ إلى اللهجة العاميّة بـ (البرغل).
- (بلم): وهو القارب^(٣٨)، الذي يُصنَع عادةً من الخشب، وتكثر صناعته في جنوب العراق عامّة، وفي البصرة على وجه الخصوص، ويُعرف بالبلم، وصاحبه البلّام.
- (بنجرة): وهو الشّبّاك^(٣٩).
- (بند): ويعني: الرّباط أو الحزام^(٤٠)، وهو مستعمل ومتداول عند أهل البصرة بهذا الاسم أيضاً.
- (بنكان): وهو الفنجان للشّاي والقهوة، ونحوهما^(٤١).

(بوريا): هو الحصير المصنوع من القصب^(٤٢)، ويُلفظ عند البصريين (باريا) للدلالة عليه، وهو يستعمل لسقوف المنازل الطينية.

(بوس): وهي القبلة^(٤٣)

(بوكان): وتعني بالفارسية: رحم المرأة^(٤٤)، ومنها أطلق البصريون كلمة (بوك) بالكاف المعجمة على الجزء البارز من الرحم، وهو (البَطَر) بفتح الباء والطاء كليهما، فيقال: بظر بظراً، أي: نتأ وسط شفثيه العليا، ومع استطالتها، فهو أبظر، وهي بظراء وجمعها بُظُر، والبُظارة الحلمة الناتئة في ضرع الشاة، ونتوء في حياء الدابة، ونظيره من المرأة، ونتوء في وسط الشفة العليا^(٤٥).

(به به): وهي كلمة استحسان وتعجب^(٤٦)، استعملها البصريون كثيراً للدلالة على المعنى ذاته، الكلمة مخففة من لفظ التفضيل (بهتر)، وتعني: أفضل، أو أحسن.

(بيهوش): وتعني بالفارسية: غبي^(٤٧)، أخذها البصريون بلفظها ومعناها أيضاً

«حرف الباء (المعجمة)»^(٤٨)

(باجامة): وتعني: بالفارسية السروال^(٤٩)، وهي كذلك في اللهجة البصرية، وفي باقي مناطق العراق.

(باك): وتعني: الطاهر، النقي، العفيف^(٥٠)، وهذه الكلمة معروفة، ولاسيما في الأوساط الدينية، قد أُطلقت على الصحابي الجليل سلمان الفارسي (رضي الله عنه)، بسلمان باك؛ للدلالة على المعنى ذاته.

(بالوسة): وتعني: القلق وعدم الاستقرار^(٥١)، يلفظها أهل البصرة (هلوسة)، و(الهوس) بالعربية طرف من الجنون، فيقال: (هوس الشيء): دقه، وهوس الله فلاناً: جعله ذا هوس^(٥٢).

(بايه): وتعني: درجة، قاعدة، أساس البناء^(٥٣)، وقد استعملت عند البصريين

للدلالة على هذه المعاني أيضاً، وغالباً ما يلفظونها مكرّرة، فيقولون: (بايه بايه)، أي: درجة درجة.

(بتو): وهو غطاء صوفيّ يُلْتَحَف به ^(٥٤)، وقد استعملها البصريّون معربة إلى (بطانيّة)، للدلالة على هذا المعنى أيضاً.

(بخيخو): (بكسر الباء المعجّنة)، وتعني: بالفارسيّة (الدغدغة) ^(٥٥)، وهي لفظة مستعملة في لهجة أهل البصرة عند مداعبة الأطفال ودغدغتهم.

(برمان): وتعني: الأمر أو الحكم ^(٥٦)، يلفظها البصريّون (فرمان)، ويعنون بها الأمر أو الحاكم.

(بروانة): وهي المروحة الأماميّة للسّفينة، أو للمحرّك، أو للطائرة ^(٥٧)، وتُلفظ في لهجة أهل البصرة (بروانه)، ويعنون بها: المروحة الخلفيّة للسّفن الخشيّة وغيرها، وخاصّة عند صيّادي الأسماك.

(پس): وتعني: ولكن، فحسب، آخر الأمر ^(٥٨)، غالباً ما تُلفظُ (بس) عند البصريّين (بالباء العربيّة)، ويقصدونَ المعنى نفسه.

(بكشت): وتعني: المُلَطّخ، الوسخ، البخس، الدّون ^(٥٩)، ويُطلق أهل البصرة هذا اللفظ غالباً على اللّصّ والخسيس والدّونيّ من النّاس، ويلحقونَ بها (ياء النّسبة)، فيلفظونها (بلشتي).

(بنجره): الشّبّاك، وهي معروفة ومشهورة.

(بوتين): حذاء ذو رقبة طويلة ^(٦٠)، وهي لفظة فرنسيّة الأصل استُعِمِلت في الفارسيّة، ثم انتقلت إلى اللهجات البصريّة.

(بوز (بوزه)): وتعني: دائرة فم الحيوانات ما بين الشّفة والأنف ^(٦١)، وهي مشهورة عند البصريّين للدلالة على المعنى ذاته للحيوان والإنسان معاً.

(بهلوان): وتعني: الشجاع القادر^(٦٢)، وقد عُرِبَتْ (البهلوان)، لتعني البارع في نوع من الألعاب، كالمشي على الحبل^(٦٣)، وغالباً ما يُقصد بها في اللهجة البصرية للدلالة على المعنى الأول.

«حرفُ التاء»

(تازه): وتعني: جديد، طري^(٦٤)، وقد استعملها البصريّون وغيرهم بلفظها ومعناها أيضاً.

(تاوه): وهي المقالة المعروفة^(٦٥)، يلفظها البعض بـ(تاوه)، والبعض الآخر بـ(طاوه)، وهي لفظةٌ عاميّةٌ معرّبةٌ.

(تباشير): وتعني: البياض^(٦٦)، وقد عُرِبَتْ إلى طباشير، وهي معروفة ومشهورة. (تخت): وتعني: الكرسي، أو السرير، أو المنبر^(٦٧)، وقد استعملها البصريّون في لهجتهم للدلالة على المعنيين الأولين على الأعم والأغلب.

(تخم): الأصل من كل شيء^(٦٨)، وهي مُستعملة عند أهل البصرة ومشهورة. (ترش): وهو الحامض^(٦٩)، وقد عُرِبَتْ إلى طرشي، وهي مُستعملة ومشهورة. (ترياق): وتعني: المضادّ للسموم، وهي كلمة يونانية مُعرّبة^(٧٠)، ويلفظها أهل البصرة بـ(ترياك)، بالكاف الأعجميّة، ويعنون به: (الأفيون)، وقد عرّفه مجمع اللغة العربيّة بأنّه (ما يمنع ميكانيكياً امتصاص السّم من المعدة أو الأمعاء^(٧١)).

(تشت): وعاء معدنيّ كبير للغسيل، وقد عُرِبَتْ إلى طست^(٧٢)، يلفظه أهل البصرة (طشت) للدلالة على المعنى ذاته.

(تفال): البصاق^(٧٣)، وهي مشهورة، وقد استعملها العرب قديماً بعد عصر الرواية^(٧٤)، ممّا يُظنُّ أنّها عربيّة^(٧٥).

(تفنك): البندقيّة^(٧٦)، ويلفظها أهل البصرة (تفگه)، وهي معروفة ومشهورة.

(تمغا): ختم ملكي، علامة^(٧٧)، وهي لفظة من أصل مغولي، استعملها البصريون بعد تغيير حرف التاء إلى طاء (طمغا)، ويعنون بذلك الختم، أو الطابع الحكومي الرسمي.
(تنبل): وتعني: الكسول، أو المهمل^(٧٨)، وهي لفظة معروفة ومشهورة في لهجة البصريين للدلالة على ذلك المعنى.

(تُنك): بضم التاء، وتعني: كوز الماء^(٧٩)، يلفظها أهل البصرة (تنكه)، وهي مشهورة ومعروفة.

(تَنك): وتعني: ضيق، ورفيع^(٨٠)، استعملت في اللهجة البصرية للدلالة على الأمراض الصدرية والتنفسية بشكل خاص.

(توب): وتعني: المدفع، وهي تركيبة الأصل^(٨١)، استعملها البصريون في لهجتهم كثيراً، ولاسيما في أثناء الدولة العثمانية والاحتلال الإنكليزي، وظلت إلى الآن بأفواه كبار السن يلفظونها (طوب) بالباء المعجمة، وتكاد تنحسر عن الأجيال الحالية.

(تيشه): وتعني: مطرقة النجارين، أو الحجارين^(٨٢)، وهي مُستعملة ومعروفة.
(تيغ): الشفرة (للحلاقة)، أو السيف^(٨٣)، وقد استعملها البصريون للدلالة على المعنى الأول، كما يعني أهل البصرة بها القصب، أو أجزاء القصب.

(تيله): تخص الأطفال^(٨٤)، وهي مُستعملة عند البصريين بمعنى التسمية في شعر الطفل، أو ما يتعلق بها من زينة، أو تعويذة، ونحو ذلك، وأغلب الظن أنها جاءت من اللفظة الفارسية (تيل)، التي تعني: النقطة، أو العلامة، أو الخال^(٨٥)؛ وذلك لقرب المعنى الذي يستعمله البصريون في لفظة (تيله).

«حرف الجيم»

(جام خانه): بيت من الزجاج^(٨٦). يُطلق البصريون هذه اللفظة على المعرض الخشبي الذي تحتوي واجهته الأمامية على الزجاج.

(جنباز): وتعني: الفدائي، استعملها البصريون للدلالة على الشخص المتحایل، أو المنافق، أو اللعوب، فيقال له بعد إضافة ياء النسبة: (جنبازي).
(جرقه): شرر النار^(٨٧)، وهي متداولة لدى أطفال البصرة كثيراً، ويعني بها الألعاب النارية، أو موادها المستخدمة في ألعابهم.
(جُلنار گلنار): لفظة فارسية معربة، وتعني: زهرة الرُمان^(٨٨)، وهي معروفة ومشهورة.

(جوجة): وتعني: فرخ الدجاج^(٨٩)، وهي معروفة ومتداولة عند أهل البصرة.
(جادر): بالجيم المعجمة، وتعني: الخيمة، أو عباءة النساء^(٩٠)، وقد استعملها البصريون للدلالة على الخيمة الكبيرة التي تُنصب للفواتح والأعراس فقط.
(جاي): وهو الشاي^(٩١)، وقد لفظها البصريون وغيرهم بلفظها الفارسي، وهو مشهور ومعروف.

(جك): وهو الحوالة أو الشيك^(٩٢)، استعملها البصريون بلفظها ومعناها أيضاً.
(جكّه): القطرة^(٩٣) استعملها البصريون في لهجتهم للدلالة على صوت القطرة (قطرة الماء) التي تنزل واحدة واحدة، فيقال عليها بتكرار لفظها: (جكه جكه)، أي: قطرة قطرة.

(چمچمه): وهي المغرفة، أو المعلقة الكبيرة^(٩٤)، وأصلها تركية، استعملها البصريون عن الفارسية بلفظها ومعناها.

(چنگال): وتعني: مخلب الحيوان، أو قبضة اليد^(٩٥)، أو شوكة الطعام، وقد استعملها البصريون بهذا اللفظ للدلالة على شوكة طعام، أو كُلاب يلزم الملابس، ونحو ذلك.
(چهاربايه): وتعني: الكرسي، أو السرير^(٩٦)، وهي معروفة ومشهورة في لهجة أهل البصرة وغيرهم للدلالة على سرير النوم فقط، وتُلفظ (جربايه).

«حرفُ الخاءِ»

(خاتوله): وتعني: المكر، الحيلة^(٩٧)، وقد استعملها البصريّون للدلالة على الاختفاء، أو المكر والحيلة أيضاً، وخاصّة في لعبة الأطفال المعروفة.

(خاتون): وتعني: السيّدة المحترمة^(٩٨)، وهي لفظة من أصل تركيّ، استعملها أهل البصرة عن طريق اللّغة الفارسيّة المجاورة لهم، وتُجمع على غرار جمع المؤنث السالم في العربيّة (خاتونات)، أو على جمع التكسير (خواتين)^(٩٩).

(خارخار): وهي الدغدغة^(١٠٠)، تُلفظ هذه الكلمة عند مداعبة الأطفال ودغدغتهم. (خاك): وتعني: التراب^(١٠١)، وقد أطلق البصريّون هذه اللفظة على الملابس (الخاكيّة)، التي غالباً ما يرتديها العسكر.

(خام): وتعني: السيّء الفجّ، أو غير الناضج، ويكنّى بها للدلالة على الرّجل غير المجرب، وهي لفظة مُعرّبة من أصل هنديّ^(١٠٢).

(خان): وتعني: المنزل، وهي لفظة من أصل تركيّ تُستعمل في لقب ملوك بلاد تركستان، واستعملها الإيرانيّون قبل الاسم أو بعده للدلالة على الاحترام^(١٠٣).

(خانگاه): وتعني: البيت، وعُربّت إلى (خانقاه)، وهو البيت الذي يؤدّي فيه الدّراويش مراسم تصوّفهم^(١٠٤).

(خُرْدَة): (بضمّ الخاء)، وتعني: القطعة الصّغيرة، وهي غالباً ما تُطلق على القطع الصّغيرة من النقود.

(خُرُوش): (بضمّ الخاء)، وتعني: الزّئير، أو الصّراخ^(١٠٥)، أطلق البصريّون هذه اللفظة على الصّيحة أو الصّرخة على الرّجل، وهو في حالة الغفلة، فيقولون في لهجتهم: (خرشه خرشاً)، وهي من الكلمات العربيّة التي دخلت الفارسيّة^(١٠٦).

(خشگه): كلّ شيء يابس^(١٠٧)، وقد استعملها البصريّون للدلالة على المعنى ذاته.

(كرنك): وهو اسم مشهور في البصرة، أُطْلِقَ على أحد السِّينِمَاتِ في المدينة، وأصل هذه اللَّفْظَةُ (خورنگاه)، وتعني: القصر العظيم، والمُعَرَّبَةُ إلى (خورنق)، وهو القصر الذي بناه المنذر في الحيرة لبهرام كور^(١٠٨).
(خوش): وتعني: حَسَنٌ جَمِيلٌ، وهي لَفْظَةٌ مشهورةٌ عند أهل البصرة.

«حَرْفُ الدَّالِ»

(دادا): وتعني: الغلام، أو مربي الأطفال^(١٠٩)، وهي من أصلٍ تركيٍّ، استعملها البصريُّون عن الفارسيَّةِ للدَّلالة على (الأخ)، وأصلها (داداش)، أي: الأخ.
(دانش): وتعني: العلم، أو المعرفة^(١١٠)، استعملها أهل البصرة للدَّلالة على مراجعة الذَّهن أو الفكر، فيُقَال: (أدانش فكري).

(دروازه): وتعني: الباب الكبير، أو البوابة، أو القلعة^(١١١)، استعملها البصريُّون للدَّلالة على الزَّقاق، أو الممرِّ الصَّغير المؤدِّي إلى البيوت.
(دریچه): وتعني: النَّافِذة، أو الباب الصَّغير^(١١٢)، أُطْلِقَ عليها البصريُّون بعد تصحيفها (دريشة) للدَّلالة على النَّافِذة الصَّغيرة، التي غالباً ما تكون في أعلى البيوت الطينية.

(دُله): (بضم الدال وتسكين اللام): وهي ملفوف ورق العنب، أو غيره، محشوّ بالرز واللحم المفروم، وهي أكلةٌ مشهورةٌ ومعروفةٌ.
(دورین): وتعني: بعيد النَّظر، أو حادِّ البصر^(١١٣)، وتُطْلَق اليوم على المجهر، أو النَّاطور، وهي مشهورةٌ ومعروفةٌ.

(دوش): وتعني: الكتف^(١١٤)، أو اللَّيْلَةُ الماضية، مخفَّفة من كلمة (ديشب)، ولكن البصريِّين استعملوها للدَّلالة على الاستحمام (دوش الحمام).

(دوشگ): وهو الأريكة أو الفراش، وهي لَفْظَةُ معروفةٌ ومشهورةٌ عند أهل

البصرة وغيرهم، للدلالة على فراش النوم.

(دهدار): وتعني: صاحب القرية، أو المختار^(١١٥)، وهي كلمة مُستعملة في التقسيمات الإدارية في البصرة وعموم العراق، للدلالة على المعنى نفسه، وكلمة (دهدار) فارسية متكوّنة من مقطعين: (ده) بكسر الدال، وتعني: القرية، و(دار)، وهي: مادّة المصدر (داشتن)، وتعني: الملكية.

(دهليز): وهو المعبر ما بين الباب والدار، وهي معروفة ومشهورة.

(ديبا): نوع من القماش الحريري الملوّن^(١١٦)، وقد عُرِبَتْ إلى (ديباح)، واستعملها البصريون وغيرهم للدلالة على المعنى ذاته.

«حرفُ الرّاء»

(راسته): طريق مستقيم^(١١٧)، وقد استُعملت في قرى وأرياف البصرة، للدلالة على هذا المعنى أيضاً، وتُلَفَّظ عندهم (رسته).

(راهي): وتعني: العزم أو السّفر^(١١٨)، استعملها البصريون للدلالة على معنى الواسع والعريض.

(رنده): وتعني: نشارة الخشب^(١١٩)، وهي كلمة معروفة ومشهورة.

(ريز): وتعني: القطعة أو الذّرة^(١٢٠)، وهي مادّة المصدر الفارسي (ريختن)، أي: الصّبّ أو الانسكاب، وقد استعملها البصريون للدلالة على مجاميع من الأشياء الموضوعية بشكلٍ مستقيم، وغالباً ما تُطْلَق على الأراضي الزراعيّة المُقسّمة إلى مجاميع مستقيمة.

«حرفُ الزّاي»

(زاب): نبع أو مجرى ماء، وهو مشهور ومعروف.

(زرگش): المطرّز بالذهب^(١٢١)، استعمله البصريون بلفظة (زرکشه)، للدلالة على هذا المعنى، أو على الزّخارف الملوّنة الأخر.

(زلوبيا): وقد عُرِبَتْ إلى (زلابيا)، وهي نوع من الحلوى المعروفة.
(زنبيل): تعني: السَّلَّةُ^(١٢٢)، وهي معروفة ومشهورة.

«حَرْفُ السَّيْنِ»

(ساده): وتعني: بسيط غير مُزَيَّن^(١٢٣)، وهي لفظة معروفة ومشهورة.
(سنبوسه): وتعني: مثلث، أو كل شيء بثلاث زوايا^(١٢٤)، وقد استعملها البصريون للدلالة على الفطائر المثلثة المحشوة باللحم، وقد عُرِبَتْ (سنبوسك) قطائف.
(سرداب): مغارة أو غرفة تحت الأرض، وهي معروفة ومشهورة.
(سنگين): وتعني: ثقيل، مُحْكَم، وَقُور^(١٢٥)، وقد عُرِبَتْ إلى (سجیل)، استعملها أهل البصرة للدلالة على الشاي المرّ الثقيل.

«حَرْفُ الشَّيْنِ»

(شاخ): فرع غصن، ساقية متفرعة عن نهر^(١٢٦)، وقد استعملها البصريون للدلالة على المعنى الأخير فقط، ويلفظونها (شاخة).
(شكر): سَكَّرَ، وهو معروف ومشهور.
(شلوار): بنطال، وهو معروف ومشهور.
(شنان): نبات كان يُسْتَخْدَم قديماً لغسل الألبسة عوضاً عن الصّابون^(١٢٧)، وهي مخففة من (أشنان)، وهو مُسْتَعْمَل بشكل معروف ومشهور.
(شنو): وتعني: السَّمْع، وهي مادة المصدر الفارسي (شنودن)، أي: السَّمْع، وقد استعملها البصريون للدلالة على عدم السَّمْع وطلب تكرار القول.
(شيرين): وتعني: حلو، كل شيء لذيذ ومحبوب^(١٢٨)، وقد استعملها البصريون في تسمية الفتيات بهذا الاسم للدلالة على تلك المعاني أيضاً.

«حرفُ الصادِ»

(صك): وقد عُرِّبَتْ إلى (چك)، أو (شيك)، وهي الحوالة المالية.

«حرفُ الطاءِ»

(طاق): وهو سقف قوسي الشكل، قبة... إلخ^(١٢٩)، وقد استعمله البصريون في المعنى ذاته، وقد أطلق أطفال البصرة على لعبة من لعبهم هذا الاسم (لعبة الطاق).
(طبر): ويعني: الفأس^(١٣٠)، وقد استعمله البصريون بهذا الاسم، وهو مُعَرَّب عن (تبر) أي: الفأس.

(طبان): (بالباء المعجمة)، ومعناها: الخافق، المضطرب، القلق^(١٣١)، استعمله البصريون في لهجتهم للدلالة على الرجل الكسول (طبانه).
(طشت): وعاء كبير للغسيل، وهو معروف ومشهور.
(طمغا): (تمغا)^(١٣٢)، ضريبة أو علامة، استعمله البصريون للدلالة على الختم.

«حرفُ العينِ»

(عرق گیر): منشقة العرق^(١٣٣)، ويُسمونها أهل البصرة (عرق چین)، والمقطع الأول منها عربي الأصل، والثاني فارسي، (گیر) مادة المصدر (گرفتَن)، أي: الأخذ، و(چین) بالجميم الأعجمية، مادة المصدر (چیدن)، أي: القطف.
(عزاخانه): وتعني: المأتم، أو مكان العزاء، وهي مشهورة ومعروفة.
(عيد نوروز): عيد رأس السنة الإيرانية، ويوافق (٢١) آذار من السنة السريانية، يحتفل أهل البصرة في هذا اليوم؛ إذ ينزلون إلى البساتين، ويهاجر أهل المدينة إلى الرِّيف البصري؛ احتفاءً بهذا اليوم الجديد، كما يسميه بعض البصريين والعراقيين بـ(يوم الشجرة).

(عينك): وهي النَّظَّارَات، وقد يُطْلَقُ عليها البصريُّون (معينة)، بعد إجراء التَّغْيِيرِ عليها لتلائم لهجتهم.

«حَرْفُ الْغَيْنِ»

(غجر): طائفةٌ ذات أصلٍ قديم، تتجول في الصَّحاري، وتقرأ الْفَأْلَ^(١٣٤)، والكلمة من أصلٍ تركيٍّ، ويُطْلَقُ هذا اللَّفْظُ على قومٍ جفاةٍ منتشرين في جميع القارَّات، يتمسَّكون بعاداتهم وتقاليدهم الخاصَّة، ويعتمدون في معاشهم على التَّجَارَةِ، والواحد منهم غجريٌّ^(١٣٥).

(غدارة): وهي حربة شبيهة بالسَّيف، عريضة وثقيلة، واللَّفْظَةُ من أصلٍ هنديٍّ^(١٣٦)، وهي مُسْتَعْمَلَةٌ في لهجة أهل البصرة أيضاً، ولكنَّهم يقصدون بها إحدى الأسلحة النَّارِيَّة. (غليان): وتعني: النَّارِجِيلَةُ، وهي معروفةٌ ومشهورةٌ. (غوري): وهو أبريق الشَّاي، وتُلفظ (قوري)، وهي شائعةٌ ومعروفةٌ.

«حَرْفُ الْفَاءِ»

(فرمان): وتعني: أمر، أو حكم، أو قانون^(١٣٧)، وهي مُسْتَعْمَلَةٌ في لهجة أهل البصرة، وخاصَّةً في أعمال السَّفن البحريَّة، وتعني عندهم: القائد، أو الرِّبَّان. (فيس): وتعني: الغرور، التَّكَبُّرُ^(١٣٨)، وقد استعملها أهل البصرة للدَّلالة على المعنى ذاته.

«حَرْفُ الْقَافِ»

(قابان، أو (كبان))^(١٣٩): وهو الميزان، وهي لفظةٌ مشهورةٌ ومعروفةٌ في لغة ولهجة أهل البصرة والعراق، وهي من أصلٍ تركيٍّ انتقلت إلى البصرة عن طريق الفارسيَّة^(١٤٠). (قاجاق): وتعني: التَّهْرِيبُ، أو عمل خلاف القانون^(١٤١)، وهي من أصلٍ تركيٍّ، دخلت اللَّهجة البصريَّة عن طريق الفارسيَّة.

(قاشق): وتعني: المعلقة (للاكل)، ويلفظها أهل البصرة بعد تغيير القاف إلى خاء وكاف معجمة على التوالي، وإضافة الواو بعد حرف الشين لملائمة اللهجة البصرية فتصبح (خاشوگ).

(قرمز): وهي دودة حمراء يُستخدم بيضها لدى الصّبّاغين^(١٤٢)، استعملها أهل البصرة كمادة صبغ حمراء خاصة لصبغ خوص النّخيل وعمل الحصير منه. (قيسي): مشمس مجفف، وهو معروف ومشهور.

«حرف الكاف»

(كاخ): القصر^(١٤٣)، يلفظها أهل البصرة (كوخ)، للدلالة على البيت البسيط المبني من الطين أو القصب، أو غيرهما.

(كارخانه): مصنع أو معمل، وهو مشهور ومعروف في لهجة أهل البصرة، وتكاد تنقرض هذه اللفظة في لهجة البصريين اليوم.

(كالاه): وتعني: البضاعة أو السلعة^(١٤٤)، وهي مشهورة ومعروفة في لهجة أهل البصرة للدلالة على ذات المعنى.

(كيجه): مغرفة الطّعام^(١٤٥)، يلفظها أهل البصرة (كمجة)، وهي معروفة ومشهورة.

(كتري): أبريق نحاسي ذو قبضة، يلفظ أهل البصرة (كتلي)، للدلالة على المعنى ذاته.

(كرايه): وتعني: الأجرة، تُلفظ في البصرة (كروة)؛ لتلائم اللهجة البصرية.

(كفكير): مغرفة الطّعام ذات الثّقوب^(١٤٦)، يلفظها البصريون (چفجير)، للدلالة على المعنى ذاته.

(كلاه): وتعني: القبعة أو القلنسوة^(١٤٧)، يلفظها أهل البصرة بعد تصحيفها (كلاو)، وهي مشهورة ومعروفة.

(كلوچه): وهي نوعٌ من الحلوى، تُصنع من الطّحين والسّمن والسكر، تُلفظ في البصرة (كليجة)، للدّلالة على المعنى ذاته.

«حرفُ الكافِ (الأعجميّة)»

(گاري): وتعني العربية التي يجزّها الحصان^(١٤٨)، يلفظها البصريّون للدّلالة على عجلة واحدة لدّراجة يلعب بها الأطفال، أو (الگاري) المصنوع من الخشب للطفّل حديث المشي.

«حرفُ اللّام»

(لاشه): جيفة، أو جثّة^(١٤٩)، وتعني عند أهل البصرة: (كميّة من اللحم)، وتُلفظ في لهجتهم (لشة) بتشديد الشّين.

(لك أو لكه): وهي البقعة، وهذه اللفظة معروفةٌ ومشهورةٌ.

(لنگر): مرساة السفينة^(١٥٠)، يُسمّيه أهل البصرة، وخاصة صيادو الأسماك: (أنگر)^(١٥١)، وهو معروفٌ ومشهورٌ.

(ليف): ليفة الحماّم^(١٥٢)، وهي معروفةٌ ومشهورةٌ.

«حرفُ الميم»

(مارستان): أي: المستشفى، وهذه الكلمة قليلة الاستعمال، لم أسمعها إلّا على ألسنة قليلة من كبار السنّ في البصرة.

(مردانه): أي: الرّجولة، وهي لفظةٌ معروفةٌ ومشهورةٌ في لهجة البصريّين، وغالباً ما يريدون بها الرّجل الكريم.

(مرزا): وهو لقبٌ بمعنى: أمير، أو سيّد، يُلفظ في البصرة (ميرزا)، للدّلالة على المعنى ذاته.

(مرزاب): وهي القناة لتصريف مياه الأمطار، وهي معروفة ومشهورة.
 (مسافر خانة): وتعني: الفندق، وهي لفظة معروفة ومشهورة.
 (ميز): طاولة، وهي معروفة ومشهورة.
 (ميوه): فاكهة، وهي معروفة ومشهورة.

«حرف النون»

(نارجيل): وتُلفظ (نرجيلة)، وهي معروفة ومشهورة عند أهل البصرة.
 (نخود): حمص، تُلفظ في لهجة أهل البصرة (نخي)، للدلالة على المعنى ذاته.
 (نشان): علامة شارة، وهي معروفة ومشهورة عند البصريين للدلالة على ما يُقدَّم
 للفتاة من مهرٍ حين الخطوبة، وتُلفظ (نیشان) عندهم.

«حرف الهاء»

(هم): وتعني: أيضاً^(١٥٣)، وهي لفظة معروفة ومشهورة استعملها أهل البصرة
 للدلالة على المعنى ذاته.

(هم پيشه): (بالباء الأعجمية)، أي: المحترفان في حرفٍ واحدة^(١٥٤).
 (هوز): صوت عالٍ سريع كصوت المعادن^(١٥٥)، وهي لفظة مُستعملة عند أهل
 البصرة للدلالة على (الهوز) المعروف.

(هُوش): وتعني: العقل أو الإدراك أو الشعور^(١٥٦)، وهي معروفة ومشهورة في
 لهجة البصريين للدلالة على المعنى ذاته، وغالباً ما يلفظونها بالنّفي، كقولهم: (ما عنده
 هُوش).

(هيچ): بالجيرم الأعجمية، وتعني: لا قيمة له، أو لا شيء^(١٥٧)، وهي لفظة كثيرة
 الاستعمال في لهجة البصريين للدلالة على المعنى ذاته أيضاً.

«حَرْفُ الْوَاوِ»

(واخ): كلمة تخرج من اللسان في مجال الأسف والتدبة^(١٥٨)، وهي لفظة مشتركة بين الناس في معظم اللغات الشرقية.

(واگون): قاطرة في القطار الحديدي^(١٥٩)، تُلفظ عند البصريين (فاركون) للدلالة على المعنى ذاته.

(وشت): وتعني: الحسن، أو الرقص، أو الدوران^(١٦٠)، وفي لهجة أهل البصرة تُلفظ (وش)، للدلالة على الحركة السريعة.

«حَرْفُ الْيَاءِ»

(ياشاق): وتعني: النقاب، وهي لفظة تركية^(١٦١) استعملت في الفارسية، ومنها استعملها البصريون في لهجتهم للدلالة على (الكوفية)، التي غالباً ما يرتديها العربي مع العقال.

(يواش): وهي من أصل تركي، وتعني: بهدوء، أو بتمهل^(١٦٢)، وقد استعملها البصريون عن الفارسية للدلالة على المعنى ذاته.

خلاصة البحث ونتائجه

- ١- يكشف البحث عن مجموعة من الألفاظ الدخيلة في لغتنا العربيّة.
- ٢- إطلاع المثقف البصريّ على تلك الألفاظ؛ وذلك لتلافيها وحذفها بالفصح من العربيّة في مؤتمراتهم وصحفهم ومقابلاتهم.
- ٣- يُشير البحث إلى تفاعل العقل البصريّ بما يمتلك من إرث حضاريٍّ ومدرسة لغويّة خاصّة به، مع الثقافات الأخرى، واستيعابه لها.
- ٤- يؤكّد البحث أهميّة مدينة البصرة، السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، فضلاً عن الثقافة الأدبيّة، وقد استقرّت في لهجتها ألفاظٌ كثيرة، ومن لغاتٍ متعدّدة.

هوامشُ البحثِ

- ١- فرهنگ عميد: ص ١٧.
- ٢- المعجم الوسيط، باب الهمزة: ص ١.
- ٣- المعجم الذَّهَبِيّ، مادّة (أب): ص ٢٣.
- ٤- المصدر نفسه: ص ٢٤.
- ٥- قاموس الفارسيّة، مادّة (أبريز): ص ٣١.
- ٦- يُنظر: المعجم الوسيط (أبر): ص ٢.
- ٧- المعجم الذَّهَبِيّ، مادّة (أبكار): ص ٢٥.
- ٨- المصدر نفسه: ص ٣١.
- ٩- المصدر نفسه: ص ٣١.
- ١٠- المصدر نفسه: ص ٣٩.
- ١١- المعجم الذَّهَبِيّ، مادّة (أفريده): ص ٤٣.
- ١٢- إذا جاءت كلمة (آقا) قبل الاسم، فتدلّ على عظمة واحترام هذا الشخص، أمّا إذا جاءت بعده فهي تدلّ على التّصغير من شأنه. (يُنظر: قاموس الفارسيّة: ص ٥٠)
- ١٣- المعجم الوسيط، باب الهمزة: ص ١.
- ١٤- المعجم الذَّهَبِيّ: ص ٤٧.
- ١٥- المصدر نفسه: ص ٤٧.
- ١٦- المصدر نفسه: ص ٥٨.
- ١٧- المعجم الذَّهَبِيّ: ص ٦١.
- ١٨- لسان العرب، مادّة (أرج).
- ١٩- المعجم الذَّهَبِيّ: ص ٦٢.
- ٢٠- تُطلَق لفظة (استا)، أو (آستا) على كتاب الزّرادشتيّين أيضاً.
- ٢١- المعجم الذَّهَبِيّ: ص ٦٥.
- ٢٢- المصدر نفسه: ص ٧٨.
- ٢٣- المعجم الوسيط، مادّة (هندم): ص ٩٩٧.

- ٢٤- المعجم الذّهبيّ: ص ٨٦.
- ٢٥- المعجم الذّهبيّ: ص ٨٨.
- ٢٦- المصدر نفسه: ص ٩٢.
- ٢٧- فرهنگ عميد: ص ١٥٤، والبارود هو مخلوط من الملح بنسبة ٧٨٪، و ١٠٪ من الكبريت، و ١٢٪ من الفحم (المصدر نفسه).
- ٢٨- المعجم الذّهبيّ: ص ٩٨.
- ٢٩- المعجم الوسيط، مادّة (بق): ص ٦٦.
- ٣٠- المعجم الذّهبيّ: ص ٩٩.
- ٣١- المصدر نفسه: ص ١٠٠.
- ٣٢- المصدر نفسه: ص ١٠٩.
- ٣٣- المعجم الوسيط، مادّة (برش): ص ٤٩.
- ٣٤- قاموس الفارسيّة: ص ١٠٣.
- ٣٥- المعجم الذّهبيّ: ص ١١٣.
- ٣٦- المصدر نفسه والصّفحة.
- ٣٧- المصدر نفسه: ص ١١٩.
- ٣٨- المصدر نفسه والصّفحة.
- ٣٩- المصدر نفسه: ص ١٢١.
- ٤٠- المصدر نفسه والصّفحة.
- ٤١- المصدر نفسه: ص ١٢٣.
- ٤٢- المعجم الذّهبيّ: ص ١٢٤.
- ٤٣- راجع صفحة (٦) من هذا البحث.
- ٤٤- المعجم الذّهبيّ: ص ١٢٤.
- ٤٥- راجع المعجم الوسيط مادّة (بظر): ص ٦٢.
- ٤٦- المعجم الذّهبيّ: ص ١٢٥.
- ٤٧- المصدر نفسه: ص ١٣١.
- ٤٨- حرف (الباء) المّعجمة، هو من الحروف الأصليّة في اللّغة الفارسيّة؛ ولذلك تكاد تكون كلّ الكلمات التي تضمّ هذا الحرف هي فارسيّة.
- ٤٩- المعجم الذّهبيّ: ص ١٢٣.

- ٥٠- فرهنك عميد: ص ١٨٨ .
 - ٥١- المعجم الذّهبيّ: ص ١٣٩ .
 - ٥٢- المعجم الوسيط: ص ٩٩٩ .
 - ٥٣- المعجم الذّهبيّ: ص ١٤٢ .
 - ٥٤- المصدر نفسه: ص ١٤٢ .
 - ٥٥- المصدر نفسه: ص ١٤٣ .
 - ٥٦- المصدر نفسه: ص ١٥٠ .
 - ٥٧- المعجم الذّهبيّ: ص ١٥٢ .
 - ٥٨- قاموس الفارسيّة: ص ١٣٥ .
 - ٥٩- المعجم الذّهبيّ: ص ١٦١ .
 - ٦٠- المصدر نفسه: ص ١٦٤ .
 - ٦١- المصدر نفسه: ص ١٦٤ .
 - ٦٢- المعجم الذّهبيّ: ص ١٦٦ .
 - ٦٣- المعجم الوسيط: ص ٧٤ .
 - ٦٤- المعجم الذّهبيّ: ص ١٨١ .
 - ٦٥- المصدر نفسه: ص ١٨٢ .
 - ٦٦- فرهنك عميد: ص ٢٠٦ .
- (*) إذا كانت هذه الكلمة تعني: أوّل الصّباح، أي: تباشير الصّباح، فهي عربيّة الأصل (فرهنك عميد: ص ٢٠٦).
- ٦٧- المعجم الذّهبيّ: ص ١٨٢ .
 - ٦٨- المصدر نفسه: ص ١٨٤ .
 - ٦٩- المعجم الذّهبيّ: ص ١٨٦ .
 - ٧٠- المصدر نفسه: ص ١٨٧ .
 - ٧١- المعجم الوسيط: ص ٨٥ .
 - ٧٢- المعجم الذّهبيّ: ص ١٨٧ .
 - ٧٣- المصدر نفسه: ص ١٨٨ .
 - ٧٤- المعجم الوسيط، مادّة (تف): ص ٨٥ .
 - ٧٥- للمزيد، يُنظر: المصدر نفسه: ص ٨٦ .

- ٧٦- المعجم الذّهبيّ: ص ١٨٨.
- ٧٧- المصدر نفسه: ١٩٠.
- ٧٨- المصدر نفسه: ص ١٩٠.
- ٧٩- فرهنگ عميد: ص ٢٣١.
- ٨٠- المعجم الذّهبيّ: ص ١٩١.
- ٨١- المصدر نفسه: ص ١٩٢.
- ٨٢- المصدر نفسه: ص ١٩٤.
- ٨٣- المصدر نفسه: ص ١٩٤.
- ٨٤- المصدر نفسه: ص ١٩٤.
- ٨٥- المعجم الذّهبيّ: ص ١٩٤.
- ٨٦- المصدر نفسه: ص ١٩٨.
- ٨٧- المصدر نفسه: ص ٢٠١.
- ٨٨- المصدر نفسه: ص ٢٠٤، والمعجم الوسيط: ص ١٢٢.
- ٨٩- قاموس الفارسيّة: ص ١٨٥.
- ٩٠- المعجم الذّهبيّ: ص ٢١٠.
- ٩١- المعجم الذّهبيّ: ص ٢١٣.
- ٩٢- المصدر نفسه: ص ٢٢٠.
- ٩٣- المصدر نفسه: ص ٢٢١.
- ٩٤- المصدر نفسه: ص ٢٢٣.
- ٩٥- قاموس الفارسيّة: ص ١٩٧.
- ٩٦- المعجم الذّهبيّ: ص ٢٢٥.
- ٩٧- المعجم الذّهبيّ: ص ٢٣٠.
- ٩٨- فرهنگ عميد: ص ٢٦٦.
- ٩٩- يُنظر: المعجم الوسيط، باب الخاء: ص ٢١٣.
- ١٠٠- المعجم الذّهبيّ: ص ٢٣٠.
- ١٠١- المصدر نفسه: ص ٢٣١.
- ١٠٢- المصدر نفسه: ص ٢٣٢.
- ١٠٣- المصدر نفسه: ص ٢٣٢.

- ١٠٤- المعجم الذّهبيّ: ص ٢٣٢.
- ١٠٥- المصدر نفسه: ص ٢٣٨.
- ١٠٦- يُنظر: المعجم الوسيط، باب الحاء: ص ٢٢٦.
- ١٠٧- المعجم الذّهبيّ: ص ٢٣٩.
- ١٠٨- ينظر المعجم الذّهبيّ: ص ٢٤٦.
- ١٠٩- المعجم الذّهبيّ: ص ٢٥١.
- ١١٠- قاموس الفارسيّة: ص ٢٣٥.
- ١١١- المصدر نفسه: ص ٢٤٤.
- ١١٢- فرهنگ عميد: ص ٢٨٤.
- ١١٣- المعجم الذّهبيّ: ص ٢٨١.
- ١١٤- المصدر نفسه: ص ٢٨٣.
- ١١٥- المعجم الذّهبيّ: ص ٢٨٥.
- ١١٦- المصدر نفسه: ص ٢٨٦.
- ١١٧- المصدر نفسه: ص ٢٩١.
- ١١٨- المصدر نفسه: ص ٢٩٣.
- ١١٩- فرهنگ عميد: ص ٣٠١-٣٠٢.
- ١٢٠- المعجم الذّهبيّ: ص ٣٠٥.
- ١٢١- المصدر نفسه: ص ٣١٣.
- ١٢٢- المصدر نفسه: ص ٢١٦.
- ١٢٣- المصدر نفسه: ص ٣٢٤.
- ١٢٤- المعجم الذّهبيّ: ص ٣٥١.
- ١٢٥- المصدر نفسه: ص ٣٥٣.
- ١٢٦- المصدر نفسه: ص ٣٦٠.
- ١٢٧- المصدر نفسه: ص ٣٧٩.
- ١٢٨- المعجم الذّهبيّ: ص ٣٨٦.
- ١٢٩- المصدر نفسه: ص ٣٩٥.
- ١٣٠- المصدر نفسه: ص ٣٩٦.
- ١٣١- المصدر نفسه: ص ٣٩٦.

- ١٣٢- المصدر نفسه: ص ٢٣٩.
- ١٣٣- المعجم الذهبي: ص ٤٠٤.
- ١٣٤- المصدر نفسه: ص ٤١٢.
- ١٣٥- ينظر المعجم الوسيط: ص ٦٤٥.
- ١٣٦- المعجم الذهبي: ص ٤١٣.
- ١٣٧- المصدر نفسه: ص ٤٢٠.
- ١٣٨- المعجم الذهبي: ص ٤٢٧.
- ١٣٩- المعجم الذهبي: ص ٤٣٩.
- ١٤٠- يُنظر: المعجم الوسيط: ص ٧١٣.
- ١٤١- المعجم الذهبي: ص ٤٣٩.
- ١٤٢- المصدر نفسه: ص ٤٤٣.
- ١٤٣- المعجم الذهبي: ص ٤٤٩.
- ١٤٤- المصدر نفسه: ص ٤٥٥.
- ١٤٥- المصدر نفسه: ص ٤٥٩.
- ١٤٦- المعجم الذهبي: ص ٤٧١.
- ١٤٧- المصدر نفسه: ص ٤٧٢.
- ١٤٨- المصدر نفسه: ص ٤٩٠.
- ١٤٩- المصدر نفسه: ص ٥٢٠.
- ١٥٠- المعجم الذهبي: ص ٥٢٨.
- ١٥١- المصدر نفسه، والصفحة.
- ١٥٢- المصدر نفسه: ص ٥٣٠.
- ١٥٣- المصدر نفسه: ص ٦٠٧.
- ١٥٤- المصدر نفسه: ص ٦٠٨.
- ١٥٥- المصدر نفسه: ص ٦١٣.
- ١٥٦- المصدر نفسه: ص ٦١٣.
- ١٥٧- المصدر نفسه: ص ٦١٤.
- ١٥٨- المصدر نفسه: ص ٦١٧.
- ١٥٩- المعجم الذهبي: ص ٥٨٦.

(*) كما تلفظ كلمة (واي) أيضاً.

١٦٠ - المصدر نفسه: ص ٥٨٩.

١٦١ - المصدر نفسه: ص ٥٩٥.

١٦٢ - المصدر نفسه: ص ٦٢٣.

المصادر والمراجع

- ١- فرهنگ نو، حسن عميد، تهران، ١٣٤٣ ش (فارسيّ- فارسيّ).
- ٢- قاموس الفارسيّة، الدّكتور عبد النّعيم محمّد حسنين، النّاشرون: دار الكتب الإسلاميّة، دار الكتاب المصريّ - القاهرة، دار الكتاب اللّبنانيّ - بيروت، ط ١، ١٩٨٢ م، (فارسيّ-عربيّ).
- ٣- لسان العرب، ابن منظور، ط ١، بيروت، ١٩٥٥ م، (عربيّ-عربيّ).
- ٤- المعجم الذّهبيّ، الدّكتور محمّد التّنوخيّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٦٩ م، و ط ٢، ١٩٨٠ م، (فارسيّ-عربيّ).
- ٥- المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيّات، وحامد عبد القادر، ومحمّد عليّ النّجار، ج ١، ج ٢، طبعة دار الدّعوة، إسطنبول - تركيا، ١٩٨٩ م، (عربيّ-عربيّ).

الألفاظُ الفارسيّةُ في اللهجةِ العراقيّةِ

د. علي لازم مزبان

مقدمة

مما لا شك فيه أنّ اختلاط العرب والإيرانيين منذ أقدم العصور أدّى إلى تأثير لغتي كلا الجنسين ببعضهما، فقد أخذت العربيّة من الفارسيّة ألفاظاً واصطلاحاتٍ في الإدارة والزراعة والصناعة والمعادن والجيش والبحريّة والسّياسة، وغير ذلك^(١). وكذلك أخذت الفارسيّة من العربيّة الكثير من الألفاظ والمصطلحات في مناحٍ شتى من الحياة، فمنذ القرن الأوّل، كانت الفارسيّة تحتلّ مكان التصدّر، ففي البصرة مثلاً، كانت أسماء الأمكنة المنسوبة إلى الأشخاص تُختَم عادةً بمقطع (آن)، وهكذا كانت تُسمّى القطائع الكثيرة بأسماء أصحابها، مثل: مهلبان، وأميتان، نسبة إلى مهلب وأميّة، وجعفران نسبة إلى أمّ جعفر...، كذلك بقّت الفارسيّة لغة الخدمة في الجيش، وكان الفارسيّ يحمل اللقب ذاته لمرتبه، مثل: الأسواريّ، الذي جمعة العرب على أساوره، ونسبوه إليه: أسواريّ^(٢). وقد أدّى التزاوج بين العرب والفرس إلى التآثر والتأثير، فمثلاً: إنّ عبيد الله بن زياد (٣٠-٦٧هـ) الذي أصبح والياً على العراق، كانت أمّه قد تزوّجت بالفارسيّ شيرويه، ونشأ من ذلك أنّ عبيد الله كان ينطق بعربيّة غير فصيححة؛ إذ يقال إنّه ينطق الهاء بدلاً من الحاء، والكاف بدلاً من القاف.

وكما حصل في البصرة حصل في الكوفة -أيضاً-؛ إذ كان يرد عليها سيّل من التجار

والصَّنَاع وغيرهم، كَوْنُوا مع أسارى الحرب ذوي الأصل الفارسيّ أغلبية السَّكَّان (٣)، فصارت لغة التفاهم السائد هي الفارسيّة، وقد كشف الجاحظ كثيراً من الألفاظ المعرّبة في لهجة الكوفة (٤).

وكان صاحب النشوار قد ذكر كثيراً من القصص والأخبار التي تنم عن أنّ الناس -آنذاك- يعرفون إلى جانب العربيّة الفارسيّة، ويتكلّمون بها (٥)، وكان الخلفاء العبّاسيون في بادئ أمرهم يقرّبون من يتقن الفارسيّة، ويُسندون إليه الوظائف المهمّة، فمثلاً: إنّ أبا العبّاس السّفّاح قد قضى الأنباء إلى ربيعة الرّأي، وإنّ الأخير اختار حسان بن سنان لقراءة الكتب الفارسيّة، ثمّ استكتبه (٦)، وكان طاهر بن الحسين (١٥٩-٢٠٧هـ) خرسانيّاً ولغته الأصليّة الفارسيّة (٧)، وكان بعض اللّغويّين يشرح بعض الألفاظ الفصيحة بالفارسيّة، كما فعل ابن قتيبة في تفسير أسماء النّباتات العربيّة القديمة (٨)، ويبيّن ما حفلت به اللّغة الدّارجة بالعناصر الفارسيّة (٩). وعليه بدا واضحاً أنّ الفارسيّة أثّرت بالعربيّة الدّارجة منذ وقت مبكّر، ما دفع بعض المتزمتين إلى الوقوف ضدّ هذه الظّاهرة، فقد روي أنّ أبا خليفة الجمحيّ ابن أخي العلّامة اللّغويّ ابن سلام الجمحيّ المتزمت على استعمال الفارسيّة (هم) التي هي بمعنى (أيضاً) (١٠). وهذه ما زالت في لهجتنا المعاصرة.

وقد أصبح الازدواج اللّغويّ واضحاً بعد نهاية القرن الرابع الهجريّ؛ إذ أخذ سبيله إلى اللّغة العربيّة، واستقرّت الحياة اللّغويّة في العالم الإسلاميّ على لغتين: لغة الحياة اليوميّة، تمثلها هذه اللّهجات العاميّة التي انتشرت في العالم الإسلاميّ، واستعملها العامّة والمثقفون أحياناً، ولغة أخرى فصيحة تخضع لقواعد النّحو والصّرف (١١). والذي يهمنّا في هذا المبحث هو ذكر طائفة من الألفاظ الفارسيّة التي شاعت في لهجتنا العراقيّة، وما زالت ماثلة إلى يومنا هذا، مُرتّبة بحسب الحروف الهجائيّة:

(الإبريق): العامّة تقلّبُ القاف جيماً، فيقولون: (أبريج)، وهو لفظٌ فارسيٌّ

(أبريه) ^(١٢).

(إبريسم): نوعٌ فاخرٌ من القماش، فارسيّته (إبريشم) ^(١٣)، قُلبت الشّين سيناً.
(الأستاذ): (بالدّال)، فارسيّته (استاد) ^(١٤)، والعامّة تُطْلَقه على كلّ حاذقٍ وماهرٍ في
مهنّته.

(الأصطوانة): (بالصّاد)، فارسيّته (استوان)، بمعنى: العمود ^(١٥)، والعامّة تقلّبُ
السّين صاداً، والتّاء طاءً.

وقد أُطلقت على آلة التّسجيل، وفي قولهم على الخبر القديم: هذه أصطوانة قديمة.
(الأنكر): آلة من الحديد تُستعمل لرسو السفن، فارسيّتها (لنكر) ^(١٦)، قُلبت اللّام
همزة.

(انكشبتان): قطعة معدنيّة يضعها الخيّاط في أصبغة يتّقي بها وخز الإبرة. وما زال
مستعملاً عند الخيّاطين، وهو لفظٌ فارسيّ (أنكشتانه) ^(١٧). ورد عند التّنوخيّ بلفظ
(كشتبان) ^(١٨).

(بابوج): ويقال (بابوش) أيضاً، ضربٌ من الأحذية، وهو من المُسمّيات الفارسيّة،
ويدلّ على المعنى ذاته ^(١٩).

(الباذنجان): لفظٌ فارسيّ انتشر استعماله بحيث أُمات ما يُرادفه من الألفاظ العربيّة
على كثرتها، مثل: المغد، والحدق، والكهكب، والأنب، واللافخة... ^(٢٠).

(الباريه): الحصير المصنوع من القصب، ويُقال: إنّها من الفارسيّة ^(٢١).
(البرنامج): لفظٌ فارسيّ يُطلق على الورقة الجامعة للحساب ^(٢٢)، وهو في الوقت
الحاضر من المصطلحات الإذاعيّة والتلفازيّة، أو مأبياً من موادّ في حفل وغيره، يقال:
أعدّ للاحتفال برنامجاً حافلاً.

(بريد): أصلها (بریدن) في الفارسيّة، أي: العبور ^(٢٣). وقيل: من (بريده دم)، أي:
محذوف الذّئب ^(٢٤)، وتطّلق في الوقت الحاضر على نقل الرّسائل والمكاتبات، وعلى نوع

من ألعاب الرياضة.

(بستان): أصلها فارسيٌّ مركَّب من: (بوي) رائحة ذكيّة، و(ستان) أداة تدلّ على ظرف مكان^(٢٥). وتُطلق على المزرعة التي تحتوي على أشجار مثمرة، مثل: بستان نخل، أو عنب، وغير ذلك.

(بستوقة): العامّة، تقول: (بستوكة)، بإبدال القاف كافاً أعجميّة، وهي جرّة من فخار يُوضَع فيها ماء لتبريده، وأصلها: (بستو) الفارسيّة^(٢٦).

(البند): وهو في الفارسيّة العَلَم الكبير^(٢٧)، وفي اللّهجة الدّارجة الحزمة الكبيرة من الورق أو الخضروات.

(البنج): قيل إنّ من الفارسيّة الدّخيل، الذي استُعير في الطبّ، وشاع بين العامّة، وما زال مُستعملاً في العاميّة العراقيّة^(٢٨).

(البوز): فم الكلب في الفارسيّة^(٢٩)، وهي تعني الدّلالة ذاتها في العاميّة، لكنّها تحمل معنى السّبّ والسّتم.

(البهارات): التّوابل، من اللفظ الفارسيّ (بهار)، طيب الرائحة^(٣٠)، وقالوا: هذا قمّاش بهاريّ، أي: لا صيفيّ ولا شتويّ، من بهار، الذي يعني: الرّبيع في الفارسيّة. (البوسه): القُبلة في الفارسيّة^(٣١)، وردتْ هذه اللفظة في كتاب نشوار المحاضرة بالدّلالة ذاتها^(٣٢)، ما يدلّ على قدّمها، وأتمّها من الكلم العامّي آنذاك.

(البيزغ): العَلَم الكبيرُ تتخذ منه كلّ عشيرة رمزاً لها. قيل: إنّ لفظاً فارسيّاً (بيرق)^(٣٣)، قُلبتْ القاف غيناً، وهو مُستعمل عند العامّة بالمعنى ذاته.

(البيدق): قطعة من قطع الشّطرنج، وهو لفظٌ فارسيٌّ^(٣٤).

(التّخت): سرير معمول من الخشب، جمعة (تُخوت)، فارسيّته (تخته)^(٣٥)، تَسْتعمله العامّة عندنا بالمعنى ذاته.

(التختران): مركّب خاصّ من مراكب الأغنياء، تُحمل به المرضى في الأسفار،

مُسَقَّف الأعلى، وفي جانبه نوافذ، يُشدُّ على بغلين، قال عنه معروف الرّصافي: إنّهُ فارسيٌّ موجود في كلام العامّة في العراق^(٣٦).

(تغار): قيل: إنّهُ من اللفظ الفارسيّ^(٣٧)، يعني: مكياً لا للحبوب، يدلّ عند الفلاحين في الوقت الحاضر على زنة معلومة للحبوب، تغار حنطة أو شعير... إلخ.

(جام): تعني عند العامّة: الزّجاج، وهو من الألفاظ الفارسيّة (جام)، الذي يعني: الصّحن العميق من الزّجاج^(٣٨).

(الچتري): نسيجٌ غليظٌ يُتَقَى به المطر، وهو من الفارسيّة بمعنى العباءة^(٣٩).

(الچرخ): الإطار في الفارسيّة^(٤٠)، ويعني الدّلالة ذاتها في اللهجة المعاصرة.

(الجرز): عمود من حديد يشيع استعماله في عامّة وسط العراق، فارسيّته (كرز)^(٤١)، بقلب الكاف جيماً.

(الجریب): فارسيّته (كريب)^(٤٢)، بقلب الكاف جيماً، وتُطلق على مساحة معلومة من الأرض الزراعيّة.

(جماق): عصا غليظة يشيع استعمالها عند أهل ميسان خاصّة، وهو من اللفظ الفارسيّ (جوماق)^(٤٣).

(جناغ): تُطلقه العامّة على خصلة من الشّعْر يتدلّى على الوجه، وقيل: أصله فارسيّ يعني: الثّوب المرصّع الذي في نهايته خصل للزّينة^(٤٤).

(چندل): نوع من الخشب، وهو من اللفظ الفارسيّ (چندل)^(٤٥)، ومنه -أيضاً- لفظ (صندل)، للدّلالة على نوع قويّ من الخشب.

(جوراب): فارسيّ معرّب^(٤٦) تستعمله العامّة باللفظ ذاته، وتجمعه (جورايب).

(چوربايه): سريرٌ، لفظٌ فارسيّ مكوّن من (چهار) أربع، وبايه رجل، أي: أربعة أرجل، تُطلقه العامّة باللفظ والمعنى ذاتهما، كما أُطلقت (سيباه) على آلة يستعملها البنّاؤون، وهي مُكوّنة من (سي) ثلاثة، و(بايه) رجل، أي: ذات ثلاثة أرجل.

(الحملة دار): دار لاحقة فارسيّة تعني (صاحب)^(٤٧)، فيكون لفظ (الحملة دار) بمعنى: صاحب الحملة.

(الخان): كانت تعني قديماً البيت الذي ينام فيه المسافرين (فندق)^(٤٨)، ثمّ شاعت للدلالة على المكان الذي تُخزن فيه الأشياء، وهي بدون شكّ كلمة فارسيّة أُخذت منها كلمة (خانة)، وأصبحت لازمة تعني المكان أو المحلّ، قيل: خانة، أو جاي خانة للمقهى، وبانزين خانة لمحطّة الوقود، ومنام خانة للفندق.

(خَنّ): أي: ظنّ، وهو من اللفظ الفارسيّ (كُمان)، أي: الظنّ^(٤٩).
(الدّاس): لفظ فارسيّ بمعنى الشّطرنج^(٥٠)، وتُطلقه العامّة عندنا على المعنى ذاته.
(دسته): الحزمة، أو المجموعة من الشّيء، وهو من اللفظ الفارسيّ (دسته) بالمعنى ذاته.

(الدّربيل): آلة يُنظَر بها للأشياء البعيدة، تُتري قرية، كلمة فارسيّة مركّبة من (دور) بعيد، و(بين) نظر^(٥٢).

(الدّفتر): السّجل في الفارسيّة^(٥٣)، وتعني عند العامّة الدّلالة ذاتها.
(الدّكان): قيل: إنّهُ فارسيّ^(٥٤)، وتُطلقه العامّة على الحانوت الذي تُباع فيه الأشياء.
(دگره): أي: وخزّه حتّى يذكر بالأمر، لعلّها من اللفظ الفارسيّ (دگارة)، التي تعني بالفارسيّة: (الذكرى)^(٥٥).

(دچنه): السّكين، أو الخنجر، فارسيّته (دشنه)، والدّشني يعني في الفارسيّة: (الخنجر)^(٥٦)، ومنهُ أُخذَ الفعل (دچّه)، أي: ضربه بالدّچنه.

(دنبوس): آلة معروفة عند العامّة لربط الأشياء، لعلّها من اللفظ الفارسيّ (توبوز)، شرحه الجاحظ بقوله: شبيه بالعصا في رأسه عجرة^(٥٧).

(دوشگک): الفراش، جمعه (دواشگک)، وهو من اللفظ الفارسيّ كذلك^(٥٨).

(دولاب): قيل: إنّه فارسيّ^(٥٩)، آلة تُديرها الدّابة يُسقى بها، وبعض العامّة يلفظها (ديلاب)، ومنه قولهم: ديلاب الهواء، آلة من خشب ينصبونها في الأعياد، فيدار بهم. ويُطلق لفظ (دولاب) على آلة تُحفظ بها الأشياء، كالملايس، والسّجّلات.. إلخ. (الدّهليز): لفظ فارسيّ^(٦٠)، وتُطلقه العامّة على المكان القفر، أو المظلم، فقالوا: الدّهاليز المظلمة

(الدّير): القبة في الفارسيّة، ومنها لفظ (السدير)، أي: ثلاث قبب^(٦١)، وهكذا أصبحت تعني: المكان، لعلّ منها لفظ (الدّيراوي)، نوعٌ من التمر منسوب إلى (ديرة)، أي: المكان أو القرية، وفي الجنوب يشيع لفظ (الدّيرة) على القرية. (الدّيون): تُطلقه العامّة على غرفة الاستقبال في المنزل، وهو لفظ فارسيّ (ديوان) يعني: مكان الجلوس^(٦٢).

(الدّياج): يُستعمل عند عامّة العراق اليوم بمعنى (اللّحاف)، قال عنه آدى شير: مُعَرَّب (ديا)، وهو الثوب الذي سداه ولحمته حرير^(٦٣). (الرازونه): النّافذة الصّغيرة، أو الكوة، قيل: إنّها من الفارسيّة (روزون)، التي تعني: الكوة^(٦٤).

(الروزنامه): التقويم في الفارسيّة، تُطلقه العامّة عندنا باللفظ ذاته. (رنده): المخراط، آلة يُحَرِّط بها الخشب، من الآت النّجارة، فارسيّة، ومنه جاء عند العامّة لفظ (رندج) الخشبة، أي: قشرها. (الزّلايه): فارسيّتها (زليبا)^(٦٥)، تُطلقها العامّة على نوعٍ فاخرٍ من الحلويّات، وكان صاحب النّشوار قد ذكرها في سفره بلفظ (زلايه)^(٦٦)، للدّلالة ذاتها. (زنجي): في الفارسيّة (زنكي)، أي: أسود البشرة^(٦٧)، والعامّة تُطلق لفظ (زنجي) على المعنى ذاته؛ إذ يقلّبون الكاف الفارسيّة جيماً.

(زنجيل): سلسلة، فارسيّتها (زنجيل)^(٦٨)، العامّة تقلّب الرّاء لاماً، وتُطلقه على المعنى ذاته.

(زنبلك): شريط معدنيّ صغير يكون في جوّ السّاعة، يُبرم ويُلفّ على نفسه في كلّ يوم مرّة، وفيه تكون حركة السّاعة، وهو من اللفظ الفارسيّ (زبرگ)، للدّلالة ذاتها^(٦٩)؛ إذ يقبلون الرّاء لاماً.

(زوليّة): من اللفظ الفارسيّ (زولي)، التي تعني: السّجّادة^(٧٠)، تُطلقه العامّة على المعنى ذاته.

(زي): وهو في الفارسيّة (زيب)، أي: زينة^(٧١)، تُطلقه العامّة على الهندام، أو على النّوع الواحد من الملابس، فنقول: تزيّاً الطّلبة بالزّي الموحد.

(الزّيج): الزّيق من القميص، ما أحاط بالعنق. لعلّه من اللفظ الفارسيّ (زيگک)، بمعنى: القلادة التي تتألّف من جواهر صغيرة مُرصّعة حول جواهر كبيرة^(٧٢)؛ إذ قلب العامّة الكاف الفارسيّة جيماً.

(ساذج): تعني في العاميّة: السّفية، لعلّها مأخوذة من كلمة (نوازج) الفارسيّة، بمعنى: (الرّقص)^(٧٣)، وقد ورد لفظ (السّاذجة) في النّشوار للدّلالة على القِيّة التي لا تُغني^(٧٤).

(السّروال): فارسيّته (شروال)^(٧٥)، أُبدلت الشّين سيناً، وتُطلقه العامّة على نوع من اللّباس يُشبهه (البنطلون)، يُلبس تحت (الدّشداشة).

(السّختيان): جلد الماعز إذا دُبّع، وهو من الألفاظ الفارسية المعرّبة^(٧٦)، والعامّة تلفظ (صختيان) بالصّاد.

(السّطل): إناء لنقل الماء، فارسيّته (شطل)^(٧٧)، أُبدلت الشّين سيناً.

(السّكملي): الكرسيّ، وهو من أغاني العامّة (طخني السّكملي لأعن أبو النّجّار)،

وهو لفظٌ فارسيٌّ^(٧٨).

(سوباط): عند العامة تعني: العريش، وهو من اللفظ الفارسيّ (ساباط)^(٧٩)، أُبدلت الألف واواً.

(السّميط): تلفظه العامة بالصّاد (صميط)، نوع من الخبز الغليظ يُشوى على النّار، وهو من اللفظ الفارسيّ (سميد)، أي: الخبز المصنوع من الدقيق الأبيض^(٨٠).
(سنبوسه): فارسيّته (سنبوسه) أيضاً^(٨١)، وتعني: رقائق الطّحين المحشوة، وبعض العامة يلفظها (سمبوسه).

سندلوس: فارسيّته (سندروس)، معدن شبيه بالكهرباء، وهي باللام على الإبدال في لهجة العراقيّين، يُعمل منه خرز للمسابع^(٨٢).
(السّيداره): غطاء للرّأس، لعلّها مُعرّبة (ستارة) الفارسيّة^(٨٣)، التي منها جدار السّطح.

(الشّاه): الملك بالفارسيّة^(٨٤)، ومن العرب في الجنوب من يُسمّى به (عبد شاه).
(الشّاهول): هكذا تسمّيه العامة، وأحياناً (شاهود)^(٨٥)، خيط نهايته حديدة، يستخدمه البنّؤون في معرفة استقامة الحائط، وهو من اللفظ الفارسيّ (شاخول)^(٨٥)، بالمعنى ذاته؛ إذ أُبدلت الخاء هاءً أو قافاً.

(الشّاه بندر): البندر التاج في الفارسيّة، وهو من مُسمّيات العامة عندنا^(٨٦).
(الشّب): حجرٌ معروفٌ يُستَخدم في تصفية الماء وأمورٍ أُخر، فارسيّته (يشب)^(٨٧).
(الشّبه): معدنٌ رخيصٌ يُشبه الذهب في اللون، فارسيّته (شبه)، ويعني: المرجان الأسود^(٨٨).

(شبو): نوعٌ من الورد تفوح رائحته ليلاً، لعلّها من اللفظ الفارسيّ (شبو)، الذي يعني: الليل^(٨٩).

(شريس): مَادَّةٌ لَزْجَةٌ لِلصَّقِ الْأَشْيَاءِ، وَهُوَ فِي الْفَارْسِيَّةِ (شريس)^(٩٠)، أُبْدِلَتْ السَّيْنُ ضَادًا.

(الشَّطْرَنْج): فَارْسِيٌّ (شش رنك)، أَي: سِتَّةُ أَلْوَانٍ^(٩١)، وَمِنْ مَصْطَلَحَاتِهِ (كش)، يَعْنِي: يَضْرِبُ اللَّاعِبُ الْمَلِكُ بَقِطْعَةٍ مِنْ قِطْعَةٍ (مات)، وَهُوَ فِي الْفَارْسِيَّةِ (كشت)، أَي: مَاتَ^(٩٢)؛ إِذْ تَحْذِفُ الْعَامَّةُ عِنْدَ النَّطْقِ (التَّاء).

(الشَّمْعِدَان): أَدَاةٌ يُرَكِّزُ عَلَيْهَا الشَّمْعُ، مَرْكَبَةٌ مِنْ (شمع)، وَ(دان) الْفَارْسِيَّةِ^(٩٣)، وَمِثْلُهَا (الشَّكْرَدَان)، بِمَعْنَى: الْإِنَاءُ الَّذِي يُوضَعُ فِيهِ (السُّكَّر).

(الشَّاشِيل): الْخَشَبَاتُ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ جِدَارِ الدَّارِ، مُمْتَدَّةٌ نَحْوَ الشَّارِعِ، تَقُومُ فَوْقَهَا نَوَافِذُ الْغُرْفَةِ الْمُطَلَّةِ عَلَى الشَّارِعِ، وَهُوَ فِي الْفَارْسِيَّةِ (شاه نشين)، أَي: مَجْلِسُ الْمَلِكِ^(٩٤).

(شيرِه): لَفْظٌ فَارْسِيٌّ^(٩٥) (شيرِه)، تُطْلَقُ الْعَامَّةُ عَلَى مُحْلُولٍ مِنَ السُّكَّرِ وَالْمَاءِ لَزْجِ الْقِوَامِ.

(الشَّيرَازِه): سِيرٌ يُشَدُّ بِهِ الْكِتَابُ، وَهُوَ لَفْظٌ فَارْسِيٌّ^(٩٦)، وَمِنْهُ لَفْظُ الْعَامَّةِ (مشرَز)، أَي: مُشْدُودٌ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ.

(الصِّكَّ): قِيلَ: إِنَّهُ فَارْسِيٌّ^(٩٧) تُطْلَقُ الْعَامَّةُ عَلَى أَمْرِ خَطِيٍّ بِدَفْعِ الْمَالِ.

(الصَّهْر): وَهُوَ الْإِبْنُ أَوْ الْحَفِيدُ، لَعَلَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ اللَّفْظِ الْفَارْسِيِّ (سوهر)، الَّذِي يَعْنِي زَوْجَ الْمَرْأَةِ^(٩٨).

(الصَّوْلُجَان): عَصَا مَعُوجَّةٌ، وَهُوَ مِنَ اللَّفْظِ الْفَارْسِيِّ (صولج) ^(٩٩)، لِلْمَعْنَى ذَاتِهِ.

(الطَّاسِه): لَعَلَّهَا مَأْخُوذَةٌ مِنْ لَفْظِ (تست) فِي الْفَارْسِيَّةِ، الَّتِي تَعْنِي: إِنَاءٌ مِنَ النَّحَاسِ^(١٠٠).

(طرَز): لَفْظٌ مُشْتَقٌّ مِنَ (التَّطْرِيزِ)، نَوْعٌ مِنَ الْخِيَاطَةِ، لَعَلَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ اللَّفْظِ الْفَارْسِيِّ (تراز)، الَّذِي يَعْنِي: الطَّرِيقَةُ أَوْ الْهَيَاةُ^(١٠١).

(طرشي): نَوْعٌ مِنَ الْمُخَلَّلَاتِ، مَأْخُوذَةٌ مِنْ لَفْظِ (ترش)، أَي: حَامِضٌ فِي الْفَارْسِيَّةِ.

(الطّشت): فارسيّته (تست)، أي: إناء كبير لغسل الملابس^(١٠٢)، أبدلت التّاء طاءً.
(الطنّبور): وهو في عامّة أهل العراق شاخصّ من الطّين، يُوضَع في البساتين، جمعه
(طنابير)، لعلّه مأخوذ من الفارسيّة (دنبه بره)، دنبه: إليه، وبره: خروف^(١٠٣). وقد أخذ
منه لفظ (طنبور) الآلة المعروفة.

(الفرجال): أداة هندسيّة ذات ساقين، تُستعمل في رسم الدّوائر، فارسيّته
(برگار)^(١٠٤).

(فرزنه): أي: وضعه في جهةٍ معيّنة من (الفرز)، وهو التّشخيص، لعلّه مأخوذ من
(فرزين) الفارسيّة، وهي: قطعة من (الشّطرنج) مطلقة إلى كلّ جهاد^(١٠٥).

(فروند): مصعد للنّخل مصنوع من الحبال، لعلّها مأخوذة من اللفظ الفارسيّ
(بربند)، الذي يعني المعنى ذاته^(١٠٦)، يُسمّيه أهل العراق اليوم (تبليّة).

(الفستان): ثوب النّساء، جمعه فساتين، وهو من الألفاظ الفارسيّة كذلك^(١٠٧).
(الفلوذا): نوعٌ من الحديد قوي وصلد، وهو من الألفاظ الفارسيّة^(١٠٨)، تستعمله

العامّة بالمعنى ذاته، وهو عندهم رمز للقوّة والصلابة.
(القبج): طيرٌ معروفٌ يُشبه الحجل فارسيّته (گبک)^(١٠٩)؛ إذ أبدلت الكاف قافاً،
والجيم كافاً.

(الكارخانه): دار الضّرب، فارسيّة^(١١٠)، والعامّة في ميسان يعنون بها (المصيبة)،
يقولون: (طاحت عليه كارخانه)، أي: مصيبة.

(الكاغد): القرطاس أو الورق، وهو لفظٌ فارسيٌّ كذلك^(١١١).
(الكشك): الحانوت الصّغير المقام على أرضفة الشّوارع لبيع المشروبات والسّكائر،
ونحو ذلك، وهو مأخوذ من الكلمة الفارسيّة المأخوذة عن التركيّة (Kiosque)، وهذه
أُخذت عن الفارسيّة (كوشك)^(١١٢).

(الكشكول): قذح المكدي، يجمع فيه رزمه، فارسيّ^(١١٣)، تُطلّقه العامّة اليوم على

السَّجَل، تُدَوَّن فِيهِ عُلُومٌ وَمَعَارِفٌ مُخْتَلِفَةٌ.

(كَلَك): مَرَكَبٌ يُرَكَّبُ بِهِ فِي أَنْهَرِ الْعِرَاقِ، يَقُولُ الْعَامَّةُ: (چَلِچ)، أَصْلُهُ فَارِسِيٌّ^(١١٤)، وَجَمْعُهُ (أَكَلَكَ).

(الكَهْرَبَاءُ): مِنْ لَفْظِ (كَهْرَب) الْفَارِسِيَّةِ^(١١٥)، وَالْفَرَسُ يَسْتَخْدَمُونَ بَدَلًا مِنْ هَذَا اللَّفْظِ (بَرْق) الْعَرَبِيَّةِ.

(كَيْلَهُ): الْعَامَّةُ يَلْفِظُهَا (چِيلَهُ). وَعَاءٌ يُكَالُ بِهِ الطَّعَامُ، وَهِيَ مِنْ لَفْظِ (كَيْلَهُ) الْفَارِسِيَّةِ، الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى ذَاتَهُ.

(كَيْلَهُ): وَهِيَ عِنْدَ الْعَامَّةِ تَعْنِي: النَّامُوسِيَّةَ، مَأْخُوذَةٌ مِنَ اللَّفْظِ الْفَارِسِيِّ (كَيْلَهُ)، الَّذِي يَعْنِي: غِطَاءَ الرَّأْسِ^(١١٦).

(لُكْنُ): شَبْهٌ طُسْتُ مِنَ النَّحَاسِ، فَارِسِيٌّ^(١١٧).

(لُوزِينَهُ): حُلُوى مُحْشَاةٌ بِاللُّوزِ، فَارِسِيَّةٌ (لُوزِينَهُ)^(١١٨).

(مَبْرُوشُ): أَيُّ: الْمَسْحُوقُ مِنَ الْجُوزِ وَغَيْرِهِ، لَعَلَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْ (مَارِبُوشِ) الْفَارِسِيِّ، وَمَعْنَاهُ سَلَخُ الْحَيَّةِ^(١١٩).

(مَتَارِيسُ): حَوَاجِزُ فِي الطَّرِيقِ، مَأْخُوذٌ مِنَ اللَّفْظِ الْفَارِسِيِّ (مَتَرَسُ)، الَّذِي يَعْنِي: خَشْبَةٌ تُوَضَّعُ خَلْفَ الْبَابِ لِإِحْكَامِ إِغْلَاقِهِ^(١٢٠).

(مَرْدَانَهُ): تَعْنِي بِهَا الْعَامَّةُ: الْفَعْلَةُ الرَّجُولِيَّةُ، مِنَ اللَّفْظِ الْفَارِسِيِّ (مَرْدَانُ)، بِمَعْنَى: رَجُلٌ.

(مَرَزُ): فَارِسِيَّةٌ (مَرَزُ)، بِمَعْنَى: حَدٌّ^(١٢١).

(مَرَزِيبُ): أَيُّ: مَرَزَابُ، وَهُوَ مِنَ اللَّفْظِ الْفَارِسِيِّ (مَرَزُ)، أَيُّ: حَدٌّ، وَ(أَبُ)، أَيُّ: مَاءٌ^(١٢٢).

(الْمَهْرَجَانُ): تُطْلَقُ الْعَامَّةُ عَلَى الْإِحْتِفَالِ الْكَبِيرِ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ لَفْظِ مَهْرَجَانِ الْفَارِسِيِّ، الْمُكُونُ مِنْ: (مَهْرُ)، أَيُّ: مُحَبَّةٌ، وَ(كَانُ)، أَيُّ: مُتَّصِلَةٌ^(١٢٣)، وَبِهَذِهِ أُبْدِلْتُ

الكاف الأعجميّة جيماً.

(الميدان): تُطلّقه العامّة على السّاحة المكشوفة، كميدان الرّمي واللّعب، وغير ذلك، قيل: هو في الفارسيّة يعني: (السّماء)^(١٢٤).

(نارجيله): تُطلّقها العامّة على آلة للتّدخين، وهي من اللفظ الفارسيّ (نارغيل)^(١٢٥)، أبدلت الكاف جيماً، وزيدت التّاء في آخرها.

(نازك): تقول العامّة: هذا الشّخص نازك، أي: نظيف، لعلّها مأخوذة من لفظ (النّزاة) الفارسيّ، الذي يعني: الطّرافة، أو اللّطافة^(١٢٦).

(نيروز): عيد الشّجرة، لفظٌ فارسيّ، (نوروز) مكوّن من: (نو) جديد، (روز) يوم، أي: اليوم الجديد^(١٢٧). وهو من أعياد الفرس المعروفة.

(الهميان): الحزام، يشدّ وسط الجسم، تُوضّع فيه النّقود، وهو من الألفاظ الفارسيّة^(١٢٨).

(هيب): قيل في فارسيّته (هيمه)، ومعناه: العصا، أو العمود، أو جذع الشّجرة^(١٢٩). وبعض العامّة تلفظه (هيم) بالميم، وهو آلة لقلع الأشجار.

(وارش): حائط السّطح (السّتارة)، لعلّه من اللفظ الفارسيّ (روشان)، الذي يعني: الشّرفة^(١٣٠).

(وهگ (وهق)): أي: ربط، لعلّه مأخوذ من الفارسيّة (وهگ)، الذي يدلّ على المعنى ذاته^(١٣١)، والعامّة تقول -أيضاً-: (توهگ)، أي: تورّط بمعنى: دخل في معضلة لا مناصّ منها.

(يرغ): حَمَّالة يُوضّع فيها رصاص البنادق، يُتَشَحّ بها، أو تُشدّ وسط الجسم، كالحزام، لعلّها مأخوذة من اللفظ الفارسيّ (يارق)، بحذف الألف، وإبدال القاف عينا، واليارق في الفارسيّة تعني: السّوار^(١٣٢).

(يشماغ): وهي عند العامّة بمعنى: الكوفيّة، يُشدّ بها الرّأس^(١٣٣)، لعلّها من لفظ

(دواغ)، التي تعني في الفارسيّة: غطاء الرأس.

وهناك ألفاظ أُخر أُخذت من الفارسيّة، مثل قول العامّة: (برّا)، كلمة زجر، أي: أخرج، وهي من اللفظ الفارسيّ (برو)، و(جارة)، بمعنى: (حَلّ)، وأحياناً يقول العامّة (على خُدا)، أي: (على الله)، و(أغاتي)، أي: سيّدي ومولاي، من (آغا)، التي تعني في الفارسيّة: (السّيّد)، و(قماش)، بمعنى: النّسيج، و(طاق)، التي هي لعبة البنات، وكانت طاق قديماً تعني: المحلّة، و(الدّستور)، وهي كلمة فارسيّة مُركّبة من (دست)، بمعنى: يد، و(ور)، بمعنى أصحاب^(١٣٤). وتُطلق الآن على القانون والنّظام، و(مالج) مُعرّب (ماله) بالفارسيّة: آلة يُطَيّن بها^(١٣٥).

كما شاعت قديماً في العربيّات مُسمّيات فارسيّة (أخذتها) العربيّة الفُصحى، وشاعت بالمعنى ذاته، ومنه اشتقّ الفصل (ملج) في أواسط العامّة، مثل:

الأرج، والجوز، والخيار، والفسق، والفلفل، والقرع، والكعك، والجمان، والخلخال، والبنفسج، والنّرجس والياسمين، والمهندس، وذهب بعضها إلى أن لفظ (الحبّ) الذي يعني الخاوية أو الجرّة العظيمة فارسيّ مُعرّب، وأصله (خب). ولعلّ (بند) بمعنى: أنهى الشّيء، أو أغلقه مأخوذة من لفظ (دربند) الفارسيّة، أي: أغلق الدّكان.

كذلك شاع بين العامّة لفظ (طربوش)، وهو غطاء الرأس، وأصله في الفارسيّة (سربوش) بإبدال السين طاءً. وكثيراً ما تستعمل العامّة لفظ (بخت)، بمعنى: (حظّ)، وهو من الألفاظ الفارسيّة، ومن أمثلتهم: «البخت يضعف ولا يموت». وكذلك لفظ (بزّون)، بمعنى: القطّة، وهو من اللفظ الفارسيّ (بز)، بالمعنى نفسه، ومن أمثلة العامّة: «بزّونه بين عميان».

الخاتمة

بعد هذه الرحلة المتواضعة مع المفردات التي شاعت في عاميّتنا، نجدُ أنّ الفارسيّة أثّرت كثيراً في لسان عامّة الناس، كتأثيرها في اللّغة الفصحى، وهذا راجع إلى أسبابٍ كثيرة، أهمّها الجوار الجغرافيّ مع بلاد فارس، والصّراع الحضاريّ بين العرب والفرس نتج عنه تأثير لغة هؤلاء القوم في عربيّة العراق. هذا التأثير كان بعيد المدى كما وصفه يوهان فك في كتابه (العربيّة).

لقد ذكرتُ كثير من المصادر أخباراً عن تقريب الخلفاء لوزراء وكتّاب فرس، وكذلك شعراء، بل إنّ بعض هؤلاء ذكر في قصائده مفردات وتراكيب فارسيّة. واليوم نجدُ بعض سدنة الأماكن المقدّسة ورجال الدّين فيها يتحدثون الفارسيّة للتّفاهم مع زوّارها الوافدين للتبرّك والتّقرب إلى الله - عزّ وجلّ -.

ونظرةً إلى هذه المفردات نجدُ أنّها تشمل كلّ مفاصل الحياة المادّيّة والمعنويّة، وإنّ كانت المادّيّات أكثر من المعنويّات.

ولا أدعي أنّي قد وفّيت الموضوع حقّه، فالكمال لله وحده، الذي عليه نتوكّل وبه نستعين، وهو من وراء القصد.

الهوامش

- ١- يُنظر: ألفاظ الحضارة في كتاب نشوار المحاضرة، رسالة دكتوراه، جامعة البصرة ١٩٩٧م.
- ٢- العربية، يوهان فك، ترجمة: د. رمضان عبد التّوّاب، ومكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٠: ص ٢٥.
- ٣- ملامح من تاريخ اللّغة العربيّة، أحمد الجنابي، دار الرّشيد: ص ١٤٠.
- ٤- البيان والتبيين: ١/ ٢٠.
- ٥- تُنظر القصص: ٢/ ٣٦١، ٣/ ٩٢، ٥/ ٢٦٢، ٧/ ١٨٦، ٢٢٦، ٢٢٨.
- ٦- نشوار المحاضرة: ٦/ ١٠٠.
- ٧- الأغاني: ٥/ ٨٥، ويُنظر: تأريخ الطبري: ٣/ ١٠٤٦.
- ٨- أدب الكاتب: ص ١٠١-١٠٥.
- ٩- السّابق: ص ٣٣٣-٤٦٠.
- ١٠- تأريخ بغداد: ٤/ ١٩٤.
- ١١- المولّد: ص ٢٩٧.
- ١٢- المُعرب: ص ٧١.
- ١٣- غرائب العربيّة: ص ٢١٦.
- ١٤- الألفاظ الفارسيّة المُعربة: ص ١٠.
- ١٥- غرائب العربيّة: ص ٢١٦، والمُعرب: ص ٧٣.
- ١٦- الآلة والأداة: ص ٢٦.
- ١٧- تفسير الألفاظ الدّخيلة: ص ٦٣.
- ١٨- نشوار المحاضرة.
- ١٩- الآلة والأداة: ص ٣١.
- ٢٠- نشوء اللّغة العربيّة ونموّها واكتهاؤها: ص ٨٩.
- ٢١- [مفقود من أصل البحث].
- ٢٢- الآلة والأداة: ص ٣١.
- ٢٣- المعجم الدّهبي: ص ١١١.
- ٢٤- شفاء الغليل: ص ٣٩.
- ٢٥- المصدر نفسه: ص ١٩.

- ٢٦- التَّكْمَلَة: ص ٢٨.
- ٢٧- الآلة والأداة: ص ٢٨.
- ٢٨- التَّطَوُّر اللُّغَوِيُّ التَّأْرِيخِيُّ: ص ١٧٢.
- ٢٩- الألفاظ الفارسيّة المَعْرَبَة: ص ٣١.
- ٣٠- المنجد: ص ٤٩.
- ٣١- نرهنك نعنيس: ص ١٥٨.
- ٣٢- [مفقود من أصل البحث].
- ٣٣- الآلة والأداة: ص ٣٧.
- ٣٤- السَّابِق: ص ٣٨.
- ٣٥- الألفاظ الفارسيّة المَعْرَبَة: ص ٣٤، ويُنظر كذلك: الآلة والأداة: ص ٤٥.
- ٣٦- الآلة والأداة: ص ٥٢.
- ٣٧- تفسير الألفاظ العباسيّة، مجلّة المجمع العلميّ العربيّ، دمشق، مجلد: ٣ / ٣٣٨.
- ٣٨- اللّسان (جوم): ١ / ٥٣٧.
- ٣٩- [مفقود من أصل البحث].
- ٤٠- التَّكْمَلَة: ص ١١٩.
- ٤١- الآلة والأداة: ص ٦٦.
- ٤٢- معجميّات: ص ٢٣٢.
- ٤٣- الآلة والأداة: ص ٣٤.
- ٤٤- الألفاظ الفارسيّة المَعْرَبَة: ص ٤٦.
- ٤٥- غرائب العربيّة: ص ٢٣٧.
- ٤٦- الآلة والأداة: ص ٦٥.
- ٤٧- التَّكْمَلَة: ص ١١٩.
- ٤٨- الشَّوَار.
- ٤٩- غرائب العربيّة: ص ٢٢٦.
- ٥٠- الآلة والأداة: ص ٩٨.
- ٥١- السَّابِق: ص ٩٨.
- ٥٢- السَّابِق: ص ١٠٤.
- ٥٣- غرائب العربيّة: ص ٢٢٨.
- ٥٤- تفسير الألفاظ الدّخيلة: ص ٢٩.
- ٥٥- التَّكْمَلَة: ص ٧٩.

- ٥٦- السَّابِق: ص ١١٢ .
- ٥٧- البيان والتبيين: ٥٨/٣ .
- ٥٨- الآلة والأداة: ص ٩٩ .
- ٥٩- العربية، فك: ص ٢٠٤ .
- ٦٠- المُولَّد: ص ٤٨٢ .
- ٦١- التَّكْملة: ص ٨٦ .
- ٦٢- الأحكام السُّلْطَانِيَّة: ص ٣٠٧ .
- ٦٣- الألفاظ الفارسيَّة المَعْرَبَة: ص ٢٣١ .
- ٦٤- شفاء الغليل: ص ١٣٣ .
- ٦٥- غرائب العربيَّة: ص ٢٣١ .
- ٦٦- [مفقود من أصل البحث].
- ٦٧- غرائب العربيَّة: ص ٢٣٢ .
- ٦٨- الآلة والأداة: ص ١٢٩ .
- ٦٩- السَّابِق: ص ١٣١ .
- ٧٠- الألفاظ الفارسيَّة المَعْرَبَة: ص ٧٩ .
- ٧١- غرائب العربيَّة: ص ٢٣٢ .
- ٧٢- الآلة والأداة: ص ١٣١ .
- ٧٣- باقة أزهار من كتاب النِّشْوار، المغربي، مجلَّة المجمع العلميِّ العربيِّ، دمشق، مج ٤، ج ١: ص ١٦١ .
- ٧٤- ٣٠٥/١ .
- ٧٥- معجم دوزي: ص ١٦٩ .
- ٧٦- الآلة والأداة: ص ١٣٨ .
- ٧٧- السَّابِق: ص ١٤١ .
- ٧٨- السَّابِق: ص ١٥٨ .
- ٧٩- [مفقود من أصل البحث].
- ٨٠- القاموس المحيط: ٣٥٤/١ .
- ٨١- الألفاظ الفارسيَّة المَعْرَبَة: ص ٩٥ .
- ٨٢- التَّكْملة: ص ١٠٩ .
- ٨٣- الآلة ولأداة: ص ١٣٨ .
- ٨٤- الآلة والأداة: ص ١٧٧ .
- ٨٥- السَّابِق: ص ١٧١ .

- ٨٦- التكملة: ص ١٠١.
- ٨٧- الآلة والأداة: ص ٤٣٩.
- ٨٨- غرائب العربيّة: ص ٢٣٣.
- ٨٩- التكملة: ص ٢٦.
- ٩٠- الآلة والأداة: ص ٦٠.
- ٩١- صبح الأعشى: ١٤٩/٢، ويُنظر: شرح دُرّة الغوّاص: ص ١٧٣.
- ٩٢- الآلة والأداة: ص ١٧٧.
- ٩٣- [مفقود من أصل البحث].
- ٩٤- الآلة والأداة: ص ٧٥.
- ٩٥- شفاء الغليل: ص ١٠٥.
- ٩٦- الآلة والأداة: ص ١٦٢.
- ٩٧- المعرّب: ص ٦٢.
- ٩٨- غرائب العربيّة: ص ٢٣٧.
- ٩٩- الآلة والأداة: ص ١٩٠.
- ١٠٠- الآلة والأداة: ص ٢٠١.
- ١٠١- غرائب العربيّة: ص ٢٨٣.
- ١٠٢- الآلة والأداة: ص ٢٠١.
- ١٠٣- تفسير الألفاظ: ص ٤٧.
- ١٠٤- الآلة والأداة: ص ٢٤٢.
- ١٠٥- السّابق: ص ٢٤٣.
- ١٠٦- الآلة والأداة: ص ٨٠.
- ١٠٧- السّابق: ص ٢٤٧.
- ١٠٨- السّابق: ص ٢٥٠.
- ١٠٩- الألفاظ الفارسيّة المعرّبة: ص ١٢٣.
- ١١٠- [مفقود من أصل البحث].
- ١١١- الآلة والأداة: ص ٣٠٠.
- ١١٢- التكملة: ص ٧٨.
- ١١٣- الآلة والأداة: ص ٢٩٩.
- ١١٤- المصدر نفسه: ص ٣٠٣.
- ١١٥- المولّد: ص ٢٣٥.

- ١١٦- غرائب العربية: ص ٢٤١.
- ١١٧- الآلة والأداة: ص ٣١٨.
- ١١٨- الألفاظ الفارسيّة المَعْرَبَة: ص ١٤٢.
- ١١٩- الآلة والأداة: ص ٣٩٧.
- ١٢٠- القاموس المحيط: ص ٢/٢٠٢.
- ١٢١- [مفقود من أصل البحث].
- ١٢٢- [مفقود من أصل البحث].
- ١٢٣- تفسير الألفاظ الدّخيلة: ص ٧٧.
- ١٢٤- المَعْرَب: ص ٢٦٣.
- ١٢٥- غرائب العربية: ص ٢٤٧.
- ١٢٦- التّكملة: ص ١٢٨.
- ١٢٧- غرائب العربية: ص ٢٤٧.
- ١٢٨- السّابق: ص ٢٤٨.
- ١٢٩- ملاحظات في تفسير الألفاظ العباسيّة، الكرمليّ، مجلّة المجمع العلميّ العربيّ، دمشق.
- ١٣٠- مصطلحات حضاريّة، كوركيس عوّاد، مجلّة المجمع العربيّ العراقيّ في آذار ١٩٨٦ م.
- ١٣١- الآلة والأداة: ص ٤٣٧.
- ١٣٢- السّابق: ص ٥١٢.
- ١٣٣- التّكملة: ص ٢٧.
- ١٣٤- غرائب العربية: ص ٢٢٨.
- ١٣٥- شُرِحتْ هذه الألفاظ ودلالاتها في موضوع المَعْرَب من الفارسيّة في رسالة الدّكتوراه (ألفاظ الحضارة في كتاب نشوار المحاضرة)، للتّنوخيّ في: ص ٤٠٨، وما بعدها.

* [الهوامش من (١٣٦-١٤١) غير موجودة في أصل البحث]. (النّاشر)

أَشْتَاتُ بَصْرِيَّةٌ

الدكتور إبراهيم السامرائي

هذه فوائد تتصل باللغة البصريّة أعرض فيها لجملة موادّ عرفت في العربيّة (البصريّة). وقد يستقبل القارئ هذه الصّفة بشيء من الاستغراب، وإنّني لواثق أنّه سيعرف من حقيقة الأمر ما قد يحمله على أن يسير معي في إثبات هذه الصّفة الإقليميّة. إنّ الفصح من العربيّة الذي يلتزم فيه بضوابط من الإعراب وأبنية مخصوصة صرفيّة لم يكن ممّا يعرفه النّاس بداهةً في أواخر القرن الثّاني من الهجرة. ومن غير شكّ أنّ الجمهور من النّاطقين بالعربيّة كانوا يُعربونَ بلغةٍ سائرةٍ دارجةٍ زاخرةٍ بالّلحن وبالألفاظ الدّخيلة غير العربيّة. وكانوا يعمدون إلى تعلّم العربيّة تعلّمًا يقوم به معلّمون من علماء اللّغة والنحو. وحسبك أن تعرف أنّ المتأدّبين من اللّغويّين والنّحاة والأدباء والشّعراء، وغيرهم من أهل العلوم الآخر، كانوا قد ثقفوا (العربيّة)، وأخذوها عن شيوخهم الأساتذة في تلك الأحقاب المتقدّمة.

لقد أخذ الجاحظ - مثلاً - عن الأصمعيّ وأبي زيد الأنصاريّ، وغيرهما، وكان يُلازم المربّد، فيحضر مجالس اللّغويّين وغيرهم حين يأتي البدو فيسألونهم عن اللّغة والشّعر والأخبار والأنساب. وكان يحضر مجالس (المسجديّين). والمسجديّون جماعةٌ تجتمع في المسجد الجامع، يتحدّثون أحاديث شتى في الأدب والتّاريخ والأخبار والأنساب والقرآن والحديث والفقه وعلم الكلام.

وهكذا كان المجتمع البصريّ في منتصف القرن الثّاني من الهجرة. ولا يظنّ ظانٌّ أنّ

هذا المجتمع قد انقطع للعرب وللعلوم العربيّة، فقد كان يشتمل على أخلاط وأوشاب من عناصر شتّى من غير العرب، ولا سيّما ممّن كانوا من أصولٍ فارسيّةٍ. وسأعنى بهذا المجمع لأتبيّن شيئاً من خصائصه اللّغويّة.

لقد شغلت البصرة مكاناً في الدّراسات اللّغويّة، كما شغلت وصيفتها الكوفة الشّيء نفسه في تأريخ هذه العربيّة.

ولا أريد أن أعرض لما يُسمّى بـ(المدارس النّحوية) اتّساعاً ومبالغة؛ ذلك أن ملاك الأمر فيها آراء نحويّة ولغويّة لا يزيد الخلاف بينها على أشكالٍ لا تمسّ الجوهر إلّا مسّاً رقيقاً، ولا تخلو في كثيرٍ منها من الافتعال والتزيّد.

ولكنّي أعرض لمسائل قد تكون وقفات مفيدة في تأريخ العربيّة، الذي نجعل من مادّته الشّيء الكثير. وهل عليّ من حرجٍ في أن أعرض لمادّة (البصرة)؟ فماذا قيل فيها؟ قالوا: الْبَصْرُ وَالْبِصْرُ (بفتح الباء وكسرها وسكون الصّاد).

والبَصْرَة: الحجر الأبيض الرّخو، وقيل هو الكذّان، فإذا جاؤوا بالهاء، قالوا: بَصْرَه (بالفتح) لا غير، وجمعها (بصار)، كذا في (اللسان).

وفي: (التّهذيب): الْبَصْرُ الحجارة إلى البياض، فإذا جاؤوا بالهاء، قالوا: الْبَصْرَة. وفي (الصّحاح): البصرة حجارة رخوة إلى البياض ما هي، وبها سُمّيت البصرة، وقال ذو الرّمة:

تَدَاعَيْنِ بِاسْمِ الشَّيْبِ فِي مُتَشَلِّمٍ جَوَانِبُهُ مِنْ بَصْرَةٍ وَسَلَامٍ

قال: فإذا أسقطتَ الهاء، قلتَ: بَصْرَ بالكسر.

وقال أبو عمرو: الْبَصْرَة والكذّان، كلاهما: الحجارة التي ليستْ بصلّبة.

وقالوا: وأرض فلان بَصْرَة (بضمّ الباء والصّاد)، إذا كانت حمراء طيبة. وأرض بَصْرَة إذا كانت فيها حجارة تقطع حوافر الدّوابّ.

وفي (المحكم) لابن سيدة، أَنَّ البُصْرَ (بضم فسكون): الأرض الطَّيِّبة الحمراء.

ثم قالوا:

والبَصْرَة: (بفتح فسكون)، والبَصْرَة (بفتحتين)، والبَصْرَة (بفتح فكسر): أرض حجارتها جصّ، قال: وبها سُمِّيَتِ البَصْرَة. والبَصْرَة (بالفتح) أعمّ. والبَصْرَة (بفتح فكسر) كأُتْها صفة.

والنسب إلى البصرة: بصريّ (بكسر الباء)، وبصريّ بالفتح، والأولى شاذّة، قال عذافر:

بَصْرِيَّةٌ تَزَوَّجَتْ بِبَصْرِيًّا يُطْعِمُهَا الْمَالِحَ وَالطَّرِيًّا

وفي البصرة ثلاث لغات: بَصْرَة وبَصْرَة وبُصْرَة، (بفتح الباء وكسرها وضمّها) واللغة العالية هي بفتح الباء.

أقول: وكأنّ (البصريّ) بكسر الباء هي النسبة الشاذّة، كما قالوا إلى الوجه القليل وهو (البَصْرَة) بكسر الباء، وعلى هذا يكون ما يتفیهق به أصحابنا في هذا العصر بالتزامهم بالكسر في النسبة، أي: (البصريّ)، وجهاً مرجوحاً وليس من (اللغة العالية) كما قال أهل اللغة، وأين التفیهق والتحدُّل من العلم.

وقال الفراء: البَصْر (بالكسر)، والبَصْرَة (بالفتح) الحِجَارَة البرّاقة.

وقال ابن شميل: البصرة أرض كأُتْها جبل من جصّ، وهي التي بُنيت بالمربد، وإنّما سُمِّيَتِ البصرة بَصْرَة بها.

أقول: لقد خرجت من هذه المسيرة الطويلة بشيء لم أطمئنّ إليه، ولم استقرّ من أمره على حال، ذلك أنّ مادّة (ب ص ر) تعني: حجارة هي رخوة بيضاء، كالجصّ حيناً، وبرّاقة حيناً آخر، ثم هي حمراء طيّبة.

ولا أريد أن أنكر هذا الوصف بالرّخاوة والبياض للحجارة التي بُنيت في أرضها

المدينة عند المربد، كما لا أنكر الوصف بالحُمرة، ولكنني أتردد قليلاً في أن تكون حاضرة البصرة قد سُمِّيت بدلالة هذه الكلمة في العربية.

وقد قالوا مثل هذا في (البصرة) الأخرى التي بالمغرب قرب السّوس، التي ذكرها ابن حوقل، ثمّ ياقوت^(١)، وغيرهما.

قالوا: وتُعرف -أيضاً- ب(الحمراء)؛ لأنّها حمراء التُّربة، ولا أدري أمن الحقيقة أنّ دلالة الحجارة الرّخوة البيضاء أم التُّربة الحمراء كانتا أصلاً وسبباً في إطلاق اسم البصرة على الحاضرتين المعروفتين؟

وهل لنا أن نجد شيئاً آخر قد يكون فيه الحلّ لهذه المسألة التّاريخيّة.

أقول: لعلّ في كلمة (البصرة) (بفتح الباء وسكون السين) شيئاً مفيداً.

البصرة^(٢): من مياه بني عُقيل بنجد بالأعراف أعراف غمرة، فإذا شرب الإنسان من مائها شيئاً لم يرو حتى يرسل ذنبه (كذا)، وليست ملحّة جدّاً ولكنها غليظة.

قال أبو زياد الكلّبي: وأخبرني غير واحد أنّهم يردّونها، فيستقبل أحدهم فرغ الدلو، فلا يروى حتى يرسل ذنبه، ولا يملكه، أي: إنّها تُسهّل البطن.

انتهى كلام ياقوت.

أقول: لعلّ العرب سمّوا هذه الحاضرة التي مَصَّروها، فكان البصرة باسم تلك الماء

لشبهه مائها بماء تلك، ثمّ كان ما كان من السّين والصاد من الإبدال الصّوتيّ.

ومن المفيد أن أشير إلى أنّ الكثير من الخواضر العراقيّة قد احتفظت بأسمائها الآراميّة، مثل: بعقوبا، وديالى، وبقسايا، وعكبرا، وباصيدا، وبعشيقا، وبرطلا، وكوثا، وباجرمى، وباجسرا.

ولا أقطع إن كان (بصرة) من هذه الموادّ التي انتهت بالألف المقصورة للدلالة على

التّأنيث في الآراميّة، فتحوّلت إلى تاء التّأنيث في العربيّة السّائرة، فقالوا: بعقوبه، كما

قالوا: بعشيقه. ألا تكون (بصرا)، مثل: (بُصري) مثلاً! وهل يكون من هذا: سامراً وكريلاً؟ ولم لا؟

أقول: لعلّ (البصرة) من هذه الأصول الآرامية، ولكنني لم أجِدْ في مادّة (ب ص ر)، ولا في مادّة (ب س ر) الآراميتين ما يُعِينُ على هذه النسبة المتصورة.

لعلّي لم أُطِلْ على القارئ المعنيّ بهذه الموادّ التاريخية، فأقول له: إنّ اللّغويين الأوائل قد استنجدوا باللّغة، ففسّروا كثيراً من الموادّ تفسيراً قد يبتعد عن الحقيقة، فيفتقر إلى العلم. ألم يقولوا: إنّ (الكوفة) -مثلاً- قد سُمّيت بهذا الاسم؛ لأنّها الرّملة المجتمعة، ثمّ زادوا، فقالوا: (الحمراء)، ولا أدري مبلغ العلم في هذه المقولة. وذكروا أنّ سعداً لما أراد أن يبنّي الكوفة ارتادها لهم، وقال: تكوّفوا في هذا المكان، أي: اجتمعوا فيه.

وقال المُفَضَّل: إنّما قال: كوّفوا هذا الرّمل، أي: نحّوه وانزلوا، ومنه سُمّيت الكوفة. واتصّالها بالحاضرة المعروفة.

فأنت ترى اضطراب القوم في تفسير الكلمة.

ويقول ياقوت: قال أبو بكر، محمّد بن القاسم: سُمّيت الكوفة؛ لاستدارتها^(٣). أي: إنّها الرّملة المُستديرة.

ولا يعين جماع هذه الأقوال على اكتساب الحقيقة الأكيدة.

وأقول: ألم تكن (الكوفة) الحاضرة التي مَصَّرَها المسلمون في مكان الحاضرة الآرامية القديمة (كوثا) أو في جوارها؟ إنّ الحاضرتين الإسلامية والآرامية كانتا في أرض بابل من سواد العراق، كما يقول ياقوت، وليس شيئاً أن تكون حاضرة المسلمين قد تبدّلت بالثاء فاء، وهذا كثيرٌ في الأصوات السّامية.

ومثل هذا ما ذكروا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾^(٤)، أنّ (بَكَّة) هذه هي مكّة، سُمّيت بذلك؛ لأنّها تبكُّ أعناق الجبارة

إذا ألدوا فيها بظلمٍ، وقيل: لأنَّ النَّاسَ يتباكُّون فيها من كلِّ وجهٍ، أي: يتزاحمون^(٥).
ولو اقتصروا على التفسير الصوتيِّ، وأنَّ الباء والميم يتعاقبان، لاستراحوا من هذا
التزيّد والعبث.

ثمَّ ماذا؟

ألم يقولوا: إنَّ (البصرة) كلمةٌ أعجميَّةٌ عُرِّبَتْ؟ قال حمزة بن الحسن الأصبهانيّ:
سَمِعْتُ موبذ بن اسوهشت يقول: البصرة تعريب (بس راه)؛ لأنَّها كانت ذات طُرُق
كثيرة انشعبت منها إلى أماكن مختلفة^(٦).

وبعد، فهذا عرضٌ مُقتَرَأشد الافتقار إلى زيادةٍ تفي بهذه الحاجة اللغويّة التّاريخيّة.
ولنعد إلى الأشتات البصريّة الأخرى.

قلتُ في أوّل هذا البحث: إنَّ البصرة مجتمَعٌ ضمَّ جمهرةً من أممٍ شتى، ظهر فيها
العنصر الفارسيّ. ومن غير شكٍّ أنَّ العربيّة في منتصف القرن الثاني الهجريّ قد عَرَضَ
لها من اللّغات الأخرى، ولا سيّما الفارسيّة ما عَرَضَ، وقد تَبَدَّلَتْ إلى لغةٍ سائرةٍ دارجةٍ،
بحيث لا يصير المُعَرَّب إلى الفصيحة إلّا بعد استعداد وتعلّم ودربة. ولعلَّ هذه الحالة
كانت معروفة طول القرن الثاني من الهجرة.

وفي كتاب (فتوح البلدان)^(٧) للبلاذريّ في الباب الخاصّ بتقسيم البصرة، طائفة من
أسماء الأمكنة المنسوبة إلى أصحابها، وكان أهل البصرة يزيدون في اسم الرّجل الذي
تُنسب إليه القرية ألفاً ونوناً. وهذه من غير شكٍّ لم تكن نسبة عربيّة، بل هي فارسيّة
محضة.

ومن ذلك، قولهم:

(طلحتان): نهرٌ يُنسب إلى طلحة بن أبي رافع، مولى طلحة بن عبيد الله.

(خيرتان): نهرٌ منسوب إلى خيرة بنت ضمرة القُشيريّة، امرأة المَهْلَب بن أبي صُفْرة.

(مُهَلَّبَان): نهر منسوب إلى المَهَلَّب بن أبي صُفْرة، ويُقال: بل كان لزوجته خيرة، فَغَلَبَ عليه اسم المَهَلَّب، وهي أمُّ أبي عُيَينة ابنه.
(جُبَيْرَان): قرية لجُبَيْر بن حِيَّة.

(خُلَفَان): قطيعة لعبدالله بن خلف الخُزَاعِيّ، وكان خالد ولي قضاء البصرة.
(رَوَّادَان): قطيعة لرَوَّاد بن أبي بكرة.
(شَطَّ عَثَان): يُنسب إلى عَثَان بن أبي العاص الثَّقَفِيّ، وقد ذكّرتَه، فأقطع عَثَان أخاه حفصاً حَفْصَان، وأخاه أُمَيَّة أُمَيَّتَان، وأخاه الحكم حَكَمَان، وأخاه المغيرة مَغِيرَتَان.
(أَزْرَقَان): يُنسب إلى الأزرق بن مسلم مولى بني حنيفة.
(مَحْمَدَان): منسوب إلى محمّد بن عليّ بن عَثَان، الحَنْفِيّ.
(زِيَادَان): منسوب إلى زياد مولى بني الهُجَيم، جدّ مؤنس بن عمران بن جميع بن يسار ابن زياد، وجدّ عيسى بن عمر النّحَوِيّ، وحاجب بن عمر، لأُمّهما.
(عُمَيْرَان): منسوب إلى عبدالله بن عُمَيْر، اللَّيْثِيّ، نهر مقاتل بن حارثة بن قدامة السَّعْدِيّ.

(حُصَيْنَان): لحصين بن أبي الحُرّ، العنبريّ.
(عبد اللّيان): لعبدالله بن أبي بكرة.
(عُبَيْدَان): لعُبَيْد بن أبي كعب، النُّمَيْرِيّ.
(مَنْقَذَان): لمنقذ بن علاج، السَّلَمِيّ.
(عبد الرّحمانان): لعبد الرّحمن بن زياد.
(نافعان): لنافع بن الحارث، الثَّقَفِيّ.
(أَسْلَمَان): لأسلم بن زراعة، الكلابيّ.
(حمرينان): لحمران بن أبان، مولى عَثَان بن عَفَّان.

أقول: لَعَلَّ ما هو معروف -الآن- من اسم نهر بهذا الاسم بين القرنه وكرمة علي، هو الاسم التَّأْرِيخيّ الذي أشار إليه المؤرِّخون.

(قُتَيَّان): لقتيبة بن مسلم.

أقول: وَلَعَلَّ (كتيَّان) بالكاف المعروف في خطط البصرة الحديثة في عصرنا، هو الاسم التَّأْرِيخيّ، وقد يتحوَّل إلى (جتَيَّان)، بالجيم الأعجميّة.

(خشخشان): لال الخشخاش العنبريّ.

(سعيدان): لآل سعيد بن عبد الرَّحْمَان بن عَتَّاب بن أسد.

(سليمانان): قطيعة لعبيد بن نسيط صاحب الطَّرَق أيام الحَجَّاج، فراط بها رجلٌ من الرُّهَّاد، يُقال له: سليمان بن جابر، فنسب إليه.

(عُمران): لعمر بن عبيدالله بن معمر، التَّمِيمِيّ.

(فيلان): لفيل مولى زياد.

(خالدان): لخالد بن عبدالله بن خالد بن أُسَيْد بن أَبِي العيص بن أُمَيَّة.

(سويدان): قطيعة كانت لعبيدالله بن أَبِي بكرة مبلغها أربعمئة جريب، فوهبها لسُويد ابن منجوف، السَّدُوسِيّ، فنُسِبَتْ إليه.

(جبران): لآل كلثوم بن جبر نهر أَبِي بردعة بن عبيدالله بن أَبِي بكرة.

(كثيران): لكثير بن يسار.

(بلالان): لبلال بن أَبِي بُرْدَة، كانت قطيعة لعباد بن زياد، فاشتراها.

(شبلان): لشبل بن عميرة بن تيري، الضَّبِّيّ.

هذا ما ذكره ياقوت في (معجمه)^(٨).

أُضيف إلى هذه المجموعة ما أفدّته من (فتوح البلدان)^(٩)، للبلاذريّ.

(أنسان): نُسب إلى أنس بن مالك في قطيعة من زياد.

- (سيحان): نهر كان للبرامكة، وهم سَمَّوه سيحان.
- و(عبيدلان): لعبيدالله بن أبي بكرة.
- أقول: وفي المجموعة التي جاءت في (معجم) ياقوت خلافاً طفيفاً في التسمية.
- (المسرُّ قانان): قطعة لآل أبي بكرة.
- (صَلْتان): نُسِبَ إلى صلت بن حريث، الحنفيّ.
- (قاسمان): قطعة القاسم بن عَبَّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب.
- (نهر خالدان الأجمة): لآل خالد بن أسيد وآل أبي بكرة.
- (نهر ماسوران): كان فيه شرّير يسعى بالنّاس ويبحث عليهم، فنُسِبَ النّهر إليه.
- والماسور بالفارسيّة الجربز الشرّير.
- (جبيران): قطعة جبير بن أبي زيد من بني عبدالدار.
- (معقلان): قطعة معقل بن يسار.
- (جندلان): لعبيدالله بن جندل، الهلاليّ.
- (حربانان): قطعة حرب بن عبدالرحمن بن الحكم بن أبي العاصي.
- (كوسجان): نُسِبَ إلى عبدالله بن عمرو، الثَّقفيّ، الكوسج.
- (عبادان): قطعة لحران بن أبان مولى عثمان بن عبدالملك بن مروان، وكان حران قد وهب لعباد بن حصين الحبطيّ غربي النّهر وحبس الشرقيّ، فنُسِبَ إلى عبّاد بن الحصين.
- وقال هشام بن الكلبيّ: كان أوّل مَنْ رابط بعبدان عبّاد بن الحصين.
- أقول: وليست هذه النسبة على النّحو الأعجميّ هي كلّ ما استعمله البصريّون، فقد عرفنا جملة أسماء جرت على النسبة العربيّة، ومن ذلك:
- (المساريّة): قطعة مسمار مولى زياد بن أبيه.
- (السُّبَيْطِيّة): أجمة لرجل من الدّهاقين يقال له سبيط.

(القاسميّة): قطعة لقاسم بن سليمان.

(الخالديّة): لخالد بن صفون بن الأهمّ^(١٠).

وغير هذا كثير جداً.

وقد اتبعوا -أيضاً- أسلوب (الإضافة) التي تعني النسبة، فقالوا:

(نهر بشار): نُسِبَ إلى بشار بن مسلم بن عمر، الباهليّ، أخي قتيبة.

(نهر العلاء): نُسِبَ إلى العلاء بن شريك، الهذليّ، أهدى إلى عبد الملك شيئاً أعجبه، فأقطعه مائة جريب.

(نهر حبيب): نُسِبَ إلى حبيب بن شهاب، الشاميّ، التاجر.

(نهر أبي الخصيب): نُسِبَ إلى أبي الخصيب مرزوق، مولى المنصور أمير المؤمنين.

(نهر البنات): بنات زياد، أقطع كلّ بنت ستين جريباً.

(نهر ابن عمر): جاء في (فتوح البلدان)^(١١): وَفَدَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ عَلَى ابْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِوِاسِطٍ، فَسَأَلُوهُ حَفَرَ نَهْرٌ لَهُمْ، فَحَفَرَ لَهُمْ نَهْرَ ابْنِ عُمَرَ.

أقول:

ولعلّ من بقايا هذه الأعلام المنسوبة على الطّريقة الأعجميّة ما نجده الآن في خطط البصرة الحديثة من: (يوسفان)، ولم أجد في مصادر (البلدان) مَنْ نُسِبَ إِلَيْهِ هَذَا الْمَوْضِعُ، وَمِنْ غَيْرِ شَكٍّ أَنَّهُ (يُوسُفُ)، وَمِثْلُهُ: (مُهَيَّجِرَان)، وَأَغْلَبُ الظَّنِّ أَنَّهُ تَحْرِيفُ (مُهَاجِرَان)، وَهُوَ مِمَّا لَا نَعْرِفُ أَصْلَهُ الَّذِي نُسِبَ إِلَيْهِ الْمَوْضِعُ.

أَلَا لَيْتَ اللَّحَى كَانَتْ حَشِيشًا فَنَعْلِفُهَا خِيُولَ الْمُسْلِمِينَ

فبلغ ذلك عبّاداً، فجفاه وحقد عليه، فأخذه عبيدالله بن زياد فحبسه وعذّبه، وسقاه التبريد في النّبيذ، وحمله على بعير، وقرن به خنزيرة، فأمشاه بطنه مشياً شديداً، فكان يسيلُ (منه ما يخرج) على الخنزيرة فتصيّءُ، فكلّمها صاءتُ، قال ابن مفرّغ:

ضَجَّتْ سُمَيَّةٌ لَمَّا مَسَّهَا الْقَرْنُ لَا تَحْزَعِي إِنَّ شَرَّ الشَّيْئَةِ الْجَزَعُ

وسُمَيَّةٌ: أمُّ زياد، فَطِيفَ به في أزقة البصرة وأسواقها، والنَّاسُ يصيحون خلفه: أين جيسْت؛ لما يسيل منه، وهو يقول:

أَبَسْتُ نَبِيذَ آسْتِ عَصَارَاتِ زَبِيبِ

سمية روسفیدست^(١٢)

وفي رواية (الخرزانه): (روسبي)، أي: سُمَيَّةُ البَغِيِّ، ويريد بها الخنزيرة. وهذا الخبر يُشعرنا أنَّ الفارسيَّة كانت شائعةً متداولةً، فليس عجباً أن تفعل فعلها في العربيَّة السَّائرة في المجتمع البصريِّ في منتصف القرن الأوَّل الهجريِّ. والجاحظ يُشير إلى الدَّخِيلِ الفارسيِّ في لغة أهل البصرة، ولكنَّه يراه شيئاً لا بدَّ منه، فقد حَصَلَ مثله، بل أكثر من ذلك في لغة أهل الكوفة، فيقول: ولو عَكَفَ ذلك لغة أهل البصرة؛ إذ نزلوا بأدنى بلاد فارس وأقصى بلاد العرب، كان ذلك أشبه؛ إذ كان أهل الكوفة قد نزلوا بأدنى بلاد النَّبْط وأقصى بلاد العرب.

ويُسَمَّى أهل الكوفة الحوك (الباذروج)، والباذروج بالفارسيَّة، والحوك كلمة عربيَّة. وأهل البصرة إذا التقت أربع طرق يُسمونها (مربَّعة)، ويُسمِّيها أهل الكوفة (الجهار سوك)، والجهار سوك بالفارسيَّة. ويُسمون السَّوق والسَّويقة (وازار)، والوازار بالفارسيَّة. ويُسمون القُثَاء (خياراً)، والخيار بالفارسيَّة^(١٣).

ولا يُريد أن يفضَّل لغة البصرة على لغة الكوفة، ولكنَّه يُريد أن يقول: إنَّ مسألة الدَّخِيلِ لا بدَّ أن تعرض لكلِّ مجتمع يشتمل على عناصر مختلفة.

ولقد كان تأثر العربيَّة بالفارسيَّة عامّاً، فقد ذكر الجاحظ في (البيان)^(١٤):

«وقد يَتَمَلَّحُ الأعرابيُّ بأنَّ يُدْخَلَ في شعره شيئاً من كلام الفارسيَّة، كقول العُمائيِّ

للرَّشيد في قصيدته التي مدحه فيها:

مَنْ يَلْقَهُ مِنْ بَطَلٍ مُسَرَّنِدٍ فِي زَغَفَةٍ مُحْكَمَةٍ بِالسَّرْدِ
تَجُولُ بَيْنَ رَأْسِهِ وَالْكَرْدِ

يعني العنق، وفيها يقول:

لَمَّا هَوَى بَيْنَ غِيَاضِ الْأَسَدِ وَصَارَ فِي كَفِّ الْهَزْبِرِ الْوَرْدِ
آلِي يَذُوقُ الدَّهْرَ آبَ سَرْدِ

لَقَدْ اسْتَعْمَلَ الشَّاعِرُ الْعُمَايِّيُّ (الكردي)، وَهُوَ مُعَرَّبٌ (كردن)^(١٥)، بِمَعْنَى: الْعُنُقُ، كَمَا اسْتَعْمَلَ (آبَ سَرْدَ)، أَي: مَاءً بَارِدًا.

وَإِذَا عَرَفْنَا أَنَّ كَلِمَةَ (كرد) وَرَدَتْ فِي شَعْرِ الْفَرَزْدَقِ أَدْرَكْنَا قَدَمَ تَأَثُّرِ الْعَرَبِيَّةِ بِالذَّخِيلِ الْفَارِسِيِّ.

قال الفرزدق:

وَكُنَّا إِذَا الْقَيْسِيُّ نَبَّ عَتُودَ ضَرْبَانُهُ دُونَ الْأُنْثِيِّنِ عَلَى الْكَرْدِ

وَلَا بَدَّلِي مِنَ الْوُقُوفِ عَلَى أَلْفَاظٍ بَصْرِيَّةٍ، وَأَقُولُ (بَصْرِيَّةٌ)؛ لِشِيعِهَا فِي الْبَصْرَةِ، وَاسْتَعْمَالِهَا فِيهَا، وَوُجُودِهَا الطَّبِيعِيِّ فِي تِلْكَ الْبَيْئَةِ. وَأَنَا أَبْدَأُ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ بِمَا يَتَّصِلُ بِالْأَطْعَمَةِ مِمَّا اسْتَقْرَيْتَهُ مِنْ مَصَادِرِ الْأَدَبِ وَالتَّأْرِيخِ، وَمِنْ الطَّرِيفِ أَنَّ شَيْئًا مِنْ هَذَا مَا زَالَ مَعْرُوفًا فِي الْبَيْئَةِ الْبَصْرِيَّةِ. وَقَدْ اسْتَقْرَيْتُ كِتَابَ (الْبَخْلَاءِ) لِلْجَا حِظِّ، فَتَهَيَّأْتُ لِي قَدْرٌ مِنْ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ، وَهِيَ:

(أُسْبُورُ): نَوْعٌ مِنَ السَّمَكِ، ذَكَرَهُ الْجَا حِظُّ فِي (الْحَيَوَانَ) ^(١٦) فِي عِدَادِ قَوَاعِ السَّمَكِ، كَالْأُسْبُورِ وَالتَّرْسُوجِ وَالْجَوَافِ «فَإِنَّ هَذِهِ الْأَنْوَاعَ تَحِيءُ دَجَلَةَ الْبَصْرَةِ مِنْ أَقْصَى الْبَحَارِ، تَسْتَعِذُّ الْمَاءَ فِي ذَلِكَ الْإِبْنِ، كَيْنَمَا تَتَحَمَّضُ بِحَلَاوَةِ الْمَاءِ وَعَذُوبَتِهِ، بَعْدَ مَلُوحَةِ الْبَحْرِ». وَهِيَ تُقْبَلُ مَرَّتَيْنِ فِي السَّنَةِ فِي أَشْهُرٍ مَعْرُوفَةٍ، وَلِكُلِّ صَنْفٍ مِنْهَا إِبَانَةٌ ^(١٧).

(الْبُرْنِي): ضَرْبٌ مِنَ الرُّطْبِ مِمَّا كَانَ مِنْ تَمَرِ الْبَصْرَةِ، ذَكَرَهُ الْجَا حِظُّ غَيْرَ مَرَّةٍ فِي (الْبَخْلَاءِ).

(البستندود): شرحها (فان فلوتن) في الملاحظات والإيضاحات «بأتمها: تدلّ في الفارسيّة على نوعٍ من الفطائر» المحشوّّة.
(البياح السَّبْخِيّ): في (اللّسان)، البياح (بالكسر والتخفيف): ضربٌ من السّمك، صغار، أمثال شبر، وهو أطيبه^(١٨).

وجعل (أمين المعلوف) هذه الكلمة مرادفة لكلمة (البوري) التي تُطلَق في مصر على نوعٍ من السّمك، وقد وصفه بقوله: «سمكٌ مشهورٌ صغيرٌ أو متوسطُ الحجم، كبير الحراشف، يكون في معظم البحار، ويصعد في الأنهار - أحياناً - وهو أنواعٌ كثيرةٌ». وبعد أن ذكر بعض هذه الأنواع نَقَلَ عن العالم الهنديّ (جاياكار):

إنّ في مسقط على خليج عُمان نوعين آخرين يُطلَق عليهما اسم (البياح)^(١٩)، ومن هذا نعلم أنّ كلمة البياح التي كانت تُطلَق في عصر الجاحظ على ذلك الضرب من السّمك لا تزال مُستعملة حتّى الآن في ذلك الإقليم.

والبياح السَّبْخِيّ الذي يذكره الجاحظ هنا، إمّا أن يكون منسوباً إلى السَّبْخَة، وهي قرية من قرى البحرين، أو إلى ذلك الموضع من نواحي البصرة، وهو الذي يُنسب إليه فرقد السَّبْخِيّ الزّاهد^(٢٠).

ومهما يكن من أمر، فقد كان ذلك الضرب من السّمك كثيراً في البصرة. يذكر صاحب (الأغاني) عن عيسى بن سلمان بن عليّ الهاشميّ: أنّه كان له في البصرة محابس يُحبس فيها البياح ويبيعه، ويُعيّره أبو عُينية المُهلبيّ بذلك؛ إذ يقول في قصيدة له فيه:

رَأَيْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ يَسْمُو بِنَفْسِهِ إِلَى بَيْعِ بَيَّاحَتِهِ وَالْمَبَاقِلِ^(٢١)

(البَهْطَة): طعامٌ، قال أدّي شير: الأرز يُطَبَخ باللّبن والسّمْن، تعريب (بهت)^(٢٢).

(ترستوج): ضربٌ من السّمك. يُنظر: (أسبور).

(جُزوريّة): نوعٌ من الطّعام، لا بدّ أن تكون منسوبة إلى الجزور، وهي النّاقة تُجزر

وَيُعْمَلُ مِنْهَا الطَّعَامُ الْمَذْكُورُ.

(جواف): ضَرْبٌ مِنَ السَّمَكِ. يُنْظَرُ (أَسْبُور).

(جودابة): طَعَامٌ، قَالَ أَدِي شِير: الْجُودَابُ طَعَامٌ يُتَّخَذُ مِنْ سَكَّرٍ وَجُوزٍ وَلَحْمٍ، تَعْرِيبٌ (كُوزَاب).

(جيسران): نَوْعٌ مِنَ التَّمْرِ، وَصَفَهُ ابْنُ قَتِيْبَةَ: «وَأَحْمَدُ السَّبُورُ الْجَيْسِرَان»^(٢٣).

قَالَ أَدِي شِير: الْجَيْسِرَانُ جَنْسٌ مِنْ أَفْخَرِ النَّخْلِ، فَارْسِيَّتُهُ (كَيْسِرَان)، وَمَعْنَاهُ الذَّوَائِبُ^(٢٤).

وَفِي الْبَخْلَاءِ: «فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَنَا بِطَبِيقٍ عَلَيْهِ رَطْبٌ سَكَّرٌ، وَجَيْسِرَانٌ أَسْوَدٌ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ أَيْدِينَا»^(٢٥).

(حُلْقَان): جَمْعُ حُلْقَانَةٍ، وَهُوَ الْبُسْرُ يَبْلُغُ الْأَرْطَابَ فِيهِ ثَلَاثِيهِ، وَهُوَ مُحْلَقْنٌ أَيْضًا. وَفِي (الْبَخْلَاءِ): «... فَذَكَرُوا أَنَّ أَتَانًا تَعْتَادُ نَخْلَةً، فَتَرْفَعُ يَدِيهَا، وَتَعْطُو بِفِيهَا، وَتَأْخُذُ الْحُلْقَانَ وَالْمَنْسَبَةَ...»^(٢٦).

(خَشْكَار): ذَكَرُ أَدِي شِير أَنَّ: (الْخَشْكَارَ) مَا خَشَّ مِنَ الطَّحِينِ، فَارْسِيَّتُهُ (خَشْكَارَ)، وَهُوَ الْقَصْرِيُّ^(٢٧).

أَقُولُ: «إِنَّ (الْخَشْكَارَ) وَرَدَ فِي (الْبَخْلَاءِ) لِلْجَا حِظْ ص ٩٦ بِلَفْظِهِ الْفَارْسِيِّ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ اللَّفْظَ الْفَارْسِيَّ هُوَ الْمَتَدَاوِلُ الْمَعْرُوفُ فِي الْبَيْئَةِ الْبَصْرِيَّةِ، وَلَيْسَ (الْخَشْكَارَ)، وَهُوَ الصَّيْغَةُ الْمَعْرَبَةُ.

وَمِنَ الْمَفِيدِ أَنْ أُشِيرَ إِلَى أَنَّ الْجَوَالِيْقِيَّ لَمْ يَذْكَرْ (الْخَشْكَارَ) فِي (الْمُعَرَّبِ)، وَلَعَلَّ هَذَا بِسَبَبِ أَنَّ الْكَلِمَةَ لَمْ تَشْعَ فِي الْعَرَبِيَّةِ الْعَامَّةِ الْفَصِيحَةِ.

(خُشْكَانَان): مِنَ الْمُعَرَّبَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي (الْبَخْلَاءِ).

وَفِي (الْمُعَرَّبِ) لِلْجَوَالِيْقِيَّ: أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ تَكَلَّمَتْ بِهَا، وَاسْتَشْهَدَ لَهَا بَيْتٌ مِنَ الرَّجَزِ:

يَا حَبْذَا الْكَعْكُ بِلَحْمٍ مَثْرُودٍ وَخَشْكَنَانٍ وَسُوبِقٍ مَقْنُودٍ^(٢٨)
ولم يزد الخفاجي شيئاً، فقال: إِنَّهُ معروفٌ، تَكَلَّمْتُ بِهِ الْعَرَبُ قَدِيماً^(٢٩).
وقد أوضح المستشرق (دوزي) في (مستدركه)، فقال:
(خشكانج): نوعٌ من الخبز المصنوع بالزبد والسكر والجوز والفسق، ويكون على
هيئة الهلال^(٣٠).

(خوامزكه): عَلَّقَ طه الحاجري على هذه الكلمة، فقال:
لم أستطع أن أجد من المعاني المُحتملة لهذه الكلمة... غير أنه يبدو أن هناك صلة بين
هذه الكلمة وبين كلمة (خاميز)، التي نصَّ صاحب العين - كما ينقل عنه ابن منظور في
مادة (أمصى) - على أنها فارسيَّة الأصل، ومعناها - كما جاء في سياق مادة (عمص) -
هو: «أن يُشَرَّح اللحم رقيقاً، ويؤكل غير مطبوخ ولا مشوي، يفعلُه السَّكاري»، وزاد
في مادة (أمص) أنه ربَّما يلفح لفحة النَّار. أمَّا المعنى الذي أورده صاحب القاموس في
تفسيره (الخاميز) من أنه مرق السَّكَباج المبرَّد المُصفى من الدهن، فأحسبه بعيداً ممَّا نحن
فيه^(٣١).

أقول: لا نستطيع أن نقطع بأن (خوامزكه) و (خاميز) شيءٌ واحدٌ، وأن الذي ذكره
الحاجري لا يمكن أن يكون حقيقة أكيدة، ولكنه مفيد، والكلمة من غير شك نوعٌ من
الطَّعام لا نعرفه على وجه الضبط، وقد أغفلته كُتُبُ الْمُعَرَّبِ والدَّخِيلِ.
(دوشاب): ذكره الجاحظ في (البخلاء) ص ٦٤، ولم يُذكر في كتب المُعَرَّبِ والدَّخِيلِ،
ولا في المعجمات العربيَّة، وقد ذكره ابن البيطار في (الجامع)، وأفاد أنه نبذ التَّمر^(٣٢).
وفي معجمات اللُّغة الفارسيَّة أمَّا عصير التَّمر، أو العنب، أو السكر المعقود بالماء،
أي: (الشَّيرة)، وهذا يعني سعة انتشار الألفاظ الفارسيَّة في بيئة الجاحظ وعصره.
(السَّكَباج): ذكره أدي شير: أن السَّكَباج مرق يُعمل من اللَّحْمِ والخلِّ، مُعَرَّبٌ

(سكبا)، وهو مرَّكَبٌ من (سك)، أي: خل، ومن (با)، أي: طعام^(٣٣).

وقد ورد في (البُخلاء) ص ٢٣.

(سكّر): ضربٌ من الرُّطْبِ ممّا هو معروفٌ في البصرة، وما زال موجوداً باسم (الشَّكْر) بالشَّين المُعْجَمَة على النُّطق العامِّي.

وقد استعمله الجاحظ في (البخلاء) ص ١٣٤، فقال: «إِنَّكَ إِذَا أَطْعَمْتَهُمَ الْيَوْمَ الْبُرِّيَّ أَطْعَمْتَهُمْ غَدًا الشُّكَّرَ...».

وفي الصَّفحة ١٩٧، قال: «فَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ جَاءَنَا بِطَبِيقٍ عَلَيْهِ رُطْبٌ سُكَّرَ....».

(سهريز): ضرب من الرُّطْبِ ممّا هو معروف في البصرة، ذكره الجاحظ في (البخلاء)

ص ١٩٧، قال: «... فلو جئتنا بشيءٍ من السَّهْرِيْزِ وَالْبُرِّيِّ لَأَكَلْنَا».

(الشَّبارقات والأخبصة والفالوذجات):

(الشَّبارقات): جمع شبارق، وقد ذكرها الجواليقي، فقال نقلاً عن ابن دريد: «وَالشَّبارق: الَّذِي تُسَمِّيهِ الْفَرَسُ بِيَشْبَارِهِ، وَلَحْمُ شَبَارِقٍ يُقَطَّعُ صَغَاراً وَيُطَبِّخُ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ»، وقال في موضع آخر: «فَأَمَّا الشَّبارقات، وَهِيَ أَلْوَانُ اللَّحْمِ فِي الطَّبَائِخِ، فَفَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ، وَهُوَ الشَّفَارَجُ الَّذِي تَقُولُ لَهُ الْعَامَّةُ فَيْشْفَارَجَ وَبِشَارَجَ»^(٣٤).
على أَنَّهُ ذَكَرَ (الْفَيْشْفَارَجَ) وَفَسَّرَهَا بِقَوْلِهِ: «مَا يُقَدَّمُ بَيْنَ يَدَيِ الطَّعَامِ مِنَ الْأَطْعَمَةِ الْمُسَهِّيةِ لَهُ»^(٣٥).

وَأَمَّا (الْأَخْبِصَةُ)، فَجَمْعُ خَبِيصٍ، وَهُوَ طَعَامٌ عَرَبِيٌّ يُعْمَلُ مِنَ التَّمْرِ وَالسَّمَنِ، وَيُظْهِرُ أَنَّهُ صَارَ يُعْمَلُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْعَسَلِ بَدَلاً مِنَ التَّمْرِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ الرَّاعِبُ: «وَقِيلَ: ذَهَبَتْ بِهَجَةِ الْخَبِيصِ مِنْذُ عَمَلٍ مِنْ عَسَلٍ»^(٣٦).

وَأَمَّا (الْفَالُوذْجَاتُ)، فَجَمْعُ فَالُوذَجٍ، وَهُوَ طَعَامٌ أَخَذَهُ الْعَرَبُ مِنَ الْفَرَسِ، كَمَا يُؤْخَذُ مِنَ الْقِصَّةِ الَّتِي تُرَوَّى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ. وَجَمَلَةٌ صِفَتُهُ تُؤْخَذُ مِنْ كَلِمَةِ الْحَسَنِ حِينَ

سَمَعَ رَجُلًا يَعْيبُهُ، فَقَالَ: «فَتَاتِ الْبَرْ، بِلْعَابِ النَّحْلِ، بِخَالِصِ السَّمَنِ، مَا عَابَ هَذَا مُسْلِمٌ»^(٣٧).

(الشَّفَارِقُ): لَعَلَّهَا الشَّبَارِقُ الْمَذْكُورَةُ.

(الطَّبَاهِجُ): ذَكَرَ أَدِي شِيرَ أَنَّهُ مُعَرَّبٌ، وَأَصْلُهُ فَارِسِيٌّ (تَبَاهَهُ)، وَأَنَّهُ طَعَامٌ مِنْ بِيضٍ وَبِصَلٍ وَلَحْمٍ^(٣٨).

وَأَشَارَ الْخَفَاجِيُّ إِلَى أَنَّهُ (الْكَبَابُ)، ثُمَّ قَالَ: وَالْعَرَبُ تُسَمِّيهِ الصَّفِيفَ^(٣٩).

(الْفَانِيزُ): ضَرْبٌ مِنَ الْحُلُوءِ، مُعَرَّبٌ بَانِيدٌ^(٤٠). وَذَكَرَهُ أَدِي شِيرَ، فَقَالَ: مُعَرَّبٌ بَانِيدٌ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْحُلُوءِ يُصْنَعُ مِنَ السَّكَّرِ وَدَقِيقِ الشَّعِيرِ وَالتَّرَنْجِينِ، وَالتَّرَنْجِينِ تَعْرِيبُ تَرَنْكِينٍ، وَهُوَ طَلٌّ حَلْوٌ أَكْثَرُ مَا يَسْقُطُ بِخَرَّاسَانَ، وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وَيُجْمَعُ كَالْمَنْ^(٤١).
(الكَرْدَنَاجُ): هُوَ اللَّحْمُ الْمَشْوِيُّ عَلَى السَّفَافِيدِ، وَلَعَلَّهَا السَّفُودُ، كَمَا جَاءَ فِي شَعَرِ

إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَمَّارٍ:

يَشْوِي لَنَا الشَّيْخُ شُورِينَ دَوَاجِنَهُ بِالْجَرْدِ نَاجٍ وَشَبَاجِ الشَّقَابِينَ^(٤٢)
(الْمَعْوَةُ): ضَرْبٌ مِنَ الرُّطْبِ، كَمَا فِي (الْبِخْلَاءِ) لِلْجَاحِظِ^(٤٣).

(الْمُنَسَّبَةُ): ضَرْبٌ مِنَ الرُّطْبِ.

(الْمُنْصَفَةُ): ضَرْبٌ مِنَ الرُّطْبِ^(٤٤).

(الْهَلْبَاتَا): ضَرْبٌ مِنَ الرُّطْبِ^(٤٥).

وَمِنَ الْمَفِيدِ أَنَّ أَخْتَمَ هَذَا الصَّرْبِ مِنَ أَلْفَاظِ الْأَطْعَمَةِ بِمَا ذَكَرَهُ الْمُقَدِّسِيُّ فِي كِتَابِهِ (أَحْسَنُ التَّقَاسِيمِ) عَنْ أَصْنَافِ الرُّطْبِ وَالتَّمْرِ، وَهِيَ كَمَا يَأْتِي:

وَبِالْبَصْرَةِ مِنْ أَجْنَاسِ التَّمُورِ تِسْعَةٌ وَأَرْبَعُونَ، وَهِيَ:

(الضَّبِّيُّ، وَالْحَرِثِيُّ، وَالْخَيْشُومُ، وَالصَّحْرِيُّ، وَالسَّكَّرُ، وَالْبَشْكَرُ، وَالطَّبْرَزْدُ الْأَحْمَرُ وَالْأَصْفَرُ، وَالْخُسْتَوَانِيُّ، وَالْمَعْقِلِيُّ، وَالْأَزَاذُ، وَالْهَلْبَاتُ، وَالْكَرَامِيُّ، وَالْقَثْرِيَّةُ، وَالْقَرِيطِيُّ،

والهَيروم، والبدالي، والرَّيفي، والعروسي، والبادنجاني، والإبراهيمي، والزَّنبوري،
واليعضوض، والبرناج، والمحدّر، والبيروني، والشَّويقي، والخيَّشوان، والعمري،
والقرشي، واليhamي، والبُرني، والسَّهريز، والحزكان، والحاسران (كذا) الأصفر،
والمحكرم (كذا)، والقصب، والجنابي، والمُدَحرج، والغرائي، والشَّرقي، والخوارزمي،
والفحل، والمابوري، وبيض البغل، والفاوسان، والصَّيحاني^(٤٦).

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ (السَّكر) وهو الشَّكر في اللّغة المعاصرة ما زال موجوداً
معروفاً، ومثله الطَّبرزد، وهو المعروف الآن في بغداد بـ (الطبرزل).

و(بيض البغل): ما زال معروفاً بشيءٍ يقرب من هذا الاسم، وهو مشهورٌ.

وقد يكون الخستواني هو الخستاوي المشهور الآن في المنطقة الوسطى.

ويحسن -أيضاً- أنْ أُشير إلى ما ذكره المقدسي في (كتابه): من أجناس السَّمك
الدَّجْلِيَّة في البصرة، فقال: هي أربعةٌ وعشرون:

(الشَّيم، والزَّجر، والبُنِّي، والجُرِّي، والسَّلَق، والزَّنجور، والبسمي (كذا)، والسَّاج،
والشَّائم، والكرتك، والشَّلابي، والدَّبَّقاء، والرَّماين^(٤٧)، والبيضواوي، والأريان،
والبراك، والبرسوج أو البرستوج، والأسبول^(٤٨)، والجواف^(٤٩)، والرَّبلتي أو الرِّبشي،
والعين، والسَّحدان)^(٥٠).

ومن المفيد أنْ أُشير إلى أنّ أجناس البُنِّي والجُرِّي والسَّلَق والأريان والأسبور، ما
زالَتْ معروفة مشهورة في البصرة، وفي غيرها، ولمْ تُشرِّ المعجمات إلّا إلى طائفةٍ قليلةٍ
منها.

ألفاظٌ أُخر:

هي بضع ألفاظ رأيتُ أنّ ألحقها بالمجموعة التي قدّمتها، وهي موادٌ وجدتُها هنا
وهناك ممّا يتصل بالبيئة البصريّة:

(بارجين): وَرَدَتْ فِي (البخلاء)^(٥١) فِي قَوْلِ الْجَاحِظِ: «وَحِينَ أَكَلُوا بِالْبَارَجِينَ، وَقَطَعُوا بِالسَّكِينِ».

وَيَبْدُو أَنَّهَا أَدَاةُ كَالشَّوْكَةِ فِي عَصْرِنَا الَّتِي يُسْتَعَانُ بِهَا مَعَ السَّكِينِ فِي الْأَكْلِ، وَهِيَ مِنْ مَصْدَرٍ فَارْسِيٍّ (بَرْجَنِيدَنْ) وَمَعْنَاهَا الْإِلْتِقَاطُ.

وَلَمْ نَجِدْ فِي كُتُبِ الْمُعَرَّبَاتِ وَلَا فِي الْمَعْجَمَاتِ هَذِهِ الْكَلِمَةَ، وَيَبْدُو أَنَّهَا مِنَ الْأَدَوَاتِ الَّتِي تُسْتَعَارُ لِلْحَاجَةِ إِلَيْهَا فِي اللُّغَةِ السَّائِرَةِ، وَتَبْقَى مُحْتَفِظَةً بِصُورَتِهَا فِي اللُّغَةِ الْأَعْجَمِيَّةِ، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي لُغَةِ الْبَصْرَةِ فِي الْقَرْنَيْنِ الثَّانِي وَالثَّلَاثِ الْهَجْرِيَّيْنِ.

(بَرْبَنْد): ذَكَرَهُ الْجَاحِظُ فِي (البخلاء)^(٥٢)، فَقَالَ: وَلَا يُرْتَقَى عَلَيْهَا إِلَّا بِالتَّبْلِيَا وَالْبَرْبَنْد... وَالْبَرْبَنْدُ كَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ مَعْنَاهَا الرِّبَاطُ، وَمَا زَالَتْ مَعْرُوفَةٌ لَدَى الْعَامِلِينَ بِالنَّخِيلِ فِي الْبَصْرَةِ، فَهَمْ يَقُولُونَ: (فِرُونْد).

(الْبَرْنَكَان): ذَكَرَهُ الْجَاحِظُ فِي (البخلاء)^(٥٣)، فَقَالَ: «.....فَجْعَلَهُ (أَي: الْقَمِيصِ) بَرْنَكَانًا لَا مَرَاتِيَّةً».

قَالَ صَاحِبُ الْقَامُوسِ: إِنَّهُ الْكِسَاءُ الْأَسْوَدُ^(٥٤).

وَنَقَلَ الْجَوَالِيقِيُّ عَنْ ابْنِ دَرِيدٍ: أَنَّ الْكِسَاءَ مُطْلَقًا، وَأَنَّهُ بِالْفَارْسِيَّةِ^(٥٥)، وَأَنشَدَ الْجَاحِظُ:

إِنِّي وَإِنْ كَانَ إِزَارِي خَلِقًا وَبَرْنَكَانِي سَمِلًا قَدْ أُخْلِقَا
قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِسَانِي مُطْلَقًا^(٥٦)

(الْبَوَارِي): ذَكَرَهَا الْجَاحِظُ فِي (البخلاء)^(٥٧)، فَقَالَ: «فَبَطَّنُوا الْبَوَارِي، وَبَطَّنُوا الْحَصْرَ»، جَاءَ فِي (اللِّسَانِ): وَالْبُورِي وَالْبُورِيَّةُ وَالْبُورِيَاءُ وَالْبَارِي وَالْبَارِيَاءُ وَالْبَارِيَّةُ فَارْسِيٌّ مُعَرَّبٌ. وَهُوَ الْحَصِيرُ الْمَنْسُوجُ^(٥٨).
وَفِي (الصَّحَاحِ): الَّتِي مِنَ الْقَصَبِ.

قال الأصمعيّ: البورياء بالفارسيّة، وهو بالعربيّة (باري، وبوري)، وأنشد العجاج
يصف كناس الثور:

كَالْخَصِّ إِذْ جَلَّلَهُ الْبَارِيُّ^(٥٩)

(تبلياً): كلمة آراميّة تعني: أداة منسوجة من الحبال، تُستعمل لصعود النّخل. وقد
ذَكَرَ (فرنكل) (Frankel) أنّ هذه الكلمة لا يستعملها إلاّ العراقيّون^(٦٠).

أقول: وما زالت مُستعملة في العراق في عصرنا، وأخصّ البصرة وحدها.
(الجريب): مساحة يُقدَّر بها النّخيل، فالجريب عشرة أقفزة، والقفيز عشرة أعشراء.
وعن ابن دريد، قال: لا أحسبه عربيّاً.

أقول: والجريب معروف في عصرنا هذا، ويكاد ينحصر استعماله في البصرة.
(الخور): مصبّ الماء في البحر، وقيل: هو خليج من البحر.
أقول: وما زالت الكلمة حيّة في استعمال البصريّين دون غيرهم، وهي من غير شكّ
مما استُعمل في البصرة في العصور المتقدّمة.

وأنا أختتم هذه الإمامة، فأحيي هذه المدينة المباركة، ولا أقول كما قال الفرزدق:
لَوْ لَا أَبُو مَالِكِ الْمَرْجُوُّ نَائِلُهُ مَا كَانَتْ الْبَصْرَةُ الرَّعْنَاءُ لِي وَطَنَا
ولكنّي أقول:

لَوْ لَا زَخَارْفُ مِنْ دُنْيَا شَقِيتُ بِهَا لَكَانَتْ الْبَصْرَةُ الشَّاءُ لِي وَطَنَا

الهوامشُ

- ١- معجم البلدان: ١/ ٦٥٣.
- ٢- معجم البلدان: ١/ ٦٢٢.
- ٣- معجم البلدان: ٤/ ٣٢٢.
- ٤- سورة آل عمران: ٩٦.
- ٥- اللسان: (بك).
- ٦- معجم البلدان: ١/ ٦٣٧.
- ٧- معجم البلدان: ١/ ٦٤٥-٦٤٦.
- ٨- فتوح البلدان: ص ٣٤٦-٣٧٢.
- ٩- فتوح البلدان: ص ٣٤٦-٣٧٢.
- ١٠- فتوح البلدان.
- ١١- فتوح البلدان: ص ٣٧٠.
- ١٢- الشَّعر والشَّعراء: ص ٢٧٧.
- ١٣- البيان والتبيين: ١/ ١٩-٢٠.
- ١٤- البيان والتبيين: ١/ ١٤١-١٤٢.
- ١٥- المُعرَّب: ص ٢٧١.
- ١٦- الحيوان: ٣/ ٢٩٥.
- ١٧- الحيوان: ٤/ ١٠١.
- ١٨- اللسان (بيح).
- ١٩- معجم الحيوان، طبعة المقتطف، ١٩٣٢م: ص ١٦٣-١٦٤.
- ٢٠- معجم البلدان: ٣/ ٣٠.
- ٢١- الأغاني: ١٨/ ١١-١٢، طبعة التقدّم، وقد أُفدّت هذه الموادّ من البخلاء، طبعة الحاجريّ: ص ٣٩٨.
- ٢٢- كتاب الألفاظ الفارسيّة المُعرّبة: ص ٢٩.
- ٢٣- عيون الأخبار: ٣/ ٢٩٧.

- ٢٤- كتاب الألفاظ الفارسيّة المعرّبة: ص ٤٩.
- ٢٥- البخلاء: ص ١٩٧.
- ٢٦- المصدر السابق: ص ٢٢١.
- ٢٧- كتاب الألفاظ الفارسيّة المعرّبة: ص ٥٥.
- ٢٨- المعرّب: ص ١٣٤.
- ٢٩- شفاء الغليل: ص ٧٦.
- ٣٠- Supplement aux Dictionaries.
- ٣١- البخلاء: ص ٣٣٤.
- ٣٢- الجامع لمفردات الأدوية: ٢/ ١٢٠.
- ٣٣- كتاب الألفاظ الفارسيّة المعرّبة: ص ٩٢.
- ٣٤- المعرّب: ص ٢٠٤.
- ٣٥- المصدر السابق: ص ٢٣٩.
- ٣٦- محاضرات الراغب، طبعة الشّرقية: ١/ ٢٩٦.
- ٣٧- عيون الأخبار: ٣/ ٢٠٣.
- ٣٨- كتاب الألفاظ الفارسيّة المعرّبة: ص ١١١.
- ٣٩- شفاء الغليل، طبعة السّعادة، مصر، ١٣٢٥هـ: ص ١٢٩.
- ٤٠- القاموس المحيط: (فند).
- ٤١- كتاب الألفاظ الفارسيّة المعرّبة: ص ١٢١.
- ٤٢- الأغاني، طبعة دار الكتب: ١١/ ٣٦٦. ويُنظر تفصيل ما جاء في الموضوع في (البخلاء): ص ٤٠٨، وهو تعليق الأستاذ الحاجري.
- ٤٣- البخلاء: ص ٢٢١.
- ٤٤- المصدر نفسه: ص ٢١.
- ٤٥- المصدر نفسه: ص ١٣٤.
- ٤٦- أحسن التقاسيم: ص ١٣٠.
- ٤٧- ذكره الجاحظ بـ (الّرمان)، البخلاء: ص ١٢٩.
- ٤٨- هو الأسبور، ذكره الجاحظ -أيضاً-، وقد أشرنا إليه.
- ٤٩- ذكره الجاحظ، وقد أشرنا إليه.
- ٥٠- أحسن التقاسيم: ص ١٣١.

- ٥١- البخلَاء: ص ٦٨.
- ٥٢- المصدر نفسه: ص ٢١٢.
- ٥٣- المصدر نفسه: ص ٣٠٠.
- ٥٤- القاموس المحيط (برد).
- ٥٥- الْمُعَرَّب: ص ٥٦.
- ٥٦- البيان والتبيين، طبعة هارون: ١ / ٦٠.
- ٥٧- البخلَاء: ص ١٠٤.
- ٥٨- اللِّسان (بور).
- ٥٩- الصَّحاح (بور).
- ٦٠- Z. D. M. G. ١٩٠٦ م: ص ٣٦٩-٣٧٠.

فهرس المحتويات

٥	مقدّمهُ المركز
٩	هَجاتُ البَصْرةِ وجَنُوبِ العِراقِ
٢٤	الظواهرُ الصَّوتِيَّةُ في هَجاتِ البَصْرةِ
٧١	اللَّهجاتُ العامِّيَّةُ العربيَّةُ وأهمِّيَّةُ دِرَاسَتِها
٩٩	مِنْ غَرِيبِ اللُّغَةِ في بَعْضِ هَجاتِ الجَنُوبِ
١١١	مِنَ الفَصِيحِ المَهْجُورِ - تَتَبُعُ لُغَوِيٌّ تَأْرِخِيٌّ لِأَلْفَاظٍ مِنْ هَجَةِ مِيسَانَ
١٤١	هَجاتُ شَمالِ شَرْقيِّ الجَزيرةِ العربيَّةِ
١٦٣	العواملُ الإقليمِيَّةُ والاجتماعِيَّةُ في التَّوزيعِ الجغرافيِّ ...
٢٠٥	الوحداتُ الصَّوتِيَّةُ (الفُونِيَّاتُ) المُفَخَّمةُ في لهجةِ البصرة...
٢٢٩	الإبدالُ في لهجةِ جنوبِ البصرة
٢٦٣	لهجةُ أبي الخَصِيبِ
٢٨٧	مَلامَحُ مِنْ لهجاتِ الخَلِيجِ العربيِّ (لهجةُ الزُّبَيْرِ)
٣١٧	اللَّحْنُ في الأصواتِ العربيَّةِ على ألسنةِ العَجَمِ القُدَّامِي
٣٦١	اللَّهجاتُ العربيَّةُ القَدِيمَةُ في اللِّسانِ البَصْريِّ (دراسةٌ صَوْتِيَّةٌ)
٣٩٥	الألفاظُ الفارسيَّةُ في اللِّهجةِ البَصْريَّةِ
٤٢٥	الألفاظُ الفارسيَّةُ في اللِّهجةِ العِراقِيَّةِ
٤٤٥	أَشْباتُ بَصْريَّة
٤٦٨	فهرس المحتويات